فلسفة الهند في سيرة يوغي

بقلم

برمهنسا يوغانندا



محتويات

القديس ذو الجسدين (سوامي برانابانندا)

.4

رحلتي المتقطعة نحو جبال الهيمالايا

.5

"قديس العطور" يؤدي عجائبه

.6

النمر سوامي

.7

القديس المرفوع (ناجيندرا ناث بهادوري)

.8

العالم والمخترع الهندي العظيم، جاغاديس تشاندرا بوس

.9

المُحبّ السعيد ورومانسيته الكونية (المعلم ماهاسايا)

.10

التقيت بسيدي، سري يوكتسوار

.11

صبيان مفلسان في بريندابان

الفصل: 1

والدي وحياتي المبكرة

لطالما كانت السمات المميزة للثقافة الهندية هي البحث عن الحقائق المطلقة وما يصاحبها من علاقة تلميذ بالمعلم الروحي. قادني مساري إلى حكيمٍ مسيحيٍّ نقشت حياته الجميلة عبر العصور. كان أحد أعظم الأساتذة الذين يُمثلون الهندوسية الوحيدة.

الثروة المتبقية. لقد ظهروا في كل جيل، وحصنوا أرضهم ضد مصير بابل ومصر.

أجد أن ذكرياتي الأولى تُغطي السمات المُتناقضة لتجسد سابق. عادت إليّ ذكريات واضحة عن حياة بعيدة، يوغي من المستوى الأول إلى الثالث وسط ثلوج جبال الهيمالايا. هذه اللمحات من الماضي، من خلال رابط لا أبعاد له، أتاحت لي أيضًا لمحة عن المستقبل.

لم تُمحى من ذاكرتي إهانات الطفولة البائسة. كنتُ أشعر بالاستياء لعجزي عن المشي أو التعبير عن نفسي بحرية. تصاعدت في داخلي دفقات من الدعاء عندما أدركتُ عجزي الجسدي. تجلّت حياتي العاطفية القوية في كلماتٍ صامتة بلغاتٍ عديدة. وسط فوضى الألسنة الداخلية، اعتادت أذني تدريجيًا على المقاطع البنغالية المحيطة بشعبي. يا له من

نطاقٍ ساحر لعقل رضيع! يُعتبر في نظر الكبار محدودًا بالألعاب وأصابع القدم.

دفعني اضطرابي النفسي وجسدي الخالي من أي استجابة إلى نوبات بكاء متكررة. أتذكر حيرة العائلة العامة من محنتي. وتتراكم في ذهني ذكريات أسعد: مداعبات أمي، ومحاولاتي الأولى في التلعثم في الكلام والمشي ببطء. هذه الانتصارات المبكرة، التي عادةً ما تُنسى سريعًا، تُشكل أساسًا طبيعيًا للثقة بالنفس.

ذكرياتي البعيدة ليست فريدة. فمن المعروف أن العديد من اليوغيين حافظوا على وعيهم الذاتي دون انقطاع بسبب الانتقال الدرامي من وإلى "الحياة" و"الموت". إذا كان الإنسان جسدًا فحسب، فإن فقدانه يضع بالفعل المرحلة الأخيرة للهوية. ولكن إذا كان الأنبياء على مر العصور قد تكلموا بالحق، فإن الإنسان في جوهره ذو طبيعة غير مادية. إن جوهر الأنانية البشرية الدائم لا يرتبط إلا مؤقتًا بالإدراك الحسي.

رغم غرابة ذكريات الطفولة الواضحة، إلا أنها ليست نادرة. خلال رحلاتي في بلدان عديدة، استمعتُ إلى ذكريات مبكرة من رجال ونساء صادقين.

وُلدتُ في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، وقضيتُ سنواتي الثماني الأولى في غوراخبور. كان هذا مسقط رأسي في المقاطعات المتحدة بشمال

شرق الهند. كنا ثمانية أطفال: أربعة أولاد وأربع بنات. كنتُ أنا، موكوندا لال غوش، ابنًا ثانيًا وطفلًا رابعًا.

كان الأب والأم بنغاليين، من طبقة الكشاتريا. 1-5 كان كلاهما يتمتعان بفطرةٍ قديسة. لم يُظهر حبهما المتبادل، الهادئ والكريم، نفسه بتهور. كان التناغم الأبوي المثالي هو محور الاضطراب الدائم لحياة ثمانية شبان.

كان والدي، بهاجاباتي شاران غوش، طيب القلب، رزينًا، صارمًا أحيانًا. أحببناه حبًا عميقًا، وكنا نحن الأطفال نحافظ على مسافة احترام بيننا. كان عالم رياضيات ومنطق بارعًا، وكان عقله هو مصدر إلهامه الرئيسي. أما أمي فكانت ملكة القلوب، ولم تُعلّمنا إلا بالحب. بعد وفاتها، أظهر والدي مزيدًا من حنانه الداخلي. لاحظتُ حينها أن نظرته كانت غالبًا ما تتحول إلى نظرة أمي.

في حضور أمي، تذوقنا أول تجربة لنا مع الكتب المقدسة، بمزيجها الحلو والمر. استُخدمت حكايات من المهابهاراتا والرامايانا من ١ إلى ٦ ببراعة لتلبية احتياجاتنا.

من التأديب. كان التعليم والعقاب متلازمين.

كانت والدتي تُبدي احترامها لأبي يوميًا عندما كانت تُلبسنا ملابس أنيقة بعد الظهر لاستقباله عند عودته من العمل. كان منصبه يُشبه منصب نائب رئيس

شركة سكك حديد بنغال-ناغبور، إحدى كبرى شركات الهند. كان عمله يتطلب السفر، وقد عاشت عائلتنا في عدة مدن خلال طفولتي.

كانت أمي تمد يدها للمحتاجين. وكان أبي أيضًا كريمًا، لكن احترامه للقانون والنظام امتد إلى الميزانية. في أسبوعين، أنفقت أمي على إطعام الفقراء أكثر من دخل أبي الشهري.

كل ما أطلبه، من فضلكم، هو أن تُبقي تبرعاتكم في حدود المعقول. حتى توبيخ زوجها اللطيف كان مؤلمًا لأمي. طلبت عربة أجرة، دون أن تُلمّح للأطفال إلى أي خلاف.

"وداعًا، سأذهب إلى منزل أمي." إنذار قديم!

انفجرنا في نحيبٍ مذهول. وصل عمّنا في الوقت المناسب، وهمس لأبي بنصيحة حكيمة، لا شكّ في أنها ورثتها من العصور. بعد أن أدلى أبي ببعض الكلمات التصالحية، غادرت أمي سيارة الأجرة بسعادة. وهكذا انتهى الخلاف الوحيد الذي لاحظته بين والديّ. لكنني أتذكر نقاشًا مميزًا.

"أرجوك أعطني عشر روبيات لامرأة تعيسة وصلت للتو إلى المنزل." كانت ابتسامة الأم مقنعة بشكل خاص.

لماذا عشر روبيات؟ روبية واحدة تكفي. أضاف الأب مبررًا: "عندما توفي والدي وجديّ فجأةً، ذاقتُ طعم

الفقر لأول مرة. كان فطوري الوحيد، قبل أن أمشي أميالًا إلى مدرستي، موزة صغيرة. لاحقًا، في الجامعة، كنتُ في أمسّ الحاجة إلى المال، فتقدمتُ إلى قاضٍ ثريّ بطلب مساعدة روبية واحدة شهريًا. رفض، مُعلّقًا على أهمية الروبية."

"كم تُذَكِّرُينَ بمرارةٍ رفضَكِ لتلك الروبية!" انبعثَ في قلبِ الأمِّ منطقٌ مُلِحٌّ. "أتريدينَ أن تتذكرَ هذهِ المرأةُ أيضًا بمرارةٍ رفضَكِ للروبياتِ العشرِ التي هي بأمسِّ الحاجةِ إليها؟"

"لقد فزت!" بلفتةٍ عريقةٍ للأزواج المهزومين، فتح محفظته. "هذه ورقةٌ من فئة عشر روبيات. أعطها لها بطيب خاطر."

كان والدي يميل إلى رفض أي عرض جديد. وكان موقفه من المرأة الغريبة التي استمالت عطف أمي بسهولة مثالاً على حذره المعتاد. إن نفوره من القبول الفوري - وهو سمة مميزة للعقلية الفرنسية في الغرب - ليس في الحقيقة سوى احترام لمبدأ "التفكير السليم". لطالما وجدت والدي معقولاً ومتوازناً في أحكامه. فإذا استطعت تدعيم طلباتي العديدة بحجة أو اثنتين جيدتين، كان يضع هدفي المنشود في متناول يدي، سواءً كانت رحلة إجازة أو دراجة نارية جديدة.

كان والده مُنظّمًا صارمًا لأبنائه في صغرهم، لكن موقفه تجاه نفسه كان متقشفًا بحق. لم يزر

المسرح قط، على سبيل المثال، بل سعى للترفيه عن نفسه في مختلف الممارسات الروحية وقراءة البهاغافاد غيتا. 1-7 متجنبًا كل الكماليات، كان يتمسك بزوج واحد من الأحذية القديمة حتى يصبح عديم الفائدة. اشترى أبناؤه السيارات بعد أن أصبحت شائعة الاستخدام، لكن والده كان دائمًا راضيًا بعربة الترام لرحلته اليومية إلى المكتب. كان تراكم المال من أجل السلطة غريبًا على طبيعته. في إحدى المرات، بعد تأسيس بنك كلكتا الحضري، رفض الاستفادة من أي من أسهمه. كان يرغب ببساطة في أداء واجب مدني في وقت فراغه.

بعد سنوات من تقاعد والدي، وصل محاسب إنجليزي لفحص دفاتر شركة سكة حديد بنغال-ناغبور. فوجئ المحقق بأن والدي لم يتقدم قط بطلب للحصول على مكافآت متأخرة.

قال المحاسب للشركة: "لقد قام بعمل ثلاثة رجال! لديه ١٢٥ ألف روبية (حوالي ٤١,٢٥٠ دولارًا أمريكيًا) مستحقة له كتعويض متأخر". قدّم المسؤولون لأبي شيكًا بهذا المبلغ. لم يُعر الأمر اهتمامًا كبيرًا لدرجة أنه تجاهل أي ذكر للعائلة. بعد ذلك بوقت طويل، استجوبه أخي الأصغر بيشنو، الذي لاحظ الوديعة الكبيرة في كشف حساب بنكي.

"لماذا نبتهج بالربح المادي؟" أجاب الأب. "من يسعى إلى هدفٍ عادلٍ لا يفرح بالربح ولا يكتئب

بالخسارة. إنه يعلم أن الإنسان يأتي إلى هذه الدنيا مفلسًا، ويغادرها بلا روبية واحدة."

الأب بهاغاباتي شاران غوش تلميذ لاهيري مهاسايا

في بداية زواجهما، أصبح والداي تلاميذًا لمعلم عظيم، لاهيري ماهاسايا من بنارس. عزز هذا التواصل مزاج والدي الزهدي الفطري. اعترفت أمي لأختي الكبرى روما باعترافٍ لافت: "أنا ووالدك نعيش معًا كزوج وزوجة مرة واحدة فقط في السنة، بهدف إنجاب الأطفال".

التقى والدي بلاهيري ماهاسايا لأول مرة من خلال أبيناش بابو، الموظف في مكتب سكة حديد بنغال-ناغبور في غوراخبور. روي أبيناش لآذاني الصغيرة حكاياتٍ شيقة عن العديد من القديسين الهنود. وكان يختتم أحاديثه دائمًا بتمجيدٍ للأمجاد السامية لمعلمه.

هل سمعت يومًا عن الظروف الاستثنائية التي جعلت والدك يصبح تلميذًا للاهيري ماهاسيا؟

في ظهيرة صيفية هادئة، بينما كنتُ أنا وأبيناش نجلس معًا في مجمع منزلي، طرح هذا السؤال المحير. هززتُ رأسي بابتسامة ترقب.

قبل سنوات، قبل ولادتك، طلبت من رئيسك - والدك- أن يمنحني إجازة لمدة أسبوع من واجباتي

في غوراخبور لزيارة معلّمي في بنارس. سخر والدك من خطتي.

سألني: «هل ستصبح متعصبًا دينيًا؟ ركّز على عملك المكتبي إذا كنت ترغب في التقدم».

في ذلك اليوم، بينما كنتُ أسير حزينًا عائدًا إلى المنزل على طريقٍ في الغابة، التقيتُ بوالدك على مِحفّة. صرف خدمه وعربته، ووقف بجانبي. في محاولةٍ لتعزيتي، أشار إلى فوائد السعي وراء النجاح الدنيوي. لكنني سمعته بصمت. كان قلبي يردد: "لاهيري ماهاسيا! لا أستطيع العيش دون رؤيتك!"

قادنا طريقنا إلى حافة حقل هادئ، حيث كانت أشعة شمس ما بعد الظهيرة لا تزال تُتوّج تموجات العشب البري الطويلة. توقفنا في إعجاب. هناك في الحقل، على بُعد أمتار قليلة منّا، ظهر فجأةً شكل معلّمي العظيم! 1-9

«بهاجاباتي، أنت قاسٍ جدًا على موظفك!» كان صوته يتردد في آذاننا المذهولة. ثم اختفى بغموض كما ظهر. على ركبتي كنت أصرخ: «لاهيري ماهاسيا! لاهيري ماهاسيا!» ظل والدك ساكنًا من فرط الدهشة لبضع لحظات.

أبيناش، لا أسمح لك فحسب، بل أسمح لنفسي بالذهاب إلى بنارس غدًا. لا بد لي من معرفة هذا العظيم لاهيري ماهاسيا، القادر على تجسيد ذاته

بإرادته ليشفع لك! سأأخذ زوجتي وأطلب من هذا المعلم أن يُرشدنا في مسيرته الروحية. هل سترشدنا إليه؟

«بالتأكيد». غمرني الفرح عندما وجدتُ الإجابة المعجزة لصلاتي، وبسبب سرعة الأحداث وحسنها.

في المساء التالي، ركبنا أنا ووالداك القطار إلى بنارس. في اليوم التالي، ركبنا عربة يجرها حصان، ثم اضطررنا إلى السير عبر ممرات ضيقة إلى منزل معلّمي المنعزل. دخلنا منزله الصغير

في الصالة، انحنينا أمام المعلم، متمسكين بوضعية اللوتس المعتادة. رمش بعينيه الثاقبتين ووجههما نحو والدك.

قال: «بهاجاباتي، أنت قاسٍ جدًا على موظفك!» وكانت كلماته هي نفسها التي قالها قبل يومين في حقل غوراخبور. وأضاف: «أنا سعيد لأنك سمحت لأبيناش بزيارتي، ولأنك وزوجتك رافقته».

لفرحهما، غرس في والديكما الممارسة الروحية للكريا يوغا. 1-10 أنا ووالدك، كأخوين تلاميذ، كنا أصدقاء مقربين منذ يوم الرؤية المشهود. اهتم لاهيري ماهاسيا اهتمامًا بالغًا بمولدك. سترتبط حياتكما بحياته بالتأكيد: فبركة المعلم لا تخيب أبدًا.

غادر لاهيري ماهسايا هذا العالم بعد دخولي إليه بفترة وجيزة. لطالما زينت صورته، المُحاطة بإطار

مزخرف، مذبح عائلتنا في مختلف المدن التي نُقل إليها والدي بحكم منصبه. في كثير من الصباحات والأمسيات، كنا أنا وأمي نتأمل أمام ضريح مُرتجل، نُقدم زهورًا مغموسة في عجينة خشب الصندل العطرة. مع البخور والمر، بالإضافة إلى عباداتنا المُشتركة، كنا نُكرّم الألوهية التي تجلّت في لاهيري ماهسايا.

كان لصورته تأثيرٌ بالغٌ على حياتي. ومع نموي، نمت فكرة المعلم معي. في التأمل، كنتُ أرى صورته الفوتوغرافية تخرج من إطارها الصغير، متخذةً شكلاً حياً، وتجلس أمامي. عندما أحاول لمس قدمي جسده المضيء، كانت تتغير وتعود إلى الصورة. ومع انتقال الطفولة إلى الصبا، وجدتُ لاهيري ماهاسيا يتحول في ذهني من صورة صغيرة، محفورة في إطار، إلى حضور حيّ مُنير. كنتُ أدعو له كثيراً في لحظات المحنة أو الحيرة، فأجد في داخلي توجيهه المُعزي. في البداية، حزنتُ لأنه لم يعد حياً جسدياً. وعندما بدأتُ أكتشف حضوره السريّ في كل مكان، لم أعد أبكي. لقد كتب كثيراً إلى تلاميذه الذين كانوا متلهفين لرؤيته: "لماذا تأتي لرؤية عظامي ولحمي، وأنا دائماً في متناول كوتاستا (رؤيتك الروحية)؟"

كنتُ في الثامنة من عمري تقريبًا، وقد حظيتُ بشفاءٍ رائعٍ بفضل صورة لاهيري ماهسايا. زادت هذه التجربة من حُبّي. أثناء وجودي في منزل عائلتنا

في إيتشابور، البنغال، أُصبتُ بالكوليرا الآسيوية. يئستُ من حياتي؛ لم يستطع الأطباء فعل شيء. بجانب سريري، أشارت لي أمي بجنونٍ أن أنظر إلى صورة لاهيري ماهسايا المعلقة على الحائط فوق رأسي.

"انحني له بقلبك!" كانت تعلم أنني ضعيفٌ جدًا لدرجة أنني لا أستطيع حتى رفع يدي للتحية. "إذا أظهرتِ إخلاصكِ حقًا وركعتِ أمامه بقلبك، فستنجو حياتكِ!"

نظرتُ إلى صورته، فرأيتُ فيها ضوءًا ساطعًا يُحيط بجسدي والغرفة بأكملها. اختفى الغثيان وغيره من الأعراض التي لا أستطيع السيطرة عليها، وأصبحتُ بصحة جيدة. شعرتُ على الفور بقوة كافية لأنحني وألمس قدمي أمي تقديرًا لإيمانها الراسخ بمعلمها. ضغطت أمي برأسها مرارًا على الصورة الصغيرة.

"أيها المعلم الحاضر في كل مكان، أشكرك لأن نورك قد شفى ابني!"

لقد أدركت أنها أيضًا شهدت الوهج المضيء الذي مكّنني من التعافي على الفور من مرض قاتل عادةً.

من أثمن مقتنياتي تلك الصورة نفسها. أهداها لاهيري ماهاسايا نفسه لأبي، وهي تحمل في طياتها ذبذباتٍ روحية. كان للصورة أصلٌ عجيب. سمعتُ القصة من كالي كومار روي، شقيق أبي وتلميذه.

يبدو أن المعلم كان يكره التصوير. احتجاجًا منه، التُقطت له صورة جماعية مع مجموعة من المريدين، من بينهم كالي كومار روي. اندهش أحد المصورين عندما اكتشف أن اللوحة التي تحمل صورًا واضحة لجميع التلاميذ، لم تكشف سوى عن مساحة فارغة في المنتصف، حيث كان يتوقع أن تظهر معالم لاهيري ماهاسايا. وقد نوقشت هذه الظاهرة على نطاق واسع.

كان غانغا دار بابو، وهو طالب ومصور خبير، يتفاخر بأن الصورة الهاربة لن تفلت منه. في صباح اليوم التالي، بينما كان المعلم جالسًا في وضعية اللوتس على مقعد خشبي وخلفه ستارة، وصل غانغا دار بابو بمعداته. اتخذ كل الاحتياطات اللازمة للنجاح، فكشف بشغف عن اثنتي عشرة لوحة. سرعان ما وجد على كل منها بصمة المقعد الخشبي والستارة، ولكن صورة المعلم اختفت مرة أخرى.

بدموعٍ وكبرياءٍ مُحطم، لجأ غانغا دار بابو إلى مُعلّمه. ومرت ساعاتٌ طويلة قبل أن يُنهي لاهيري ماهاسايا صمته بتعليقٍ مُلهم:

أنا روح. هل تستطيع كاميرتك أن تعكس الوجود غير المرئي في كل مكان؟

أرى أنه لا يمكن ذلك! ولكن، يا سيدي المقدس، أرغب بشدة في الحصول على صورة للمعبد

الجسدي حيث يبدو أن الروح وحدها، في نظري الضيق، تسكنه بالكامل.

"تعال إذن، غدًا صباحًا. سأقوم بالتصوير لك."

ركّز المصور كاميرته مرة أخرى. هذه المرة، بدت الشخصية المقدسة، غير المُغطاة بغموض غامض، واضحةً على اللوحة. لم يلتقط المعلم صورةً أخرى قط؛ على الأقل، لم أرَ واحدةً منها.

أُعيد إنتاج الصورة في هذا الكتاب. ملامح لاهيري ماهسايا الجميلة، ذات الطابع العالمي، لا تُشير إلى العرق الذي ينتمي إليه. فرحته الشديدة بالتواصل مع الله تتجلى بوضوح في ابتسامة غامضة نوعًا ما. عيناه، نصف مفتوحتين للدلالة على توجه اسمي نحو العالم الخارجي، نصف مغلقتين أيضًا. غافلًا تمامًا عن مغريات الأرض الضعيفة، كان يقظًا دائمًا للمشاكل الروحية للساعين إليه طلبًا لفضله.

بعد فترة وجيزة من شفائي بفضل قوة صورة المعلم الروحي، راودتني رؤية روحية مؤثرة. جلستُ على سريري ذات صباح، وغرقتُ في تأمل عميق.

"ما الذي يكمن وراء ظلمة العينين المغمضتين؟"، خطرت لي هذه الفكرة المتعمقة بقوة. تجلى وميضٌ هائلٌ من النور فجأةً في داخلي. تشكّلت أشكالٌ إلهيةٌ لقديسين، جالسين في وضعية تأمل في كهوف الجبال، كصور سينمائية مصغّرة على...

شاشة كبيرة من الإشعاع داخل جبهتي.

"من أنت؟" تحدثت بصوت عال.

"نحن يوغيو الهيمالايا". كان من الصعب وصف رد الفعل السماوي؛ لقد كان قلبي في غاية السعادة.

"آه، أتوق للذهاب إلى جبال الهيمالايا وأصبح مثلك!" اختفت الرؤية، لكن الأشعة الفضية توسعت في دوائر متزايدة الاتساع إلى ما لا نهاية.

"ما هذا التوهج العجيب؟"

"أنا إيسوارا. 1-11 أنا النور." كان الصوت كسحابة هامسة.

"أريد أن أكون واحدًا معك!"

من خفوت نشوتي الإلهية تدريجيًا، استخلصتُ إرثًا دائمًا من الإلهام للبحث عن الله. "إنه فرح أبدي، فرحٌ متجدد!". دامت هذه الذكرى طويلًا بعد يوم الخطف.

هناك ذكرى مبكرة أخرى لا تُنسى؛ حرفيًا، فأنا أحمل الندبة حتى اليوم. كنتُ أنا وأختي الكبرى أوما جالسين في الصباح الباكر تحت شجرة نيم في مجمعنا السكني في غوراخبور. كانت تساعدني في كتاب تمهيدي للغة البنغالية، في الوقت الذي كنتُ أستطيع فيه أن أصرف نظري عن الببغاوات القريبة التي تأكل ثمار المارغوسا الناضجة. اشتكت أوما

من دمل في ساقها، فأحضرت مرطبانًا من مرهم. دهنتُ القليل من المرهم على ساعدي.

لماذا تستخدم الدواء على ذراع صحية؟

حسنًا يا أختي، أشعر أنني سأصاب بدمامل غدًا. سأختبر مرهمك على المكان الذي سيظهر فيه الدمامل.

"أنت كاذب صغير!"

"أختي، لا تكذبي عليّ حتى ترين ما سيحدث في الصباح." امتلأ قلبي غضبًا.

لم تُعجب أوما، وكررت سخريتها ثلاث مرات. بدا في صوتي عزمٌ قاطع وأنا أجيب ببطء.

"بقوة الإرادة بداخلي، أقول أنه غدًا سيكون لديّ دمل كبير إلى حد ما في هذا المكان بالضبط على ذراعي؛ وسوف يتضخم دملُك إلى ضعف حجمه الحالي!"

حلّ الصباح، وظهرت بثرةٌ قويةٌ في المكان المحدد؛ تضاعف حجم بثرة أوما. صرخت أختي مسرعةً إلى أمي قائلةً: "موكوندا أصبح ساحرًا!". نصحتني أمي بجديةٍ ألا أستخدم قوة الكلمات لإلحاق الأذى. لطالما تذكرتُ نصيحتها، واتّبعتها.

عولجت دملتي جراحيًا. ندبة ملحوظة، تركها شق الطبيب، موجودة اليوم.

إن ساعدي الأيمن هو بمثابة تذكير دائم بقوة الكلمة التي يمتلكها الإنسان.

تلك العبارات البسيطة، التي بدت بريئة ظاهريًا، الموجهة إلى أوما، والتي قُلت بتركيز عميق، كانت تمتلك قوة خفية كافية للانفجار كالقنابل وإحداث آثار أكيدة، وإن كانت مؤذية. أدركتُ لاحقًا أن القوة الاهتزازية المتفجرة في الكلام يمكن توجيهها بحكمة لتحرير حياة المرء من الصعوبات، وبالتالي العمل دون ندبة أو توبيخ. 1-12

انتقلت عائلتنا إلى لاهور في البنجاب. وهناك، حصلتُ على صورة للأم الإلهية على هيئة الإلهة كالي. 1-13 وقدَّستُ ضريحًا صغيرًا غير رسمي على شرفة منزلنا. غمرتني قناعة راسخة بأن أيَّ صلاةٍ أتلوها في ذلك المكان المقدس ستُكلَّل بالنجاح. وبينما كنتُ أقف هناك مع أوما ذات يوم، شاهدتُ طائرتين ورقيتين تحلقان فوق أسطح المباني على الجانب الآخر من الزقاق الضيق.

"لماذا أنت هادئ جدًا؟" دفعتني أوما مازحة.

"أنا أفكر فقط كم هو رائع أن الأم الإلهية تعطيني كل ما أطلبه."

"أعتقد أنها ستعطيك هاتين الطائرتين الورقيتين!"ـ ضحكت أختي بسخرية.

"لماذا لا؟" بدأت الصلاة الصامتة من أجل امتلاكهم.

تُلعب المباريات في الهند بطائرات ورقية تُغطى خيوطها بالغراء والزجاج المطحون. يحاول كل لاعب قطع خيط خصمه. تُحلق الطائرة الورقية المُطلقة فوق الأسطح؛ وهناك متعة كبيرة في إمساكها. ولأنني وأوما كنا على الشرفة، بدا من المستحيل أن تصل أي طائرة ورقية مُطلقة إلى أيدينا؛ إذ سيتدلى خيطها تلقائيًا فوق الأسطح.

بدأ اللاعبون من الجهة المقابلة مباراتهم. قُطِع خيطٌ واحد؛ فحلّقت الطائرة الورقية في اتجاهي على الفور. استقرت للحظة، بفعل هبوب ريح مفاجئة، مما كان كافيًا لتشابك الخيط بإحكام مع نبتة صبار فوق المنزل المقابل. تشكّلت حلقة مثالية لأخذي للطائرة. سلّمتُ الجائزة لأوما.

كان مجرد حادثٍ غريب، ولم يكن إجابةً لدعائك. إذا أتت إليكِ الطائرة الورقية الأخرى، فسأؤمن. عبّرت عينا الأخت الداكنتان عن دهشةٍ أكبر من كلماتها.

واصلتُ صلاتي بحماسٍ مُتصاعد. شدٌّ عنيفٌ من اللاعب الآخر أدى إلى فقدان طائرته الورقية فجأةً. اتجهت نحوي، ترقص في الريح. أمسك مساعدي المُساعد، نبتة الصبار، خيط الطائرة الورقية مرةً أخرى في الحلقة اللازمة لأتمكن من الإمساك بها. قدمتُ جائزتي الثانية لأوما.

"حقًا، الأم الإلهية تسمعكِ! هذا غريبٌ جدًا عليّ!" اندفعت الأخت بعيدًا كغزالٍ خائف.

1-2: المعلم الروحي؛ من الجذر السنسكريتي gur، لرفع، للارتقاء.

1-3: ممارس لليوغا، "الاتحاد"، العلم الهندي القديم للتأمل في الله.

1-4: تم تغيير اسمي إلى يوغاناندا عندما دخلت الرهبانية السوامية القديمة في عام 1914. ومنحني معلّمي اللقب الديني باراماهانسا في عام 1935 (انظر الفصول 24 و 42).

1-5: تقليديا، الطبقة الثانية من المحاربين والحكام.

١-٦: تُعدّ هذه الملاحم القديمة كنزًا لتاريخ الهند وأساطيرها وفلسفتها. يُعدّ مجلد "مكتبة كل إنسان"، "رامايانا وماهابهاراتا"، مُلخّصًا شعريًا إنجليزيًا بقلم روميش دوت (نيويورك: إي بي دوتون).

١-٧: هذه القصيدة السنسكريتية النبيلة، التي وردت ضمن ملحمة المهابهاراتا، هي الكتاب المقدس الهندوسي. أكثر ترجماتها الإنجليزية شاعرية هي "الأغنية السماوية" لإدوين أرنولد (فيلادلفيا: ديفيد ماكاي، ٧٥ سنتًا). ومن أفضل الترجمات المصحوبة بتعليقات مفصلة "رسالة الجيتا" لسري أوروبيندو (جوبيتر برس، ١٦ شارع سيمودوس، مدراس، الهند، ٣.٥٠ دولار).

1-8: يتم وضع بابو (السيد) في الأسماء البنغالية في النهاية.

1-9: يتم شرح القوى الهائلة التي يمتلكها الأساتذة العظماء في الفصل 30، "قانون المعجزات".

١-١٠: تقنية يوغا تُسكِّن اضطراب الحواس، مما يسمح للإنسان بتحقيق هوية متزايدة مع الوعي الكوني. (انظر الفصل ٢٦).

١-١١: اسم سنسكريتي للإله حاكم الكون؛ مشتق من الجذر "إس" بمعنى "الحكم". هناك ١٠٨ أسماء لله في الكتب المقدسة الهندوسية، يحمل كل منها دلالة فلسفية مختلفة.

١-١٢: تنبع القدرات اللانهائية للصوت من الكلمة المبدعة، أوم، وهي القوة الاهتزازية الكونية الكامنة وراء جميع الطاقات الذرية. أي كلمة تُنطق بإدراك واضح وتركيز عميق لها قيمة تجسيدية. وقد وُجد أن التكرار الصاخب أو الصامت للكلمات الملهمة فعال في الكويزم وأنظمة العلاج النفسي المماثلة؛ ويكمن السر في زيادة معدل اهتزاز العقل. وقد ترك لنا الشاعر تينيسون، في مذكراته، وصفًا لأسلوبه المتكرر للانتقال من العقل الواعي إلى الوعي الفائق:

كتب تينيسون: "نوع من غيبوبة اليقظة - هذا، لعدم وجود كلمة أفضل - انتابني مرارًا، منذ نعومة أظفاري، عندما كنتُ وحدي تمامًا. تسللت إليّ هذه

الغيبوبة من خلال ترديد اسمي لنفسي بصمت، حتى بدت لي، فجأةً، وكأنها من شدة وعيي بالفردية، وكأنها تتلاشى وتتلاشى في كيان لا حدود له، وهذه ليست حالةً مضطربة، بل هي الأوضح، الأكيد من الأكيد، لا توصف بالكلمات - حيث كان الموت مستحيلًا يكاد يكون مضحكًا - فقدان الشخصية (إن كان كذلك) يبدو ليس انقراضًا، بل هو الحياة الحقيقية الوحيدة". وأضاف: "إنها ليست نشوة غامضة، بل حالة من الدهشة المتسامية، مرتبطة بصفاء ذهني مطلق".

1-13: كالي هو رمز الله في جانب الطبيعة الأم الأبدية.

الفصل: 2

موت أمي والتميمة الصوفية

كانت أعظم رغبة لأمي هي زواج أخي الأكبر. "آه، عندما أرى وجه

"زوجة أنانتا، سأجد الجنة على هذه الأرض!" كنت أسمع والدتي في كثير من الأحيان تعبر بهذه الكلمات عن مشاعرها الهندية القوية بشأن استمرارية الأسرة.

كنتُ في الحادية عشرة تقريبًا وقت خطوبة أنانتا. كانت والدتي في كلكتا، تُشرف بفرح على تحضيرات الزفاف. بقيتُ أنا وأبي وحدنا في منزلنا

في باريلي شمال الهند، حيث نُقل والدي بعد عامين في لاهور.

كنتُ قد شهدتُ سابقًا روعة مراسم زفاف أختيّ الكبيرتين، روما وأوما؛ لكن بالنسبة لأنانتا، كونه الابن الأكبر، كانت الخطط مُعقدة للغاية. كانت أمي تستقبل العديد من الأقارب، الذين يصلون يوميًا إلى كلكتا من منازل بعيدة. سكنتهم براحة في منزل كبير حديث الاستحواذ في 50 شارع أمهرست. كان كل شيء جاهزًا - أطباق المأدبة الفاخرة، والعرش البهيج الذي سيُحمل عليه الأخ إلى منزل العروس، وصفوف الأضواء الملونة، والأفيال والجمال الكرتونية الضخمة، والفرق الموسيقية الإنجليزية والاسكتلندية والهندية، والفنانين المحترفين، والكهنة الذين يُؤدون الطقوس القديمة.

كنتُ أنا وأبي، في حالةٍ من البهجة، نخطط للانضمام إلى العائلة في الوقت المناسب للاحتفال. لكن قبل يوم الزفاف بقليل، رأيتُ رؤيةً مشؤومة.

كان ذلك في باريلي عند منتصف الليل. بينما كنت نائمًا بجانب والدي في ساحة منزلنا الصغير، أيقظني صوت ارتعاش غريب للناموسية فوق السرير. انفتحت الستائر الرقيقة، ورأيت صورة أمي الحبيبة.

"أيقظ والدك!" كان صوتها همسًا. "استقل أول قطار متاح، الساعة الرابعة صباحًا. أسرع إلى كلكتا إن أردت رؤيتي!" اختفى الشبح.

"أبي، أبي! أمي تحتضر!"ـ أيقظه الرعب في نبرة صوتي على الفور. بكيت بشدة وأنا أتلقى الخبر المشئوم.

"لا بأس بهلاوسك." نفى أبي، بنفيه المعهود، الوضع الجديد. "والدتك بصحة ممتازة. إن تلقينا أي أخبار سيئة، فسنغادر غدًا."

"لن تسامح نفسك أبدًا على عدم البدء الآن!" دفعني الألم إلى أن أضيف بمرارة، "ولن أسامحك أبدًا!"

جاء الصباح الكئيب مصحوبًا بكلمات صريحة: "الأم مريضة بشكل خطير؛ الزواج مؤجل؛ تعال على الفور".

غادرتُ أنا وأبي في حيرة من أمرنا. استقبلنا أحد أعمامي في طريقنا إلى نقطة انتقال. انطلق قطارٌ نحونا مزمجرًا، يلوح في الأفق بارتفاعٍ هائل. من فرط اضطرابي الداخلي، برز عزمٌ مفاجئٌ على رمي نفسي على قضبان السكة الحديدية. شعرتُ، وأنا محرومٌ من أمي، أنني لا أستطيع تحمّل عالمٍ أصبح فجأةً قاحلًا حتى النخاع. أحببتُ أمي كأعزّ صديقةٍ لي على وجه الأرض. كانت عيناها

السوداوان المُعزّتان ملاذي الآمن في مآسي الطفولة التافهة.

"هل هي على قيد الحياة؟" توقفت لأطرح السؤال الأخير على عمي.

«بالتأكيد هي على قيد الحياة!» لم يلبث أن فسر اليأس الذي بدا على وجهي. لكنني بالكاد صدقته.

عندما وصلنا إلى منزلنا في كلكتا، كان ذلك لمواجهة لغز الموت المذهل. انهرتُ في حالة شبه فاقدة للحياة. مرت سنوات قبل أن يتسلل أي تصالح إلى قلبي. اقتحمت صرخاتي أبواب السماء، وأخيرًا استدعت الأم الإلهية. جلبت كلماتها الشفاء النهائي لجروحي المتقيحة:

أنا من سهرت عليك، حياةً بعد حياة، في حنان أمهاتٍ كثيرات! انظر في نظراتي إلى العينين السوداوين، إلى العينين الجميلتين الضائعتين اللتين تبحث عنهما!

عدتُ أنا وأبي إلى باريلي بعد انتهاء مراسم حرق جثمان الحبيب بفترة وجيزة. كنتُ في كل صباح باكرًا أقوم برحلة تذكارية حزينة إلى شجرة شيولي كبيرة تُظلل العشب الأخضر الذهبي الأملس أمام منزلنا. في لحظات شاعرية، كنتُ أتخيل أزهار شيولي البيضاء وهي تتناثر بتفانٍ على المذبح العشبي. كنتُ ألاحظ، وأنا أختلط دموعي بالندى، نورًا غريبًا من عالم آخر ينبثق من الفجر. اجتاحتني

نوبات شوق شديدة إلى الله. شعرتُ بانجذاب قوي إلى جبال الهيمالايا.

زارنا في بريلي أحد أبناء عمومتي، قادمًا من رحلة إلى التلال المقدسة. استمعتُ بشغف إلى حكاياته عن مسكن اليوغيين والسوامي في الجبال العالية.

"هيا نهرب إلى جبال الهيمالايا". لم يُعر اقتراحي يومًا لدواركا براساد، الابن الصغير لمالك منزلنا في بريلي، اهتمامًا. كشف خطتي لأخي الأكبر، الذي كان قد وصل لتوه لرؤية والدي. بدلًا من السخرية من هذه الخطة غير العملية التي وضعها صبي صغير، حرص أنانتا على السخرية مني.

"أين رداءك البرتقالي؟ لا يمكنك أن تكون سواميًا بدونه!"

لكن كلماته أسعدتني بشكل لا يُوصف. لقد رسمت لي صورة واضحة عن تجوالي في الهند راهبًا. ربما أيقظت ذكريات من حياة سابقة؛ على أي حال، بدأتُ أرى بسهولة فطرية كيف سأرتدي زيّ تلك الرهبانية العريقة.

في صباح أحد الأيام، بينما كنتُ أتحدث مع دواركا، شعرتُ بحبٍّ لله يتدفق بقوةٍ هائلة. لم يكن رفيقي منتبهًا إلا جزئيًا لبلاغة الحديث، لكنني كنتُ أصغي إلى نفسي بشغف.

هربتُ بعد ظهر ذلك اليوم نحو نيني تال في سفوح جبال الهيمالايا. طاردني أنانتا بشراسة، فاضطررتُ للعودة حزينًا إلى بريلي. لم يُسمح لي بالحج إلا عند الفجر إلى شجرة الشولي. بكى قلبي على الأمهات المفقودات، بشرًا وإلهًا.

كان الشرخ الذي خلّفه موت أمي في نسيج الأسرة لا يُعوّض. لم يتزوج والدي مرة أخرى طوال ما يقارب الأربعين عامًا المتبقية من حياته. وبتوليه دور الأب والأم الصعب تجاه رعيته الصغيرة، ازداد حنانًا وودًا بشكل ملحوظ. بهدوء وبصيرة، حلّ مختلف مشاكل الأسرة. بعد ساعات العمل، اعتزل كالناسك في زنزانته، يمارس الكريا يوغا في هدوء وسكينة. بعد وفاة أمي بفترة طويلة، حاولتُ الانخراط في...

ممرضة إنجليزية تُعنى بالتفاصيل التي تُسهّل حياة والديّ. لكن أبي هزّ رأسه.

أمي

تلميذ لاهيري ماهاسايا

انتهت خدمتي مع والدتك. كانت عيناه تحدقان بتفانٍ مدى الحياة. "لن أقبل خدمات من أي امرأة أخرى."

بعد أربعة عشر شهرًا من وفاة أمي، علمتُ أنها تركت لي رسالةً بالغة الأهمية. كانت أنانتا حاضرةً

عند فراش موتها، وسجلت كلماتها. ورغم أنها طلبت مني أن أفصح عن الأمر خلال عام، إلا أن أخي أرجأ ذلك. كان على وشك مغادرة بريلي إلى كلكتا، ليتزوج الفتاة التي اختارتها له أمي. 2-2 في إحدى الأمسيات، دعاني إلى جانبه.

موكوندا، كنتُ مترددًا في إخبارك بأخبار غريبة. كان صوت أنانتا يحمل نبرة استسلام. "كنتُ أخشى أن أُلهب رغبتك في مغادرة المنزل. لكن على أي حال، أنت مُفعَمٌّ بالحماس الإلهي. عندما قبضتُ عليكَ مؤخرًا في طريقك إلى جبال الهيمالايا، حسمتُ أمري. يجب ألا أؤجل الوفاء بوعدي الجليل أكثر من ذلك." ناولني أخي صندوقًا صغيرًا، ونقل لي رسالة أمي.

"لتكن هذه الكلمات بركاتي الأخيرة يا ابني الحبيب موكوندا!" قالت أمي. "حان الوقت لأروي لكم عددًا من الأحداث المذهلة التي أعقبت ولادتك. عرفتُ مسارك المقدر لأول مرة عندما كنتَ طفلًا رضيعًا بين ذراعيّ. حملتُك حينها إلى منزل معلّمي في بنارس. كاد لاهيري ماهاسايا أن يختبئ خلف حشد من التلاميذ، فلم أتمكن من رؤيته وهو جالس في تأمل عميق.

بينما كنتُ أُربِّتُ عليك، كنتُ أدعو الله أن يُلاحظك ويُنعم عليك بالبركة. وبينما ازدادت رغبتي التأملية الصامتة، فتح عينيه وأشار لي بالاقتراب. ففتح الآخرون لي الطريق؛ فانحنيتُ عند قدميَّ

المقدستين. أجلسك سيدي في حجره، واضعًا يده على جبينك، مُعمِّدًا إياك روحيًا.

"يا أمي الصغيرة، ابنك سيكون يوغيًا. كمحرك روحي، سيحمل العديد من النفوس إلى ملكوت الله."

قفز قلبي فرحًا عندما وجدتُ دعوتي السرية مُستجابة من المعلم العليم. قبل ولادتك بفترة وجيزة، أخبرني أنك ستتبعين طريقه.

لاحقًا يا بني، عرفتُ أنا وأختك روما رؤيتك للنور العظيم، إذ لاحظناك من الغرفة المجاورة ساكنًا على السرير. كان وجهك الصغير مُشرقًا، وصوتك يرن بعزمٍ حديدي وأنت تتحدث عن الذهاب إلى جبال الهيمالايا بحثًا عن الإله.

بهذه الطريقة، يا بنيّ العزيز، أدركتُ أن طريقك بعيدٌ كل البعد عن طموحات الدنيا. وقد جاء الحدث الأغرب في حياتي بتأكيدٍ أعمق، وهو الحدث الذي يُحفِّزني الآن على رسالتي على فراش الموت.

كانت مقابلة مع حكيم من البنجاب. بينما كانت عائلتنا تعيش في لاهور، دخل الخادم غرفتي فجأةً في صباح أحد الأيام.

"سيدتي، هناك سادهو غريب رقم 2-3 هنا. يُصرّ على أن "أرى والدة موكوندا"."

"لقد أثارت هذه الكلمات البسيطة وترًا عميقًا في نفسي؛ فذهبت على الفور لتحية الزائر. وانحنيت عند قدميه، وشعرت أن أمامي رجلًا حقيقيًا من رجال الله.

قال: «يا أمي، يُريدكِ الأساتذة العظماء أن تعلمي أن إقامتكِ على الأرض لن تطول. مرضكِ القادم سيكون الأخير». ساد صمتٌ لم أشعر خلاله بأي قلق، بل شعرتُ بسكينةٍ عميقة. وأخيرًا، خاطبني مجددًا:

ستكون وصيًا على تميمة فضية معينة. لن أعطيك إياها اليوم؛ ولإثبات صدق كلامي، ستظهر التعويذة بين يديك غدًا وأنت تتأمل. على فراش موتك، يجب أن تأمر ابنك الأكبر أنانتا بالاحتفاظ بالتميمة لمدة عام، ثم تسليمها لابنك الثاني. سيفهم موكوندا معنى التعويذة من العظماء. يجب أن يتلقاها عندما يكون مستعدًا للتخلي عن جميع آماله الدنيوية وبدء بحثه الحيوي عن الله. عندما يحتفظ بالتميمة لبضع سنوات، وعندما تؤدي غرضها، ستختفي. حتى لو حُفظت في أكثر الأماكن سرية، ستعود من حيث أتت.

قدمتُ صدقتين أو خمسًا للقديس، وانحنيتُ أمامه بتوقيرٍ عظيم. لم يأخذ القربان، بل غادرَ مُباركًا. في المساء التالي، بينما كنتُ جالسًا مُطوية اليدين في تأمل، ظهرت تميمة فضية بين راحتيَّ، تمامًا كما وعدني السادهو. كشفت عن نفسها بلمسةٍ باردةٍ

وناعمة. لقد حرصتُ عليها بغيرةٍ لأكثر من عامين، والآن أتركها في عهدة أنانتا. لا تحزنوا عليّ، فقد أوصاني بها مُعلمي العظيم.

في أحضان اللانهائي. وداعًا يا صغيري؛ ستحميك الأم الكونية.

غمرني وهجٌ من النور مع امتلاكي للتميمة، فأيقظت ذكرياتٌ نائمة. كانت التميمة، المستديرة والعتيقة، مغطاةً بأحرف سنسكريتية. فهمتُ أنها جاءت من مُعلّمي حيواتٍ سابقة، كانوا يُرشدون خطواتي خفيةً. كان هناك بالفعل معنىً آخر؛ لكن المرء لا يكشف تمامًا جوهر التميمة.

لا أستطيع أن أروي في هذا الفصل كيف اختفت التعويذة في النهاية وسط الظروف التعيسة للغاية التي مررت بها في حياتي؛ وكيف كان فقدانها نذيرًا لاكتسابي لمعلم روحي.

لكن الصبي الصغير، الذي أحبطت محاولاته للوصول إلى جبال الهيمالايا، كان يسافر يوميا لمسافات بعيدة على أجنحة تميمته.

٢-١: المعنى الجذري لكلمة سوامي في اللغة السنسكريتية هو "من هو واحد مع ذاته (سوا)". يُطلق هذا اللقب على أحد أعضاء الرهبان الهنود، ويحمل الاحترام الرسمي لـ"القس".

٢-٢: لقد قاومت العادة الهندية، التي يختار بموجبها الوالدان شريك حياة طفلهما، ضغوط الزمن القاسية. وترتفع نسبة الزيجات الهندية السعيدة.

2-3: الناسك؛ الشخص الذي يسعى إلى السادانا أو مسار الانضباط الروحي.

٢-٤: عندما اكتشفتُ من خلال هذه الكلمات أن أمي كانت تملك معلومات سرية عن حياة قصيرة، فهمتُ لأول مرة سبب إصرارها على تسريع خطط زواج أنانتا. مع أنها توفيت قبل الزفاف، إلا أن رغبتها الأمومية الفطرية كانت أن تشهد مراسم الزواج.

2-5: لفتة احترام معتادة للسادوس.

الفصل: 3

القديس ذو الجسدين

"أبي، إذا وعدت بالعودة إلى المنزل دون إكراه، هل يجوز لي أن أقوم برحلة سياحية إلى بنارس؟"

نادرًا ما كان والدي يُعيق شغفي الشديد بالسفر. كان يسمح لي، حتى في صغري، بزيارة العديد من المدن وأماكن الحج. عادةً ما كان يرافقني واحد أو أكثر من أصدقائي؛ كنا نسافر براحة على تذاكر سفر من الدرجة الأولى يُقدمها والدي. كان منصبه كمسؤول في السكك الحديدية مُرضيًا تمامًا لأفراد العائلة الرُحّل.

وعدني والدي بالنظر في طلبي بعين الاعتبار. في اليوم التالي، استدعاني وعقد اجتماعًا.

أخرج تذكرة ذهاب وعودة من بريلي إلى بنارس، وعددًا من أوراق الروبية، ورسالتين.

لديّ أمرٌ عمليٌّ أقترحه على صديقٍ من بنارس، كيدار ناث بابو. للأسف، فقدت عنوانه. لكنني أعتقد أنك ستتمكن من إيصال هذه الرسالة إليه عبر صديقنا المشترك، سوامي براناباناندا. لقد بلغ السوامي، أخي التلميذ، مكانةً روحيةً رفيعةً. ستستفيد من صحبته؛ وستكون هذه الرسالة الثانية بمثابة تعريفٍ لك.

لمعت عينا الأب عندما أضاف، "يا إلهي، لا مزيد من الرحلات الجوية من المنزل!"

انطلقتُ بحماسة اثني عشر عامًا (مع أن الزمن لم يُخفِّف من سعادتي بالمشاهد الجديدة والوجوه الغريبة). وصلتُ إلى بنارس، وتوجهتُ فورًا إلى منزل السوامي. كان الباب الأمامي مفتوحًا؛ فتوجهتُ إلى غرفة طويلة أشبه بقاعة في الطابق الثاني. كان رجلٌ بدينٌ نوعًا ما، يرتدي مئزرًا فقط، جالسًا في وضعية زهرة اللوتس على منصة مرتفعة قليلًا. كان رأسه ووجهه غير المتجعد حليقين، وارتسمت على شفتيه ابتسامةٌ مُبهجة. ولإبعاد فكرة أنني قد تدخلتُ، حيّاني كصديقٍ قديم.

"بابا أناند (النعيم لحبيبي)". استقبلني بحرارة بصوت طفولي. ركعتُ ولمست قدميه.

"هل أنت سوامي براناباناندا؟"

أومأ برأسه. "هل أنت ابن بهاجاباتي؟" نطق كلماته قبل أن أُخرج رسالة أبي من جيبي. وبدهشة، سلمته رسالة التعريف، التي بدت الآن غير ضرورية.

"بالتأكيد سأجد لك كيدار ناث بابو." فاجأني القديس مجددًا ببصيرته. ألقى نظرة خاطفة على الرسالة، وأشار بكلمات حنونة إلى والديّ.

كما تعلم، أتمتع بمعاشين تقاعديين. الأول بتوصية من والدك، الذي عملت لديه سابقًا في مكتب السكك الحديدية. والثاني بتوصية من أبي السماوي، الذي أنجزت له واجباتي الدنيوية بضمير حي.

وجدتُ هذه الملاحظة غامضة جدًا. "ما نوع المعاش التقاعدي الذي تتقاضاه يا سيدي من الآب السماوي؟ هل يُلقي المال في حضنك؟"

ضحك قائلًا: "أعني معاشًا تقاعديًا من راحة بال لا حدود لها، مكافأةً لسنوات طويلة من التأمل العميق. لم أعد أشتهي المال. احتياجاتي المادية القليلة مُلباةٌ بوفرة. ستفهم لاحقًا أهمية معاش تقاعدي الثاني."

أنهى القديس حديثنا فجأةً، وتجمد في مكانه. غمره هواءٌ كأبو الهول. في البداية، لمعت عيناه، كما لو

كان يراقب شيئًا مثيرًا للاهتمام، ثم خفت بريقهما. شعرتُ بالخجل من قلة كلامه؛ لم يكن قد أخبرني بعد كيف يُمكنني مقابلة صديق والدي. بقلقٍ طفيف، نظرتُ حولي في الغرفة الفارغة، الخالية إلّا منّا. تأملتُ بنظرةٍ كسولة صندله الخشبي، المُلقى تحت مقعد المنصة.

يا سيدي الصغير، لا تقلق. الرجل الذي ترغب برؤيته سيكون معك خلال نصف ساعة. كان اليوغي يقرأ أفكاري - وهو إنجاز ليس صعبًا في تلك اللحظة!

عاد إلى صمتٍ مُبهم. أخبرتني ساعتي أن ثلاثين دقيقة قد انقضت.

استيقظ السوامي. "أعتقد أن كيدار ناث بابو يقترب من الباب."

سمعتُ صوتًا يصعد الدرج. فجأةً، غمرني شعورٌ بالدهشة والحيرة؛ وتسارعت أفكاري: "كيف يُعقل أن يُستدعى صديق أبي إلى هذا المكان دون مساعدة رسول؟ لم يُكلِّم السوامي أحدًا سوى نفسي منذ وصولي!"

غادرتُ الغرفة فجأةً ونزلتُ الدرج. في منتصف الطريق، التقيتُ برجلٍ نحيف، أبيض البشرة، متوسط الطول. بدا عليه الاستعجال.

"هل أنت كيدار ناث بابو؟" كان الحماس يملأ صوتي.

نعم. ألستَ ابنَ بهاجاباتي الذي كان ينتظرني هنا؟ ابتسمَ ابتسامةً ودودة.

"سيدي، كيف أتيت إلى هنا؟" شعرت بالاستياء الشديد بسبب وجوده غير القابل للتفسير.

كل شيء غامض اليوم! قبل أقل من ساعة، انتهيتُ لتوي من حمامي في نهر الجانج عندما اقترب مني سوامي براناباناندا. لا أدري كيف عرف بوجودي هناك في ذلك الوقت.

قال: «ابن بهاجاباتي ينتظرك في شقتي. هل ستأتي معي؟» وافقتُ بسرور. وبينما كنا نسير متشابكي الأيدي، استطاع السوامي ذو الصندل الخشبي، على نحوٍ غريب، أن يسبقني في السرعة، مع أنني كنت أرتدي حذاء المشي القوي.

"كم من الوقت سيستغرق وصولك إلى منزلي؟" توقف براناباناندجي فجأة ليسألني هذا السؤال.

"حوالي نصف ساعة."

«لديّ أمرٌ آخر أفعله الآن.» نظر إليّ نظرةً غامضة. «يجب أن أتركك. يمكنك الانضمام إليّ في منزلي، حيث سأنتظرك أنا وابن بهاجاباتي.»

قبل أن أتمكن من الاعتراض، اندفع مسرعًا من جانبي واختفى بين الحشد. مشيت إلى هنا بأسرع ما يمكن.

زاد هذا التفسير من حيرتي. سألته منذ متى عرف السوامي؟

"التقينا عدة مرات العام الماضي، ولكن ليس مؤخرًا. لقد سررت جدًا برؤيته مرة أخرى اليوم في حمام السباحة."

لا أصدق أذنيّ! هل أفقد عقلي؟ هل التقيت به في رؤيا، أم التقيت به فعلاً؟

أنظر إليه، وألمس يده، وأسمع صوت قدميه؟

"لا أعرف ما الذي تقصده!" احمرّ وجهه غضبًا. "أنا لا أكذب عليك. ألا تفهم أنني لم أكن أعرف أنك تنتظرني في هذا المكان إلا من خلال السوامي؟"

"يا إلهي، ذلك الرجل، سوامي براناباناندا، لم يغب عن نظري لحظة واحدة منذ أن جئتُ قبل ساعة تقريبًا." صرختُ بالقصة كاملة.

اتسعت عيناه. "هل نعيش في هذا العصر المادي، أم أننا نحلم؟ لم أتوقع قط أن أشهد معجزة كهذه في حياتي! ظننتُ أن هذا السوامي مجرد رجل عادي، والآن أجد أنه قادر على تجسيد جسد إضافي والتغلب على ذلك!" دخلنا معًا غرفة القديس.

"انظروا، هذه هي الصنادل التي كان يرتديها في الغات،" همس كيدار ناث بابو. "كان يرتدي مئزرًا فقط، تمامًا كما أراه الآن."

وعندما انحنى الزائر أمامه، التفت إليّ القديس بابتسامة استفهام.

لماذا أنت مذهول من كل هذا؟ إن الوحدة الدقيقة للعالم الظاهري ليست خافية على اليوغيين الحقيقيين. أرى تلاميذي وأتحدث معهم فورًا في كلكتا البعيدة. وهم قادرون أيضًا على تجاوز كل عقبة من عقبات المادة الخام بإرادتهم.

ربما كان ذلك في محاولةٍ لإثارة حماسة روحية في صدري الشاب، فتنازل السوامي وأخبرني بقدراته في الراديو والتلفزيون النجميين. 3-2 ولكن بدلًا من الحماس، لم أشعر إلا بخوفٍ مُريع. وبما أنني كنتُ مُقدّرًا لي أن أقوم ببحثي الإلهي من خلال معلمٍ واحدٍ مُعين - سري يوكتسوار، الذي لم ألتقِ به بعد - لم أشعر بأي ميلٍ لقبولِ براناباناندا مُعلّمًا لي. نظرتُ إليه بشك، مُتسائلًا إن كان هو أم نظيره الذي سبقني.

سوامي براناباناندا "القديس ذو الجسدين" تلميذٌ مُبجّلٌ للاهيري ماهاسايا

سعى المعلم إلى إبعاد قلقي من خلال منح نظرة إيقاظ الروح، وبعض الكلمات الملهمة عن معلمه.

"كان لاهيري ماهاسايا أعظم يوغي عرفته على الإطلاق. كان هو الإله ذاته في صورة جسد."

إذا كان التلميذ يستطيع أن يجسد شكلًا جسديًا إضافيًا متى شاء، فما هي المعجزات التي يمكن منعها عن معلمه؟

سأخبركم كم هي ثمينة مساعدة المعلم الروحي. كنت أتأمل مع تلميذ آخر ثماني ساعات كل ليلة. كنا نعمل في مكتب السكك الحديدية خلال النهار. ولأنني وجدت صعوبة في أداء واجباتي الدينية، رغبت في تكريس وقتي كله لله. ثابرت ثماني سنوات، متأملًا نصف الليل. حققت نتائج باهرة؛ أنارت إدراكات روحية هائلة عقلي. لكن ظلّ حجاب صغير بيني وبين اللانهائي. حتى مع جدية خارقة، وجدتُ أن الاتحاد النهائي الذي لا رجعة فيه قد حُرمت منه. في إحدى الأمسيات، زرتُ لاهيري ماهاسايا وتوسلت إليه شفاعته الإلهية. استمر إلحاحي طوال الليل.

"أيها المعلم الملائكي، إن معاناتي الروحية كبيرة لدرجة أنني لم أعد أستطيع أن أتحمل حياتي دون مقابلة الحبيب العظيم وجهاً لوجه!"

ماذا يمكنني أن أفعل؟ يجب عليك التأمل بشكل أعمق.

"أنا أتوسل إليك، يا الله سيدي! أراك متجسدًا أمامي في جسد مادي؛ باركني حتى أتمكن من إدراكك في صورتك اللانهائية!"

مدّ لاهيري ماهاسايا يده في لفتةٍ حميدة. «يمكنك الآن أن تذهب وتتأمل. لقد توسطتُ لك لدى براهما».

عدتُ إلى منزلي بفرحٍ لا يُقاس. في تأملي تلك الليلة، تحقق هدف حياتي المُلهِم. الآن أستمتعُ بلا انقطاعٍ بالنعيم الروحي. منذ ذلك اليوم، لم يغب الخالقُ الرحيم عن عينيّ خلف ستارٍ من الوهم.

كان وجه براناباناندا مُشرقًا بنورٍ إلهي. غمرني سلامٌ من عالمٍ آخر؛ تلاشى كل خوف. ازدادت ثقة القديس.

"بعد بضعة أشهر، عدت إلى لاهيري ماهاسايا وحاولت أن أشكره على منحه هذه الهدية اللامتناهية. ثم ذكرت مسألة أخرى.

يا معلّمنا الإلهي، لم أعد أستطيع العمل في المكتب. أرجوك حررني. براهما يُبقيني في حالة سُكر دائم.

"تقدم بطلب للحصول على معاش تقاعدي من شركتك."

"ما هو السبب الذي يجب أن أقدمه، في وقت مبكر من خدمتي؟"

"قل ما تشعر به."

في اليوم التالي، قدّمتُ طلبي. استفسر الطبيب عن أسباب طلبي السابق لأوانه.

"أثناء العمل، أشعر بإحساس قوي يتصاعد في عمودي الفقري. 3-4 ينتشر في جميع أنحاء جسدي، ويجعلني غير لائق لأداء واجباتي."

دون مزيد من التساؤل، أوصى الطبيبُ بي بشدةٍ بمعاشٍ تقاعدي، والذي حصلتُ عليه سريعًا. أعلمُ أن الإرادة الإلهية للاهيري ماهاسيا قد عملت من خلال الطبيب ومسؤولي السكك الحديدية، بمن فيهم والدك. لقد أطاعوا تلقائيًا التوجيه الروحي للمعلم العظيم، وحرروني لحياةٍ من التواصل الدائم مع الحبيب.

بعد هذا الكشف الاستثنائي، انزوى سوامي براناباناندا في صمت طويل. وبينما كنتُ أودعه، ألمس قدميه باحترام، منحني بركاته:

حياتكِ تنتمي إلى درب الزهد واليوغا. سأراكِ مجددًا، مع والدكِ، لاحقًا. وقد حققت السنين هذين النبوءتين. ٣-٦

كان كيدار ناث بابو يسير بجانبي في الظلام الدامس. سلّمتُ رسالة والدي، فقرأها رفيقي تحت مصباح الشارع.

يقترح والدك عليّ العمل في مكتب شركة سكك حديده في كلكتا. يا له من شرف أن أتطلع إلى معاش واحد على الأقل من المعاشات التقاعدية التي يتمتع بها سوامي براناباناندا! لكن هذا

مستحيل؛ لا أستطيع مغادرة بنارس. يا للأسف، لم يبق لي بعدُ جثمانان!

٣-١: "شوتو ماهاسايا" هو المصطلح الذي خاطبني به عدد من القديسين الهنود، ويعني "السيد الصغير".

٣-٢: يؤكد العلم الفيزيائي، بطريقته الخاصة، صحة القوانين التي اكتشفها اليوغيون من خلال العلوم العقلية. على سبيل المثال، قُدِّم عرضٌ لامتلاك الإنسان قدراتٍ بصرية في ٢٦ نوفمبر ١٩٣٤ في الجامعة الملكية بروما. "ضغط الدكتور جوزيبي كاليجاريس، أستاذ علم النفس العصبي، على نقاطٍ معينة من جسم أحد المشاركين، فاستجاب المشارك بأوصافٍ دقيقة لأشخاصٍ وأشياء أخرى على الجانب الآخر من الجدار. أخبر الدكتور كاليجاريس الأساتذة الآخرين أنه إذا حُرّكت مناطق معينة من الجلد، يُعطى المشارك انطباعاتٍ فائقة الحس تُمكّنه من رؤية أشياء لا يستطيع إدراكها بطريقةٍ أخرى. ولتمكين المشارك من تمييز الأشياء على الجانب الآخر من الجدار، ضغط البروفيسور كاليجاريس على نقطةٍ على يمين الصدر لمدة خمس عشرة دقيقة. قال الدكتور كاليجاريس إنه إذا حُرّكت نقاطٌ أخرى من الجسم، يُمكن للمشاركين رؤية الأشياء من أي مسافة، بغض النظر عمّا إذا كانوا قد رأوا تلك الأشياء من قبل".

٣-٣: الله في صورته الخالقة؛ من الجذر السنسكريتي "بريه"، أي التوسع. عندما نُشرت قصيدة إيمرسون "براهما" في مجلة "أتلانتيك مونثلي" عام ١٨٥٧، ارتبك معظم القراء. ضحك إيمرسون ضحكة مكتومة. قال: "أخبروهم أن يقولوا "يهوه" بدلًا من "براهما"، ولن يشعروا بأي حيرة".

٣-٤: في التأمل العميق، تكون أول تجربة للروح على مذبح العمود الفقري، ثم في الدماغ. غمرت النعيم، لكن اليوغي يتعلم التحكم في مظاهره الخارجية.

3-5: بعد تقاعده، كتب براناباناندا أحد أعمق التعليقات على بهاجافاد جيتا، وهو متوفر باللغتين البنغالية والهندية.

3-6: انظر الفصل 27.

الفصل: 4

رحلتي المتقطعة نحو جبال الهيمالايا

"اترك فصلك الدراسي بحجة تافهة، واستقل عربة أجرة. توقف في الممر حيث لا يستطيع أحد في منزلي رؤيتك."

كانت هذه تعليماتي الأخيرة لأمار ميتر، صديقي في المدرسة الثانوية الذي كان ينوي مرافقتي إلى جبال الهيمالايا. اخترنا اليوم التالي لرحلتنا. كانت الاحتياطات ضرورية، إذ كان أنانتا يقظًا. كان مصممًا

على إحباط خطط الهروب التي كان يظن أنها تتصدر تفكيري. كانت التعويذة، كخميرة روحية، تعمل بصمت في داخلي. وسط ثلوج جبال الهيمالايا، كنت آمل أن أجد المعلم الذي كثيرًا ما كان يظهر لي وجهه في الرؤى.

كانت العائلة تعيش الآن في كلكتا، حيث نُقل والدي نهائيًا. واتباعًا للعرف الأبوي الهندي، أحضر أنانتا عروسه للعيش في منزلنا الكائن في ٤ شارع جوربار. هناك، في غرفة صغيرة في العلية، كنتُ أمارس تأملات يومية، وأهيئ نفسي للبحث الإلهي.

حلّ الصباح المشهود بأمطارٍ مُنذرة. سمعتُ عجلات عربة أمار في الطريق، فربطتُ على عجل بطانيةً، وزوجًا من الصنادل، وصورةً للاهيري ماهاسيا، ونسخةً من بهاجافاد غيتا، وسلسلةً من سبحات الصلاة، ومئزرين. رميتُ هذه الحزمة من نافذة منزلي في الطابق الثالث. نزلتُ الدرج ركضًا ومررتُ بعمي، وهو يشتري السمك عند الباب.

"ما هو هذا الإثارة؟" نظر إليّ بشك.

ابتسمتُ له ابتسامةً عابرةً ومشيتُ إلى الممر. أخذتُ حقيبتي، وانضممتُ إلى عمار بحذرٍ مُؤامر. توجهنا إلى تشادني تشوك، وهو مركزٌ تجاري. كنا ندّخرُ نقودَنا لشهورٍ لشراء ملابسَ إنجليزية. ولأننا كنا نعرف أن أخي الذكيّ يستطيع بسهولةٍ أن يلعب

دورَ المُحقّق، فكّرنا في التغلّب عليه بالزيّ الأوروبيّ.

في طريقنا إلى المحطة، توقفنا عند ابن عمي، جوتين غوش، الذي كنت أناديه جاتيندا. كان قد اعتنق الدين حديثًا، ويتوق إلى معلم روحي في جبال الهيمالايا. ارتدى البدلة الجديدة التي كنا نستعد لها. كنا نأمل أن تكون مُموّهة جيدًا! غمرتنا فرحة غامرة.

كل ما نحتاجه الآن هو أحذية قماشية. اصطحبتُ رفاقي إلى متجر يبيع أحذيةً بنعل مطاطي. "يجب أن تتجنبوا في هذه الرحلة المقدسة أيَّ قطع جلدية، لا تُصنع إلا بذبح الحيوانات." توقفتُ في الشارع لأُزيل الغطاء الجلدي عن كتابي "بهاجافاد غيتا"، وأحزمة الجلد عن خوذتي المصنوعة في إنجلترا.

في المحطة، اشترينا تذاكر إلى بوردوان، حيث كنا نخطط للانتقال إلى هاردوار في سفوح جبال الهيمالايا. حالما انطلق القطار، مثلنا، عبّرتُ عن بعض توقعاتي الرائعة.

تخيلوا! صرختُ. سنُدرّس على يد الأساتذة ونختبر نشوة الوعي الكوني. ستُشحن أجسادنا بجاذبيةٍ هائلةٍ تجعل حيوانات الهيمالايا البرية تقترب منا برقة. لن تكون النمور سوى قططٍ منزليةٍ وديعةٍ تنتظر مداعباتنا!

هذه الملاحظة - التي تُصوّر مشهدًا اعتبرته آسرًا، مجازيًا وحرفيًا - أثارت ابتسامة حماسية في عمار. لكن جاتيندا صرف نظره، موجهًا إياه عبر النافذة نحو المشهد المتسارع.

"ليُقسَّم المال إلى ثلاثة أجزاء." كسر جاتيندا صمتًا طويلًا بهذا الاقتراح. "على كلٍّ منا أن يشتري تذكرته الخاصة في بوردوان. وهكذا لن يظن أحدٌ في المحطة أننا نهرب معًا."

وافقتُ دون ريب. عند الغسق، توقف قطارنا في بوردوان. دخل جاتيندا مكتب التذاكر، وجلستُ أنا وأمار على الرصيف. انتظرنا خمس عشرة دقيقة، ثم استفسرنا دون جدوى. بحثنا في كل الاتجاهات، وصرخنا باسم جاتيندا بدافع الخوف. لكنه اختفى في الظلام المجهول المحيط بالمحطة الصغيرة.

كنتُ متوترًا تمامًا، مصدومًا لدرجة خدر غريب. يا ليت الله يرضى عن هذه الحادثة الكئيبة! لقد شوّهت هذه المناسبة الرومانسية لأول رحلة طيران خططتُ لها بعناية بعده بقسوة.

"عمار، يجب أن نعود إلى الوطن." كنت أبكي كطفل. "رحيل جاتيندا القاسي نذير شؤم. هذه الرحلة محكوم عليها بالفشل."

هل هذا هو حبك للرب؟ ألا تستطيع أن تصمد أمام اختبار رفيق خائن؟

بفضل اقتراح عمار باختبار إلهي، هدأت روعي. تناولنا حلويات بوردوان الشهيرة، سيتابوج (طعام الإلهة)، وموتيشور (قطع اللؤلؤ الحلو). بعد ساعات قليلة، ركبنا القطار إلى هاردوار، مرورًا ببريلي. عند تبديل القطارات في موغول سراي، ناقشنا مسألة حيوية أثناء انتظارنا على الرصيف.

يا عمار، قد نتعرض قريبًا لاستجواب دقيق من مسؤولي السكك الحديدية. أنا لا أقلل من شأن براعة أخي! مهما كانت النتيجة، لن أكذب.

كل ما أطلبه منك يا موكوندا هو أن تبقى ساكنًا. لا تضحك أو تبتسم وأنا أتحدث.

في تلك اللحظة، اقترب مني موظف محطة أوروبي. لوّح ببرقية أدركتُ أهميتها على الفور.

"هل تهرب من المنزل في حالة غضب؟"

"لا!" سررتُ لأن كلماته سمحت لي بالردّ القاطع. لم يكن الغضب، بل "الحزن الشديد"، هو السبب، كما كنتُ أعلم، في سلوكي غير التقليدي.

ثم التفت المسؤول إلى عمار. لم يسمح لي نقاش الذكاء الذي تلا ذلك بالحفاظ على رباطة جأشي كما نصحتني.

أين الصبي الثالث؟ نطق الرجل بنبرة حازمة. "هيا، قل الحقيقة!"

سيدي، لاحظتُ أنك ترتدي نظارة. ألا ترى أننا اثنان فقط؟ ابتسم عمار بوقاحة. "لستُ ساحرًا، ولا أستطيع استحضار رفيق ثالث."

وقد شعر المسؤول بالارتباك الشديد إزاء هذه الوقاحة، فسعى إلى إيجاد مجال جديد للهجوم.

"ما اسمك؟"

اسمي توماس. أنا ابن أم إنجليزية وأب هندي مسيحي اعتنق المسيحية.

"ما اسم صديقك؟"

"أنا أسميه تومسون."

بحلول ذلك الوقت، بلغ فرحي الداخلي ذروته؛ توجهتُ إلى القطار بلا مراسم، مُصفِّرًا إشارةً للمغادرة. تبعني عمار مع المسؤول، الذي كان ساذجًا ومُجامِلًا بما يكفي لوضعنا في مقصورة أوروبية. من الواضح أنه تألم لفكرة وجود شابين نصف إنجليزيين يسافران في القسم المخصص للمواطنين الأصليين. بعد خروجه المهذب، استلقيتُ على المقعد وانفجرتُ ضحكًا. ارتسمت على وجه صديقي تعبير رضا مُبتهج لتفوقه على مسؤول أوروبي مُخضرم.

على الرصيف، تدبرتُ أمر قراءة البرقية. من أخي، كان نصها كالتالي: "ثلاثة فتيان بنغاليين يرتدون ملابس إنجليزية يهربون من ديارهم باتجاه هاردوار

عبر سراي المغول. أرجو احتجازهم حتى وصولي. مكافأة وافرة لخدماتكم."

عمار، قلت لك لا تترك جداول مواعيد مُعلَّمة في منزلك. نظرتُ إليه نظرة لوم. "لا بد أن أخي وجد واحدة هناك."

اعترف صديقي بخجلٍ بالدفعة. توقفنا لفترة وجيزة في باريلي، حيث كان دواركا براساد ينتظرنا ببرقية من أنانتا. حاول صديقي القديم بشجاعةٍ إيقافنا؛ فأقنعته بأن هروبنا لم يكن سهلاً. وكما في مناسبةٍ سابقة، دواركا...

رفض دعوتي للتوجه إلى جبال الهيمالايا.

بينما كان قطارنا متوقفًا في إحدى المحطات تلك الليلة، وكنتُ شبه نائم، أيقظ مسؤولٌ آخر أمارَ. هو أيضًا وقع ضحيةً لسحر "توماس" و"تومسون". حملنا القطار منتصرًا إلى هاردوار عند الفجر. بدت الجبال الشامخة في الأفق جذابةً. اندفعنا عبر المحطة ودخلنا في أجواء المدينة المزدحمة. كان أول ما فعلناه هو تغيير ملابسنا إلى زيّ السكان الأصليين، إذ اخترق أنانتا بطريقةٍ ما تنكرنا الأوروبي. خيّم على ذهني شعورٌ بالأسر.

رأينا أنه من المستحسن مغادرة هاردوار فورًا، فاشترينا تذاكر للتوجه شمالًا إلى ريشيكيش، تلك الأرض التي طالما قدسها أسيادنا. كنت قد صعدت إلى القطار، بينما كان أمار يتأخر على الرصيف.

أوقفه صراخ شرطي فجأة. رافقنا حارسنا غير المرغوب فيه إلى كوخ في المحطة وتولى مسؤولية أموالنا. أوضح لنا بلطف أن من واجبه أن يحتجزنا حتى وصول أخي الأكبر.

وعندما علم الضابط أن وجهة المتغيبين كانت جبال الهيمالايا، روى قصة غريبة.

أرى أنك مولعٌ بالقديسين! لن تصادف رجلاً أعظم من الله من الذي رأيته بالأمس. التقيتُ به أنا وشقيقي الضابط لأول مرة قبل خمسة أيام. كنا نجوب نهر الغانج، بحثًا عن قاتلٍ ما. كانت تعليماتنا القبض عليه، حيًا كان أم ميتًا. كان معروفًا عنه أنه يتنكر في زي راهبٍ دينيٍّ لسرقة الحجاج. على بُعد خطواتٍ قليلةٍ منا، رأينا شخصًا يشبه وصف المجرم. تجاهل أمرنا بالتوقف؛ فركضنا لنتغلب عليه. اقتربتُ من ظهره، وشغّلتُ فأسي بقوةٍ هائلة؛ كانت ذراع الرجل اليمنى مقطوعةً عن جسده تقريبًا.

"دون صراخ أو نظرة على الجرح المروع، واصل الغريب خطواته السريعة بشكل مدهش. وبينما قفزنا أمامه، تحدث بهدوء.

"أنا لست القاتل الذي تبحث عنه."

"لقد شعرتُ بإهانةٍ بالغةٍ عندما رأيتُ أنني أذيتُ شخصًا حكيمًا ذا مظهرٍ إلهي. فسجدتُ عند قدميه،

وتوسلتُ إليه أن يعفو، وعرضتُ عليه عمامتي لوقف تدفق الدم الغزير.

يا بني، كان هذا مجرد خطأ مفهوم منك. نظر إليّ القديس بلطف. "اركض ولا تلوم نفسك. الأم الحبيبة تعتني بي." دفع ذراعه المتدلية في جذعها، وها هي! التصقت؛ توقف الدم عن التدفق لسببٍ لا يمكن تفسيره.

"تعال إليّ تحت تلك الشجرة بعد ثلاثة أيام وستجدني قد شُفيت تمامًا. ولن تشعر بأي ندم."

بالأمس، ذهبتُ أنا وشقيقي الضابط بحماس إلى المكان المُحدد. كان الراهب هناك وسمح لنا بفحص ذراعه. لم يكن عليها أي ندبة أو أثر لجرح!

"سأذهب عبر ريشيكيش إلى عزلة الهيمالايا." باركنا وهو يغادر بسرعة.

"أشعر أن حياتي قد ارتفعت بفضل قدسيته."

اختتم الضابط حديثه بصيحةٍ مُتدينة؛ فقد تجاوزت تجربته حدَّه الطبيعي. وبلفتةٍ مؤثرة، ناولني قصاصةً مطبوعةً عن المعجزة. وبأسلوبٍ مُشوَّهٍ كعادته في الصحف المثيرة (وهو أمرٌ نادرٌ للأسف! حتى في الهند)، كانت رواية الصحفي مُبالغًا فيها بعض الشيء: إذ أشارت إلى أن الراهب قد كاد يُقطع رأسه!

أنا وأمار رثينا أنفسنا لفقداننا اليوغي العظيم الذي استطاع أن يغفر لمضطهديه بأسلوب مسيحي بامتياز. الهند، رغم فقرها المادي على مدى القرنين الماضيين، تتمتع بثروة إلهية لا تنضب؛ قد نصادف أحيانًا "ناطحات سحاب" روحية على جانب الطريق، حتى من قِبل رجال دنيويين مثل هذا الشرطي.

شكرنا الضابط على تخفيفه عنا الملل بقصته الرائعة. ربما كان يُلمّح إلى أنه أوفر حظًا منا: فقد التقى قديسًا مُستنيرًا دون عناء؛ وانتهت رحلة بحثنا الجادّة، ليس عند أقدام سيد، بل في مركز شرطة فظّ!

على الرغم من أننا قريبون جدًا من جبال الهيمالايا، ورغم كل هذا البعد في أسرنا، أخبرت عمار أنني أشعر برغبة مضاعفة في البحث عن الحرية.

فلنهرب حين تسنح لنا الفرصة. يمكننا الذهاب سيرًا على الأقدام إلى ريشيكيش المقدسة. ابتسمتُ مُشجعًا.

لكن رفيقي أصبح متشائما بمجرد أن تم أخذ الدعم القوي لأموالنا منا.

"إذا بدأنا رحلة عبر أرض الغابة الخطيرة هذه، فيجب أن ننهيها ليس في مدينة القديسين، بل في بطون النمور!"

وصل أنانتا وشقيق عمار بعد ثلاثة أيام. استقبل عمار قريبه بارتياحٍ حار. كنتُ متوترًا؛ لم ينل أنانتا مني سوى توبيخٍ شديد.

"أتفهم شعورك." قال أخي بهدوء. "كل ما أطلبه منك هو مرافقتي إلى بنارس للقاء قديس، ثم التوجه إلى كلكتا لزيارة والدك الحزين لبضعة أيام. ثم يمكنك استئناف بحثك هنا عن معلم."

دخل عمار في المحادثة في هذه المرحلة لينفي أي نية للعودة معي إلى هاردوار. كان يستمتع بدفء العائلة. لكنني كنت أعلم أنني لن أتخلى أبدًا عن البحث عن معلّمي.

سافرت مجموعتنا بالقطار إلى بنارس. وهناك، وجدتُ استجابةً فريدةً وفوريةً لدعواتي.

كان أنانتا قد دبر خطة ذكية مسبقًا. قبل رؤيتي في هاردوار، توقف في بنارس ليطلب من مرجع ديني مقابلةً معي لاحقًا. ووعد كلٌّ من العالم الروحي وابنه ببذل جهدٍ لإثنائي عن مسار السانياسي.

أخذني أنانتا إلى منزلهم. استقبلني الابن، وهو شابٌّ مرحٌّ، في الفناء. دخل معي في حوارٍ فلسفيٍّ مطول. مُدّعيًا أنه يمتلك معرفةً ثاقبةً بمستقبلي، رفض فكرة أن أصبح راهبًا.

ستواجه مصائب مستمرة، ولن تتمكن من إيجاد الله، إذا أصررتَ على التخلي عن مسؤولياتك

العادية! لن تتمكن من حساب كارما الماضي 4-2 دون تجارب دنيوية.

ارتفعت كلمات كريشنا الخالدة إلى شفتي ردًا على ذلك: "حتى من كان أسوأ عاقبة، والذي يتأمل بي بلا انقطاع، سرعان ما يتخلص من آثار أفعاله السيئة السابقة. وبصيرورته كائنًا ذا روح سامية، سرعان ما ينال سلامًا أبديًا. أرجونا، اعلم هذا يقينًا: إن المتعبد الذي يضع ثقته بي لا يهلك أبدًا!" 4-3

لكن تنبؤات الشاب القوية هزت ثقتي قليلًا. بكل حرارة قلبي، دعوت الله في صمت:

"أرجوك أن تحل حيرتي وتجيبني، هنا والآن، إذا كنت تريد مني أن أعيش حياة رجل زهد أو دنيوي!"

لاحظتُ راهبًا نبيل الملامح يقف أمام منزل العالم الروحاني. من الواضح أنه سمع الحوار الحماسي بيني وبين من يدّعي أنه عارفٌ ببصيرته، إذ دعاني الغريب إلى جانبه. شعرتُ بقوةٍ هائلة تتدفق من عينيه الهادئتين.

يا بني، لا تستمع لهذا الجاهل. استجابةً لدعائك، يُخبرني الرب أن أؤكد لك أن طريقك الوحيد في هذه الحياة هو طريق الزهد.

وبدهشة وامتنان، ابتسمت بسعادة عند سماع هذه الرسالة الحاسمة.

"ابتعد عن هذا الرجل!" كان "الجاهل" يناديني من الفناء. رفع مرشدي المقدس يده مباركًا وانصرف ببطء.

هذا الراهب مجنونٌ مثلك تمامًا. كان الخبيرُ الأشيبُ هو من أدلى بهذه الملاحظةِ الجذابة. كان هو وابنه ينظران إليّ بحزن. "سمعتُ أنه هو أيضًا غادر منزله في بحثٍ غامضٍ عن الله."

استدرتُ. أخبرتُ أنانتا أنني لن أخوضَ في أيِّ نقاشٍ آخر مع مُضيفينا. وافق أخي على المغادرة فورًا؛ وسرعان ما ركبنا القطار إلى كلكتا.

أنا أقف خلف أخي الأكبر، أنانتا.

آخر مهرجان للانقلاب الشمسي احتفل به سري يوكتسوار، في ديسمبر 1935. يجلس معلّمي في الوسط؛ وأنا على يميني، في الفناء الكبير لمسكنه في سيرامبور.

"سيدي المحقق، كيف علمتَ أنني هربتُ مع رفيقين؟" عبّرتُ عن فضولي الشديد لأنانتا خلال رحلة عودتنا. ابتسم ابتسامةً ماكرة.

في مدرستك، وجدت أن عمار قد غادر فصله ولم يعد. ذهبت إلى منزله في صباح اليوم التالي واكتشفت جدولًا زمنيًا محددًا. كان والد عمار يغادر للتو

عربة وكان يتحدث مع السائق.

«لن يرافقني ابني إلى مدرسته هذا الصباح. لقد اختفى!» تأوه الأب.

«سمعتُ من سائق عربة أن ابنك واثنين آخرين، يرتدون بزات أوروبية، صعدوا إلى القطار في محطة هاوراه»، قال الرجل. «وقدّموا أحذيتهم الجلدية هدية لسائق التاكسي».

"وهكذا كان لدي ثلاثة أدلة - الجدول الزمني، وثلاثي الأولاد، والملابس الإنجليزية."

كنت أستمع إلى إفادات أنانتا بمزيج من البهجة والانزعاج. لقد كان كرمنا للسائق في غير محله!

بالطبع، سارعتُ لإرسال برقيات إلى مسؤولي مراكز الشرطة في جميع المدن التي حددها عمار في جدول مواعيده. كان قد تحقق من بريلي، فأرسلتُ برقية إلى صديقك دواركا هناك. بعد استفسارات في حيّنا في كلكتا، علمتُ أن ابن عمي جاتيندا كان غائبًا ليلةً ما، لكنه عاد إلى المنزل صباح اليوم التالي مرتديًا زيًا أوروبيًا. بحثتُ عنه ودعوته إلى العشاء. قبل الدعوة، منبهرًا تمامًا بأسلوبي الودود. في الطريق، اقتادته دون أن يدري إلى مركز شرطة. كان محاطًا بعدد من الضباط الذين اخترتهم سابقًا لمظهرهم الشرس. وتحت نظراتهم الثاقبة، وافق جاتيندا على تبرير سلوكه الغامض.

انطلقتُ إلى جبال الهيمالايا في حالة روحية مُفعمة بالبهجة، كما أوضح. غمرني الإلهام بفكرة لقاء

الأساتذة. ولكن ما إن قال موكوندا: "خلال نشوتنا في كهوف الهيمالايا، ستُسحر النمور وتجلس حولنا كالقطط الأليفة"، حتى تجمدت روحي؛ وتصببت قطرات العرق على جبيني. "ماذا إذن؟" فكرتُ. "إذا لم تتغير طبيعة النمور الشرسة بقوة نشوتنا الروحية، فهل ستعاملنا بلطف القطط المنزلية؟" في خيالي، رأيتُ نفسي سجينًا إجباريًا في معدة نمر ما - أدخلها ليس دفعةً واحدةً بجسدها كله، بل على دفعاتٍ من أجزائها المختلفة!"

تبخر غضبي من اختفاء جاتيندا في ضحك. كان الجزء الثاني المضحك من قصة القطار يستحق كل الألم الذي سببه لي. لا بد لي من الاعتراف بشعور طفيف بالرضا: جاتيندا أيضًا لم ينجو من مواجهة مع الشرطة!

أنانتا، يا إلهي، أنت كلب بوليسيّ بالفطرة! لم تخلُ نظرتي المضحكة من بعض الانزعاج. "وسأقول لجاتيندا إنني سعيد لأنه لم يكن مدفوعًا بدافع الخيانة، كما بدا، بل بغريزة الحفاظ على النفس الحكيمة!"

في منزلي بكلكتا، طلب مني والدي، بلهفة، أن أُكبح جماح هجراني حتى إتمام دراستي الثانوية على الأقل. في غيابي، دبر خطةً مُحبّةً بترتيب زيارةٍ منتظمةٍ لعالمٍ روحيٍّ مُخضرم، سوامي كيبالاناندا، في الرابعة والخامسة من عمره.

"سيكون الحكيم معلمك للغة السنسكريتية"، أعلن والدي بثقة.

كان والدي يأمل في إشباع رغباتي الدينية بتعليمات من فيلسوف متعلم. لكن الأمور انقلبت رأسًا على عقب: فبدلًا من أن يُقدم لي معلمي الجديد جفافًا فكريًا، أجج فيّ شغفي بالله. كان سوامي كيبالاناندا، دون علم والدي، تلميذًا مُبجلًا للاهيري ماهاسايا. كان لهذا المعلم الفريد آلاف التلاميذ، الذين انجذبوا إليه في صمت بفضل جاذبيته الإلهية التي لا تُقاوم. علمتُ لاحقًا أن لاهيري ماهاسايا كان كثيرًا ما يصف كيبالاناندا بالريشي أو الحكيم المُستنير.

أحاطت خصلات شعره الكثيفة وجه معلمي الوسيم. كانت عيناه السوداوان ساحرتين، بشفافية عيون طفل. اتسمت جميع حركات جسده النحيل بتأمل هادئ. كان دائمًا لطيفًا ومحبًا، راسخًا في وعيه اللامتناهي. قضينا العديد من ساعاتنا السعيدة معًا في تأمل كريا عميق.

كان كيبالاناندا مرجعًا بارزًا في الشاسترات القديمة أو الكتب المقدسة: أكسبته معرفته الواسعة لقب "شاستري ماهاسايا"، وهو اللقب الذي كان يُخاطب به عادةً. لكن تقدمي في دراسة اللغة السنسكريتية لم يكن يُذكر. اغتنمت كل فرصة للتخلي عن قواعد اللغة المبتذلة والحديث عن اليوغا ولاهيري ماهاسايا. في أحد الأيام، أقنعني مُعلّمي بأن يُخبرني شيئًا عن حياته مع الأستاذ.

نادرًا ما حالفني الحظ، فتمكنتُ من البقاء بالقرب من لاهيري ماهاسايا لعشر سنوات. كان منزله في بنارس هدفي الليلي للحج. كان المعلم الروحي حاضرًا دائمًا في صالون صغير في الطابق الأول. وبينما كان يجلس في وضعية اللوتس على مقعد خشبي مكشوف الظهر، كان تلاميذه يُزينونه بزهرة في شكل نصف دائرة. كانت عيناه تتألقان وترقصان بفرحة إلهية. كانتا دائمًا نصف مغمضتين، تنظران من خلال الكرة التلسكوبية الداخلية إلى مجال من النعيم الأبدي. نادرًا ما كان يُطيل الكلام. أحيانًا كانت نظراته تُركز على طالب يحتاج إلى مساعدة؛ فتتدفق كلماته الشافية كسيل من النور.

ازدهر في داخلي سلامٌ لا يُوصف عند رؤية المعلم. غمرني عبيره، كما لو كان من زهرة لوتس لانهائي. كان وجودي معه، حتى دون تبادل كلمة لأيام، تجربةً غيّرت كياني بالكامل. إذا برز أي حاجزٍ غير مرئي في طريق تركيزي، كنت أتأمل عند قدمي المعلم. هناك، أصبحت أكثر الحالات غموضًا في متناول يدي بسهولة. أفلتت مني هذه الإدراكات في حضور معلمين أقل شأنًا. كان المعلم معبدًا حيًا لله، أبوابه السرية مفتوحة لجميع التلاميذ من خلال التفاني.

لم يكن لاهيري ماهاسيا مُفسِّرًا مُتعمِّقًا للكتب المقدسة. بل كان يغوص في "المكتبة الإلهية" دون عناء. تدفقت رغوة الكلمات ورذاذ الأفكار من نبع علمه الكلي. كان يمتلك المفتاح السحري الذي فتح

آفاقًا فلسفية عميقة راسخة منذ عصور في الفيدا.
6-4 لو طُلب منه شرح مستويات الوعي المختلفة المذكورة في النصوص القديمة، لوافق مبتسمًا.

سأمرّ بتلك الحالات، وأخبرك فورًا بما أدركه. وهكذا كان مختلفًا تمامًا عن المعلمين الذين يحفظون النصوص المقدسة ثم يُقدّمون تجريدات غير مُحقّقة.

"أرجو شرح الأبيات المقدسة كما يتبادر إلى ذهنك المعنى." كان المعلم الصامت يُعطي هذه التعليمات غالبًا لتلميذ قريب. "سأرشد أفكارك، حتى يكون التفسير الصحيح..."

"وبهذه الطريقة تم تسجيل العديد من تصورات لاهيري ماهاسيا، مع تعليقات موسعة من قبل العديد من الطلاب.

لم ينصح المعلم قط بالإيمان الأعمى. قال: «الكلمات ليست سوى قشور. اكتسب قناعة بحضور الله من خلال تواصلك المبهج بالتأمل».

"مهما كانت مشكلة التلميذ، فقد نصحه المعلم باليوغا كريا لحلها.

لن يفقد مفتاح اليوغا فاعليته عندما لا أكون حاضرًا في الجسد لأرشدك. لا يمكن تقييد هذه التقنية أو حفظها أو نسيانها، كما هو الحال مع الإلهام

النظري. استمر بلا هوادة في طريقك نحو التحرر من خلال الكريا، التي تكمن قوتها في الممارسة.

أنا شخصيًا أعتبر الكريا أنجع وسيلة للخلاص من خلال الجهد الذاتي، والتي تطورت على الإطلاق في سعي الإنسان إلى اللانهائي. واختتم كيبالاناندا حديثه بهذه الشهادة الصادقة. "باستخدامها، تجسد الإله القدير، المتخفي في كل البشر، تجسدًا واضحًا في جسد لاهيري ماهاسايا وعدد من تلاميذه".

حدثت معجزةٌ مسيحيةٌ على يد لاهيري ماهاسايا بحضور كيبالاناندا. روى لي مُعلّمي الفاضل القصة ذات يوم، وعيناه بعيدتان عن النصوص السنسكريتية التي أمامنا.

أثار رامو، وهو تلميذ أعمى، شفقتي الشديدة. هل كان ينبغي ألا يكون في عينيه نور، وهو يخدم معلمنا بإخلاص، الذي كان يتوهج فيه الإله؟ في صباح أحد الأيام، حاولتُ التحدث إلى رامو، لكنه جلس لساعات طويلة يُهَوِّئُ المعلم بمروحة يدوية الصنع من سعف النخيل. عندما غادر المريد الغرفة أخيرًا، تبعته.

"رامو، منذ متى وأنت أعمى؟"

"منذ ولادتي يا سيدي! لم تحظ عيناي قط بنظرة واحدة من الشمس."

"معلمنا القدير يستطيع مساعدتك. من فضلك، ادع الله."

في اليوم التالي، اقترب رامو من لاهيري ماهاسايا بخجل. شعر التلميذ بالخجل تقريبًا من طلب إضافة الثروة الجسدية إلى ثروته الروحية.

"يا سيدي، مُنير الكون موجود في داخلك. أطلب منك أن تُدخل نوره إلى عينيّ، حتى أُدرك توهج الشمس الخافت."

"رامو، لقد تآمر أحدهم لوضعي في موقف صعب. ليس لدي أي قوة شفاء."

"سيدي، إن الواحد اللانهائي في داخلك قادر بالتأكيد على الشفاء."

"هذا مختلف حقًا يا رامو. حدود الله لا حدود لها! من يُضيء النجوم وخلايا الجسد بنورٍ غامضٍ قادرٌ بالتأكيد على جلب بريقٍ من الإشراق إلى عينيك."

"لمس المعلم جبهة رامو عند النقطة بين الحاجبين. 7-4 ""حافظ على تركيز ذهنك هناك، وردد اسم النبي راما بشكل متكرر لمدة سبعة أيام.

"سوف يكون لروعة الشمس فجر خاص لك."

يا له من أسبوع! كان الأمر كذلك. لأول مرة، رأى رامو وجه الطبيعة الجميل. لقد وجّه العليم بكل شيء تلميذه بدقة لتكرار اسم راما، الذي كان يعبده فوق جميع القديسين. كان إيمان رامو هو التربة

المحروثة بتقوى، التي نبتت فيها بذرة الشفاء الدائم القوية التي صنعها المعلم. صمت كيبالاناندا للحظة، ثم أشاد بمعلمه.

كان واضحًا في جميع المعجزات التي صنعها لاهيري ماهاسايا أنه لم يسمح قط لمبدأ الأنا 4-9 بأن يعتبر نفسه قوة سببية. وبإتقانه الاستسلام المطلق، مكّن المعلم قوة الشفاء الأساسية من التدفق بحرية من خلاله.

إن الأجساد العديدة التي شُفيت بشكل مذهل على يد لاهيري ماهاسيا، اضطرت في النهاية إلى إشعال لهيب حرق الجثث. لكن الصحوات الروحية الصامتة التي أحدثها، والتلاميذ الذين شكلهم على شاكلة المسيح، هي معجزاته الخالدة.

لم أكن أبدًا عالمًا في اللغة السنسكريتية؛ لقد علمني كيبالاناندا قواعد اللغة الإلهية.

٤-١: حرفيًا، "يتخلى". من أصل الفعل السنسكريتي، "يتخلى".

4-2: آثار الأفعال الماضية، في هذه الحياة أو حياة سابقة؛ من الكلمة السنسكريتية kri، "القيام".

٤-٣: بهاجافاد غيتا، ٩، ٣٠-٣١. كان كريشنا أعظم نبي في الهند، وكان أرجونا تلميذه الأبرز.

٤-٤: كنتُ أُناديه دائمًا بـ"أنانتا-دا". "دا" لاحقة احترامية يتلقاها الأخ الأكبر في العائلة الهندية من إخوته وأخواته الأصغر.

٤-٥: وقت لقائنا، لم يكن كيبالاناندا قد انضم بعد إلى طائفة السوامي، وكان يُطلق عليه عادةً اسم "شاستري ماهسايا". لتجنب الخلط بين اسم لاهيري ماهسايا والمعلم ماهسايا (الفصل ٩)، أشير إلى مُعلّمي السنسكريتي باسمه الرهباني اللاحق، سوامي كيبالاناندا. نُشرت سيرته الذاتية مؤخرًا باللغة البنغالية. وُلد كيبالاناندا في مقاطعة خولنا بالبنغال عام ١٨٦٣، وتوفي في بنارس عن عمر يناهز الثامنة والستين. اسم عائلته أشوتوش تشاترجي.

٤-٦: تضم الفيدا الأربعة القديمة أكثر من ١٠٠ كتاب قانوني قائم. وقد أشاد إيمرسون في مذكراته بالفكر الفيدي قائلاً: "إنه سامٍ كالحر والليل ومحيط لاهث. يحتوي على كل شعور ديني، وكل الأخلاق العظيمة التي تزور بدورها كل عقل شاعري نبيل... لا جدوى من وضع الكتاب جانبًا؛ فإذا وثقت بنفسي في الغابة أو في قارب على البركة، فإن الطبيعة تجعلني براهميًا على الفور: ضرورة أبدية، تعويض أبدي، قوة لا تُسبر غورها، صمت متواصل... هذه هي عقيدتها. السلام، تقول لي، والنقاء والتخلي المطلق - هذه العلاجات تكفر عن كل خطيئة وتقودك إلى سعادة الآلهة الثمانية."

٤-٧: مقر العين "الوحيدة" أو الروحية. عند الموت، عادةً ما ينجذب وعي الإنسان إلى هذه البقعة المقدسة، وهو ما يُفسر رفع العيون عند الموتى.

4-8: الشخصية المقدسة المركزية في الملحمة السنسكريتية، رامايانا.

4-9: أهانكارا، الأنانية؛ حرفيًا، "أفعل". السبب الجذري للثنائية أو وهم المايا، حيث يظهر الذات (الأنا) كموضوع؛ وتتخيل المخلوقات نفسها على أنها خالقة.

الفصل: 5

"قديس العطور" يعرض عجائبه

"لكل شيء زمان، ولكل أمر تحت السماء وقت."

لم تكن حكمة سليمان تُعزيني؛ كنتُ أُحدّق حولي مُتأمّلاً، في أيّ رحلةٍ من المنزل، باحثاً عن وجه مُعلّمي المُقدّر. لكنّ طريقي لم يتقاطع مع طريقه إلا بعد إتمام دراستي الثانوية.

مرّ عامان بين رحلتي مع أمار نحو جبال الهيمالايا، واليوم العظيم الذي شهد وصول سري يوكتسوار إلى حياتي. خلال تلك الفترة، التقيتُ بعدد من الحكماء: "قديس العطور"، و"سوامي النمر"، وناجيندرا ناث بهادوري، والمعلم ماهاسايا، والعالم البنغالي الشهير جاغاديس تشاندرا بوس.

كان لقائي مع "قديس العطور" يتضمن مقدمتين، واحدة متناغمة والأخرى فكاهية.

الله بسيط. كل شيء آخر معقد. لا تبحث عن قيم مطلقة في عالم الطبيعة النسبي.

دخلت هذه المعاني الفلسفية إلى ذهني بهدوء وأنا أقف صامتًا أمام تمثال كالي في معبد. استدرتُ، فوجدتُ رجلاً طويل القامة، كشف زيه، أو بالأحرى لباسه، عن كونه سادهو متجولًا.

لقد تسللتَ بالفعل إلى حيرة أفكاري! ابتسمتُ بامتنان. «إن الخلط بين الجوانب الحميدة والرهيبة في الطبيعة، كما يرمز إليها كالي، 5-1، قد حيّر عقولًا أكثر حكمة مني!»

قليلون هم من يحلون لغزها! الخير والشر هما اللغز الصعب الذي تضعه الحياة كأبو الهول أمام كل عقل. في غياب أي حل، يدفع معظم الناس ثمنًا باهظًا بحياتهم، جزاءً اليوم كما كان في أيام طيبة. هنا وهناك، شخصية شامخة وحيدة لا تذرف الهزيمة. من ثنايا ثنائية المايا، ينتزع حقيقة الوحدة التي لا تلين.

"أنت تتحدث باقتناع، سيدي."

لقد مارستُ لفترة طويلة تأملًا صادقًا، وهو النهج المؤلم للغاية للحكمة. إن التدقيق الذاتي، والمراقبة المستمرة لأفكار المرء، تجربة قاسية ومدمرة. إنها

تسحق أقوى الأنا. لكن التحليل الذاتي الحقيقي يعمل رياضيًا لإنتاج رؤى. إن طريقة "التعبير عن الذات"، والاعترافات الفردية، تؤدي إلى أنانيين، واثقين من حقهم في...

"تفسيرات خاصة لله والكون."

"لا شك أن الحقيقة تتراجع بتواضع أمام هذه الأصالة المتغطرسة". كنت أستمتع بالمناقشة.

لا يمكن للإنسان أن يفهم الحقيقة الأبدية إلا إذا تحرر من الادعاءات. العقل البشري، المكشوف أمام طينٍ ضاربٍ في القدم، يعجّ بحياةٍ بغيضةٍ من أوهامٍ عالميةٍ لا تُحصى. تتضاءل صراعات ساحات القتال هنا، عندما يواجه الإنسان أعداءه الداخليين لأول مرة! ما من أعداءٍ بشريين يُهزمون بسلسلةٍ من القوة المرعبة! هؤلاء الجنود ذوو الشهوات الجاهلة، الحاضرون في كل مكان، المضطربون، يلاحقون الإنسان حتى في نومه، والمجهزون بمهارةٍ بسلاحٍ مُريع، يسعون إلى قتلنا جميعًا. طائشٌ هو الإنسان الذي يدفن مُثله العليا، مستسلمًا للمصير المشترك. هل يبدو إلا عاجزًا، جامدًا، مُخزيًا؟

"سيدي المحترم، هل لديك أي تعاطف مع الجماهير الحائرة؟"

وظل الحكيم صامتا لبرهة، ثم أجاب بطريقة غير مباشرة.

إن حبّ الإله الخفي، مستودع الفضائل، والإنسان المرئي، الذي يبدو أنه لا يملك أيًّا منها، أمرٌ مُحيّرٌ في كثير من الأحيان! لكنّ الإبداعَ يُضاهي المتاهة. سرعان ما يكشف البحثُ الباطنيُّ عن وحدةٍ في عقول البشر جميعًا - القرابةُ الراسخةُ للدوافع الأنانية. بمعنىً ما على الأقل، تنكشف أخوةُ البشر. يتبع هذا الاكتشافُ المُساوي تواضعٌ مُريع. ينضجُ في شفقةٍ على رفاقِنا، غافلًا عن قدراتِ الشفاءِ في الروحِ التي تنتظرُ الاستكشاف.

"لقد شعر قديسو كل العصور، يا سيدي، مثلك بأحزان العالم."

وحده الإنسان السطحي يفقد قدرته على الاستجابة لمصائب حياة الآخرين، إذ يغرق في معاناة ضيقة خاصة به. ترقّق وجه الراهب السادهو القاسي بشكل ملحوظ. "من يمارس تشريحًا ذاتيًا بالمشرط سيعرف اتساعًا في الشفقة الشاملة. يُمنح تحررًا من مطالب غروره المُرهِقة. على هذه التربة تزدهر محبة الله. يلجأ المخلوق أخيرًا إلى خالقه، ولو لسبب واحد فقط، وهو أن يسأل في ألم: "لماذا يا رب، لماذا؟" بسياط الألم الدنيئة، يُدفع الإنسان أخيرًا إلى الوجود اللامتناهي، الذي لا يجذبه إلا جماله."

كنتُ أنا والحكيم حاضرين في معبد كاليغات في كلكتا، حيثُ ذهبتُ لرؤية روعته الشهيرة. وبلفتةٍ

عابرة، تجاهل رفيقي الصدفة هذا التباهي المزخرف.

"الطوب والأسمنت لا يغنيان لنا أي نغمة مسموعة؛ فالقلب ينفتح فقط على ترانيم الوجود الإنساني."

تجولنا نحو أشعة الشمس الجذابة عند المدخل، حيث كانت حشود المصلين تمر ذهابًا وإيابًا.

"أنت شاب." نظر إليّ الحكيم بتفكير. "الهند أيضًا شابة. لقد وضع الحكماء القدماء (5-3) أنماطًا راسخة للحياة الروحية. تكفي تعاليمهم القديمة لهذا اليوم وهذه الأرض. لم تبدُ بالية، ولم تتهاون في مواجهة حيل المادية، بل لا تزال تعاليمهم التأديبية تُشكّل الهند. بمرور آلاف السنين - أكثر مما يتخيله العلماء المحرجون! - أثبت الزمن المتشكك قيمة الفيدية. اعتبرها إرثك."

بينما كنت أودع السادهو البليغ بكل احترام، كشف لي عن إدراك واضح:

"بعد مغادرتك هذا اليوم، سوف تحصل على تجربة غير عادية."

غادرتُ حرم المعبد وتجوّلتُ بلا هدف. عند انعطافي، التقيتُ بمعارفي القدامى - من أولئك الذين يثرثرون كثيرًا، والذين تتجاهل قدراتهم على الحديث الزمن وتحتضن الخلود.

"سأسمح لك بالرحيل بعد وقت قصير جدًا، إذا أخبرتني بكل ما حدث خلال السنوات الست من انفصالنا."

"يا لها من مفارقة! يجب أن أتركك الآن."

لكنه أمسك بيدي، مُجبرًا إياه على إخراج بعض المعلومات. كان كالذئب الجائع، هكذا فكرتُ مُتسليًا؛ كلما أطلتُ في الحديث، ازداد جوعه للبحث عن الأخبار. في داخلي، توسلتُ إلى الإلهة كالي أن تُبتكر وسيلةً مُريحةً للهروب.

غادرني رفيقي فجأة. تنهدت بارتياح وضاعفت خطواتي، خوفًا من العودة إلى حمى الثرثرة. سمعتُ خطواتٍ سريعةً خلفي، فأسرعتُ. لم أجرؤ على النظر إلى الوراء. لكن الشاب قفز، وانضم إليّ، ممسكًا بكتفي بمرح.

نسيتُ أن أخبرك عن غاندا بابا (قديس العطور)، الذي يُزيّن هذا المنزل. أشار إلى مسكنٍ على بُعد أمتار قليلة. "قابله؛ إنه مثيرٌ للاهتمام. قد تخوض تجربةً غير مألوفة. وداعًا." ثم غادرني.

خطرت لي نبوءةٌ مشابهةٌ للسادو في معبد كاليغات. بدافعٍ من الفضول، دخلتُ المنزل، ودُفِعتُ إلى صالونٍ واسع. كان حشدٌ من الناس، بنظرةٍ شرقية، يجلسون هنا وهناك على سجادةٍ برتقاليةٍ سميكة. همسٌ مُريعٌ في أذني:

انظر إلى غاندا بابا على جلد النمر. إنه قادر على إضفاء العطر الطبيعي لأي زهرة على زهرة عديمة الرائحة، أو إحياء زهرة ذابلة، أو جعل جلد الإنسان يفوح بعبير زكي.

نظرتُ مباشرةً إلى القديس، فاستقرت نظراته السريعة على ناظري. كان ممتلئ الجسم، ملتحيًا، داكن البشرة، وعينين واسعتين لامعتين.

"يا بني، أنا سعيد برؤيتك. قل ما تريد. هل تريد بعض العطر؟"

"لماذا؟" اعتقدت أن تعليقه كان طفوليًا إلى حد ما.

"لتجربة الطريقة المعجزة للاستمتاع بالعطور."

"تسخير الله لخلق الروائح؟"

"ماذا في هذا؟ الله يصنع العطر على أي حال."

"نعم، لكنه يصنع زجاجات هشة من البتلات للاستخدام الطازج والتخلص منها. هل يمكنك تجسيد الزهور؟"

"أنا أجسد العطور، يا صديقي الصغير."

"ثم سوف تخرج مصانع العطور من العمل."

سأسمح لهم بالاحتفاظ بتجارتهم! هدفي هو إظهار قدرة الله.

يا سيدي، هل من الضروري إثبات وجود الله؟ أليس الله يصنع المعجزات في كل مكان؟

"نعم، ولكن ينبغي لنا أيضًا أن نُظهِر بعضًا من تنوعه الإبداعي اللانهائي."

كم من الوقت استغرقت لإتقان فنك؟

"اثنا عشر عامًا."

"لصناعة العطور بوسائل فلكية! يبدو يا قديسي الجليل أنك أهدرت عشرات السنين على عطور يمكنك الحصول عليها ببضعة روبيات من محل لبيع الزهور."

"العطور تتلاشى مع الزهور."

"العطور تتلاشى بالموت. لماذا أرغب في ما يرضي الجسد فقط؟"

يا سيدي الفيلسوف، لقد أسعدتني. الآن، مدّ يدك اليمنى. أشار بإشارة مباركة.

كنتُ على بُعد خطوات قليلة من غاندا بابا؛ لم يكن هناك أحدٌ قريبٌ بما يكفي ليلمس جسدي. مددتُ يدي، التي لم يلمسها اليوغي.

"ما هو العطر الذي تريدينه؟"

"وَردَة."

" فليكن كذلك."

لدهشتي الغامرة، انبعثت رائحة الورد الساحرة بقوة من وسط راحة يدي. التقطتُ مبتسمًا زهرة بيضاء كبيرة عديمة الرائحة من مزهرية قريبة.

"هل يمكن لهذه الزهرة عديمة الرائحة أن تتخللها الياسمين؟"

" فليكن كذلك."

انبعثت رائحة الياسمين من البتلات على الفور. شكرتُ صانع العجائب وجلستُ بجانب أحد طلابه. أخبرني أن غاندها بابا، واسمه الحقيقي فيشودهاناندا، قد تعلم العديد من أسرار اليوغا المذهلة من معلم في التبت.

لقد أكدوا لي أن اليوغي قد بلغ من العمر أكثر من ألف عام.

لا يُؤدي تلميذه غاندا بابا دائمًا أعماله العطرية بالطريقة اللفظية البسيطة التي شاهدتموها للتو. تحدث الطالب بفخر واضح عن أستاذه. "تختلف طريقته اختلافًا كبيرًا، بما يتناسب مع اختلاف الأمزجة. إنه رائع! من بين أتباعه العديد من المثقفين في كلكتا."

قررتُ في قرارة نفسي ألا أضمّ نفسي إليهم. لم يعجبني أن يكون المعلم الروحي "رائعًا" حرفيًا. وبشكرٍ مهذبٍ لغاندا بابا، غادرتُ. في طريقي إلى المنزل، تأمّلتُ في اللقاءات الثلاثة المتنوعة التي شهدها ذلك اليوم.

لقد قابلتني أختي أوما عندما دخلت من باب طريق جوربار.

"أنت تصبح أنيقًا جدًا باستخدام العطور!"

بدون أن أقول كلمة، طلبت منها أن تشم يدي.

"يا لها من رائحة ورد جذابة! إنها قوية بشكل غير عادي!"

اعتقدت أنه أمر "غير عادي للغاية"، لذا وضعت بصمت الزهرة ذات الرائحة النجمية تحت أنفها.

"يا إلهي، كم أعشق الياسمين!" أمسكت بالزهرة. ارتسمت على وجهها حيرةٌ ساخرة وهي تشمّ رائحة الياسمين مرارًا وتكرارًا من نوعٍ من الزهور تعرف جيدًا أنه عديم الرائحة. بددت ردود أفعالها شكوكي في أن غاندها بابا قد حفّزني على حالةٍ من الإيحاء الذاتي، حيث كنت وحدي من يستطيع تمييز الروائح.

سمعت لاحقًا من صديق، ألاكاناندا، أن "قديس العطر" كان يمتلك قوة أتمنى أن يمتلكها الملايين من الجوعى في آسيا، وفي أوروبا اليوم أيضًا.

كنتُ حاضرًا مع مئة ضيف آخر في منزل غاندا بابا في بوردوان، كما أخبرني ألاكاناندا. "كانت مناسبةً احتفالية. ولأن اليوغي كان معروفًا بقدرته على استخراج الأشياء من الهواء، طلبتُ منه ضاحكًا أن يُحضر بعض اليوسفي في غير موسمه. على الفور، انتفخت قطع اللوتشي الخمسة أو الأربعة التي كانت موجودة على جميع أطباق أوراق الموز. وتبين

أن كل غلاف من أغلفة الخبز يحتوي على يوسفي مقشر. قضمت قشرته بخوف، لكنني وجدته لذيذًا."

بعد سنوات، أدركتُ من خلال إدراكي الداخلي كيف أنجز غاندها بابا تجسيداته. لكن للأسف، هذه الطريقة بعيدة عن متناول جحافل العالم الجائعة.

تُنتَج المحفزات الحسية المختلفة التي يتفاعل معها الإنسان - اللمسية والبصرية والذوقية والسمعية والشمية - من خلال تغيرات اهتزازية في الإلكترونات والبروتونات. وتُنظَّم هذه الاهتزازات بدورها بواسطة "النيوترونات الحية"، وهي قوى حيوية دقيقة أو طاقات أدق من الذرة، مشحونة بذكاء بخمس مواد حسية مميزة.

غاندا بابا، بضبط نفسه مع القوة الكونية من خلال بعض الممارسات اليوغية، استطاع توجيه أجسام الحياة لإعادة ترتيب بنيتها الاهتزازية وتحقيق النتيجة المرجوة. كان عطره وفاكهته ومعجزاته الأخرى تجسيدات فعلية لاهتزازات دنيوية، وليست أحاسيس داخلية ناتجة عن تنويم مغناطيسي.

إن أداء المعجزات، كما يُظهره "القديس العطر"، مُبهرٌ، لكنه بلا فائدة روحية. ولأنه لا غاية له سوى التسلية، فهو انحرافٌ عن البحث الجاد عن الله.

استخدم الأطباء التنويم المغناطيسي في العمليات الجراحية البسيطة كنوع من الكلوروفورم النفسي للأشخاص الذين قد يتعرضون للخطر من المخدر.

لكن حالة التنويم المغناطيسي ضارة لمن يخضعون لها كثيرًا؛ إذ ينتج عنها تأثير نفسي سلبي يُسبب اضطرابًا في خلايا الدماغ مع مرور الوقت. التنويم المغناطيسي هو تعدٍّ على وعي الآخرين. ظواهره المؤقتة لا تتشابه مع معجزات الإدراك الإلهي التي يُجريها رجال اليقظة. يقظون في الله، يُحدث القديسون الحقيقيون تغييرات في عالم الأحلام هذا بإرادة متناغمة مع الحالم الكوني المبدع.

يُنتقد السادةُ الاستعراضَ المُتباهِيَ للقوى غير العادية. سخر الصوفي الفارسي أبو سعيد ذات مرة من بعض الفقراء الذين كانوا يفتخرون بقواهم الخارقة على الماء والهواء والفضاء.

"الضفدع أيضًا في بيته في الماء!" أشار أبو سعيد بازدراءٍ رقيق. "الغراب والنسر يطيران بسهولة في الهواء؛ والشيطان حاضرٌ في الشرق والغرب في آنٍ واحد! الإنسان الحقيقي هو من يسلك سبيل الصلاح بين إخوانه البشر، ويشتري ويبيع، ومع ذلك لا ينسى الله لحظةً واحدة!" وفي مناسبةٍ أخرى، عبّر المعلم الفارسي العظيم عن آرائه في الحياة الدينية قائلاً: "أن تتخلى عمّا في رأسك (الرغبات والطموحات الأنانية)؛ وأن تُنفق ما في يدك بسخاء؛ وأن لا تتهاون أبدًا أمام ضربات الشدائد!"

لم يُشبع حكيم معبد كاليغات النزيه، ولا اليوغي المُدرّب في التبت، شوقيّ لمعلم روحي. لم يحتج قلبي إلى مُعلّمٍ ليُدرك، وكان يُنادي "برافوس!"

بصوتٍ أعلى لأنه نادرًا ما يُستدعى من صمت.
عندما التقيتُ أخيرًا بمعلمي، علّمني بسموٍّ القدوة وحدها مقياس الرجل الحق.

٥-١: تُمثل كالي المبدأ الأبدي في الطبيعة. تُصوَّر تقليديًا كامرأة ذات أربع أذرع، واقفة على هيئة الإله شيفا أو اللانهائي، لأن الطبيعة أو عالم الظواهر متجذر في نومينون. ترمز الأذرع الأربعة إلى الصفات الأساسية، اثنتان خيرتان واثنتان هدامتان، مما يدل على الثنائية الجوهرية للمادة أو الخلق.

٥-٢: الوهم الكوني؛ حرفيًا، "المُقيِّم". مايا هي القوة السحرية في الخلق التي تُظهِر الحدود والانقسامات في اللانهائي وغير القابل للقياس. كتب إيمرسون القصيدة التالية، وأعطاها عنوان مايا:

الوهم يعمل بشكل لا يمكن اختراقه، ينسج شبكات لا تعد ولا تحصى، صوره المرحة لا تفشل أبدًا، يتزاحمون، حجابًا فوق حجاب، ساحر سيصدقه الرجل الذي يتوق إلى الخداع.

5-3: كان الريشيون، الذين يقصد بهم حرفيًا "الرائين"، هم مؤلفو الفيدا في زمن قديم غير قابل للتحديد.

5-4: خبز هندي مسطح ومستدير.

٥-٥: بالكاد يُدرك عامة الناس التقدم الهائل الذي حققه علم القرن العشرين. تتحقق أحلام تحويل

المعادن وغيرها من الأحلام الخيميائية يوميًا في مراكز البحث العلمي حول العالم. حقق الكيميائي الفرنسي البارز، السيد جورج كلود، "معجزات" في فونتينبلو عام ١٩٢٨ أمام تجمع علمي بفضل معرفته الكيميائية بتحولات الأكسجين. كانت "عصاه السحرية" عبارة عن أكسجين بسيط، يغلي في أنبوب على طاولة. حوّل العالم حفنة من الرمل إلى أحجار كريمة، والحديد إلى حالة تُشبه الشوكولاتة المذابة، وبعد أن جرد الزهور من ألوانها، حوّلها إلى قوام الزجاج.

شرح السيد كلود كيف يُمكن تحويل البحر بتحويل الأكسجين إلى ملايين الأرطال من قوة الأحصنة؛ وكيف أن الماء الذي يغلي ليس بالضرورة محترقًا؛ وكيف يُمكن تحويل أكوام الرمل الصغيرة، بنفخة واحدة من أنبوب نفخ الأكسجين، إلى ياقوت أزرق وياقوت أحمر وتوباز؛ وتنبأ بالوقت الذي سيتمكن فيه البشر من المشي على قاع المحيط بدون معدات الغواصين. وأخيرًا، أذهل العالم مشاهديه بتحويل وجوههم إلى اللون الأسود بنزع اللون الأحمر من أشعة الشمس.

لقد قام هذا العالم الفرنسي الشهير بإنتاج الهواء السائل بطريقة التمدد التي تمكن من خلالها من فصل الغازات المختلفة الموجودة في الهواء، كما اكتشف وسائل مختلفة للاستخدام الميكانيكي لاختلاف درجات الحرارة في مياه البحر.

الفصل: 6

النمر سوامي

"لقد اكتشفت عنوان سوامي النمر. دعنا نزوره غدًا."

جاءتني هذه الفكرة المرحب بها من تشاندي، إحدى صديقاتي في المدرسة الثانوية. كنتُ متشوقًا للقاء القديس الذي، قبل أن يرتحل، كان يصطاد النمور ويقاتلها بيديه العاريتين. كان حماسي الطفولي تجاه هذه المآثر الرائعة قويًا في داخلي.

أشرقت شمس اليوم التالي قارسة البرودة، لكنني وتشاندي خرجنا بمرح. بعد بحثٍ مُضنٍ في بهوانيبور، خارج كلكتا، وصلنا إلى المنزل المُناسب. كان للباب حلقتان حديديتان، رننتُهما ببراعة. ورغم الضجيج، اقترب خادمٌ بخطواتٍ مُتأنية. ابتسامته الساخرة أوحت بأن الزوار، رغم ضجيجهم، عاجزون عن إزعاج هدوء منزل قديس.

شعرتُ أنا ورفيقي بالتوبيخ الصامت، فشعرنا بالامتنان لدعوتنا إلى الصالون. أثار انتظارنا الطويل هناك شكوكًا مزعجة. فالصبر هو قانون الهند غير المكتوب للباحثين عن الحقيقة؛ وقد يختبر المعلم عمدًا رغبة المرء في لقائه. هذه الحيلة النفسية يستخدمها الأطباء وأطباء الأسنان بكثرة في الغرب!

أخيرًا، استدعانا الخادم، فدخلنا أنا وشاندي إلى غرفة نوم. كان سوامي سوهونغ الشهير، ذو الـ 6-1 عامًا، جالسًا على سريره. أثّر فينا منظر جسده الضخم بشكل غريب.

بعيون جاحظة، وقفنا مذهولين. لم نرَ من قبل صدرًا كهذا أو عضلات ذراع كهذه التي تُشبه عضلات كرة القدم. على رقبة ضخمة، كان وجه السوامي، الجريء والهادئ، مُزينًا بخصلات شعر ولحية وشارب مُنسدلين. لمعت في عينيه السوداوين لمحة من صفات الحمام والنمر. كان عاريًا، إلا من جلد نمر حول خصره العضلي.

وبعد أن وجدنا أصواتنا، استقبلنا أنا وصديقي الراهب، معربين عن إعجابنا ببراعته في مجال القطط غير العادية.

"هل يمكنك أن تخبرنا، من فضلك، كيف يمكننا إخضاع أكثر وحوش الغابة شراسة، وهم البنغاليون الملكيون، باستخدام القبضات العارية؟"

يا أبنائي، ليس من شأني محاربة النمور. أستطيع فعل ذلك اليوم إن لزم الأمر. ضحك ضحكة طفولية. "أنتم تنظرون إلى النمور كنمور، أما أنا فأعرفها قططًا صغيرة."

"سوامي جي، أعتقد أنني أستطيع إقناع عقلي الباطن بفكرة أن النمور هي قطط صغيرة، ولكن هل يمكنني أن أجعل النمور تصدق ذلك؟"

بالطبع، القوة ضرورية أيضًا! لا يمكن توقع النصر من طفل يتخيل النمر قطًا منزليًا! يدي القوية سلاحي الكافي.

طلب منا أن نتبعه إلى الفناء، حيث اصطدم بحافة جدار. سقط طوبة على الأرض، وبرزت السماء بجرأة من خلال سن الجدار المفقود الفاغر. ترنحتُ من الدهشة؛ ففكرتُ أن من يستطيع إزالة الطوب المتماسك من جدار صلب بضربة واحدة، لا بد أنه قادر على إزاحة أسنان النمور!

يتمتع عدد من الرجال بقوة بدنية مثلي، لكنهم يفتقرون إلى الثقة بالنفس. قد يُغمى على من يتمتعون بقوة بدنية، لكنهم يفتقرون إلى قوة ذهنية، بمجرد رؤية وحش بري يقفز بحرية في الغابة. يختلف النمر في شراسته الطبيعية وبيئته اختلافًا كبيرًا عن حيوان السيرك المُدمن على الأفيون!

مع ذلك، أُرهِبَ كثيرٌ من الرجال ذوي القوة الجبارة حتى بلغوا حدَّ العجز المُبرح أمام هجوم بنغاليٍّ ملكي. وهكذا حوّل النمر الرجل، في نفسه، إلى حالةٍ من الجمود كقطةٍ صغيرة. من الممكن لرجلٍ، بجسدٍ قويٍّ إلى حدٍّ ما وعزيمةٍ لا تُضاهى، أن يقلب الطاولة على النمر، ويُجبره على اقتناعٍ بالعجز. كم مرةً فعلتُ ذلك!

كنتُ على استعدادٍ تامٍّ لتصديق أن العملاق الذي أمامي قادرٌ على أداءِ تحولِ النمرِ إلى قطة. بدا في مزاجٍ تعليميٍّ؛ استمعتُ أنا وشاندي باحترام.

العقل هو مُسيطر العضلات. تعتمد قوة ضربة المطرقة على الطاقة المُستخدمة؛ وتعتمد القوة التي تُعبّر عنها أداة الإنسان الجسدية على إرادته وشجاعته العدوانية. يُصنّع الجسد ويُحافظ عليه العقل حرفيًا. من خلال ضغط غرائز الحياة الماضية، تتسرب نقاط القوة أو الضعف تدريجيًا إلى الوعي البشري. تتجلى هذه النقاط في عادات، والتي بدورها تتحجر لتتحول إلى جسد مرغوب أو غير مرغوب فيه. الضعف الخارجي له أصل عقلي؛ في حلقة مفرغة، يُحبط الجسد المُقيد بالعادات العقل. إذا سمح السيد لنفسه

"إذا كان العقل يخضع لأوامر خادم، فإن هذا الأخير يصبح مستبدًا؛ وبالمثل، يصبح العقل مستعبدًا من خلال الخضوع للإملاءات الجسدية."

استجابة لطلبنا، وافق السوامي المثير للإعجاب على أن يخبرنا بشيء عن حياته.

كان طموحي الأول هو محاربة النمور. كانت إرادتي قوية، لكن جسدي كان ضعيفًا.

انطلقت مني صرخة دهشة. بدا من غير المعقول أن هذا الرجل، الذي يملك الآن "أكتافًا أطلنطية، وقوة تحمل"، قد عرف الضعف يومًا.

بفضل إصراري الدائم على الصحة والقوة، تغلبتُ على إعاقتي. لديّ كل الأسباب للإشادة بالقوة العقلية الجبارة التي وجدتُها العامل الحاسم في إخضاع البنغاليين الملكيين.

هل تظن، أيها السوامي الموقر، أنني سأتمكن من محاربة النمور؟ كانت هذه أول وآخر مرة يراودني فيها هذا الطموح الغريب!

"نعم." كان يبتسم. "ولكن هناك أنواعٌ كثيرة من النمور؛ بعضها يجوب أدغال الرغبات البشرية. لا فائدة روحية من إغماء الوحوش. بل انتصر على المتربصين في داخلك."

"هل يمكننا أن نسمع، يا سيدي، كيف تحولت من مدرب النمور البرية إلى مدرب العواطف البرية؟"

ساد الصمت على سوامي النمر. تسللت إلى عينيه أجواء من البعد، تستحضر رؤى من سنوات خلت. لاحظتُ صراعه العقلي الطفيف في اتخاذ قرار بشأن تلبية طلبي. أخيرًا، ابتسم موافقًا.

عندما بلغت شهرتي ذروتها، انتابني شعورٌ بالفخر. قررتُ ألا أكتفي بمقاتلة النمور، بل أن أعرضها في حيلٍ متنوعة. كان طموحي إجبار الحيوانات المتوحشة على التصرف كالحيوانات الأليفة. بدأتُ أعرض مآثري علنًا، محققًا نجاحًا باهرًا.

"في أحد الأمسيات دخل والدي إلى غرفتي وهو في حالة تفكير عميق.

"يا بني، لديّ كلمات تحذيرية. أود أن أنقذك من الأمراض القادمة، التي تنتجها عجلات السبب والنتيجة المطحونة."

هل أنت مؤمن بالقدر يا أبتي؟ هل يُسمَح للخرافات بتشويه المياه العاتية أو أنشطتي؟

أنا لستُ مؤمنًا بالقدر يا بني، لكنني أؤمن بقانون الجزاء العادل، كما ورد في الكتب المقدسة. هناك استياءٌ تجاهك في عائلة الغابة؛ وقد يكون ذلك أحيانًا على حسابك.

يا أبي، أنت تُدهشني! أنت تعرف جيدًا ما هي النمور - جميلة لكنها لا ترحم! حتى بعد تناول وجبة ضخمة من مخلوق تعيس، يشتعل النمر شهوةً جديدةً لرؤية فريسة جديدة. قد يكون غزالًا مرحًا، يمرح فوق عشب الغابة. يلتقطه الوحش الخبيث ويعض فتحة في حلقه الرقيق، ولا يتذوق إلا القليل من الدم الباكٍ بصمت،

وتمضي في طريقها المجنون.

النمور هي أكثر سلالات الغابة احتقارًا! من يدري؟ قد تُدخل ضرباتي بعضًا من العقلانية والاعتبار في رؤوسهم الغليظة. أنا مدير مدرسة في الغابة، لأُعلّمهم الأخلاق الحميدة!

يا أبي، أرجوك أن تعتبرني مروضًا للنمور لا قاتلًا لها. كيف يمكن لأفعالي الطيبة أن تجلب لي الشر؟ أرجوك ألا تفرض عليّ أي أمر بتغيير أسلوب حياتي.

أنا وشاندي كنا منتبهين، متفهمين المعضلة الماضية. في الهند، لا يُخالف الطفل رغبات والديه بسهولة.

"استمع والدي إلى شرحي في صمت تام. ثم أعقبه بكشفٍ نطق به بجدية.

"يا بني، لقد أجبرتني على سرد نبوءة مشؤومة من فم أحد القديسين. لقد اقترب مني بالأمس بينما كنت جالسًا على الشرفة في تأملي اليومي.

صديقي العزيز، جئتُ برسالةٍ لابنك المُقاتل. فليكفّ عن أعماله الوحشية. وإلا، فإنّ مواجهته القادمة مع النمر ستُسفر عن جروحٍ بالغة، تليها ستة أشهر من المرض المُميت. عليه حينئذٍ أن يتخلى عن عاداته السابقة ويصبح راهبًا.

لم تُثر هذه الحكاية إعجابي. ظننتُ أن والدي كان ضحيةً ساذجةً لمتعصبٍ مُضلّل.

أدلى سوامي النمر بهذا الاعتراف بحركةٍ متسرعة، كما لو كان قد ارتكب حماقةً ما. صمت طويلًا، وكأنه غافلٌ عن وجودنا. وعندما بدأ فجأةً في سرد روايته المتدلية، كان ذلك بصوتٍ خافت.

بعد تحذير والدي بفترة وجيزة، زرتُ العاصمة كوتش بيهار. كانت هذه المنطقة الخلابة جديدة

عليّ، وتوقعتُ تغييرًا هادئًا. وكالعادة في كل مكان، كان حشدٌ من الفضوليين يتبعني في الشوارع. كنتُ أسمعُ تعليقاتٍ هامسة:

"هذا هو الرجل الذي يقاتل النمور البرية."

"هل لديه أرجل أو جذوع شجرة؟"

"انظروا إلى وجهه! لا بد أنه تجسيد لملك النمور نفسه!"

أنتم تعلمون كيف يعمل أطفال القرى كأعداد نهائية من الصحف! ما أسرع انتشار نشرات خطابات النساء المتأخرة من بيت إلى بيت! في غضون ساعات قليلة، اجتاحت المدينة بأكملها حالة من الإثارة لوجودي.

كنت أسترخي بهدوء في المساء، حين سمعتُ وقع حوافر خيولٍ راكضة. توقفت أمام مسكني. دخل عددٌ من رجال الشرطة طوال القامة، يرتدون عمائم.

دهشتُ. فكرتُ: «كل شيء ممكن لهؤلاء المخلوقات الخاضعة للقانون البشري. أتساءل إن كانوا سيحاسبونني على أمور مجهولة لي تمامًا». لكن الضباط انحنوا بأدبٍ غير معتاد.

سيدي المحترم، نُرسل للترحيب بكم نيابةً عن أمير كوتش بيهار. ويسعده دعوتكم إلى قصره غدًا صباحًا.

فكرتُ قليلاً في هذا الاحتمال. ولسببٍ غامض، شعرتُ بندمٍ شديدٍ على هذا الانقطاع في رحلتي الهادئة. لكن أسلوب رجال الشرطة المتوسل أثّر بي، فوافقتُ على الذهاب.

شعرتُ بالحيرة في اليوم التالي عندما أُقتادني أحدهم بخنوع من بابي إلى عربة فخمة تجرها أربعة خيول. كان أحد الخدم يحمل مظلة مزخرفة لحمايتي من أشعة الشمس الحارقة. استمتعتُ برحلة ممتعة عبر المدينة وضواحيها الغابوية. كان سليل الملك نفسه عند باب القصر ليرحب بي. عرض عليّ مقعده المزخرف بالذهب، وجلس مبتسمًا على كرسي بتصميم أبسط.

«كل هذا اللطف سيكلفني ثمنًا باهظًا بالتأكيد!» فكرتُ في دهشة متزايدة. برز دافع الأمير بعد بضع كلمات عابرة.

"مدينتي مليئة بالشائعات التي تقول إنه يمكنك محاربة النمور البرية بيديك العاريتين فقط. هل هذه حقيقة؟"

"هذا صحيح تماما."

«لا أصدق! أنت بنغالي من كلكتا، تربّيت على أرزّ أهل المدينة الأبيض. كن صريحًا من فضلك؛ ألم تكن تقاتل إلا حيواناتٍ ضعيفةً تتغذى على الأفيون؟» كان صوته عاليًا وساخرًا، ممزوجًا بلهجة ريفية.

"لم أرد على سؤاله المهين.

أتحداك أن تقاتل نمري الذي أمسكته حديثًا، راجا بيجوم. 6-2 إذا نجحت في مقاومته، وقيدته بسلسلة، وتركت قفصه في حالة وعي، فستحصل على هذا البنغال الملكي! كما سأمنحك آلاف الروبيات والعديد من الهدايا الأخرى. إذا رفضت مواجهته في القتال، فسأشهر اسمك في جميع أنحاء الولاية كدجال!

صدمتني كلماته الوقحة كطلقة نارية. قبلتها بغضب. نهض الأمير من كرسيه من شدة الإثارة، ثم انحنى بابتسامة سادية. ذكّرتني بالأباطرة الرومان الذين كانوا يتلذذون بوضع المسيحيين في ساحات وحشية.

سيتم تحديد موعد المباراة بعد أسبوع. يؤسفني أنني لا أستطيع منحك الإذن لمشاهدة النمر مسبقًا.

"سواء كان الأمير يخشى أن أسعى لتنويم الوحش مغناطيسيًا، أو إطعامه الأفيون سرًا، فأنا لا أعلم!

"غادرت القصر، ولاحظت بمرح أن المظلة الملكية والعربة المزينة بالمظلات قد اختفتا الآن.

في الأسبوع التالي، حضّرتُ عقلي وجسدي بمنهجية للمحنة القادمة. تعلّمتُ من خادمي حكاياتٍ خرافية. انتشرت نبوءة القديس المروّعة لأبي بطريقةٍ ما، وتوسّع نطاقها مع مرور الوقت. اعتقد العديد من

القرويين البسطاء أن روحًا شريرة، لعنتها الآلهة، تجسدت في شكل نمر، يتخذ أشكالًا شيطانية مختلفة ليلًا، ويبقى حيوانًا مخططًا نهارًا. كان من المفترض أن يكون هذا النمر الشيطاني هو من أُرسل لإذلالي.

رواية خيالية أخرى تقول إن صلوات الحيوانات لسماء النمور قد لاقت استجابةً في صورة راجا بيجوم. كان من المفترض أن يكون أداةً لمعاقبتي - أنا الجسور ذو القدمين، المُهين لفصيلة النمور بأكملها! رجلٌ بلا فرو ولا أنياب يجرؤ على تحدي نمرٍ ذي أذرعٍ مخالب وأطرافٍ قوية! صرّح القرويون أن السمّ المُركّز لجميع النمور المُهانة قد اكتسب زخمًا كافيًا لتشغيل قوانين خفية والتسبب في سقوط مُروّض النمور المُتغطرس.

أبلغني خادمي أيضًا أن الأمير كان في بيئته كمدير للنزال بين الإنسان والوحش. أشرف على تشييد جناح مقاوم للعواصف، مصمم لاستيعاب الآلاف. كان في وسطه راجا بيجوم في قفص حديدي ضخم، محاط بغرفة أمان خارجية. كان الأسير يُصدر زئيرًا متواصلًا مُريعًا. كان يُطعم باعتدال، لإشعال شهيته الغاضبة. ربما كان الأمير يتوقع مني أن أكون وجبة المكافأة!

تهافتت حشود من المدينة وضواحيها على شراء التذاكر استجابةً لقرع الطبول معلنةً عن هذه المسابقة الفريدة. وشهد يوم المعركة إبعاد المئات

لعدم وجود مقاعد. واقتحم العديد من الرجال فتحات الخيام، أو ازدحموا في أي مساحة أسفل صالات العرض.

وبينما كانت قصة سوامي النمر تقترب من ذروتها، تزايدت حماستي معها؛ وكانت تشاندي أيضًا صامتة تمامًا.

وسط دويّ انفجارات راجا بيجوم، وصخب الحشد المذعور، خرجتُ بهدوء. كنتُ أرتدي ملابس خفيفة، فلم أكن أحمي نفسي بأيّ ملابس أخرى. فتحتُ مزلاج باب غرفة الأمان وأغلقته خلفي بهدوء. أحسّ النمر بالدماء. قفز على قضبانه مدويًا، مُرحّبًا به بحفاوة. ساد الخوف والرعب بين الحضور؛ فبدوتُ كحملٍ وديع أمام الوحش الهائج.

في لحظة، كنتُ داخل القفص؛ ولكن ما إن أغلقتُ الباب حتى انقضّ عليّ راجا بيجوم. تمزقت يدي اليمنى بشدة. سقط دم بشري، أعظم نعيم يمكن أن يتذوقه النمر، في أنهارٍ مروعة. بدت نبوءة القديس على وشك التحقق.

تعافيتُ على الفور من صدمة أول إصابة خطيرة تلقيتها في حياتي. أبعدتُ رؤية أصابعي الملطخة بالدماء بدفعها تحت قطعة القماش التي كانت تُحيط بخصري، ثم لوّحتُ بذراعي اليسرى في ضربةٍ حطمت عظامي. ترنح الوحش إلى الوراء، ودار حول مؤخرة القفص، ثم اندفع إلى الأمام

بانفعال. انهالت عليه ضربات قبضتي الشهيرة بغزارة.

لكن طعم دم راجا بيجوم كان بمثابة رشفة نبيذ أولى مُزعجة لمُدمنٍ مُحرومٍ منذ زمن. تخلل هديرٌ يصم الآذان، اشتدت هجمات الوحش بعنف. جعلني دفاعي الضعيف بيدٍ واحدةٍ فقط عُرضةً للأنياب والمخالب. لكنني نفّذتُ انتقامًا مُذهلًا. في غمرةِ دماءٍ مُتبادلة، كافحنا حتى الموت. ساد القفص فوضى عارمة، حيث تناثر الدم في كل اتجاه، وخرجت طلقاتٌ من الألم والشهوة القاتلة من الحلق الوحشي.

«أطلق النار عليه!» «اقتل النمر!» ارتفعت صرخات من الجمهور. تحرك الإنسان والحيوان بسرعة هائلة، حتى أن رصاصة أحد الحراس أخطأت هدفها. استجمعتُ كل إرادتي، وزأرتُ بشراسة، وسددتُ ضربة ارتجاجية أخيرة. انهار النمر واستلقى بهدوء.

"مثل القطة!" قاطعته.

ضحك السوامي تقديرًا كبيرًا، ثم واصل الحكاية الممتعة.

هُزم راجا بيجوم أخيرًا. وزاد من إذلال كبريائه الملكي: بيديّ الممزقتين، فتحتُ فكيه بجرأة. للحظة درامية، أمسكتُ رأسي داخل فخ الموت المتثاقل. بحثتُ عن سلسلة. سحبتُ واحدة من

كومة على الأرض، وربطتُ النمر من رقبته بقضبان القفص. وانطلقتُ نحو الباب منتصرًا.

لكن ذلك الشيطان المتجسد، راجا بيجوم، كان يتمتع بقوة تحمل تليق بأصله الشيطاني المزعوم. باندفاعة مذهلة، كسر السلسلة وقفز على ظهري. ثبت كتفي بين فكيه، فسقطت بعنف. لكن في لحظة، ثبته تحتي. تحت ضربات لا هوادة فيها، غرق الحيوان الغادر في شبه غيبوبة. هذه المرة، ثبته بعناية أكبر. غادرت القفص ببطء.

وجدت نفسي في ضجة جديدة، هذه المرة ضجة فرح. انفجرت هتافات الجمهور كما لو كانت من حنجرة عملاقة. بعد أن تعرّضت لهجوم كارثي، كنت قد حققت الشروط الثلاثة للقتال - صعق النمر، وتقييده بسلسلة، وتركه دون مساعدة. علاوة على ذلك، أذيت الوحش العدواني بشدة وأرعبته لدرجة أنه اكتفى بتجاهل الجائزة المناسبة، رأسي، في فمه!

بعد شفاء جراحي، كُرِّمتُ وكُسِرتُ بإكليل من الزهور؛ وتناثرت مئات القطع الذهبية عند قدميّ. ودخلت المدينة بأكملها فترة عطلة. وسُمع نقاش لا ينتهي من كل حدب وصوب حول انتصاري على أحد أكبر وأشرس نمر رأيته على الإطلاق. قُدِّمت لي راجا بيجوم، كما وُعدت، لكنني لم أشعر بأي فرح. لقد غمرني شعورٌ روحيٌّ عميق. بدا لي أنني

بخروجي النهائي من القفص قد أغلقتُ باب طموحاتي الدنيوية أيضًا.

أعقب ذلك فترة عصيبة. لمدة ستة أشهر، كنت على وشك الموت بسبب تسمم الدم. بمجرد أن تحسنت حالتي بما يكفي لمغادرة كوتش بيهار، عدت إلى مسقط رأسي.

«أعلم الآن أن مُعلِّمي هو الرجل المُقدِّس الذي أنذرني بحكمة». اعترفتُ لأبي بتواضع: «يا ليتني أجده!». كان شوقُي صادقًا، ففي يومٍ ما، وصل القديس فجأةً.

"كفى ترويضًا للنمور." قال بهدوء وثقة. "تعالوا معي، سأعلمكم..."

أخضع وحوش الجهل التي تجوب أدغال العقل البشري. أنت معتاد على حضور جمهور: فليكن ملائكةً، يستمتعون بإتقانك المذهل لليوغا!

لقد شرعتُ في المسار الروحي على يد معلّمي الروحي. فتح لي أبواب روحي، الصدئة والعنيدة بسبب طول فترة عدم الاستخدام. يدا بيد، انطلقنا سريعًا لتدريبي في جبال الهيمالايا.

انحنيتُ أنا وشاندي عند قدمي السوامي، ممتنين لحياته المفعمة بالحيوية والنشاط. شعرتُ بمكافأة كبيرة على الانتظار الطويل في الصالون البارد!

٦-١: سوهونغ كان اسمه الرهباني. كان يُعرف شعبيًا باسم "سوامي النمر".

6-2: "الأمير الأميرة" - سمي بهذا الاسم للإشارة إلى أن هذا الوحش يمتلك الشراسة المشتركة للنمر والنمرة.

الفصل: 7

القديس الطائر

رأيتُ يوغيًا معلقًا في الهواء، على ارتفاع أقدام قليلة عن الأرض، الليلة الماضية في اجتماع جماعي. تكلم صديقي، أوبيندرا موهون تشودري، ببلاغة.

ابتسمتُ له بحماس. "ربما أستطيع تخمين اسمه. هل كان بهادوري ماهاسايا، من الطريق الدائري العلوي؟"

أومأ أوبندرا، وقد بدا عليه بعض الإحباط لعدم نشره أخبارًا. كان فضولي بشأن القديسين معروفًا بين أصدقائي؛ وكانوا يسعدون بوضعي على مسار جديد.

«يعيش اليوغي قريبًا جدًا من منزلي لدرجة أنني أزوره كثيرًا». أثارت كلماتي اهتمامًا شديدًا على وجه أوبيندرا، وازدادت ثقتي بنفسي.

لقد رأيته في أعمالٍ رائعة. لقد أتقن ببراعةٍ مختلفَ أنواعِ البرانایاما ٧-١ من اليوغا الثماني القديمة التي وضعها باتانجالي. ٧-٢ ذات مرة، قام بهادوري

ماهاسايا بأداءِ بهاستريكا برانایاما أمامي بقوةٍ مذهلةٍ لدرجةِ أن عاصفةً حقيقيةً قد هبت في الغرفة! ثم أطفأ أنفاسه المدوية وبقي ساكنًا في حالةٍ عاليةٍ من الوعي الفائق. ٧-٣ كانت هالةُ السلامِ بعد العاصفةِ واضحةً لا تُنسى.

"سمعت أن القديس لا يغادر منزله أبدًا." كان صوت أوبيندرا مليئًا ببعض عدم التصديق.

هذا صحيح! لقد عاش في المنزل طوال العشرين عامًا الماضية. يُخفف قليلاً من قيادته الذاتية في أوقات أعيادنا المقدسة، عندما يصل إلى رصيف منزله الأمامي! يتجمع المتسولون هناك، لأن القديس بهادوري معروف بعطفه.

"كيف يظل في الهواء، متحديًا قانون الجاذبية؟"

يفقد جسد اليوغي كثافته بعد استخدام بعض تمارين البرانایاما. ثم يطير أو يقفز كضفدع قافز. حتى القديسون الذين لا يمارسون اليوغا 7-4 رسميًا، عُرف عنهم أنهم يطيرون في حالة من التفاني الشديد لله.

أودُّ أن أعرف المزيد عن هذا الحكيم. هل تحضر اجتماعاته المسائية؟ كانت عينا أوبندرا تلمعان فضولًا.

نعم، أذهب إليه كثيرًا. أستمتع كثيرًا بذكائه وحكمته. أحيانًا يُفسد ضحكي المُطوّل جدية اجتماعاته. لا

يُبدي القديس استياءه، لكن تلاميذه يبدون كالخناجر!

في طريق عودتي من المدرسة عصر ذلك اليوم، مررتُ بدير بهادوري ماهاسايا وقررتُ زيارته. كان اليوغي محجوبًا عن عامة الناس. كان هناك تلميذ وحيد، يسكن في الطابق الأرضي، يحرس خصوصية معلمه. كان الطالب شديد الصرامة؛ سألني رسميًا إن كان لديّ "خطوبة". ظهر معلمه في الوقت المناسب تمامًا لينقذني من الطرد الفوري.

"ليأتِ موكوندا متى شاء." لمعت عينا الحكيم. "قاعدتي في العزلة ليست لراحتي، بل لراحة الآخرين. أهل الدنيا لا يُحبّون الصراحة التي تُبدد أوهامهم. القديسون ليسوا نادرين فحسب، بل مُحيّرين أيضًا. حتى في الكتب المقدسة، غالبًا ما يُوصفون بالحرج!"

تبعتُ بهادوري ماهاسايا إلى مسكنه البسيط في الطابق العلوي، والذي نادرًا ما كان يغادره. كثيرًا ما يتجاهل الأساتذة مشهد ضجيج العالم، فيغيب عن الأنظار حتى يستقر في قلب العصور. ليس معاصرو الحكيم وحدهم، بل هم من يعيشون في زمننا الضيق.

"ماهاريشي، 7-5 أنت أول يوغي أعرفه يبقى دائمًا في الداخل."

"يزرع الله قديسيه أحيانًا في تربة غير متوقعة، حتى لا نعتقد أننا قد نجعله حكمًا!"

أحكم الحكيم قبضته على جسده النابض بالحياة في وضعية اللوتس. في السبعينيات من عمره، لم تظهر عليه أي علامات شيخوخة أو حياة خاملة مزعجة. كان شجاعًا ومستقيمًا، مثاليًا في كل شيء. كان وجهه وجه ريشي، كما هو موصوف في النصوص القديمة. نبيل الرأس، كثيف اللحية، كان دائمًا منتصب القامة، وعيناه الهادئتان مثبتتان على الوجود الكلي.

دخلتُ أنا والقديس في حالة تأمل. بعد ساعة، أيقظني صوته العذب.

"أنت غالبًا ما تلجأ إلى الصمت، ولكن هل اكتسبتَ أنوبهافا؟" ٧-٦ كان يُذكرني بأن أحب الله أكثر من التأمل. "لا تخلط بين التقنية والهدف."

قدّم لي بعض المانجو. وبذكائه المرح الذي وجدته مُمتعًا في طبعه الجاد، قال: "الناس عمومًا يُحبّون جالا يوغا (الاتحاد بالطعام) أكثر من ديانا يوغا (الاتحاد بالله)".

لقد أثرت عليّ نكتته اليوغية بشدة.

يا لها من ضحكة! تسللت إلى عينيه لمحة حنونة. كان وجهه دائمًا جادًا، لكنه متأثر بابتسامة منتشية.

كانت عيناه الواسعتان، اللوتس، تحملان ضحكة إلهية خفية.

هذه الرسائل قادمة من أمريكا البعيدة. أشار الحكيم إلى عدة مظاريف سميكة على طاولة. "أتواصل مع بعض الجمعيات هناك التي يهتم أعضاؤها باليوغا. إنهم يكتشفون الهند من جديد، برؤية أوضح من كولومبوس! يسعدني مساعدتهم. معرفة اليوغا متاحة للجميع، كضوء النهار الشفاف.

ما اعتبره الحكماء ضروريًا لخلاص الإنسان لا ينبغي أن يُخفف في الغرب. فرغم تشابه الروح واختلاف التجارب الخارجية، لن يزدهر الغرب ولا الشرق إذا لم تُمارس بعض أشكال اليوغا الانضباطية.

عانقني القديس بعينيه الهادئتين. لم أُدرك أن حديثه كان إرشادًا نبويًا مُبطّنًا. الآن فقط، وأنا أكتب هذه الكلمات، أُدرك المعنى الكامل للتلميحات العابرة التي كان يُلقيها عليّ باستمرار بأنني سأحمل تعاليم الهند إلى أمريكا يومًا ما.

بهادوري ماهاسايا "القديس المرفوع"

سألتُ: "سيدي، لماذا لا تؤلف كتابًا عن اليوغا لمصلحة العالم؟" أجاب: "أنا أُدرّب تلاميذًا. سيكونون هم وطلابهم كنوزًا حية، درعًا ضد تقلبات الزمن الطبيعية وتفسيرات النقاد غير الطبيعية".

"ماهاريشي، أتمنى أن تكتب كتابًا عن اليوغا لصالح العالم."

أنا أُدرّب تلاميذي. سيكونون هم وطلابهم بمثابة كنوزٍ حية، صامدين في وجه تقلبات الزمن الطبيعية وتفسيرات النقاد غير الطبيعية. أضحكني ذكاء بهادوري مرة أخرى.

بقيتُ وحدي مع اليوغي حتى وصل تلاميذه في المساء. دخل بهادوري ماهاسايا في إحدى خطبه الفريدة. كالطوفان الهادئ، جرف حطام مستمعيه، طار بهم نحو الله. عبّر عن أمثاله المؤثرة بلغة بنغالية سليمة.

في هذا المساء، شرحت بهادوري نقاطًا فلسفية مختلفة تتعلق بحياة ميراباي، أميرة راجبوتانية من العصور الوسطى، تخلت عن حياتها في البلاط الملكي لتلتمس صحبة السادهو. رفض أحد السانياسيين الكبار استقبالها لأنها امرأة، فأجبره ردها على الوقوف بتواضع.

"أخبري المعلم"، قالت، "أنني لم أكن أعلم بوجود ذكر في الكون سوى الله؛ ألسنا جميعًا إناثًا أمامه؟" (مفهوم كتابي للرب باعتباره المبدأ الإبداعي الإيجابي الوحيد، وأن خلقه ليس سوى مايا سلبية.)

لقد ألف ميراباي العديد من الأغاني المبهجة التي لا تزال تعتبر عزيزة في الهند؛ وأنا أترجم واحدة منها هنا:

لو أمكن إدراك الله بالاستحمام يوميًا، لكنت حوتًا في الأعماق؛ لو أمكن التعرف عليه بأكل الجذور والثمار، لاخترت بسرور شكل عنزة؛ لو كشفه عدّ المسابح، لصلّيت صلواتي على حبات ضخمة؛ لو كشفه الانحناء أمام تماثيل حجرية، جبلًا صوانًا، لعبدته بتواضع؛ لو أمكن شرب الحليب لعرفه عجول وأطفال كثيرون؛ لو كان هجران المرء لزوجته يستدعي الله، ألن يكون الآلاف خصيانًا؟ ميراباي يعلم أن إيجاد الإلهي لا غنى عنه إلا بالحب.

وضع عدة طلاب روبيات في نعال بهادوري التي كانت بجانبه وهو جالس في وضعية اليوغا. هذا التكريم، وهو أمر شائع في الهند، يدل على أن التلميذ يضع ممتلكاته المادية عند قدمي المعلم. الأصدقاء الممتنون هم فقط الرب متنكرًا، يعتني بخاصته.

يا أستاذ، أنت رائع! ودع أحد الطلاب، ونظر بشغف إلى الحكيم الأبوي. "لقد تخليت عن الغنى والراحة سعياً وراء الله وتعلمنا الحكمة!". كان من المعروف أن بهادوري ماهاسايا قد تخلى عن ثروة عائلته الطائلة في طفولته المبكرة، عندما دخل مسار اليوغا بعزم وتصميم.

"أنت تقلب الأمور!" ارتسمت على وجه القديس توبيخ خفيف. "لقد تركتُ بضعة روبيات زهيدة، بعض ملذات تافهة، لإمبراطورية كونية من النعيم الأبدي. كيف حرمتُ نفسي من أي شيء إذًا؟ أنا أعرف

متعة مشاركة الكنز. هل هذه تضحية؟ إن أهل الدنيا قصيري النظر هم حقًا الزناة الحقيقيون! إنهم يتخلون عن كنز إلهي لا مثيل له مقابل حفنة من ألعاب الدنيا البائسة!"

لقد ضحكت من هذه النظرة المتناقضة للتخلي عن الذات - وهي النظرة التي تضع قبعة كروسوس على أي متسول مقدس، في حين تحول جميع المليونيرات الفخورين إلى شهداء غير واعين.

"إن النظام الإلهي يُدبّر مستقبلنا بحكمةٍ تفوق أي شركة تأمين." كانت كلمات السيد الختامية هي العقيدة المُحقّقة لإيمانه. "العالم مليءٌ بالمؤمنين القلقين بشأن الأمان الخارجي. أفكارهم المُرّة كندوبٍ على جباههم. إن الذي وهبنا الهواء والحليب من أول نفسٍ لنا يعرف كيف يُؤمّن يومًا بعد يومٍ لعشاقه."

واصلتُ زياراتي بعد المدرسة إلى باب القديس. بحماسٍ صامتٍ ساعدني على بلوغ أنوبهافا. في أحد الأيام، انتقل إلى طريق رام موهان روي، بعيدًا عن حي منزلي في طريق جوربار. بنى له تلاميذه المحبون ديرًا جديدًا يُعرف باسم "ناجيندرا ماث".

مع أن هذا يُبعدني عن قصتي بسنوات، سأروي هنا الكلمات الأخيرة التي ألقاها عليّ بهادوري ماهاسايا. قبل إبحاري إلى الغرب بقليل، بحثتُ عنه وركعتُ بتواضعٍ لتلاوة دعاء الوداع:

يا بني، اذهب إلى أمريكا. اتخذ من الهند القديمة درعًا لك. النصر مكتوب على جبينك؛ وسيستقبلك أهلها البعيدون بحفاوة.

7-1: طرق التحكم في قوة الحياة من خلال تنظيم التنفس.

7-2: أقدم وأقدم علماء اليوغا.

٧-٣: كان الأساتذة الفرنسيون أول من استعد في الغرب للبحث العلمي في إمكانيات العقل الفائق. ألقى البروفيسور جول بوا، عضو مدرسة علم النفس بجامعة السوربون، محاضرة في أمريكا عام ١٩٢٨؛ حيث أخبر جمهوره أن العلماء الفرنسيين اعترفوا بالوعي الفائق، "وهو النقيض التام للعقل الباطن لفرويد، وهو القدرة التي تجعل الإنسان إنسانًا حقيقيًا وليس مجرد حيوان خارق". أوضح السيد جول بوا أن إيقاظ الوعي الأعلى "لا ينبغي الخلط بينه وبين الكويزم أو التنويم المغناطيسي. لطالما تم الاعتراف بوجود العقل الفائق فلسفيًا، كونه في الواقع الروح العليا التي تحدث عنها إيمرسون، ولكن لم يتم الاعتراف به علميًا إلا مؤخرًا". أشار العالم الفرنسي إلى أن الإلهام والعبقرية والقيم الأخلاقية ينبثق من الوعي الفائق. "الإيمان بهذا ليس تصوفًا، وإن كان..."

"أدركوا وقدروا الصفات التي بشر بها الصوفيون."

7-4: غالبًا ما كانت القديسة تريزا الأفيليّة والقديسين المسيحيين الآخرين يُلاحظون في حالة من الارتفاع.

7-5: "حكيم عظيم".

7-6: الإدراك الحقيقي لله.

٧-٧: الاسم الكامل للقديس ناجيندراناث بهادوري. ماث تعني مُعتزلًا أو أشرمًا.

الفصل: 8

عالم الهند العظيم، جيه سي بوس

"اختراعات جاغاديس تشاندرا بوس اللاسلكية سبقت اختراعات ماركوني."

بعد أن سمعتُ هذه الملاحظة الاستفزازية، اقتربتُ من مجموعة من الأساتذة على الرصيف وهم يناقشون نقاشًا علميًا. إن كان دافعي للانضمام إليهم هو الفخر العرقي، فأنا نادم على ذلك. لا أنكر اهتمامي الشديد بالدليل على أن الهند قادرة على لعب دور رائد في الفيزياء، وليس الميتافيزيقيا فحسب.

ماذا تقصد يا سيدي؟

شرح الأستاذ بلطف: "كان بوز أول من اخترع جهازًا لاسلكيًا لقياس انكسار الموجات الكهربائية. لكن هذا العالم الهندي لم يستغل اختراعاته تجاريًا.

سرعان ما حوّل اهتمامه من العالم غير العضوي إلى العالم العضوي. إن اكتشافاته الثورية كعالم فيزيولوجيا النبات تفوق حتى إنجازاته الجذرية كفيزيائي."

شكرتُ أستاذي بأدب. وأضاف: "هذا العالم العظيم هو أحد إخوتي الأساتذة في كلية الرئاسة".

في اليوم التالي، زرتُ الحكيم في منزله القريب من منزلي في شارع جوربار. لطالما أعجبتُ به من مسافةٍ مُحترمة. استقبلني عالم النبات الهادئ والمُنعزل بحفاوة. كان رجلاً وسيمًا، قوي البنية، في الخمسينيات من عمره، بشعرٍ كثيف، وجبهته عريضة، وعيناه شاردتان كعيني حالم. كشفت دقة نبرة صوته عن عادته العلمية التي اكتسبها طوال حياته.

لقد عدت مؤخرًا من رحلة استكشافية إلى الجمعيات العلمية في الغرب. أبدى أعضاؤها اهتمامًا بالغًا بالأدوات الدقيقة التي اخترعتها والتي تُظهر

وحدة لا تتجزأ لجميع أشكال الحياة. ٨-١ يتميز جهاز بوز كريسكوغراف بضخامة تكبير تصل إلى عشرة ملايين. لا يكبر المجهر إلا بضعة آلاف من المرات، ومع ذلك فقد أعطى زخمًا حيويًا لعلم الأحياء. يفتح جهاز كريسكوغراف آفاقًا لا تُحصى.

"لقد بذلت الكثير يا سيدي لتسريع احتضان الشرق والغرب في أحضان العلم غير الشخصي."

تلقيتُ تعليمي في كامبريدج. ما أروع المنهج الغربي في إخضاع جميع النظريات للتحقق التجريبي الدقيق! لقد اقترن هذا المنهج التجريبي بموهبة التأمل الذاتي التي تُمثلها تراثي الشرقي. لقد مكّناني معًا من كسر صمت العوالم الطبيعية التي طال صمتها. تُعدّ المخططات البيانية لجهازي الكريسكوغرافي 8-2 دليلًا واضحًا لأكثر المتشككين في أن النباتات تمتلك جهازًا عصبيًا حساسًا وحياة عاطفية متنوعة. الحب، والكراهية، والفرح، والخوف، والمتعة، والألم، والانفعال، والذهول، واستجابات مناسبة لا تُحصى للمنبهات، أمورًا شائعة في النباتات كما في الحيوانات.

قبل مجيئك يا أستاذ، لم يكن نبض الحياة الفريد في الخليقة إلا صورة شعرية! قديسٌ عرفته يومًا لن يقطف الزهور أبدًا. "هل أسلب شجيرة الورد فخر جمالها؟ هل أهين كرامتها بقسوةٍ بنزعي استثماراتي؟" كلماته المتعاطفة مؤكدة حرفيًا من خلال اكتشافاتك!

الشاعر مُلِمٌّ بالحقيقة، بينما يقترب العالم منها بِخُفٍّ. تعالَ يومًا ما إلى مختبري وشاهد الشهادة القاطعة التي يُظهرها جهاز الكريسكوغراف.

قبلتُ الدعوة بامتنان، وغادرتُ. علمتُ لاحقًا أن عالم النبات قد ترك كلية الرئاسة، وكان يُخطط لإنشاء مركز أبحاث في كلكتا.

عندما افتُتح معهد بوس، حضرتُ مراسم التدشين. تجول مئاتٌ متحمسون في أرجاء المبنى. أُعجبتُ بالبراعة الفنية والرمزية الروحية لهذا الموطن الجديد للعلوم. لاحظتُ أن بوابته الأمامية كانت أثرًا أثريًا يعود إلى قرون مضت من ضريح بعيد. خلف نافورة اللوتس 8-3، كان هناك تمثالٌ لامرأةٍ منحوتة تحمل شعلة، يُجسّد الاحترام الهندي للمرأة كحاملةٍ للنور الخالد. ضمّت الحديقة معبدًا صغيرًا مُكرّسًا لنومينون ما وراء الظواهر. وقد أوحى غياب أي صورةٍ للمذبح بفكرة عدم الجسد الإلهي.

أنا في سن السادسة

جاغاديس شاندرا بوز، عالم فيزياء ونبات عظيم في الهند، ومخترع جهاز الكرسكوغراف.

ربما كان خطاب بوس في هذه المناسبة العظيمة صادرًا عن شفاه أحد الحكماء القدماء الملهمين.

أُكرّس اليوم هذا المعهد ليس كمختبر فحسب، بل كمعبد. خيّم عليه خشوعه كعباءة خفية على القاعة المزدحمة. في سعيي وراء أبحاثي، دُفعتُ دون وعي إلى المنطقة الحدودية بين الفيزياء وعلم وظائف الأعضاء. ولدهشتي، وجدتُ

اختفت خطوط الحدود، وبرزت نقاط التقاء بين عالم الأحياء والجماد. ولم تكن المادة غير العضوية خاملة على الإطلاق؛ بل كانت نابضة بالحياة تحت تأثير قوى هائلة.

بدا أن رد فعل عالمي يُخضع المعادن والنباتات والحيوانات لقانون عام. أظهرت جميعها نفس ظاهرتي التعب والاكتئاب، مع احتمالات الشفاء والنشوة، بالإضافة إلى اللامبالاة الدائمة المرتبطة بالموت. وقد غمرني هذا التعميم المذهل، وكنتُ آمل بشدة أن أعلن نتائجي أمام الجمعية الملكية - نتائج مُثبتة بالتجارب. لكن علماء وظائف الأعضاء الحاضرين نصحوني بالاقتصار على الأبحاث الفيزيائية، التي كان نجاحي فيها مضمونًا، بدلًا من التعدي على حقوقهم. لقد انغمستُ دون قصد في نطاق نظام طبقي غير مألوف، وبالتالي انتهكت قواعده.

كان هناك أيضًا تحيز لاهوتي غير واعٍ، يخلط بين الجهل والإيمان. وكثيرًا ما يُنسى أن من أحاطنا بسر الخلق المتطور هذا قد غرس فينا أيضًا رغبة التساؤل والفهم. عبر سنوات طويلة من سوء الفهم، أدركتُ أن حياة مُحب العلم مليئةٌ حتمًا بصراع لا ينتهي. عليه أن يُقدم حياته كقربانٍ مُتقد - مراعيًا الربح والخسارة، والنجاح والفشل، كوحدة واحدة.

مع مرور الوقت، تقبّلت أبرز الجمعيات العلمية في العالم نظرياتي ونتائجي، وأقرّت بأهمية الإسهام الهندي في العلم. 8-4 هل يُمكن لأي شيء صغير أو محدود أن يُرضي عقل الهند؟ بفضل تراث حيّ متواصل، وقوة حيوية للتجدد، أعادت هذه الأرض ضبط نفسها من خلال تحولات لا تُحصى. لطالما برز هنود، تخلّوا عن الجائزة الفورية والمُرهِقة للوقت، وسعوا إلى تحقيق أسمى المُثُل في الحياة - لا من خلال التخلي السلبي، بل من خلال النضال النشط. الضعيف الذي رفض الصراع، ولم يكتسب شيئًا، لم يكن لديه ما يتخلى عنه. وحده من ناضل وانتصر يستطيع إثراء العالم بمنح ثمار تجربته المنتصرة.

لقد فتحت الأعمال التي أُجريت في مختبر بوز حول استجابة المادة، والاكتشافات غير المتوقعة في حياة النبات، آفاقًا واسعةً للبحث في الفيزياء، وعلم وظائف الأعضاء، والطب، والزراعة، وحتى في علم النفس. وقد أُدرجت الآن مشكلاتٌ كانت تُعتبر حتى ذلك الحين مستعصية على الحل ضمن نطاق البحث التجريبي.

لكن النجاح الباهر لا يتحقق إلا بدقة متناهية. ومن هنا جاءت هذه المجموعة الطويلة من الأدوات والأجهزة فائقة الحساسية من تصميمي، والتي تعرض أمامكم اليوم في صناديقها في ردهة المدخل. إنها تُخبركم عن الجهود المُضنية المبذولة لتجاوز الظاهر الخادع إلى واقعٍ خفي، وعن الجهد

المتواصل والمثابرة والبراعة المطلوبة للتغلب على القيود البشرية. يعلم جميع العلماء المبدعين أن المختبر الحقيقي هو العقل، حيث يكشفون وراء الأوهام قوانين الحقيقة.

لن تكون المحاضرات المُلقاة هنا مجرد تكرار للمعرفة المكتسبة. بل ستُعلن عن اكتشافات جديدة تُعرض لأول مرة في هذه القاعات. ومن خلال النشر المنتظم لأعمال المعهد، ستصل هذه المساهمات الهندية إلى العالم أجمع.

ستصبح ملكًا عامًا. لن تُنتزع براءات اختراع أبدًا. إن روح ثقافتنا الوطنية تقتضي أن نتحرر إلى الأبد من تدنيس المعرفة واستخدامها لأغراض شخصية فقط.

أتمنى أيضًا أن تكون مرافق هذا المعهد متاحة، قدر الإمكان، للعاملين من جميع البلدان. وأسعى في هذا إلى مواصلة تقاليد بلدي. فمنذ خمسة وعشرين قرنًا، استقبلت الهند في جامعاتها العريقة، في نالاندا وتاكسيلا، علماء من جميع أنحاء العالم.

مع أن العلم ليس من الشرق ولا من الغرب، بل هو عالمي في شموليته، إلا أن الهند مؤهلة بشكل خاص لتقديم مساهمات عظيمة. 8-5 إن الخيال الهندي المتوقد، القادر على انتزاع نظام جديد من مجموعة من الحقائق المتناقضة ظاهريًا، يُكبح جماحه عادة التركيز. هذا الكبح يمنح القدرة على

توجيه العقل نحو السعي وراء الحقيقة بصبر لا حدود له.

انهمرت الدموع من عينيّ عند الكلمات الختامية للعالم. أليس "الصبر" مرادفًا للهند، مُحيِّرًا الزمن والمؤرخين على حد سواء؟

زرتُ مركز الأبحاث مجددًا بعد افتتاحه بقليل. وفاءً بوعده، اصطحبني عالم النبات العظيم إلى مختبره الهادئ.

سأُثبّت جهاز كريسكوغراف على هذه السرخس؛ فالتكبير هائل. لو كُبِّر زحف الحلزون بنفس النسبة، لبدا المخلوق وكأنه يسافر كقطار سريع!

ثبّت نظري بشغف على الشاشة التي تعكس ظلّ السرخس المُكبّر. حركات الحياة الدقيقة أصبحت واضحة الآن؛ كان النبات ينمو ببطء شديد أمام عينيّ المذهولتين. لمس العالم طرف السرخس بقضيب معدني صغير. توقف التمثيل الإيمائيّ المُتطوّر فجأةً، واستأنف الإيقاعات البليغة بمجرد سحب القضيب.

«لقد رأيتَ كيف أن أي تدخل خارجي طفيف يُلحق الضرر بالأنسجة الحساسة»، قال بوز. «انظر؛ سأعطيك الآن الكلوروفورم، ثم الترياق».

أوقف تأثير الكلوروفورم كل نمو؛ وكان الترياق مُنعشًا. جذبتني الإيماءات التطورية على الشاشة

أكثر من حبكة فيلم. طعن رفيقي (هنا بدور الشرير) بأداة حادة في جزء من السرخس؛ وظهر الألم من خلال ارتعاشات تشنجية. عندما مرر شفرة حلاقة جزئيًا عبر الساق، ثار الظل بعنف، ثم هدأ مع نطقه الأخير بعلامة الموت.

بمعالجة شجرة ضخمة بالكلوروفورم أولاً، نجحتُ في عملية زرع ناجحة. عادةً ما تموت هذه الفراشات الملكية في الغابة بسرعة كبيرة بعد نقلها. ابتسم جاغاديس بسعادة وهو يروي المناورة التي أنقذت حياته. "أثبتت الرسوم البيانية لجهازي الدقيق أن الأشجار تمتلك نظامًا دوريًا؛ حيث تتوافق حركات عصارتها مع ضغط دم أجسام الحيوانات. لا يمكن تفسير صعود العصارة على أسس ميكانيكية متقدمة عادةً، مثل التجاذب الشعري. وقد حُلّت هذه الظاهرة من خلال جهاز كريسكوغراف كنشاط للخلايا الحية. تنطلق الموجات التمعجية من أنبوب أسطواني يمتد إلى أسفل الشجرة و

يعمل كقلب حقيقي! كلما تعمقنا في الإدراك، ازداد وضوح الدليل على وجود خطة موحدة تربط كل شكل في الطبيعة المتعددة.

وأشار العالم العظيم إلى آلة موسيقية أخرى من نوع بوس.

سأعرض عليكم تجارب على قطعة من القصدير. تستجيب قوة الحياة في المعادن للمحفزات سلبًا أو إيجابًا. ستسجل علامات الحبر التفاعلات المختلفة.

انغمستُ تمامًا في مشاهدة الرسم البياني الذي يُسجل الموجات المميزة للبنية الذرية. عندما وضع الأستاذ الكلوروفورم على القصدير، توقفت الكتابة الاهتزازية. ثم عادت مع عودة المعدن تدريجيًا إلى حالته الطبيعية. سكب رفيقي مادة كيميائية سامة. بالتزامن مع ارتعاش طرف القصدير، كتبت الإبرة على الرسم البياني بشكل دراماتيكي نذير شؤم.

أثبتت أجهزة بوز أن المعادن، مثل الفولاذ المستخدم في المقصات والآلات، معرضة للتعب، وتستعيد كفاءتها مع فترات راحة دورية. ويتضرر نبض الحياة في المعادن بشدة، بل وينطفئ، نتيجة تطبيق تيارات كهربائية أو ضغط شديد.

نظرت حول الغرفة إلى الاختراعات العديدة، وهي شهادة بليغة على الإبداع الذي لا يعرف الكلل.

سيدي، من المؤسف أن التنمية الزراعية الشاملة لا تُسرّع بالاستخدام الأمثل لآلياتكم الرائعة. أليس من السهل استخدام بعضها في تجارب معملية سريعة لبيان تأثير أنواع مختلفة من الأسمدة على نمو النباتات؟

أنت محق. ستستخدم الأجيال القادمة آلات بوز الموسيقية استخدامات لا تُحصى. نادرًا ما يعرف

العالم مكافأة معاصرة؛ يكفيه امتلاك متعة الخدمة الإبداعية.

مع تعبيرات امتنانٍ لا توصف للحكيم الذي لا يعرف الكلل، غادرتُ. وفكرتُ: "هل يُمكن أن تُستنفد عبقريته المُذهلة يومًا ما؟"

لم يطرأ أي نقصان مع مرور السنين. اخترع بوز جهازًا معقدًا، هو "جهاز تخطيط القلب الرنيني"، ثم أجرى أبحاثًا مكثفة على نباتات هندية لا تُحصى. وكُشف عن دستور أدوية ضخم لم يكن متوقعًا للأدوية المفيدة. صُمم جهاز تخطيط القلب بدقة متناهية، حيث يُظهر جزءًا من مئة من الثانية على الرسم البياني. تقيس السجلات الرنينية نبضات متناهية الصغر في بنية النبات والحيوان والإنسان. وتوقع عالم النبات العظيم أن استخدام جهاز تخطيط القلب الخاص به سيؤدي إلى تشريح النباتات بدلًا من الحيوانات.

وأشار إلى أن "التسجيلات المتزامنة لتأثيرات دواء أُعطي في آنٍ واحد لنبات وحيوان أظهرت إجماعًا مذهلاً في النتيجة". وأضاف: "كل شيء في الإنسان مُنبئ به في النبات. وستساهم التجارب على النباتات في تخفيف معاناة الإنسان".

بعد سنوات، أثبت علماء آخرون صحة نتائج بوس الرائدة في مجال النباتات. ونشرت صحيفة نيويورك

تايمز العمل الذي أُنجز عام ١٩٣٨ في جامعة كولومبيا على النحو التالي:

لقد ثبت خلال السنوات القليلة الماضية أنه عندما تنقل الأعصاب الرسائل بين الدماغ وأجزاء أخرى من الجسم، تتولد نبضات كهربائية دقيقة. وقد قُيست هذه النبضات بأجهزة جلفانومتر دقيقة، وكُبِّرت ملايين المرات باستخدام أجهزة التضخيم الحديثة. وحتى الآن، لم تُكتشف طريقة مُرضية لدراسة مرور النبضات على طول الألياف العصبية لدى الحيوانات الحية أو الإنسان، نظرًا للسرعة الكبيرة التي تنتقل بها هذه النبضات.

أفاد الدكتوران كيه إس كول وإتش جيه كورتيس باكتشافهما أن الخلايا المفردة الطويلة لنبات النيتيلا، الذي يُزرع في المياه العذبة، والمستخدم بكثرة في أحواض الأسماك الذهبية، متطابقة تقريبًا مع خلايا الألياف العصبية المفردة. علاوة على ذلك، وجدا أن ألياف النيتيلا، عند إثارتها، تُصدر موجات كهربائية تُشبه في جميع جوانبها، باستثناء السرعة، تلك الموجودة في الألياف العصبية لدى الحيوانات والبشر. وتبين أن النبضات العصبية الكهربائية في النبات أبطأ بكثير من تلك الموجودة لدى الحيوانات. ولذلك، استغلّ باحثو كولومبيا هذا الاكتشاف كوسيلة لالتقاط صور بطيئة الحركة لمرور النبضات الكهربائية في الأعصاب.

وبالتالي فإن نبات النيتيلا قد يصبح بمثابة حجر رشيد لفك رموز الأسرار المحفوظة عن كثب بالقرب من الحدود الفاصلة بين العقل والمادة.

كان الشاعر رابندرانات طاغور صديقًا وفيًا للعالم الهندي المثالي. وقد خاطبه المغني البنغالي العذب بالأبيات التالية: ٨-٦

يا ناسك، نادِ بكلماتٍ أصيلةٍ من تلك الترنيمة القديمة المسماة ساما: "انهض! استيقظ!" نادِ الرجل الذي يتباهى بعلمه الشهواني من الجدل العقيم العقيم، نادِ ذلك المتبجح الأحمق ليخرج إلى وجه الطبيعة، هذه الأرض الواسعة، أنشد هذا النداء لجماعتك العلمية؛ معًا حول ذبيحتك النارية، فليجتمعوا جميعًا. فلتعود هندنا، أرضنا العتيقة إلى ذاتها، فلتعود مرةً أخرى إلى العمل الدؤوب، إلى الواجب والإخلاص، إلى نشوة التأمل الجاد؛ فلتجلس مرةً أخرى هادئةً، بلا طماع، بلا صراع، نقيةً، مرةً أخرى على عرشها ومنصتها الشامخة، معلمةً لجميع الأراضي.

٨-١: «كل علم إما أن يكون متعالياً أو يزول. علم النبات يكتسب الآن النظرية الصحيحة - تجسيدات براهما ستكون قريباً كتب التاريخ الطبيعي.» - إيمرسون.

٨-٢: من الجذر اللاتيني crescere، بمعنى الزيادة. مُنح بوز لقب فارس عام ١٩١٧ تقديرًا لجهازه crescograph واختراعاته الأخرى.

8-3: زهرة اللوتس هي رمز إلهي قديم في الهند؛ تشير بتلاتها المتفتحة إلى توسع الروح؛ إن نمو جمالها النقي من طين أصلها يحمل وعدًا روحيًا حميدًا.

٨-٤: "في الوقت الحاضر، لا يُدرج الهند ضمن نطاق اهتمام الطلاب الجامعيين الأمريكيين إلا بمحض الصدفة. ثماني جامعات (هارفارد، ييل، كولومبيا، برينستون، جونز هوبكنز، بنسلفانيا، شيكاغو، وكاليفورنيا) لديها كراسي تدريس لعلم الهنديات أو اللغة السنسكريتية، لكن الهند غائبة تقريبًا في أقسام التاريخ، والفلسفة، والفنون الجميلة، والعلوم السياسية، وعلم الاجتماع، أو أي من أقسام الخبرة الفكرية الأخرى التي، كما رأينا، قدمت فيها الهند مساهمات عظيمة... وبالتالي، نعتقد أنه لا يمكن لأي قسم دراسي، وخاصة في العلوم الإنسانية، في أي جامعة كبرى أن يكون مجهزًا تجهيزًا كاملاً دون وجود متخصص مدرب تدريبًا جيدًا في المراحل الهندية من تخصصه. ونعتقد أيضًا أن كل كلية تهدف إلى إعداد خريجيها للعمل بذكاء في العالم الذي سيعيشون فيه، يجب أن تضم في هيئة تدريسها باحثًا كفؤًا في حضارة الهند." - مقتطفات من مقال للأستاذ دبليو. نورمان براون من جامعة بنسلفانيا

نُشر في عدد مايو ١٩٣٩ من نشرة المجلس الأمريكي للجمعيات العلمية، 907 شارع 15، واشنطن العاصمة، نسخة بسعر 25 سنتًا. يحتوي هذا العدد (رقم 28) على أكثر من 100 صفحة من "المراجع الأساسية للدراسات الهندية".

٨-٥: كان التركيب الذري للمادة معروفًا جيدًا لدى الهندوس القدماء. أحد المذاهب الفلسفية الهندية الستة هو فايسيسيكا، المشتق من الجذر السنسكريتي فيسيساس، أي "الفردية الذرية". وكان من أبرز شارحي فايسيسيكا أولوكيا، المعروف أيضًا بكانادا، أي "آكل الذرات"، والذي وُلد قبل حوالي ٢٨٠٠ عام.

في مقالة في مجلة إيست-ويست، أبريل 1934، تم تقديم ملخص للمعرفة العلمية لفايسيسيكا على النحو التالي: "على الرغم من أن "النظرية الذرية" الحديثة تعتبر عمومًا تقدمًا جديدًا في مجال العلوم، فقد تم شرحها ببراعة منذ فترة طويلة من قبل كانادا، "آكل الذرة". يمكن ترجمة كلمة "anus" السنسكريتية بشكل صحيح إلى "ذرة" بالمعنى اليوناني الحرفي لها، أي "غير مقطوع" أو غير قابل للتجزئة. تشمل التفسيرات العلمية الأخرى لأطروحات فايسيسيكا من عصر ما قبل الميلاد (1) حركة الإبر نحو المغناطيس، (2) دوران الماء في النباتات، (3) الأكاش أو الأثير، الخامل وغير المنظم، كأساس لنقل القوى الدقيقة، (4) النار

الشمسية كسبب لجميع أشكال الحرارة الأخرى، (5) الحرارة كسبب للتغير الجزيئي، (6) قانون الجاذبية كما هو ناتج عن الخاصية الكامنة في ذرات الأرض التي تمنحها قوتها الجاذبة أو الجذب نحو الأسفل، (7) الطبيعة الحركية لجميع أنواع الطاقة؛ السببية كما هو متجذر دائمًا في إنفاق الطاقة أو إعادة توزيع الحركة، (8) التحلل الشامل من خلال تفكك الذرات، (9) إشعاع الحرارة وأشعة الضوء، وهي جسيمات متناهية الصغر، تنطلق في جميع الاتجاهات بسرعة لا يمكن تصورها. السرعة (نظرية "الأشعة الكونية" الحديثة)، (10) نسبية الزمان والمكان.

أرجع الفايسيسيكا أصل العالم إلى الذرات، الأزلية بطبيعتها، أي إلى خصائصها القصوى. واعتُبرت هذه الذرات ذات حركة اهتزازية متواصلة... ولم يكن الاكتشاف الحديث بأن الذرة نظام شمسي مصغر جديدًا على فلاسفة الفايسيسيكا القدامى، الذين اختصروا الزمن إلى أقصى مفهوم رياضي له بوصف أصغر وحدة زمنية (كالا) بأنها الفترة التي تستغرقها الذرة لقطع وحدتها المكانية الخاصة.

6-8: ترجمها من اللغة البنغالية رابندراناث طاغور، بواسطة مانموهان غوش، في فيسوا بهاراتي.

الفصل: 9

المُحبّ السعيد ورومانسيته الكونية

>

"سيدي الصغير، تفضل بالجلوس. أنا أتحدث مع أمي الإلهية."

دخلتُ الغرفة بصمتٍ وأنا في رهبةٍ عظيمة. أبهرني المظهر الملائكي للمعلم ماهاسايا. بلحيته البيضاء الناعمة وعينيه الواسعتين اللامعتين، بدا لي تجسيدًا للنقاء. ذقنه المرفوعة ويديه المطويتين أطلعاني على أن زيارتي الأولى قد أزعجته في خضمّ عباداته.

كلماته البسيطة في التحية أحدثت أعنف أثرٍ عرفته طبيعتي حتى الآن. كنت أظن أن فراق أمي المرير هو مقياس كل عذاب. أما الآن، فقد أصبح ألم فراق أمي الإلهية عذابًا لا يوصف للروح. سقطتُ على الأرض وأنا أئن.

"سيدي الصغير، اهدأ!" كان القديس في حالة من الضيق المتعاطف.

مهجوراً في بعض المحيطات الموحشة، تشبثت بقدميه كالطوف الوحيد لإنقاذي.

"سيدي القديس، شفاعتك! اطلب من الأم الإلهية أن أجد أي نعمة في نظرها!"

إن هذا الوعد ليس من السهل تحقيقه؛ فقد اضطر السيد إلى الصمت.

كنتُ على يقينٍ تامٍّ بأن المعلم ماهاسيا كان في حوارٍ حميمٍ مع الأم الكونية. كان من المذلة بمكان أن أدرك أن عينيّ غائبتان عنها، وهي التي كانت، حتى في تلك اللحظة، واضحةً للعيان بنظرة القديس النقية. أمسكتُ بقدميه بلا خجل، غير مبالٍ باحتجاجاته الرقيقة، وتوسلتُ إليه مرارًا وتكرارًا أن ينال فضله.

"سأُوجِّهُ توسُّلاتِكَ إلى الحبيب." جاء استسلامُ السيدِ بابتسامةٍ بطيئةٍ وعطوفة.

ما هي القوة الموجودة في هذه الكلمات القليلة، التي تجعل وجودي يعرف التحرر من منفاه العاصف؟

يا سيدي، تذكر عهدك! سأعود قريبًا لأخذ رسالتها! رنّت في صوتي ترقبٌ بهيج، بعد أن كان يبكي حزنًا قبل لحظة.

نزلتُ الدرج الطويل، وغمرتني الذكريات. هذا المنزل الكائن في ٥٠ شارع أمهرست، وهو الآن مسكن المعلم ماهاسايا، كان في السابق منزل عائلتي، وشهد وفاة أمي. هنا انفطر قلبي على فقدان أمي؛ وهنا اليوم، كأن روحي قد صُلبت بغياب الأم الإلهية. جدرانٌ مقدسة، شاهدٌ صامتٌ على آلامي المؤلمة وشفائي الأخير!

كانت خطواتي متلهفة وأنا عائد إلى منزلي في شارع جوربار. بحثًا عن عزلة في عليتي الصغيرة،

بقيتُ في حالة تأمل حتى الساعة العاشرة. فجأةً، أضاءت ظلمة ليلة هندية دافئة رؤيةً عجيبة.

وقفت أمامي الأم الإلهية، مُحاطةً بهالةٍ من الروعة. كان وجهها، بابتسامته الرقيقة، جمالاً بحد ذاته.

"لقد أحببتك دائمًا! وسأظل أحبك إلى الأبد!"

مازالت الأصوات السماوية ترن في الهواء، واختفت.

في صباح اليوم التالي، لم تكد شمس الصباح تشرق حتى زرتُ المعلم ماهاسايا للمرة الثانية. صعدتُ درج بيت الذكريات المؤلمة، ووصلتُ إلى غرفته في الطابق الرابع. كان مقبض الباب المغلق ملفوفًا بقطعة قماش؛ في إشارة، كما شعرتُ، إلى رغبة القديس في الخصوصية. وبينما كنتُ واقفًا بتردد على المنصة، فُتح الباب بيد المعلم المُرحِّبة. ركعتُ عند قدميه المقدستين. وفي مزاجٍ مرح، ارتديتُ قناعًا مهيبًا على وجهي، أخفي بهجةً إلهية.

"سيدي، لقد جئتُ مبكرًا جدًا، أعترف!، لسماع رسالتك. هل قالت الأم الحبيبة شيئًا عني؟"

"سيدي الصغير المشاغب!"

لن يُدلي بأي تعليق آخر. يبدو أن جاذبيتي المفترضة لم تكن مثيرة للإعجاب.

لماذا كل هذا الغموض والتملص؟ ألا يتحدث القديسون بصراحة؟ ربما استفزني الأمر قليلًا.

"هل يجب عليكِ اختباري؟" كانت عيناه الهادئتان مليئتين بالفهم. "هل يُمكنني إضافة كلمة واحدة هذا الصباح إلى التأكيد الذي تلقيتِهِ الليلة الماضية في الساعة العاشرة من الأم الجميلة نفسها؟"

كان المعلم ماهاسيا يتحكم في بوابات روحي: فسجدتُ مرةً أخرى عند قدميه. لكن هذه المرة انهمرت دموعي من نعيمٍ لا ألمٍ يفوق الاحتمال.

هل تظن أن إخلاصك لم يمس الرحمة اللامتناهية؟ إن أمومة الله، التي عبدتها في صورتين بشرية وإلهية، لم تعجز أبدًا عن إرضاء صرختك المهجورة.

من كان هذا القديس البسيط، الذي قوبلت أدنى طلباته للروح الكونية بقبولٍ حلو؟ كان دوره في العالم متواضعًا، كما يليق بأعظم رجل متواضع عرفته في حياتي. في هذا المنزل بشارع أمهرست، أدار المعلم ماهاسايا 9-1 مدرسة ثانوية صغيرة للبنين. لم ينطق بكلمة توبيخ؛ ولم تحافظ على انضباطه أي قاعدة أو صرامة . في الواقع، كانت تُدرّس الرياضيات العليا في هذه الفصول الدراسية المتواضعة، وكيمياء الحب غائبة عن الكتب المدرسية. نشر حكمته بالعدوى الروحية بدلًا من التعاليم الصارمة. مستغرقًا في شغفٍ ساذجٍ بالأم الإلهية، لم يطلب القديس مظاهر الاحترام الظاهرة أكثر من أي طفل.

قال لي: "لستُ مُعلِّمك الروحي، سيأتي بعد قليل. بفضل إرشاده، ستُترجم تجاربك مع الله من حبٍّ وإخلاصٍ إلى حكمته الثاقبة".

كل عصر، كنت أذهب إلى شارع أمهرست. أبحث عن كأس المعلم ماهاسايا الإلهي، الممتلئ لدرجة أن قطراته تفيض يوميًا على كياني. لم يسبق لي أن انحنيت إجلالًا كاملًا؛ أما الآن، فقد شعرتُ بامتياز لا يُحصى أن أطأ نفس الأرض التي قدّسها المعلم ماهاسايا.

"سيدي، من فضلك ارتدِ إكليل الشمبانيا هذا الذي صنعته لك خصيصًا." وصلتُ ذات مساء، حاملًا سلسلة أزهاري. لكنه ابتعد بخجل، رافضًا هذا الشرف مرارًا. أدرك ألمي، فابتسم أخيرًا موافقًا.

بما أننا كلينا مُتعبدان للأم، فيُمكنك وضع الإكليل على هذا المعبد الجسدي، كقربانٍ لها الساكنة فيه. كانت طبيعته الواسعة تفتقر إلى المساحة التي يُمكن لأي اعتبار أناني أن يستقر فيها.

أخوان تيريز نيومان أقف معهما في كونرسرويت، بافاريا.

المعلم ماهاسايا منغمس دائمًا في رومانسيته الكونية السعيدة.

"دعونا نذهب غدًا إلى معبد داكشينيسوار، الذي قدسه معلّمي إلى الأبد." كان المعلم ماهاسايا

تلميذًا للمعلم المسيحي سري راماكريشنا باراماهانسا.

في صباح اليوم التالي، قطعنا مسافة أربعة أميال بالقارب على نهر الغانج. دخلنا معبد كالي ذي القباب التسع، حيث رُسمت تماثيل الأم الإلهية وشيفا على زهرة لوتس فضية مصقولة، بتلاتها الألف منحوتة بدقة. أشرق وجه المعلم ماهاسيا في سحر. كان منغمسًا في غرامه الذي لا ينضب مع محبوبته. وبينما كان يُنشد اسمها، بدا قلبي المُبتهج وكأنه قد تحطم إلى ألف قطعة.

تجوّلنا لاحقًا في الأماكن المقدسة، وتوقفنا في بستان من أشجار الطرفاء. كان المنّ الذي تُفرزه هذه الشجرة رمزًا للطعام السماوي الذي يُغدق به المعلم ماهاسيا. استمرت دعواته الإلهية. جلستُ جامدًا بلا حراك على العشب وسط أزهار الطرفاء الوردية الريشية. غائبًا عن الجسد مؤقتًا، حلّقتُ في زيارة سماوية.

كانت هذه أولى رحلات الحج العديدة إلى داكشينسوار مع المعلم المقدس. منه تعلمتُ حلاوة الله في صورة الأم، أو الرحمة الإلهية. لم يجد القديس الطفولي جاذبية تُذكر في صورة الأب، أو العدالة الإلهية. كان الحكم الصارم الدقيق والحسابي غريبًا عن طبيعته اللطيفة.

"يُمكنه أن يكون نموذجًا أرضيًا لملائكة السماء!" فكرتُ بشغف وأنا أشاهده يومًا ما في صلاته. دون أي لوم أو انتقاد، كان يتأمل العالم بعينيه اللتين لطالما ألفتا النقاء الأصيل. كان جسده وعقله وكلامه وأفعاله متناغمة بسلاسة مع بساطة روحه.

"أخبرني سيدي بذلك". مُنْكِسًا نفسه من تأكيداته الشخصية، أنهى القديس أي نصيحة حكيمة بهذه الإشادة الثابتة. كانت هويته مع سري راماكريشنا عميقة لدرجة أن السيد ماهاسايا لم يكن...

لم يعد يعتبر أفكاره خاصة به.

مشيتُ أنا والقديس ذات مساءٍ متشابكي الأيدي في ساحة مدرسته. تلاشى فرحي بوصول أحد معارفي المغرورين، الذي أثقل كاهلنا بحديثٍ مطول.

أرى أن هذا الرجل لا يُرضيك. همس القديس لي دون أن يسمعه الأناني، وقد سحره حديثه. "لقد تحدثتُ مع الأم الإلهية عن ذلك؛ إنها تُدرك محنتنا المُحزنة. حالما نصل إلى ذلك البيت الأحمر، وعدت بتذكيره بأمورٍ أكثر إلحاحًا."

كانت عيناي مثبتتين على موقع الخلاص. عند وصوله إلى بوابته الحمراء، استدار الرجل فجأةً وغادر، دون أن يُكمل جملته أو يُودع. استُريح الهواء المُعتدى عليه بالسلام.

في يومٍ آخر، كنتُ أسير وحدي قرب محطة قطار هاورا. وقفتُ للحظةٍ بجانب معبد، أنتقد بصمتٍ مجموعةً صغيرةً من الرجال، يحملون الطبول والصنج، وكانوا يرددون ترنيمةً بصوتٍ عالٍ.

"يا لهم من استخدامٍ غير مُخلصٍ لاسم الرب الإلهي بتكرارٍ آلي،" فكرتُ. دهشتُ من اقتراب المعلم ماهاسايا السريع. "سيدي، كيف أتيتَ إلى هنا؟"

تجاهل القديس سؤالي، وأجاب على فكرتي. "أليس صحيحًا يا سيدي الصغير أن اسم الحبيب يُنطق عذبًا على كل لسان، جاهلًا كان أم حكيمًا؟" أحاطني بذراعه بحنان؛ فوجدت نفسي محمولًا على بساطه السحري إلى حضرة الرحيم.

"هل ترغب في رؤية بعض المناظير؟". كان هذا السؤال من المعلم ماهاسايا في أحد أيام الظهيرة محيرًا؛ إذ كان المصطلح يُستخدم آنذاك في الهند للدلالة على الأفلام السينمائية. وافقت، سعيدًا بصحبته مهما كانت الظروف. مشينا مشيةً سريعةً إلى الحديقة المواجهة لجامعة كلكتا. أشار لي رفيقي إلى مقعد قرب بركة جولديغي.

لنجلس هنا لبضع دقائق. لطالما طلب مني مُعلّمي أن أتأمل كلما رأيتُ فسحةً من الماء. هنا يُذكّرنا هدوؤها بهدوء الله العظيم. وكما تنعكس كل الأشياء في الماء، فكذلك ينعكس الكون بأكمله في بحيرة العقل الكوني. هكذا كان مُعلّمي يُردد دائمًا.

سرعان ما دخلنا قاعةً جامعيةً حيث كانت تُعقد محاضرة. كانت مملةً للغاية، وإن كانت تُزيّنها أحيانًا رسومٌ توضيحيةٌ على شكل شرائح فانوسية، لكنها لم تكن مثيرةً للاهتمام بنفس القدر.

"إذن، هذا هو نوع المنظار الذي أرادني المعلم أن أراه!" كان تفكيري متسرعًا، لكنني لم أُرِد أن أؤذي القديس بإظهار الملل في وجهي. لكنه مال نحوي سرًا.

أرى يا سيدي الصغير أنك لا تحب هذا المنظار. لقد ذكرتُ الأمر للأم الإلهية؛ وهي متعاطفة معنا تمامًا. أخبرتني أن الأضواء الكهربائية ستنطفئ الآن، ولن تُضاء مرة أخرى حتى نغادر الغرفة.

مع انتهاء همسته، غرقت القاعة في ظلام دامس. سكت صوت البروفيسور الحاد مندهشًا، ثم قال: "يبدو أن النظام الكهربائي لهذه القاعة معطل". في هذه الأثناء، كنا أنا والأستاذ ماهاسايا قد عبرنا العتبة بسلام. ألقيتُ نظرة خاطفة من الممر، فرأيتُ مشهد استشهادنا قد أضاء من جديد.

يا سيدي الصغير، لقد خاب أملك في جهاز 9-2، لكنني أعتقد أنك ستحب جهازًا آخر. كنت أنا والقديس نقف على الرصيف أمام مبنى الجامعة. صفع صدري برفق على قلبي.

ساد صمتٌ مُغيّر. وكما تُصبح الأفلام الحديثة "الناطقة" صورًا متحركةً صامتةً عندما يتعطل جهاز

الصوت، كذلك خنقت اليد الإلهية، بمعجزةٍ غريبة، صخبَ العالم. كان المشاة، وكذلك عربات الترام والسيارات وعربات الثيران وعربات الأجرة ذات العجلات الحديدية، جميعهم يسيرون في هدوء. وكأنني أمتلك عينًا حاضرة في كل مكان، رأيتُ المشاهد خلفي، وعلى كل جانب، بسهولةٍ كما رأيتُ تلك أمامي. مرّ مشهدُ النشاط في ذلك الجزء الصغير من كلكتا أمامي دون صوت. ومثل وهجٍ خافتٍ من نارٍ يُرى تحت طبقةٍ رقيقةٍ من الرماد، اخترق بريقٌ ناعمٌ المنظرَ البانورامي.

بدا جسدي مجرد ظلٍّ من بين ظلالٍ كثيرة، مع أنه كان ساكنًا، بينما كانت الظلال الأخرى ترفرف بصمتٍ جيئةً وذهابًا. اقترب مني عدة فتيان، أصدقائي، ثم مروا بي؛ ورغم أنهم نظروا إليّ مباشرةً، إلا أنني لم أتعرف عليه.

جلب لي التمثيل الإيمائي الفريد نشوةً لا تُوصف. شربتُ بعمقٍ من نبعٍ هنيء. وفجأةً، تلقى صدري ضربةً خفيفةً أخرى من المعلم ماهاسايا. انفجرت فوضى العالم على مسامعي المُترددة. ترنحتُ، كما لو أنني استيقظتُ بقسوةٍ من حلمٍ رقيق. أبعدني النبيذُ المتسامي عن متناولي.

يا سيدي الصغير، أرى أنك وجدتَ المنظار الثاني الذي يُرضيك. كان القديس يبتسم؛ فبدأتُ أسقطُ امتنانًا على الأرض أمامه. "لا يمكنك فعل ذلك بي

الآن؛ أنت تعلم أن الله في معبدك أيضًا! لن أسمح للأم الإلهية أن تلمس قدميّ بيديك!"

إذا لاحظ أحدٌ الأستاذَ المتواضع وأنا نبتعد عن الرصيف المزدحم، فلا بد أن الناظر شكّ في أننا ثملان. شعرتُ أن ظلال المساء المتساقطة كانت ثملةً بالله. وعندما حلّ الظلام من غيبوبته الليلية، واجهتُ صباحَ جديدٍ خالٍ من نشوتي. لكن الابنَ الملائكي للأم الإلهية ماهاسايا، سيبقى محفورًا في الذاكرة!

أحاول بكلماتٍ ركيكة أن أُنصف لطفه، وأتساءل إن كان المعلم ماهاسايا، وغيره من القديسين ذوي البصيرة العميقة الذين التقيت بهم، يعلمون أنني سأكتب بعد سنوات، في بلاد الغرب، عن حياتهم كمتعبدين لله. ولن تُفاجئني معرفتهم المسبقة، ولا آمل أن تُفاجئ قرائي الذين وصلوا معي إلى هذا الحد.

٩-١: هذه ألقابٌ مُحترمةٌ كان يُنادى بها عادةً. كان اسمه ماهيندرا ناث جوبتا، وكان يوقّع أعماله الأدبية ببساطة "م".

9-2: يقدم قاموس أكسفورد الإنجليزي، على الرغم من ندرة هذا التعريف، لكلمة "bioscope": نظرة إلى الحياة؛ ما يعطي مثل هذه النظرة.

لقد كان اختيار المعلم ماهاسايا للكلمة مبررًا بشكل غريب.

الفصل: 10

التقيت بسيدي، سري يوكتسوار

"الإيمان بالله قادر على إحداث أي معجزة إلا اجتياز الامتحان دون دراسة." أغلقت الكتاب الذي التقطته في لحظة فراغ باشمئزاز.

«استثناء الكاتب يُظهر انعدام إيمانه التام»، فكرتُ. «يا له من مسكين، إنه يُقدّر العمل الليلي كثيرًا!»

كان وعدي لأبي أن أُكمل دراستي الثانوية. لا أستطيع التظاهر بالاجتهاد. وجدتني الأشهر الماضية أقلّ حضورًا في الفصول الدراسية، بل في أماكن منعزلة على طول حمامات كلكتا. تُعتبر محرقة الجثث المجاورة، المُرعبة ليلًا، جذابةً للغاية لدى اليوغي. يجب ألا يُفزع من يجد الجوهر الخالد بضع جماجم غير مُزخرفة. يتجلى القصور البشري جليًا في المسكن الكئيب للعظام المتنوعة. وهكذا، كانت سهراتي الليلية مختلفةً عن سهرات العالم.

كان أسبوع الامتحانات النهائية في المدرسة الثانوية الهندوسية يقترب بسرعة. هذه الفترة من الاستجواب، كالمقابر، تُثير رعبًا مألوفًا. مع ذلك، كان عقلي مطمئنًا. متحديًا الغيلان، كنتُ أنبش عن معرفة لا تُوجد في قاعات المحاضرات. لكنها كانت تفتقر إلى فن سوامي براناباناندا، الذي كان يظهر بسهولة في مكانين في آن واحد. كانت معضلتي التعليمية، بوضوح، مسألة تتعلق بالإبداع اللانهائي.

كان هذا هو تفكيري، مع أنه يبدو للكثيرين غير منطقي. ينبع لاعقلانية المُريد من آلاف البراهين غير المُفسّرة على براءة الله في الشدائد.

أهلاً موكوندا! بالكاد أراك هذه الأيام! خاطبني زميل في الصف ذات ظهيرة على طريق جوربار.

أهلاً نانتو! اختفاءي في المدرسة وضعني في موقف محرج للغاية. خففتُ من وطأة نظراته الودودة.

نانتو، الذي كان طالبًا متفوقًا، ضحك بمرح؛ لم تكن محنتي خالية من الكوميديا

وجه.

"أنت غير مستعد تمامًا للنهائيات! أعتقد أن الأمر متروك لي لمساعدتك!"

أوحى لي الكلام البسيط بوعد إلهي، فزرتُ منزل صديقي بسرعة. شرح لي بلطف حلولًا لمختلف المشاكل التي ظنّ أن المدربين سيطرحونها.

هذه الأسئلة هي الطُعم الذي سيوقع العديد من الشباب الواثقين في فخ الامتحان. تذكروا إجاباتي، وستنجو بسلام.

كان الليل قد ولّى حين غادرتُ. مُفعَمًا بمعرفةٍ لم تُؤهلني، دُعيتُ بإخلاصٍ أن تبقى للأيام الحاسمة القادمة. كان نانتو قد درّبني في موادي المختلفة، لكن لضيق الوقت، نسيَ دراستي في السنسكريتية. ذكّرتُ الله بحرارةٍ بهذا الإهمال.

انطلقتُ في نزهة قصيرة في صباح اليوم التالي، مُستوعبًا معرفتي الجديدة على وقع خطواتٍ مُتأرجحة. وبينما كنتُ أسلك طريقًا مُختصرًا بين أعشاب أرضٍ نائية، وقعت عيني على بعض الأوراق المطبوعة المُبعثرة. وثبةٌ مُنتصرةٌ أثبتت أنها أبياتٌ سنسكريتية. بحثتُ عن مُعلِّمٍ ليساعدني في تفسيري المُتعثر. ملأ صوته الغنيّ الهواء بجمال اللسان القديم المُعسول ذي الحوافّ. ١٠-١

«لا يُمكن لهذه الأبيات الاستثنائية أن تُساعدك في اختبار اللغة السنسكريتية.» رفضها الباحث متشككًا.

لكن إلمامي بتلك القصيدة تحديدًا مكّنني في اليوم التالي من اجتياز امتحان اللغة السنسكريتية. وبفضل المساعدة الثاقبة التي قدمتها نانتو، حصلتُ أيضًا على الحد الأدنى للنجاح في جميع موادي الأخرى.

سُرّ والدي بأنني وفيتُ بوعدي وأنهيتُ دراستي الثانوية. وتوجهتُ بامتناني إلى الرب، الذي لمستُ إرشاده الوحيد في زيارتي لنانتو ومشيي في الطريق غير المألوف للأرض المليئة بالأنقاض. وبطريقة مرحة، عبّر عن تصميمه المُناسب لإنقاذي بتعبير مزدوج.

صادفتُ الكتابَ المهملَ الذي أنكرَ مؤلفُه وجودَ اللهِ في قاعاتِ الامتحانات. لم أستطعْ كتمَ ضحكتي من تعليقي الصامت:

"سوف يزيد هذا الرجل من ارتباكه إذا أخبرته أن التأمل الإلهي بين الجثث هو اختصار للحصول على شهادة الثانوية العامة!"

في كرامتي الجديدة، كنتُ أخطط لمغادرة المنزل بكل صراحة. قررتُ أنا وصديقي الشاب جيتندرا مازومدار، البالغ من العمر ١٠ سنوات ونصف، الانضمام إلى دير ماهاماندال في بنارس، وتلقي دروسه الروحية.

غمرني شعورٌ باليأس ذات صباحٍ حين فكرتُ في الانفصال عن عائلتي. منذ وفاة والدتي، ازداد تعلقي الشديد بأخويّ الصغيرين، ساناندا و...

بيشنو. هرعت إلى ملاذي، العلية الصغيرة التي شهدت الكثير من المشاهد في سادانا المضطربة. ١٠-٣ بعد ساعتين من سيل الدموع، شعرتُ بتحولٍ فريد، كما لو أنني تأثرتُ بمطهرٍ كيميائي. اختفى كلُّ ما علق بي من ١٠-٤؛ ورسختُ فيّ عزمي على البحث عن الله كصديقٍ للأصدقاء. أكملتُ استعداداتي للسفر بسرعة.

"أُقدّم رجاءً أخيرًا." كان أبي حزينًا وأنا أقف أمامه لأُباركه. "لا تتخلَّ عني وعن إخوتك وأخواتك الحزانى."

يا أبتِ الجليل، كيف لي أن أُعبّر عن حبي لك؟ لكن حبي للآب السماوي، الذي وهبني أبًا مثاليًا على الأرض، أعظم. دعني أرحل، لعلّي أعود يومًا بفهمٍ إلهيٍّ أعمق.

بموافقة والديّ المترددة، انطلقتُ للانضمام إلى جيتندرا، الذي كان موجودًا بالفعل في بنارس في المُعتزلة. عند وصولي، استقبلني كبير السوامي الشاب، دياناندا، بحرارة. كان طويل القامة ونحيفًا، وذا مظهرٍ مُتأمل، وقد أعجبني كثيرًا. كان وجهه الجميل هادئًا كهدوء بوذا.

سررتُ بوجود علية في منزلي الجديد، حيثُ استطعتُ قضاء فجر اليوم التالي. ولأن أعضاء الأشرم لم يكونوا على دراية كافية بممارسة التأمل، فقد رأوا أنه من الأفضل أن أخصص وقتي كله للأعمال التنظيمية. وأثنوا عليّ لعملي بعد الظهر في مكتبهم.

"لا تحاول أن تقبض على الله بهذه السرعة!" رافقتني هذه السخرية من أحد المقيمين في إحدى رحلاتي المبكرة إلى العلية. ذهبتُ إلى دياناندا، منشغلاً في حرمه الصغير المطل على نهر الجانج.

سواميجي، ١٠-٥ لا أفهم ما هو مطلوب مني هنا. أنا أسعى إلى إدراك مباشر لله. بدونه، لا أستطيع أن أكون راضيًا بالانتماء أو العقيدة أو أداء الأعمال الصالحة.

ربت عليّ الكاهن ذو الرداء البرتقالي بعطف. وبخني ساخرًا، ووبخ بعض التلاميذ القريبين قائلًا: "لا تزعجوا موكوندا. سيتعلم أساليبنا."

أخفيت شكوكي بأدب. غادر الطلاب القاعة، غير منزعجين من توبيخهم. كان لدى دياناندا المزيد من الكلمات لي.

موكوندا، أرى أن والدك يرسل لك المال بانتظام. أرجوك أعده إليه؛ فأنت لا تحتاج إليه هنا. أما الأمر الثاني في تأديبك فهو الطعام. حتى عندما تشعر بالجوع، لا تذكره.

لم أكن أعلم إن كان الجوع يلمع في عينيّ. كنت أعلم يقينًا أنني جائع. كانت الساعة الثانية عشرة ظهرًا هي الموعد الثابت لأول وجبة في الدير. كنت معتادًا في منزلي على فطور دسم في التاسعة.

أصبحت فترة الثلاث ساعات الفاصلة بين الوجبات أطول وأكثر امتدادًا يوميًا. ولت سنوات كلكتا التي كنت أستطيع فيها توبيخ الطاهي على تأخيره عشر دقائق. الآن، حاولتُ السيطرة على شهيتي؛ في أحد الأيام، صمتُ أربعًا وعشرين ساعة. وبحماسٍ مضاعف، انتظرتُ ظهر اليوم التالي.

"تأخر قطار ديانانداجي؛ لن نأكل حتى يصل." نقل لي جيتندرا هذا الخبر المحزن. كبادرة ترحيب بالسوامي، الذي غاب لأسبوعين ، كانت العديد من الأطباق جاهزة. عبقت رائحة شهية في الهواء. لا

شيء آخر يُقدم، فماذا عسانا نتذوق سوى الفخر بإنجاز صيام الأمس؟

يا رب، عجّل القطار! فكّرتُ أن المُقدّس السماوي لم يكن مُشمولاً بالمنع الذي أسكتني به ديانانда. لكنّ الاهتمام الإلهي كان في مكان آخر؛ غطّت الساعة البطيئة الساعات. كان الظلام يحلّ مع دخول قائدنا الباب. كانت تحيتي فرحًا صادقًا.

"سيستحم ديانانداجي ويتأمل قبل أن نتمكن من تقديم الطعام." اقترب مني جيتندرا مرة أخرى كطائر نذير شؤم.

كنت على وشك الانهيار. معدتي الصغيرة، التي لم تختبر الحرمان من قبل، كانت تصرخ بشدة. صور ضحايا المجاعة التي رأيتها مرت أمامي كالشبح.

"موت بنارس التالي جوعًا مُنتظرٌ فورًا في هذا المُنعزل"، فكّرتُ. دُفِعَتْ كارثةٌ مُحدِقةٌ في التاسعة. نداءٌ مُلهم! في الذاكرة، تلك الوجبةُ حاضرةٌ كإحدى ساعاتِ الحياةِ المُثلى.

مع ذلك، سمح لي انغماسي الشديد بملاحظة أن ديانانда كان يأكل دون وعي. كان يبدو أنه يفوق متعتي المملة.

"سوامي جي، ألم تكن جائعًا؟" كنت سعيدًا بالشبع، وكنت وحدي مع القائد في مكتبه.

أجل! لقد أمضيت الأيام الأربعة الماضية بلا طعام أو شراب. لا آكل أبدًا في القطارات، المليئة بأجواء العالم المتباينة. ألتزم بدقة بقواعد "العشرة إلى الستة" الصارمة للرهبان التابعين لطائفتي.

بعض مشاكل عملنا التنظيمي تشغل بالي. أهملتُ عشائي الليلة في المنزل. ما الداعي للعجلة؟ غدًا سأحرص على تناول وجبة صحية. ضحك بمرح.

انتشر العار في داخلي كالاختناق. لكن يوم العذاب الماضي لم يُنسى بسهولة؛ لذا تجرأت على إضافة ملاحظة أخرى.

يا سوامي، أنا في حيرة. بناءً على تعليماتك، لنفترض أنني لم أطلب طعامًا قط، ولم يُعطني أحد شيئًا. سأموت جوعًا.

"مت إذن!" هذه النصيحة المزعجة شقّت الأجواء. "مت إن اضطررت يا موكوندا! لا تعترف أبدًا بأنك تعيش بقوة الطعام لا بقوة الله! من خلق كل أنواع الغذاء، ومن وهب الشهية، سيضمن بالتأكيد أن يُرزق عبده! لا تظن أن الأرز يُعيلك، أو أن المال أو الرجال يُعينونك! هل يُمكنهم أن يُعينوك إذا سحب الرب نفس الحياة منك؟ إنهم مجرد أدوات غير مباشرة. هل بأي مهارة من مهاراتك يُهضم الطعام في معدتك؟ استخدم سيف تمييزك يا موكوندا! اقطع

من خلال سلاسل الوكالة وإدراك السبب الوحيد!

وجدتُ كلماته الثاقبة تخترق أعماقي. انتهى الوهم القديم الذي تتفوق فيه دوافع الجسد على الروح. هنا وهناك، ذاقتُ غنى الروح. في كم من المدن الغريبة، وفي أواخر حياتي الحافلة بالسفر، سنحت لي الفرصة لأُثبت جدوى هذا الدرس في صومعة بنارس!

كان الكنز الوحيد الذي رافقني من كلكتا هو تميمة السادهو الفضية التي ورثتها عن أمي. حرصتُ عليها لسنوات، ثم أخفيتها بعناية في غرفتي في الأشرم. لتجديد فرحي بشهادة السادهو، فتحتُ ذات صباح الصندوق المغلق. الغلاف المختوم سليم، يا إلهي! لقد اختفت التميمة. مزّقتُ ظرفها بحزن، وتأكدتُ يقينًا من أنها اختفت، وفقًا لنبوءة السادهو، في الأثير الذي استدعاها إليه.

تدهورت علاقتي بأتباع دياناندا باطراد. انعزل أهل البيت، وتأذوا من عزلتي المُصممة. كان تمسكي الصارم بالتأمل في المثل الأعلى الذي من أجله غادرت المنزل وجميع طموحاتي الدنيوية يثير انتقادات سطحية من جميع الجهات.

ممزقًا بسبب الضيق الروحي، دخلت العلية في أحد الفجر، عازمًا على الصلاة حتى أحصل على الإجابة.

"يا أم الكون الرحيمة، علمني بنفسك من خلال الرؤى، أو من خلال المعلم الروحي الذي أرسلته!"

مرّت الساعات ولم تجد توسلاتي الباكية إجابة. وفجأة شعرتُ وكأنني ارتقيتُ بجسدي إلى عالمٍ لا حدود له.

"سيأتي سيدك اليوم!" جاء صوت أنثوي إلهي من كل مكان ومن لا مكان.

لقد اخترقت هذه التجربة السماوية صرخة من مكان محدد. كان كاهن شاب يُدعى هابو يناديني من مطبخ الطابق السفلي.

"موكوندا، كفى تأملًا! أنت بحاجة لمهمة ما."

في يومٍ آخر، ربما كنتُ سأجيب بفارغ الصبر؛ الآن مسحتُ وجهي المتورم بالدموع، وأطعتُ النداء بخضوع. انطلقتُ أنا وهابو معًا إلى سوقٍ بعيد في القسم البنغالي من بنارس. لم تكن شمس الهند القاسية قد بلغت ذروتها بعد، بينما كنا نتسوق في الأسواق. شقينا طريقنا وسط خليطٍ من ربات البيوت، والمرشدين، والكهنة، والأرامل البسيطات، والبراهمة المهذبين، والثيران المقدسة المنتشرة في كل مكان. مررتُ زقاقًا غير ظاهر، والتفتُ وتأملتُ طوله الضيق.

وقف رجلٌ يُشبه المسيح يرتدي رداءً مُصفرّاً كسوامي، ساكناً في نهاية الطريق. بدا لي، على الفور، مألوفاً منذ القدم؛ غمرتني نظرةٌ شوقٌ للحظة. ثم اجتاحني الشك.

"أنت تخلط بين هذا الراهب المتجول وشخص تعرفه،" فكرت. "أيها الحالم، امشِ

على."

بعد عشر دقائق، شعرتُ بخدرٍ شديدٍ في قدميّ. كأنهما تحوّلتا إلى حجر، فلم تستطيعا حملي أكثر. استدرتُ بصعوبةٍ بالغة، فاستعادت قدماي وضعهما الطبيعي. واجهتُ الاتجاه المعاكس، فضغط عليّ هذا الثقل الغريب مرةً أخرى.

"القديس يجذبني إليه بسحر!" بهذه الفكرة، ألقيتُ بأغراضي بين ذراعي هابو. كان يراقب خطواتي المتذبذبة بدهشة، ثم انفجر ضاحكًا.

"ما الذي يزعجك؟ هل أنت مجنون؟"

لقد منعني عاطفتي المضطربة من الرد، فانطلقت مسرعًا بعيدًا في صمت.

عدتُ أدراجي كأنني أسير بجناح، ووصلتُ إلى الزقاق الضيق. كشفتْ نظرتي السريعة عن شخص هادئ، ينظر إليّ بثبات. بضع خطوات متحمسة، وكنتُ عند قدميه.

"غوروديفا!" ١٠-٧ لم يكن الوجه الإلهي إلا وجهه في آلاف رؤاي. هاتان العينان النابضتان بالحياة، برأس أسد ذي لحية مدببة وشعر منسدل، لطالما تطلعتا عبر ظلمة أحلامي الليلية، حاملتين وعدًا لم أفهمه تمامًا.

يا بنيّ، لقد أتيتَ إليّ! ردّد معلّمي هذه الكلمات مرارًا وتكرارًا بالبنغالية، بصوتٍ يرتجف فرحًا. "كم سنةً انتظرتك!"

دخلنا في صمتٍ مُوحَّد؛ بدت الكلماتُ أفظعَ ما يكون. تدفقت البلاغةُ في ترنيمةٍ صامتةٍ من قلبِ المُعلِّم إلى تلميذه. ببصيرةٍ لا تُدحض، شعرتُ أن مُعلِّمي يعرف الله، وسيقودني إليه. اختفى غموضُ هذه الحياة في فجرٍ هشٍّ من ذكرياتِ ما قبل الولادة. زمنٌ دراماتيكي! الماضي والحاضر والمستقبل هي مشاهدُه المُتناوبة. لم تكن هذه أول شمسٍ تُشرقُ عليّ عند هذه الأقدامِ المقدسة!

بيدي، قادني معلّمي إلى مسكنه المؤقت في حي رانا محل بالمدينة. كان قوامه الرياضيّ نشيطًا بخطوات ثابتة. طويل القامة، منتصب القامة، في الخامسة والخمسين من عمره آنذاك، كان نشيطًا وحيويًا في شبابه. كانت عيناه السوداوان واسعتين، جميلتين، بِحكمةٍ ناصعة. شعره الأجعد قليلاً يضفي على وجهه لمسةً من القوة اللافتة. امتزجت القوة بالرقة برقة.

وبينما كنا نتجه نحو الشرفة الحجرية للمنزل المطل على نهر الجانج، قال لنا بمودة:

"سأعطيك معتقلي وكل ما أملك."

"سيدي، لقد جئت من أجل الحكمة والتواصل مع الله. هذه هي كنوزك - أنا أسعى وراءها!"

كان شفق الهند السريع قد أسدل ستاره النصفي قبل أن يتكلم سيدي مرة أخرى. كانت عيناه تحملان حنانًا لا يُسبر غوره.

"أعطيك حبي غير المشروط."

كلمات ثمينة! مرّ ربع قرن قبل أن أحصل على دليل سمعي آخر على حبه. كانت شفتاه غريبتين عن الحماس؛ وأصبح الصمت قلبه المحيطي.

"هل ستمنحني نفس الحب غير المشروط؟" نظر إليّ بثقة طفولية.

"سأحبك إلى الأبد، جورودیفا!"

الحب العادي أناني، متجذرٌ في الرغبات والإشباع. الحب الإلهي بلا شروط، بلا حدود، بلا تغيير. يتلاشى نبض القلب البشري إلى الأبد بلمسة الحب النقي الآسرة. وأضاف بتواضع: "إذا وجدتني يومًا أسقط من حالة إدراك الله، فأرجو أن تعدني بأن تضع رأسي على حجرك وتساعدني على العودة إلى الحبيب الكوني الذي نعبده معًا".

ثم نهض في الظلام المتصاعد وقادني إلى غرفة داخلية. وبينما كنا نتناول حلوى المانجو واللوز، نسج في حديثه، دون أن يلفت انتباهي، معرفةً حميمةً بطبيعتي. أذهلني عظمة حكمته الممزوجة بتواضعٍ فطري.

لا تحزن على تميمتك، فقد أدّت غرضها. كمرآة إلهية، يبدو أن معلّمي قد التقط انعكاسًا لحياتي بأكملها.

"إن الحقيقة الحية لوجودك، يا سيدي، هي الفرح الذي يتجاوز أي رمز."

"لقد حان الوقت للتغيير، بما أنك تعيش وضعًا غير سعيد في المنعزل."

لم أذكر أي شيء عن حياتي؛ بدت لي الآن لا لزوم لها! من أسلوبه الطبيعي والهادئ، فهمت أنه لا يريد أي دهشة من بصيرته.

"عليك العودة إلى كالكوتا. لماذا تستبعد أقاربك من حبك للإنسانية؟"

أثار اقتراحه دهشتي. كانت عائلتي تتوقع عودتي، مع أنني لم أرد على العديد من المناشدات عبر الرسائل. قال أنانتا: "دع الطائر الصغير يحلق في سماءات ما وراء الطبيعة. ستتعب أجنحته في الجو الثقيل. سنراه ينقضّ نحو الوطن، مطوية أجنحته، ويستريح بتواضع في عشّ عائلتنا". وبينما كان هذا التشبيه المحبط لا يزال حاضرًا في ذهني، عزمتُ على ألا "أنقضّ" باتجاه كلكتا.

سيدي، لن أعود إلى المنزل. لكنني سأتبعك إلى أي مكان. من فضلك أعطني عنوانك واسمك.

سوامي سري يوكتسوار جيري. صومعتي الرئيسية في سيرامبور، في شارع راي غات. أزور والدتي هنا لبضعة أيام فقط.

تعجبتُ من لعب الله المعقد مع أتباعه. تبعد سيرامبور اثني عشر ميلاً فقط عن كلكتا، ومع ذلك لم أرَ معلّمي قط في تلك المناطق. كان علينا السفر لـ

لقائُنا في مدينة كاسي القديمة (بناريس)، المُقدسة بذكريات لاهيري ماهاسايا. هنا أيضًا باركت أقدام بوذا وشانكاراشاريا وغيرهم من اليوغيين المسيحيين تربتها.

ستأتي إليّ خلال أربعة أسابيع. ولأول مرة، كان صوت سري يوكتسوار صارمًا. "الآن، عبرتُ عن حبي الأبدي، وأظهرتُ سعادتي بلقاءك، ولهذا السبب تتجاهل طلبي. في لقائنا القادم، عليكَ أن تُثير اهتمامي من جديد : لن أقبلك تلميذًا بسهولة. يجب أن يكون هناك استسلام كامل بالطاعة لتدريبي الصارم."

بقيتُ صامتًا بعناد. اخترق معلّمي صعوبتي بسهولة.

هل تعتقد أن أقاربك سوف يضحكون عليك؟

"لن أعود."

"سوف تعود بعد ثلاثين يومًا."

"أبدًا." انحنيتُ باحترام عند قدميه، وغادرتُ دون أن أُخفف من حدة التوتر المُثير للجدل. وبينما كنتُ أشق طريقي في ظلمة منتصف الليل، تساءلتُ عن سبب انتهاء هذا اللقاء العجيب بنبرةٍ غير متناغمة. مقاييس المايا المزدوجة، التي تُوازن بين كل فرحٍ وحزن! لم يكن قلبي الصغير بعدُ مُطواعًا لأصابع مُعلمي المُغيّرة.

في صباح اليوم التالي، لاحظتُ ازديادًا في عدائية أعضاء المُنتزه. أصبحت أيامي مليئةً بفظاظةٍ مُستمرة. بعد ثلاثة أسابيع، غادر ديانandا الأشرم لحضور مؤتمرٍ في بومباي؛ خيّم فوضى عارمة على رأسي.

موكوندا طفيلي، يقبل ضيافة النساك دون أن يُقدّم له المقابل المناسب. عند سماعي هذه الملاحظة، ندمتُ لأول مرة على استجابتي لطلب والدي بإعادة مالي. وبقلبٍ حزين، بحثتُ عن صديقي الوحيد، جيتندرا.

سأغادر. أرجو إبلاغ ديانانداجي باعتذاري المحترم عند عودته.

سأغادر أنا أيضًا! محاولاتي للتأمل هنا لا تلقى استحسانًا يُذكر. قال جيتندرا بعزم.

لقد التقيتُ قديسًا مسيحيًا. لنذهب لزيارته في سيرامبور.

وهكذا استعد "الطائر" للانقضاض بشكل خطير على مقربة من كلكتا!

١٠-١: السنسكريتية، مصقولة؛ كاملة. السنسكريتية هي الأخت الكبرى لجميع اللغات الهندو-أوروبية. خطها الأبجدي هو الديفاناغاري، الذي يعني حرفيًا "البيت الإلهي". "من يعرف قواعدي يعرف الله!" أشاد بانيني، عالم اللغة العظيم في الهند القديمة، بالكمال الرياضي والنفسي في السنسكريتية. من يتتبع اللغة إلى مخبئها، لا بد أن ينتهي به المطاف عالمًا بكل شيء.

10-2: لم يكن جاتيندا (جوتين غوش)، الذي سيظل الناس يتذكرونه بسبب نفوره من النمور في الوقت المناسب!

10-3: الطريق أو الطريق التمهيدي إلى الله.

١٠-٤: تُعلّم النصوص الهندوسية المقدسة أن التعلق العائلي خداعٌ إذا منع المُتعبد من التماس هبة جميع النعم، بما في ذلك نعمة الأقارب المُحبين، ناهيك عن الحياة نفسها. وبالمثل، علّم يسوع: "من هي أمي؟ ومن هم إخوتي؟" (متى ١٢: ٤٨).

10-5: Ji هي لاحقة محترمة عرفية، تُستخدم بشكل خاص في العنوان المباشر؛ ومن ثم "سواميجي"، و"جوروجي"، و"سري يوكتيسوارجي"، و"بارامهانساجي".

١٠-٦: يتعلق بالشاستra، أي "الكتب المقدسة"، والتي تضم أربعة أنواع من النصوص المقدسة: الشروتي، والسمريتي، والبورانا، والتانترا. تغطي هذه الرسائل الشاملة جميع جوانب الحياة الدينية والاجتماعية، بما في ذلك مجالات القانون، والطب، والعمارة، والفن، وغيرها. أما الشروتي، فهي النصوص المقدسة "المسموعة مباشرة" أو "الموحى بها"، أي الفيدا. أما السمريتي، أو التراث "المُتذكَّر"، فقد كُتبت أخيرًا في الماضي البعيد كأطول قصائد ملحمية في العالم، وهي المهابهاراتا وراماياناً. أما البورانا، فهي استعارات "قديمة" حرفيًا؛ بينما تعني التانترا حرفيًا "طقوسًا" أو "طقوسًا"؛ وتنقل هذه الرسائل حقائق عميقة تحت ستار من الرمزية المُفصَّلة.

١٠-٧: "المعلم الإلهي"، المصطلح السنسكريتي الشائع للمرشد الروحي. ترجمته بالإنجليزية ببساطة إلى "المعلم".

الفصل: 11

صبيان مفلسان في بريندابان

يا موكوندا، يا لك من حق لو حرمك أبي من الميراث! يا لغبائك، تُهدر حياتك! كانت عظة أخي الأكبر تُهاجم أذني.

أنا وجيتندرا، بعد أن عدنا للتو من القطار (مجرد مجاز؛ كنا مغطَّين بالغبار)، وصلنا لتونا إلى منزل

أنانتا، الذي نُقل مؤخرًا من كلكتا إلى مدينة أغرا القديمة. كان أخي محاسبًا مشرفًا في سكة حديد بنغال-ناغبور.

"أنت تعرف جيدًا، أنانتا، أنني أسعى للحصول على ميراثي من الآب السماوي."

المال أولاً، والله يأتي لاحقاً! من يدري؟ قد تطول الحياة.

الله أولاً، والمال عبده! من يعلم؟ قد تكون الحياة قصيرة جدًا.

كان ردي مُستلهمًا من ضرورات اللحظة، ولم يكن مُتوقعًا. ومع ذلك، انكشفت أوراق الزمن لتُصبح نهائية مبكرة بالنسبة لأنانتا؛ وبعد بضع سنوات، 11-1، دخل أرضًا لا تُجدي فيها الأوراق النقدية نفعًا، لا أولًا ولا آخرًا.

«أظنها حكمة من المُنْزَل! لكنني أرى أنك غادرت بنارس.» لمعت عينا أنانتا بالرضا؛ لكنه كان يأمل أن يُثبّت ريشي في عش العائلة.

لم تكن إقامتي في بنارس عبثًا! لقد وجدتُ هناك كل ما كان قلبي يتوق إليه! كن على يقين أنه لم يكن عالمك أو ابنه!

انضم إلي أنانتا في ضحكة تذكرية؛ فقد كان عليه أن يعترف بأن "العراف" الذي اختاره من بنارس كان قصير النظر.

"ما هي خططك يا أخي المتجول؟"

أقنعني جيتندرا بالذهاب إلى أغرا. سنشاهد جمال تاج محل ١١-٢ هنا، شرحتُ. "ثم سنذهب إلى معلّمي الجديد، الذي يملك ديرًا في سيرامبور."

رتّب أنانتا بكرمٍ راحتنا. لاحظتُ عدة مرات خلال المساء أن عينيه تُحدّقان بي بتأمل.

"أعرف هذه النظرة!" فكرتُ. "مؤامرة تُحاك!"

وقد حدثت خاتمة الأمر أثناء تناولنا وجبة الإفطار المبكرة.

"إذن تشعر بأنك مستقل تمامًا عن ثروة أبي." كانت نظرة أنانتا بريئة وهو يستأنف نقاشاته الحادة حول محادثة الأمس.

"أنا مدرك لاعتمادي على الله."

الكلمات رخيصة! لقد حمتك الحياة حتى الآن! يا لها من محنة لو اضطررتَ للجوء إلى اليد الخفية للحصول على طعامك ومأوى! فسرعان ما ستتسول في الشوارع!

"أبدًا! لن أضع ثقتي في المارة بدلًا من الله! فهو قادر على أن يُدبّر لعبدِه ألفَ مصدرٍ بالإضافة إلى وعاءِ التسول!"

مزيد من البلاغة! هل أقترح أن تُختبر فلسفتك المزعومة في هذا العالم الملموس؟

"أوافقك الرأي! هل تحصر الله في عالم افتراضي؟"

"سوف نرى؛ اليوم سيكون لديك الفرصة إما لتوسيع أو تأكيد وجهة نظري الخاصة!" توقف أنانتا للحظة درامية؛ ثم تحدث ببطء وبجدية.

أقترح أن أرسلك وزميلك جيتندرا هذا الصباح إلى مدينة بريندابان القريبة. لا تأخذا روبية واحدة؛ لا تتسولا طعامًا ولا مالًا؛ لا تكشفا عن محنتكما لأحد؛ لا تحرمكما طعامكما؛ ولا تتركا بريندابان. إذا عدتَ إلى منزلي هنا قبل الثانية عشرة من ظهر اليوم، دون أن تخالفا أيًّا من قواعد الاختبار، فسأكون أشدّ دهشة في أغرا!

"أقبل التحدي". لم يكن هناك تردد في كلماتي أو في قلبي. لمعت في ذهني ذكريات الامتنان عن الإحسان الفوري: شفائي من الكوليرا القاتلة من خلال مناشدة لاهيري.

صورة مهاسيا؛ الهدية المرحة للطائرتين الورقيتين على سطح لاهور مع أوما؛ التعويذة المناسبة وسط إحباطي؛ الرسالة الحاسمة من راهب بنارس المجهول خارج مجمع منزل العالم الروحي؛ رؤية الأم الإلهية وكلماتها المهيبة عن الحب؛ اهتمامها السريع من خلال المعلم مهاسيا بحرجاتي البسيطة؛ التوجيه في اللحظة الأخيرة الذي جسّد شهادة الثانوية العامة؛ والنعمة الكبرى، معلمي الحي من

ضباب أحلام العمر. لم أستطع قط أن أعترف بأن "فلسفتي" لا ترقى إلى مستوى أي صراع في أرض الاختبار القاسية في العالم!

"استعدادك يُحسب لك. سأرافقك إلى القطار فورًا." التفت أنانتا إلى جيتندرا فاغر الفم. "يجب أن تذهب كشاهد، وعلى الأرجح كضحية!"

بعد نصف ساعة، كنتُ أنا وجيتندرا نحمل تذاكر ذهاب فقط لرحلتنا المُرتجلة. خضعنا، في ركنٍ منعزلٍ من المحطة، للتفتيش. اقتنع أنانتا سريعًا بأننا لا نحمل أي كنزٍ مخفي؛ لم تُخفِ ملابسنا البسيطة (الدوتي ١١-٣) شيئًا أكثر مما هو ضروري.

مع غزو الإيمان لعوالم المال الجادة، تحدث صديقي مُحتجًا: "أنانتا، أعطني روبية أو اثنتين كضمان. حينها يُمكنني إرسال برقية إليك في حال وقوع مصيبة."

"جيتندرا!" كان قذفي مُوبِّخًا بشدة. "لن أُجري الاختبار إذا أخذتَ أيَّ مالٍ كضمانٍ نهائي."

«هناك شيءٌ مُطمئنٌ في رنين العملات المعدنية.» لم يُكمل جيتندرا كلامه وأنا أُحدِّق فيه بصرامة.

"موكوندا، لستُ قاسي القلب." تسللت نبرة تواضع إلى صوت أنانتا. ربما كان ضميره يؤنبه؛ ربما لإرساله ولدين مُعْسِرين إلى مدينة غريبة؛ ربما لشكه الديني. "إذا نجحتَ، بفضل الله أو بفضل

فضله، في محنة بريندابان، فسأطلب منك أن تُرسِلني تلميذًا لك."

كان لهذا الوعد بعض الاختلاف، بما يتماشى مع المناسبات غير التقليدية. نادرًا ما ينحني الأخ الأكبر في عائلة هندية أمام صغاره؛ فهو يحظى بالاحترام والطاعة لا يفوقهما إلا احترام الأب. لكن لم يبقَ وقتٌ لتعليقي؛ فقد كان قطارنا على وشك الانطلاق.

ساد الصمت الكئيب جيتندرا بينما قطع قطارنا الأميال. أخيرًا، استفاق، وانحنى، ولَزَغَ في مكانٍ مؤلم.

"لا أرى أي علامة على أن الله سوف يوفر لنا وجبتنا القادمة!"

"اصمت يا توما المتشكك، الرب يعمل معنا."

هل يمكنك أيضًا أن تُعجّله؟ أنا مُتعطشٌ بالفعل لمجرد المنظر الذي أمامنا. غادرتُ بنارس لرؤية ضريح تاج محل، لا لدخول ضريحي!

"افرح يا جيتندرا! ألا نلقي نظرة أولى على عجائب بريندابان المقدسة؟ ١١-٤ أشعر بفرح عميق حين أفكر في وطء الأرض المقدسة بقدمي الرب كريشنا."

انفتح باب مقصورتنا، وجلس رجلان. ستكون محطة القطار التالية هي الأخيرة.

يا شباب، هل لديكم أصدقاء في بريندابان؟ كان الغريب الجالس أمامي يُبدي اهتمامًا مُفاجئًا.

"لا شأن لك!" بكل وقاحة حولت نظري بعيدًا.

ربما تهربون من عائلاتكم تحت تأثير سارق القلوب. ١١-٥ أنا شخصيًا من ذوي المزاج المتدين. سأحرص على أن تحصلوا على الطعام والمأوى من هذه الحرارة الشديدة.

لا يا سيدي، دعنا وشأننا. أنت لطيف جدًا؛ ولكنك مخطئ في الحكم علينا بأننا متغيبون عن المنزل.

لم يجرِ أي حديث آخر، وتوقف القطار. وبينما نزلتُ أنا وجيتندرا إلى الرصيف، شبك رفاقنا المصادفة أيديهم معنا واستدعوا عربة تجرها الخيول.

جلسنا أمام صومعة فخمة، وسط أشجار دائمة الخضرة في أراضٍ مُعتنى بها. كان مُحسنونا معروفين هنا بوضوح؛ قادنا شاب مبتسم دون أي تعليق إلى صالون. وسرعان ما انضمت إلينا امرأة مُسنّة ذات هيبة.

"يا غوري ما، لم يتمكن الأمراء من الحضور." خاطب أحد الرجال مضيفة الأشرم. "في اللحظة الأخيرة، فشلت خططهم؛ وأعربوا عن أسفهم العميق. لكننا أحضرنا ضيفين آخرين. بمجرد أن التقينا في القطار، شعرتُ بانجذاب إليهما كأتباع للإله كريشنا."

(من اليسار إلى اليمين) جيتندرا مازومدار، رفيقي في "اختبار الإفلاس" في بريندابان؛ لاليت دا، ابن عمي؛ سوامي كيبلاناندا ("شاستري ماهاسايا")، معلمي المقدس في اللغة السنسكريتية؛ أنا، عندما كنت شابًا في المدرسة الثانوية

أناندا مويي ما "الأم الممتلئة بالفرح" البنغالية.

أحد كهوف باباجي في جبال درونغيري قرب رانيخيت في جبال الهيمالايا. يزور هذا المكان المقدس أناندا موهان لاهيري (الثاني من اليمين، بالأبيض)، وهو حفيد لاهيري ماهاسايا، وثلاثة من المريدين الآخرين.

وداعًا يا صديقينا الشابين. سار صديقانا إلى الباب. نلتقي مجددًا إن شاء الله.

أهلاً بكِ هنا. ابتسمت غوري ما ابتسامةً حنونةً على ضيفيها غير المتوقعين. "لم يكن من الممكن أن تأتيا في يومٍ أفضل. كنتُ أتوقع ضيفين ملكيين لهذا الدير. يا للأسف، لم يجد طبخي من يُقدّره!"

كان لهذه الكلمات الشهية أثرٌ كارثي على جيتندرا: انفجر باكيًا. كان "الاحتمال" الذي كان يخشاه في بريندابان بمثابة تسلية ملكية؛ فقد كان تكيفه العقلي المفاجئ فوق طاقته. نظرت إليه مضيفة منزلنا بفضول، ولكن دون أن تُعلق؛ ربما كانت مُلِمَّةً بطباع المراهقين.

أُعلن عن موعد الغداء؛ قادتنا غوري ما إلى فناءٍ لتناول الطعام، تفوح منه روائح شهية. ثم اختفت في المطبخ المجاور.

كنتُ أُخطط لهذه اللحظة مُسبقًا. اخترتُ المكان المُناسب على جسد جيتندرا، وقرصتُه قرصةً قويةً كالتي تلقاها في القطار.

"توما الشكاك، الرب يعمل - على عجل أيضًا!"

عادت المضيفة ومعها بانكا. هبّت علينا بثبات على الطريقة الشرقية بينما كنا نجلس القرفصاء على مقاعد مزخرفة مغطاة بالبطانيات. تنقّل أتباع الأشرم جيئة وذهابًا حاملين نحو ثلاثين طبقًا. بدلًا من "وجبة"، لا يمكن وصفها إلا بأنها "وجبة فاخرة". منذ وصولنا إلى هذا العالم، لم نتذوق أنا وجيتندرا مثل هذه الأطعمة الشهية من قبل.

أطباق تليق بالأمراء حقًا، يا سيدتي الفاضلة! ما كان ليخطر ببال رعاتكِ الملكيات أن يجدنه أكثر إلحاحًا من حضور هذه الوليمة! لقد منحتنا ذكرى خالدة!

رغم صمتنا بسبب طلب أنانتا، لم نستطع أن نشرح للسيدة الكريمة أن شكرنا يحمل معنىً مزدوجًا. على الأقل، كان صدقنا جليًا. غادرنا ببركتها ودعوتها الجذابة لزيارة الدير مجددًا.

كان الحرّ في الخارج لا يرحم. توجهتُ أنا وصديقي إلى شجرة كادامبا فخمة عند بوابة الأشرم. تلا ذلك كلمات حادة؛ ومرة أخرى، غمرت الشكوك جيتندرا.

يا لها من مأزقٍ كبيرٍ أوقعتني فيه! لم يكن غداءنا إلا صدفةً سعيدةً! كيف يُمكننا رؤية معالم هذه المدينة دون أن يفصلنا شيءٌ واحد؟ وكيف ستُعيدني إلى أنانتا؟

"أنت تنسى الله بسرعة، الآن وقد امتلأت معدتك." كلماتي، وإن لم تكن مُرّة، كانت اتهامية. ما أقصر ذاكرة الإنسان عن النعم الإلهية! ما من إنسان يعيش إلا ويرى بعض دعواته تُستجاب.

"من غير المرجح أن أنسى حماقتي في المغامرة مع شخص مجنون مثلك!"

"اصمت يا جيتندرا! الرب الذي أطعمنا سيُرينا بريندابان، ويعيدنا إلى أغرا."

اقترب شاب نحيف ذو وجهٍ جميلٍ بخطىً سريعة. توقف تحت شجرتنا، وانحنى أمامي.

صديقي العزيز، أنت ورفيقك لا بد أنكما غريبان هنا. اسمح لي أن أكون مضيفكما ومرشدكما.

من الصعب على الهندي أن يشحب، لكن وجه جيتندرا بدا عليه الغثيان فجأة. رفضت العرض بأدب.

"أنت بالتأكيد لن تطردني؟" كان من الممكن أن يكون قلق الغريب مضحكًا في أي ظروف أخرى.

"ولم لا؟"

"أنت معلّمي." تطلعت عيناه إليّ بثقة. "خلال صلواتي في الظهيرة، ظهر لي الرب المبارك كريشنا في رؤيا. أراني شخصين مهجورين تحت هذه الشجرة. أحدهما كان وجهك يا سيدي! لطالما رأيته في التأمل! يا لها من فرحة إذا قبلت خدماتي المتواضعة!"

أنا أيضًا سعيدٌ لأنك وجدتني. لم يتخلَّ عنا الله ولا الإنسان! مع أنني كنتُ ساكنًا، مبتسمًا للوجه المتلهِّف أمامي، إلا أن انحناءةً داخليةً ألقت بي نحو القدمين الإلهيتين.

"أصدقائي الأعزاء، هل يمكنكم تكريم منزلي بزيارة؟"

"أنت لطيف، لكن الخطة غير قابلة للتنفيذ. نحن بالفعل ضيوف أخي في أغرا."

"على الأقل أعطني ذكريات جولة بريندابان معك."

وافقتُ بسرور. أوقف الشاب، الذي قال إن اسمه براتاب تشاترجي، عربةً تجرها الخيول. زرنا معبد ماداناموهانا وأضرحة كريشنا الأخرى. حلّ الليل ونحن نؤدي صلواتنا في المعبد.

"اعذروني ريثما أحصل على ساندش." ١١-٦ دخل براتاب متجرًا بالقرب من محطة السكة الحديد. تجولتُ أنا وجيتندرا في الشارع الواسع، المزدحم الآن في برودته النسبية. غاب صديقنا لبعض الوقت، لكنه عاد أخيرًا حاملًا هدايا من الحلويات.

"أرجو أن تسمحوا لي بالحصول على هذه المكافأة الدينية." ابتسم براتاب متوسلاً وهو يمد يده بمجموعة من أوراق الروبية وتذكرتين، اشتراهما للتو، إلى أغرا.

كان إجلالي في قبولي لليد الخفية. سخر منها أنانتا، ألم يزد فضلها عن ضرورتها؟

لقد بحثنا عن مكان منعزل بالقرب من المحطة.

"براتاب، سأعلمك كرييا لاهيري ماهاسايا، أعظم يوغي في العصر الحديث. ستكون تقنيته بمثابة معلمك الروحي."

اختُتم التنشئة في نصف ساعة. قلتُ للطالب الجديد: "كريا هي شينتاماني خاصتك". "هذه التقنية، التي كما ترى بسيطة، تُجسّد فنّ تسريع الإنسان".

التطور الروحي. تُعلّم الكتب الهندوسية المقدسة أن الأنا المتجسدة تحتاج إلى مليون عام لنيل التحرر من المايا. تُختصر هذه الفترة الطبيعية بشكل كبير من خلال الكريا يوغا. وكما أثبت

جاغاديس تشاندرا بوس أنه يمكن تسريع نمو النبات بما يتجاوز معدله الطبيعي بكثير، فكذلك يمكن تسريع النمو النفسي للإنسان من خلال علم داخلي. كن وفيًا في ممارستك؛ ستقترب من معلم جميع المعلمين الروحيين.

"أشعر بسعادة غامرة لاكتشاف هذا المفتاح اليوغي الذي طال انتظاره!" قال براتاب بتفكير.
"سيُحررني تأثيره المُحرر لحواسي إلى عوالم أسمى. إن رؤية الرب كريشنا اليوم لا تعني لي سوى خيري الأسمى."

جلسنا لبرهة في صمتٍ وتفاهم، ثم مشينا ببطءٍ إلى المحطة. غمرني الفرح وأنا أصعد القطار، لكن هذا كان يوم جيتندرا الذي ذرفت فيه الدموع. تخلل وداعي الحنون لبراتاب شهقاتٌ مكتومة من رفيقيّ. ومرة أخرى، وجدت الرحلة جيتندرا غارقًا في بحرٍ من الحزن. ليس على نفسه هذه المرة، بل على نفسه.

"ما أضعف ثقتي! لقد كان قلبي حجريًا! لن أشك أبدًا في حماية الله!"

اقترب منتصف الليل. دخلت "سندريلا" الاثنتان، اللتان أُرسلتا بلا مال، غرفة أنانتا. كان وجهه، كما وعد، ينم عن دهشة. أمطرتُ الطاولة بالروبيات في صمت.

"جيتندرا، الحقيقة!" كان نبرة أنانتا مازحة. "ألم يكن هذا الشاب يُدبّر عملية سرقة؟"

ولكن مع تطور القصة، تحول أخي إلى رصين، ثم إلى جاد.

«قانون العرض والطلب يمتد إلى عوالم أدق مما كنت أظن». تحدث أنانتا بحماس روحي لم يسبق له مثيل. «أتفهم لأول مرة لامبالاتك بكنوز العالم وتراكماته المبتذلة».

على الرغم من تأخر الوقت، أصرّ أخي على أن يتلقى دروسًا في الكريا يوغا من الصف الحادي عشر إلى الثامن. كان على "المعلم" موكوندا أن يتحمل مسؤولية تلميذين غير مرغوب فيهما في يوم واحد.

تناولتُ فطور الصباح التالي بتناغمٍ غاب عن اليوم السابق. ابتسمتُ لجيتندرا.

"لن يُحرمك تاج محل. دعنا نراه قبل أن ننطلق إلى سيرامبور."

ودّعت أنا وصديقي أنانتا، وسرعان ما وصلنا إلى مجد أغرا، تاج محل. رخامه الأبيض المتلألئ تحت أشعة الشمس، ينتصب في مشهدٍ من التناسق الخالص. المكان المثالي هو أشجار السرو الداكنة، والمروج الخضراء، والبحيرة الهادئة. أما التصميم الداخلي، فهو بديع بنقوشه الشبيهة بالدانتيل

المرصعة بالأحجار شبه الكريمة. وتبرز أكاليل الزهور الرقيقة والمخطوطات بدقة من الرخام البني والبنفسجي. وتسقط إضاءة القبة على ضريحي الإمبراطور شاه جهان وممتاز محل، ملكة مملكته وقلبه.

كفى من مشاهدة المعالم! كنتُ مشتاقًا لمعلمي. كنتُ أنا وجيتندرا نسافر جنوبًا بعد قليل.

قطار متجه إلى البنغال.

"موكوندا، لم أرَ عائلتي منذ شهور. لقد غيرت رأيي؛ ربما سأزور سيدك في سيرامبور لاحقًا."

صديقي، الذي يُمكن وصفه بأنه متقلب المزاج، تركني في كلكتا. بالقطار المحلي، وصلتُ سريعًا إلى سيرامبور، على بُعد اثني عشر ميلًا شمالًا.

غمرتني دهشةٌ غامرةٌ حين أدركتُ أن ثمانيةً وعشرين يومًا قد انقضت على لقائي بمعلمي في بنارس. "ستأتي إليّ خلال أربعة أسابيع!". ها أنا ذا، وقلبي يخفق بشدة، أقف في فناء منزله في شارع راي غات الهادئ. دخلتُ لأول مرةٍ المُعتزلة حيثُ سأقضي معظم السنوات العشر القادمة مع جياناڤاتار الهند، "تجسيد الحكمة".

11-1: انظر الفصل 25.

11-2: الضريح الشهير عالميًا..

11-3: يتم عقد قطعة قماش دوتي حول الخصر وتغطي الساقين.

١١-٤: بريندابان، في مقاطعة موترا التابعة للمقاطعات المتحدة، هي القدس الهندوسية. هنا أظهر الرب كريشنا مجده لخير البشرية.

11-5: هاري؛ اسم محبب يُعرف به اللورد كريشنا بين أتباعه.

11-6: حلوى هندية..

11-7: جوهرة أسطورية لها القدرة على تحقيق الرغبات.

11-8: البدء الروحي؛ من الجذر السنسكريتي diksh، لتكريس الذات.

الفصل: 12

سنوات في محبسة سيدي

"لقد أتيت." استقبلني سري يوكتسوار من جلد نمر على أرضية غرفة جلوس بشرفة. كان صوته باردًا، وأسلوبه خاليًا من المشاعر.

"نعم يا سيدي العزيز، أنا هنا لأتبعك." ركعت ولمست قدميه.

"كيف يمكن ذلك؟ أنت تتجاهل رغباتي."

"لا مزيد يا جورو جي! ستكون رغبتك قانونًا لي!"

"هذا أفضل! الآن أستطيع أن أتحمل مسؤولية حياتك."

"أنا أتنازل عن العبء طوعا، يا سيدي."

"طلبي الأول إذن هو أن تعود إلى منزلك وعائلتك. أريدك أن تلتحق بالجامعة في كلكتا. يجب أن تواصل تعليمك."

حسنًا سيدي. أخفيتُ دهشتي. هل ستلاحقني الكتب المُلحّة على مرّ السنين؟ أولًا يا أبي، والآن سري يوكتسوار!

"يومًا ما ستذهب إلى الغرب. سيُصغي أهله أكثر إلى حكمة الهند القديمة إذا كان المعلم الهندوسي الغريب حاصلًا على شهادة جامعية."

أنت أعلم يا غورو جي. رحل كآبتي. وجدتُ الإشارة إلى الغرب مُحيّرة وبعيدة المنال؛ لكن فرصتي لإرضاء سيدي بالطاعة كانت آنيةً للغاية.

"سوف تكون قريبًا من كلكتا؛ تعال إلى هنا عندما تجد الوقت."

"كل يوم إن أمكن يا سيدي! أقبل بامتنان سلطتك في كل تفاصيل حياتي - بشرط واحد."

"نعم؟"

"أنك وعدت بأن تكشف لي الله!"

دارت معركة كلامية استمرت ساعة. لا يُمكن تزوير كلمة المعلم؛ فهي لا تُعطى بسهولة. تفتح دلالات هذا التعهد آفاقًا ميتافيزيقية واسعة. يجب أن يكون المعلم الروحي على علاقة وطيدة بالخالق قبل أن يُلزمه بالظهور! شعرتُ بوحدة سري يوكتسوار الإلهية، وصممتُ، بصفتي تلميذه، على استغلال مصلحتي.

"أنت ذو شخصية صارمة!" ثم وافق المعلم بنهاية حنونة:

"لتكن أمنيتك هي أمنيتي."

رُفع ظلٌّ دام طوال حياتي عن قلبي؛ وانتهى البحث المُبهم، هنا وهناك. لقد وجدتُ ملاذًا أبديًا في مُعلِّمٍ روحيٍّ حقيقي.

"تعالَ، سأريكَ المُنزِل." نهضَ المُعلِّمُ من حصيرِهِ المُخمل. التفتُّ حولي، فوقع نظري بدهشةٍ على لوحةٍ جداريةٍ مُزينةٍ بباقةٍ من الياسمين.

"لاهيري ماهاسايا!"

نعم، يا معلّمي الإلهي. كان صوت سري يوكتسوار نابضًا بالإجلال. "كان أعظم، كإنسان ويوغي، من أي معلّم آخر كانت حياته ضمن نطاق أبحاثي."

انحنيتُ بصمتٍ أمام الصورة المألوفة. وتسارعت روحي إجلالاً للمعلم الفريد الذي بارك طفولتي، وهدى خطواتي إلى هذه الساعة.

بقيادة معلّمي، تجوّلت في المنزل وأراضيه. كان المنزل كبيرًا وقديمًا ومبنيًا بشكل جيد، وكان محاطًا بفناء ضخم ذي أعمدة. كانت الجدران الخارجية مغطاة بالطحالب؛ ورفرفت الحمام فوق السطح الرمادي المسطح، وتشارك أماكن الأشرم دون مراسم. كانت الحديقة الخلفية ممتعة بأشجار الجاك فروت والمانجو والموز الجنة. كانت الشرفات ذات الدرابزين للغرف العلوية في المبنى المكون من طابقين تواجه الفناء من ثلاث جهات. وقال المعلم إن قاعة واسعة في الطابق الأرضي، ذات سقف مرتفع مدعوم بأعمدة، كانت تُستخدم بشكل رئيسي خلال الاحتفالات السنوية لدورجابوجا. 12-1 أدى درج ضيق إلى غرفة جلوس سري يوكتسوار، التي كانت شرفتها الصغيرة تطل على الشارع. كان الأشرم مفروشًا بشكل بسيط؛ كان كل شيء بسيطًا ونظيفًا وعمليًا. كان هناك العديد من الكراسي والمقاعد والطاولات ذات الطراز الغربي.

دعاني المعلم للمبيت. قدّم لي تلميذان شابان كانا يتلقّيان تدريبًا في الرهبانية عشاءً من كاري الخضار.

يا غورو جي، أرجوك أخبرني شيئًا عن حياتك. كنتُ أجلس القرفصاء على حصيرة من القش قرب جلد النمر. بدت النجوم الودودة قريبة جدًا، خلف الشرفة.

كان اسم عائلتي بريا ناث كرار. وُلدتُ هنا في سيرامبور، حيث كان والدي رجل أعمال ثريًا. ترك

لي هذا القصر الذي ورثته عن أجدادي، والذي أصبح الآن ملاذي. لم يكن تعليمي الرسمي كافيًا؛ فقد وجدته بطيئًا وسطحيًا. في شبابي المبكر، توليتُ مسؤوليات ربّ أسرة، ولديّ ابنة واحدة، وهي الآن متزوجة. حظيتُ في منتصف حياتي بإرشاد لاهيري ماهاسايا. بعد وفاة زوجتي، انضممتُ إلى رهبنة سوامي، وحصلتُ على اسمي الجديد سري يوكتسوار جيري. 12-3 هذه هي حولياتي البسيطة.

ابتسم المعلم لوجهي المتلهف. وكما هو الحال في جميع السير الذاتية، فقد كشفت كلماته عن الحقائق الظاهرة دون أن تكشف عن جوهر الإنسان.

"جورو جي، أود أن أسمع بعض القصص من طفولتك."

سأخبرك ببعضها، ولكل منها عبرة! لمعت عينا سري يوكتسوار بتحذيره. حاولت أمي ذات مرة إخافتي بقصة مروعة عن شبح في غرفة مظلمة. ذهبت إلى هناك على الفور، وأعربت عن خيبة أملي لعدم رؤيتي الشبح. لم تروي لي أمي قصة رعب أخرى. العبرة: انظر إلى الخوف في وجهك، وسيتوقف عن إزعاجك.

من ذكرياتي المبكرة رغبتي في اقتناء كلب قبيح لجارتي. أربكت أهل بيتي لأسابيع لأحصل على ذلك الكلب. لم أعد أطيق سماع عروض الحيوانات

الأليفة ذات المظهر الجذاب. العبرة: التعلق يُعمي البصر؛ فهو يُضفي هالة خيالية من الجاذبية على من أرغب فيه.

قصة ثالثة تتعلق بمرونة العقل الشاب. كنت أسمع أمي تُعلق بين الحين والآخر: "الرجل الذي يقبل العمل تحت إمرة أي شخص هو عبد". ترسخ هذا الانطباع في ذهني لدرجة أنني حتى بعد زواجي رفضتُ جميع الوظائف. كنتُ أُغطي نفقاتي باستثمار هبة عائلتي في الأراضي. العبرة: يجب أن تُلهم الأفكار الجيدة والإيجابية آذان الأطفال الحساسة. فأفكارهم المبكرة تبقى راسخة في أذهانهم لفترة طويلة.

ساد الصمتُ هدوءٌ مُطبقٌ على المعلم. وحوالي منتصف الليل، قادني إلى سريرٍ ضيق. كان نومي عميقًا وعذبًا في أول ليلةٍ تحت سقف معلّمي.

اختار سري يوكتسوار صباح اليوم التالي ليمنحني تدريب الكريا يوغا. كنت قد تلقيت هذه التقنية من اثنين من تلاميذ لاهيري ماهاسايا - أبي ومعلمي سوامي كيبالاناندا - ولكن في حضرة المعلم، شعرت بقوة تحويلية. بلمسته، انسكب نور عظيم على كياني، كمجد شمس لا تُحصى تتوهج معًا. استمر فيضان من النعيم الذي لا يُوصف، غمر قلبي حتى أعماقه، طوال اليوم التالي. كان الوقت متأخرًا من بعد ظهر ذلك اليوم قبل أن أتمكن من مغادرة المحبسة.

ستعود بعد ثلاثين يومًا. ما إن وصلتُ إلى منزلي في كلكتا حتى تحققت نبوءة سيدي. لم يُبدِ أيٌّ من أقاربي تلك الملاحظات اللاذعة التي كنتُ أخشاها بشأن عودة "الطائر المُحلِّق".

صعدتُ إلى عليّتي الصغيرة، وألقيتُ نظرةً حنونة، كما لو كنتُ أُلقي نظرةً على كائنٍ حيّ. "لقد شهدتَ تأملاتي، ودموعي وعواصفَ سادانا. الآن وصلتُ إلى ميناء مُعلّمي الإلهي."

يا بني، أنا سعيدٌ لأجلنا. جلسنا أنا وأبي معًا في هدوء المساء. "لقد وجدتَ مُعلِّمك، كما وجدتُ مُعلِّمي ذات مرةٍ بطريقةٍ مُعجزة. يد لاهيري ماهاسيا المقدسة تحرس حياتنا. لم يكن مُعلِّمك قديسًا من الهيمالايا بعيد المنال، بل كان قريبًا. لقد استُجيبت دعواتي: لم تُبعَد عن نظري نهائيًا في بحثك عن الله."

سُرّ والدي أيضًا باستئناف دراستي الرسمية، فاتّخذ الترتيبات اللازمة. في اليوم التالي، سُجِّلتُ في كلية الكنيسة الاسكتلندية في كلكتا.

مرت الأشهر السعيدة بسرعة. لا شك أن قرائي قد ظنوا بفطنة أنني نادرًا ما كنتُ أشاهد في قاعات الدراسة الجامعية. كان صومعة سيرامبور مغرية للغاية. تقبل الأستاذ وجودي الدائم دون تعليق. ولحسن حظي، نادرًا ما كان يُشير إلى قاعات الدراسة. مع أنه كان واضحًا للجميع أنني لم أكن

يومًا مؤهلًا للعلم، إلا أنني كنتُ أحصل على درجات نجاح دنيا من حين لآخر.

كانت الحياة اليومية في الأشرم تسير بسلاسة، ونادرًا ما تشهد تقلبات. استيقظ معلّمي قبل الفجر. مستلقيًا، أو جالسًا أحيانًا على السرير، دخل في حالة من السكون. ١٢-٤ كان من البساطة اكتشاف استيقاظ المعلم: توقف مفاجئ لشخيرٍ مُدوٍّ. ١٢-٥ تنهيدة أو اثنتان؛ ربما حركة جسدية. ثم حالة من ضيق التنفس الصامت: كان في فرح يوغي عميق.

لم أتناول الإفطار؛ بل بدأت بنزهة طويلة على ضفاف نهر الجانج. تلك النزهات الصباحية مع

يا معلم، ما أروع هذا الواقع والحيوية! في بعث الذكريات، أجد نفسي غالبًا بجانبه: شمس الصباح تُدفئ النهر. صوته يرن، غنيًا بصدق الحكمة.

حمام، ثم وجبة الغداء. كان تحضيرها، وفقًا لتوجيهات المعلم اليومية، مهمةً دقيقةً لتلاميذي الشباب. كان معلّمي نباتيًا. قبل اعتناقه الرهبنة، كان يأكل البيض والسمك. وكانت نصيحته لتلاميذه اتباع أي نظام غذائي بسيط يناسب أجسامهم.

كان السيد يأكل القليل؛ غالبًا أرزًا ملونًا بالكركم أو عصير البنجر أو السبانخ، ومرشوشًا بقليل من سمن الجاموس أو الزبدة المذابة. وفي يوم آخر، قد يتناول دال العدس أو كاري تشانا ١٢-٦ مع

الخضراوات. وللحلوى، كان يتناول المانجو أو البرتقال مع بودنغ الأرز، أو عصير الجاك فروت.

كان الزوار يتوافدون بعد الظهر. تدفقت أعداد غفيرة من العالم إلى هدوء المنعزلة. وجد الجميع في المعلم لطفًا ولطفًا مماثلين. بالنسبة لرجل أدرك ذاته روحًا، لا جسدًا أو أنا، فإن بقية البشرية تتشابه بشكل مذهل.

إن حياد القديسين متجذر في الحكمة. لقد نجا المعلمون من المايا؛ فلم تعد وجوهها المتناوبة بين الذكاء والبلاهة تُلقي بنظرة مؤثرة. لم يُبدِ سري يوكتسوار أي اهتمام خاص لمن تصادف أنهم أقوياء أو ناجحون؛ ولم يُهمل الآخرين لفقرهم أو أميتهم. كان يستمع باحترام إلى كلمات الحق من طفل، ويتجاهل علانيةً عالمًا مغرورًا.

سيدي، سري يوكتسوار، تلميذ لاهيري ماهاسايا

كانت الساعة الثامنة مساءً هي ساعة العشاء، وكان الضيوف يبقون أحيانًا. لم يكن معلّمي يعتذر عن تناول الطعام بمفرده؛ فلم يغادر أحدٌ صومعته جائعًا أو غير راضٍ. لم يكن سري يوكتسوار أبدًا

كان في حيرة من أمره، لا يُفزعه زوار غير متوقعين؛ كان الطعام الشحيح يُحضّر مأدبة تحت إشرافه المُلِم. ومع ذلك، كان مُقتصدًا؛ فأمواله المتواضعة تُغني عن كثير من المال. كان يقول دائمًا: "اطمئن في جيبك، فالبذخ يُسبب لك

الإزعاج". سواءً في تفاصيل ترفيه المُعتزل، أو أعمال البناء والترميم، أو غيرها من الأمور العملية، كان السيد يُجسّد أصالة روح إبداعية.

غالبًا ما كانت ساعات المساء الهادئة تُحضر لي أحد خطابات معلّمي، كنوزٌ تُضاهي الزمن. كان كلُّ لفظٍ منه مُقيَّدًا ومُصقولًا بالحكمة. اتسم أسلوبُ تعبيره بثقةٍ ساميةٍ بالنفس: لقد كان فريدًا. كان يتحدث كما لم يتحدث أحدٌ غيري في تجربتي. كانت أفكاره تُوزن بميزانٍ دقيقٍ من التمييز قبل أن يُظهرها. كان جوهر الحقيقة، المُعمّق حتى في جانبٍ فسيولوجي، ينبعث منه كنفحةٍ عطرةٍ من الروح. كنتُ أُدرك دائمًا أنني في حضرة تجلٍّ حيٍّ لله. كان ثقلُ ألوهيته يُحني رأسي تلقائيًا أمامه.

إذا لاحظ الضيوف المتأخرون أن سري يوكتسوار قد انغمس في اللانهائي، كان يُشركهم بسرعة في حديث. لم يكن قادرًا على اتخاذ وضعية معينة، أو التباهي بانطوائه الداخلي. ولأنه دائمًا متوحد مع الرب، لم يكن بحاجة إلى وقت مُنفصل للتواصل. المعلم المُدرك لذاته قد ترك بالفعل حجر الأساس في التأمل. "تسقط الزهرة عندما تظهر الثمرة". لكن القديسين غالبًا ما يتمسكون بالأشكال الروحية لتشجيع تلاميذهم.

مع اقتراب منتصف الليل، قد يغلب على معلّمي غفوةٌ طبيعيةٌ كطفلٍ صغير. لم يكن هناك أيُّ ضجةٍ بشأن الفراش. كان غالبًا ما يستلقي، دون وسادةٍ

حتى، على أريكةٍ ضيقةٍ تُشكّل خلفيةً لمقعده المُعتاد المصنوع من جلد النمر.

لم يكن النقاش الفلسفي الليلي نادرًا؛ إذ كان بإمكان أي تلميذ أن يستدعيه لشدة اهتمامه. لم أشعر حينها بالتعب، ولا برغبة في النوم؛ كانت كلمات المعلم الحية كافية. "يا إلهي، إنه الفجر! هيا نسير على ضفاف نهر الغانج." وهكذا انتهت العديد من فترات التثقيف الليلي التي قضيتها.

بلغت أشهري الأولى مع سري يوكتسوار ذروتها بدرسٍ مفيد: "كيف تتغلب على البعوضة؟" في المنزل، اعتادت عائلتي استخدام ستائر واقية ليلاً. شعرتُ بالانزعاج عندما اكتشفتُ أن هذه العادة الحكيمة تُحترم في صومعة سيرامبور. ومع ذلك، كانت الحشرات تستوطنني بكامل قوتها؛ لدغتني من رأسي إلى قدمي. أشفق عليّ معلمي.

اشترِ لنفسك ستارة، وواحدة لي أيضًا. ضحك وأضاف: "إذا اشتريتَ واحدةً لنفسك، فسيركز البعوض عليّ!"

كنتُ ممتنًا جدًا لامتثالي. في كل ليلة قضيتها في سيرامبور، كان معلّمي يطلب مني ترتيب ستائر النوم.

في إحدى الأمسيات، كان البعوض ضارًا للغاية. لكن المعلم لم يُصدر تعليماته المعتادة. استمعتُ بتوتر إلى طنين الحشرات المُتوقع. دخلتُ إلى السرير،

وألقيتُ دعاءً استرضائيًا تجاههم. بعد نصف ساعة، سعلتُ بتظاهرٍ لجذب انتباه مُعلمي. ظننتُ أنني سأُصاب بالجنون من لدغات البعوض، وخاصةً صوت الطنين المُغنّي بينما كان البعوض يُحيي طقوسًا مُتعطشة للدماء.

لم يُبدِ المعلم أي استجابة، فاقتربتُ منه بحذر. لم يكن يتنفس. كانت هذه أول مرة أراه فيها في حالة النشوة اليوغية، وقد ملأني ذلك بالخوف.

"لا بد أن قلبه قد توقف!" وضعتُ مرآةً تحت أنفه؛ لم يظهر أي بخار أنفاس. وللتأكد أكثر، أغلقتُ فمه وأنفه بأصابعي لدقائق. كان جسده باردًا بلا حراك. في ذهول، التفتُّ نحو الباب لأستغيث.

"حسنًا! مُجرِّبٌ مُبتدئ! أنفي المسكين!" كان صوت المعلم مُرتجفًا من الضحك. "لماذا لا تذهب إلى الفراش؟ هل سيتغير العالم كله من أجلك؟ غيِّر نفسك: تخلَّص من وعي البعوض."

عدتُ إلى فراشي بخشوع. لم تقترب مني حشرة واحدة. أدركتُ أن معلّمي وافق مُسبقًا على الستائر لإرضائي فقط؛ لم يكن يخشى البعوض. كانت قدرته اليوغية هائلة، إما أن يُريدها ألا تلدغ، أو أن ينجو منها إلى مناعة داخلية.

"كان يُقدم لي عرضًا توضيحيًا"، فكرتُ. "هذه هي الحالة اليوغية التي يجب أن أسعى لبلوغها." يجب أن يكون اليوغي قادرًا على الدخول إلى الوعي

الفائق والاستمرار فيه، بغض النظر عن المشتتات الكثيرة التي لا تغيب أبدًا عن هذه الأرض. سواء في ضجيج الحشرات أو في وهج ضوء النهار الساطع، يجب أن تُحجب شهادة الحواس. حينها يأتي الصوت والبصر حقًا، ولكن إلى عوالم أجمل من جنة عدن المنفية. ١٢-٧

كانت البعوضة المُعلِّمة بمثابة درسٍ مُبكِّرٍ آخر في الأشرم. كانت ساعة الغسق اللطيفة. كان مُعلِّمي يُفسِّر النصوص القديمة تفسيرًا مُتقنًا. عند قدميه، كنتُ في سلامٍ تام. دخلت بعوضةٌ بغيضةٌ إلى المأوى وتنافست على انتباهي. وبينما كانت تُغرز إبرةً سامةً تحت الجلد في فخذي، رفعتُ يدي تلقائيًا مُنتقمةً. نجاةٌ من الإعدام الوشيك! خطرت لي ذكرى مُناسبةٌ لإحدى أقوال باتانجالي في اليوغا - عن الأهيمسا (عدم الإضرار).

"لماذا لم تنهي العمل؟"

"سيدي! هل تؤيد قتل النفس؟"

"لا، ولكن الضربة القاضية كانت قد وجهت بالفعل إلى عقلك."

"لا أفهم."

كان معنى باتانجالي هو إزالة الرغبة في القتل. وجد سري يوكتسوار عملياتي العقلية كتابًا مفتوحًا. "هذا العالم مُرتبٌ بشكلٍ غير ملائم لممارسةٍ حرفيةٍ

للأهيمسا. قد يُجبر الإنسان على إبادة المخلوقات الضارة. لكنه ليس مُجبرًا على الشعور بالغضب أو العداوة. جميع أشكال الحياة لها حقٌ متساوٍ في استنشاق هواء المايا. القديس الذي يكشف سرّ الخلق سيكون مُنسجمًا مع تعبيراته المُحيرة التي لا تُحصى. جميع البشر، إن كبحوا شغفهم الداخلي بالتدمير، قد يصلون إلى هذا الفهم."

"جورو جي، هل ينبغي للمرء أن يقدم نفسه ذبيحة بدلاً من قتل وحش بري؟"

لا؛ جسد الإنسان ثمين. له أعلى قيمة تطورية بفضل مراكز الدماغ والنخاع الشوكي الفريدة. هذه المراكز تُمكّن المتعبد المتقدم من إدراك أسمى جوانب الألوهية والتعبير عنها. لا يوجد أدنى منها مُجهزٌ بهذا. صحيحٌ أن المرء يُحمّل دين خطيئة صغيرة إذا أُجبر على قتل حيوان أو أي كائن حي. لكن الفيدا تُعلّم أن فقدان جسد الإنسان دون قصد يُعدّ انتهاكًا خطيرًا لقانون الكارما.

تنهدت بارتياح؛ فالتعزيز الكتابي للغرائز الطبيعية ليس متاحًا دائمًا.

حدث أنني لم أرَ مُعلِّمي قطّ يُقارِب نمرًا أو فهدًا. لكنّ أفعى كوبرا قاتلة هاجمته ذات مرة، لكنّ حبّ مُعلِّمي غلبه. هذا النوع من الثعابين يُخشى منه كثيرًا في الهند، حيث يُسبّب أكثر من خمسة آلاف وفاة سنويًا. وقع اللقاء الخطير في بوري، حيث كان

لسري يوكتسوار مُعتزلة ثانية، بموقع خلاب قرب خليج البنغال. كان برافولا، وهو تلميذٌ شابٌّ في سنواته الأخيرة، مع المُعلِّم في هذه المناسبة.

قال لي برافولا: "كنا جالسين في الهواء الطلق قرب الأشرم. ظهر كوبرا بالقرب، طوله أربعة أقدام، يثير الرعب في النفس. اتسع غطاء رأسه بغضب وهو يركض نحونا. ضحك معلمي ضحكة ترحيبية، كما لو كان يضحك لطفل. فزعت لرؤية المعلم يصفق بيديه بشكل متناغم.١٢-٨ كان يُسلي الزائر المخيف! صمتت تمامًا، وأنا أُطلق في داخلي ما استطعت من صلوات حارة. كان الثعبان، القريب جدًا من معلمي، ساكنًا الآن، يبدو وكأنه مسحوب بموقفه المداعب. تقلص غطاء رأسه المخيف تدريجيًا؛ تسلل الثعبان بين قدمي المعلم واختفى بين الشجيرات.

«لم أستطع حينها تفسير سبب تحريك معلّمي يديه، ولماذا لم تضربهما الكوبرا»، اختتم برافولا حديثه. «أدركتُ منذ ذلك الحين أن معلّمي الإلهي لا يخشى أذى أي كائن حي».

في أحد أيام ما بعد الظهيرة خلال الأشهر الأولى من وجودي في الأشرم، وجدت عيني سري يوكتسوار مثبتتين عليّ بنظرات حادة.

"أنت نحيف جدًا، موكوندا."

أصابت ملاحظته نقطة حساسة. فقد شهدت صفوف من المقويات في غرفتي بكلكتا أن عينيّ الغائرتين ومظهري النحيل لم يكونا على طبيعتي. لكن لا شيء نفع؛ فقد طاردني عسر الهضم المزمن منذ طفولتي. بلغ اليأس ذروته أحيانًا عندما سألت نفسي: هل يستحق الأمر أن أواصل هذه الحياة بجسدٍ مريضٍ كهذا؟

"للأدوية حدود، أما قوة الحياة الإبداعية فلا حدود لها. ثق أنك ستكون بصحة جيدة وقويًا."

لقد أثارت كلمات سري يوكتسوار قناعة بالحقيقة التي يمكن تطبيقها شخصيًا والتي لم يتمكن أي معالج آخر - وقد جربت العديد منهم! - من استدعائها في داخلي.

يومًا بعد يوم، ها أنا ذا! ازداد وزني. بعد أسبوعين من نعمة المعلم الخفية، اكتسبتُ الوزن المنعش الذي لم أستطع الوصول إليه سابقًا. اختفت آلام معدتي المزمنة مع...

ثباتٌ دائم. وفي مناسباتٍ لاحقة، شهدتُ شفاءاتٍ إلهيةً فوريةً أجراها معلّمي لأشخاصٍ يعانون من أمراضٍ خطيرة، كالسل، والسكري، والصرع، والشللً. وما من أحدٍ كان أكثر امتنانًا لشفائه مني عندما تحررتُ فجأةً من جسدي الميت.

قال لي سري يوكتسوار: "قبل سنوات، كنتُ أنا أيضًا أتوق لزيادة وزني. وخلال فترة نقاهتي بعد مرضٍ شديد، زرتُ لاهيري ماهاسايا في بنارس.

"سيدي، لقد كنت مريضًا جدًا وفقدت الكثير من الوزن."

"أرى، يوكتسوار، أنك جعلت نفسك مريضًا، والآن تعتقد أنك نحيف."

"كانت هذه الإجابة بعيدة كل البعد عن ما كنت أتوقعه؛ ومع ذلك، أضاف معلّمي مشجعًا:

"دعني أرى؛ أنا متأكد من أنك ستشعر بتحسن غدًا."

اعتبرتُ كلماته بادرة شفاءٍ سريةٍ لعقلي المُتقبل، ولم أُفاجأ في صباح اليوم التالي بتعزيز قوتي المُرحب به. بحثتُ عن سيدي وهتفتُ بفرحٍ: "سيدي، أشعر بتحسنٍ كبيرٍ اليوم".

«إنك اليوم تنشط نفسك».

«لا يا سيدي!» احتججت. «أنت من ساعدني؛ هذه أول مرة منذ أسابيع أشعر فيها بأي نشاط.»

"أجل! مرضك خطير للغاية. جسمك ضعيف حتى الآن؛ من يستطيع أن يقول كيف سيكون غدًا؟"

"أثارت فكرة احتمال عودة ضعفي رعشة من الخوف البارد في نفسي. وفي صباح اليوم التالي،

بالكاد استطعت جر نفسي إلى منزل لاهيري ماهاسايا.

"سيدي، أنا مريض مرة أخرى."

كانت نظرة معلّمي متسائلة. "إذن! مرة أخرى، أنت تُعرّض نفسك للخطر."

يا غورو ديفا، أدركتُ الآن أنك تسخر مني يومًا بعد يوم. نفد صبري. لا أفهم لماذا لا تُصدّق تقاريري الصادقة.

«في الواقع، لقد كانت أفكارك هي التي جعلتك تشعر بالضعف والقوة بالتناوب.» نظر إليّ سيدي بحنان. «لقد رأيت كيف أن صحتك قد جاءت مطابقة تمامًا لتوقعاتك. الفكر قوة، كالكهرباء أو الجاذبية. العقل البشري شرارة من وعي الله القدير. أستطيع أن أريك أن كل ما يؤمن به عقلك القوي بشدة سيتحقق فورًا.»

"علمًا بأن لاهيري ماهاسايا لم يتكلم قط بلا مبالاة، فقد توجهت إليه برهبة كبيرة وامتنان:

"سيدي، إذا كنت أعتقد أنني بخير واستعدت وزني السابق، فهل سيحدث ذلك؟"

«هذا صحيح، حتى في هذه اللحظة». قال معلّمي بجدية، ونظرته مركزة على عينيّ.

"ها! شعرتُ بزيادة، ليس فقط في القوة، بل في الوزن أيضًا. انزوى لاهيري ماهاسيا في صمت. وبعد

بضع ساعات عند قدميه، عدتُ إلى منزل والدتي، حيث مكثتُ خلال زياراتي إلى بنارس.

يا بني! ما بك؟ هل تعاني من تورم بسبب الاستسقاء؟ لم تصدق أمي عينيها. أصبح جسدي الآن بنفس القوة التي كان عليها قبل مرضي.

وزنتُ نفسي، فوجدتُ أنني في يومٍ واحدٍ اكتسبتُ خمسين رطلاً؛ وظلّت هذه الزيادة معي إلى الأبد. ذهل أصدقائي ومعارفي الذين رأوا قوامي النحيل. غيّر عددٌ منهم نمط حياتهم وأصبحوا من أتباع لاهيري ماهاسيا نتيجةً لهذه المعجزة.

كان معلّمي، المُتيقّن من الله، يُدرك أن هذا العالم ليس سوى حلمٍ مُجسّدٍ للخالق. ولأنه كان مُدركًا تمامًا لوحدته مع الحالم الإلهي، استطاع لاهيري ماهاسيا أن يُجسّد أو يُزيل أو يُجري أي تغييرٍ يُريده في الرؤية الكونية. ١٢-١٠

اختتم سري يوكتسوار قائلاً: "الخلق كله يحكمه قانون. تلك التي تظهر في الكون الخارجي، والتي يكتشفها العلماء، تُسمى قوانين طبيعية. لكن هناك قوانين أدق تحكم عوالم الوعي، ولا يمكن معرفتها إلا من خلال علم اليوغا الباطني. وللمستويات الروحية الخفية أيضًا مبادئها الطبيعية والشرعية في العمل. ليس العالم الفيزيائي، بل المعلم المُدرك لذاته تمامًا، هو من يدرك الطبيعة الحقيقية للمادة.

وهكذا استطاع المسيح أن يُعيد أذن الخادم بعد أن قطعها أحد تلاميذه." ١٢-١١

كان سري يوكتسوار مُفسِّرًا لا يُضاهى للكتب المقدسة. تتمحور الكثير من أسعد ذكرياتي في أحاديثه. لكن أفكاره الثمينة لم تُرمَ في رماد الإهمال أو الغباء. حركة جسدي مُضطربة، أو غفلة طفيفة، كانت كافية لإيقاف شرح الأستاذ فجأةً.

«أنت لست هنا». قاطع المعلم نفسه ذات ظهيرة بهذا الإفصاح. وكالعادة، كان يلفت انتباهي بتلقائية مُدمرة.

يا غورو جي! كان صوتي احتجاجيًا. لم أتحرك، ولم تتحرك جفني، أستطيع أن أردد كل كلمة نطقتها!

مع ذلك، لم تكن معي تمامًا. اعتراضك يدفعني إلى الإشارة إلى أنك، في عقلك الباطن، كنت تُنشئ ثلاث مؤسسات. إحداها ملاذٌ غاباتٌ على سهل، وأخرى على قمة تل، وثالثة على ضفاف المحيط.

كانت تلك الأفكار المبهمة حاضرة في ذهني دون وعي تقريبًا. نظرت إليه باعتذار.

ماذا يمكنني أن أفعل مع مثل هذا المعلم الذي يخترق تأملاتي العشوائية؟

المبنى الرئيسي في Mount Washington Estates في لوس أنجلوس، والذي تم إنشاؤه في عام 1925 كمقر أمريكي لجمعية تحقيق الذات.

كنيسة تحقيق الذات لجميع الأديان، هوليوود، كاليفورنيا.

لقد منحتني هذا الحق. لا يُمكن إدراك الحقائق الدقيقة التي أشرحها إلا بتركيزك التام. لا أُداهم عزلة عقول الآخرين إلا للضرورة. للإنسان امتيازٌ طبيعيٌّ بالتجوال سرًّا بين أفكاره. لا يدخلها الربُّ دون دعوة؛ ولا أُغامر بالتطفل أيضًا.

"أنت مرحب بك دائمًا، يا سيدي!"

ستتحقق أحلامك المعمارية لاحقًا. الآن هو وقت الدراسة!

وهكذا، كشف لي معلّمي، بطريقته البسيطة، عن ثلاثة أحداث عظيمة في حياتي. منذ صغري، كنتُ أرى لمحاتٍ غامضة لثلاثة مبانٍ، كلٌّ منها في موقع مختلف. وبالتسلسل الدقيق الذي أشار إليه سري يوكتسوار، تبلورت هذه الرؤى في صورتها النهائية. أولًا، جاء تأسيسي لمدرسة يوغا للبنين في سهل رانشي، ثم مقرّي الرئيسي الأمريكي في لوس أنجلوس.

قمة تل لوس أنجلوس، أخيرًا ملاذ منعزل في جنوب كاليفورنيا على ساحل المحيط الهادئ الشاسع.

لم يصرّح المعلم قطّ بغطرسة: "أتنبأ بحدوث كذا وكذا!"، بل كان يُلمّح: "ألا تعتقد أنه قد يحدث؟" لكنّ كلامه البسيط كان يُخفي قوةً روحية. لم يكن

هناك مجالٌ للتراجع؛ ولم تُثبت كلماته المُبطّنة كذبها قط.

كان سري يوكتسوار متحفظًا وواقعيًا في سلوكه. لم يكن فيه أيُّ غموض أو غموض أو رؤيا ثاقبة. كانت قدماه ثابتتين على الأرض، ورأسه في جنة السماء. أثار الناس العمليون إعجابه. كان يقول: "القداسة ليست جهلًا! الإدراكات الإلهية ليست مُعيقة!". "إن التعبير الفعّال عن الفضيلة يُنمّي أذكى الذكاء."

في حياة المعلم، اكتشفتُ تمامًا الفجوة بين الواقعية الروحية والتصوف الغامض الذي يُدّعى زورًا أنه نقيض. كان معلّمي مترددًا في مناقشة العوالم فوق الفيزيائية. كانت هالته "العجيبة" الوحيدة هي البساطة المطلقة. كان يتجنب في حديثه الإشارات المُفاجئة، وفي أفعاله كان يُعبّر بحرية. تحدث آخرون عن المعجزات لكنهم لم يتمكنوا من إظهار شيء؛ نادرًا ما ذكر سري يوكتسوار القوانين الدقيقة، بل كان يُطبّقها سرًا كما يشاء.

أوضح المعلم: "لا يُجري الإنسان المُدرك أي معجزة إلا بعد أن يتلقى موافقةً داخلية. فالله لا يُريد أن تُكشف أسرار خلقه دون قصد. ١٢-١٢ كما أن لكل فرد في العالم حقٌّ أصيلٌ في إرادته الحرة. ولن يتعدى القديس على هذا الاستقلال".

كان الصمت المعتاد على سري يوكتسوار ناتجًا عن إدراكاته العميقة لللانهائي. لم يبقَ وقتٌ للاكتشافات التي لا تنتهي التي تشغل أيام المعلمين الذين يفتقرون إلى إدراك الذات. "في الرجال السطحيين، تُثير أفكارهم الصغيرة ضجةً كبيرة. وفي العقول العميقة، لا تُثير حيتان الإلهام أي ضجة تقريبًا." هذه الملاحظة من الكتب المقدسة الهندوسية لا تخلو من فكاهةٍ ثاقبة.

بسبب مظهر معلّمي البسيط، لم يعترف به سوى قلة من معاصريه كإنسان خارق. لا يمكن تطبيق المثل الشائع: "من لا يخفي حكمته أحمق" على سري يوكتسوار. مع أنه وُلد فانٍ كسائر البشر، فقد حقق معلّمي هويةً مع حاكم الزمان والمكان. في حياته، لمست وحدةً إلهية. لم يجد أي عائقٍ كأداءٍ يحول دون اندماج الإنسان مع الإلهي. أدركتُ أنه لا يوجد مثل هذا الحاجز إلا في قلة مغامرة الإنسان الروحية.

لطالما شعرتُ بنشوةٍ غامرةٍ عند لمس قدمي سري يوكتسوار المقدستين. يُعلّم اليوغيون أن التلميذ يُجذب روحيًا عند ملامسة معلمه بوقار؛ فيتولد تيارٌ خفي. غالبًا ما تُكوى آليات العادات غير المرغوب فيها في دماغ المُريد؛ ويُضطرب مسار ميوله الدنيوية بشكلٍ مُفيد. لعلّه يجد، ولو للحظة، حجب المايا الخفية ترتفع، ويلمح حقيقة النعيم. كان

جسدي كله يستجيب بتوهجٍ مُحرّر كلما ركعتُ على الطريقة الهندية أمام مُعلّمي.

"حتى عندما كان لاهيري ماهاسيا صامتًا،" أخبرني المعلم، "أو عندما كان يتحدث عن أمور أخرى غير

"بالرغم من المواضيع الدينية البحتة، إلا أنني اكتشفت أنه رغم ذلك نقل إليّ معرفة لا يمكن وصفها."

أثر بي سري يوكتسوار بالمثل. إذا دخلتُ المُعتكف قلقًا أو غير مُبالٍ، كان موقفي يتغير تدريجيًا. حلّ عليّ هدوءٌ شافيٌّ بمجرد رؤية مُعلّمي. كان كل يومٍ معه تجربةً جديدةً في الفرح والسلام والحكمة. لم أجده قطّ مُخدوعًا أو مُسكرًا بالجشع أو العاطفة أو الغضب أو أي تعلقٍ بشري.

"يقترب ظلام مايا بصمت. لنعد إلى ديارنا." بهذه الكلمات عند الغسق، كان المعلم يُذكّر تلاميذه باستمرار بحاجتهم إلى الكريا يوغا. وكان أحد التلاميذ الجدد يُعرب أحيانًا عن شكوكه في أهليته لممارسة اليوغا.

"انسَ الماضي"، كان سري يوكتسوار يُعزيه. "حياة البشر الزائلة مُظلمةٌ ومُخزيةٌ. السلوك البشري لا يُعتمد عليه إلا إذا رسّخ في الله. كل شيءٍ في المستقبل سيتحسن إذا بذلتَ جهدًا روحيًا الآن".

كان المعلم يُقيم في صومعته دائمًا طلابًا صغارًا تتراوح أعمارهم بين ١٢ و١٣ عامًا. وكان تعليمهم الروحي والفكري شغفه الدائم: حتى قبل وفاته بفترة وجيزة، قبل لتدريبهم ولدين في السادسة من عمرهما وشابًا في السادسة عشرة. كان يُوجه عقولهم وحياتهم بذلك الانضباط الدقيق الذي تُستمد منه كلمة "تلميذ" اشتقاقيًا. أحبّ سكان الأشرم معلمهم الروحي وأجلّوه؛ فكانت تصفيقات خفيفة من يديه تكفي لجذبهم إليه بشغف. عندما كان في حالة صمت وانطواء، لم يجرؤ أحد على الكلام؛ وعندما كانت ضحكاته تُسمع بمرح، كان الأطفال ينظرون إليه كأبنائهم.

نادرًا ما طلب المعلم من الآخرين تقديم خدمة شخصية له، ولم يكن يقبل المساعدة من طالب إلا إذا كانت نيته صادقة. كان معلّمي يغسل ملابسه بهدوء إذا تجاهل التلاميذ هذه المهمة المميزة. كان سري يوكتسوار يرتدي رداء السوامي التقليدي ذي اللون الأصفر المائل للبني؛ وكانت حذاؤه بدون أربطة، وفقًا لعادات اليوغي، من جلد النمر أو الغزال.

كان المعلم يجيد الإنجليزية والفرنسية والهندية والبنغالية، وكانت لغته السنسكريتية جيدة. درّس تلاميذه الصغار بصبر بعض الطرق المختصرة التي ابتكرها ببراعة لدراسة الإنجليزية والسنسكريتية.

كان المعلم حذرًا بشأن جسده، متجنبًا التعلق المتعمد. وأشار إلى أن اللانهائي يتجلى على النحو الصحيح من خلال السلامة الجسدية والعقلية. ورفض أي تطرف. بدأ أحد تلاميذه ذات مرة صيامًا طويلًا. ضحك معلّمي فقط: "لماذا لا نرمي للكلب عظمة؟"

كانت صحة سري يوكتسوار ممتازة؛ لم أره مريضًا قط. ١٢-١٤ سمح للطلاب باستشارة الأطباء إن رأوا ذلك مناسبًا. كان هدفه احترام العادة الدنيوية: "على الأطباء أن يواصلوا عملهم في الشفاء وفقًا لقوانين الله كما تُطبق على المادة". لكنه أشاد بتفوق العلاج النفسي، وكثيرًا ما ردد: "الحكمة أعظم مُطهر".

الجسد صديقٌ خائن. أعطه حقه، لا أكثر، قال. الألم واللذة زائلان؛ تحمّل كل هذه الثنائيات بهدوء، وحاول في الوقت نفسه التخلص من قبضتها.

الخيال هو باب المرض والشفاء. انكر حقيقة المرض حتى وأنت مريض، فسيهرب منك زائر لا تعرفه!

أحصى المعلم عددًا كبيرًا من الأطباء بين تلاميذه. قال لهم: "من استخرج القوانين الفيزيائية يستطيع بسهولة دراسة علم النفس. هناك آلية روحية دقيقة مختبئة خلف بنية الجسم." ١٢-١٥

نصح سري يوكتسوار طلابه بأن يكونوا روابط حية بين الفضائل الغربية والشرقية. كان هو نفسه غربيًا تنفيذيًا في عاداته الخارجية، بينما كان في باطنه شرقيًا روحيًا. أشاد بعادات الغرب التقدمية والحكيمة والنظيفة، وبالمُثُل الدينية التي تُضفي على الشرق هالةً راسخة.

لم أكن أعرف الانضباط: كان والدي صارمًا في المنزل، وكان أنانتا شديدًا في كثير من الأحيان. لكن تدريب سري يوكتسوار لا يمكن وصفه إلا بأنه صارم. كان معلّمي، الساعي للكمال، شديد الانتقاد لتلاميذه، سواء في الأمور العاجلة أو في التفاصيل الدقيقة للسلوك.

قال في مناسبة مناسبة: "الآداب الحميدة دون صدق كامرأة ميتة جميلة. والصراحة دون أدب كسكين جراح، فعّالة لكنها غير سارة. والصراحة مع اللباقة مفيدة ومُعجب بها".

كان المعلم راضيًا، على ما يبدو، عن تقدمي الروحي، لأنه نادرًا ما كان يُشير إليه؛ ففي أمور أخرى، لم تكن أذناي تطيق التوبيخ. كانت مخالفاتي الرئيسية هي الشرود الذهني، والانغماس المتقطع في حالات مزاجية حزينة، وعدم مراعاة بعض قواعد الآداب، واتباع أساليب غير منهجية أحيانًا.

لاحظ كيف أن أنشطة والدك بهاجاباتي منظمة ومتوازنة من جميع النواحي، كما أشار معلمي.

التقى تلميذا لاهيري ماهاسيا، بعد وقت قصير من بدء رحلاتي إلى سيرامبور. قيّم والدي وسري يوكتسوار قيمة الآخر بإعجاب. بنى كلاهما حياة روحية رصينة، لا تلين أمام العصور.

لقد تلقيتُ من مُعلّمين عابرين في حياتي السابقة بعض الدروس الخاطئة. قيل لي إنَّ المُرشد الروحي لا يُرهق نفسه بواجبات الدنيا؛ فعندما أهمل واجباتي أو أدّيتها بإهمال، لم أُعاقب. فالطبيعة البشرية تجد مثل هذه التعليمات سهلة الاستيعاب. لكن بفضل عقاب المعلم القاسي، سرعان ما تعافيتُ من أوهام عدم المسؤولية المُريحة.

قال سري يوكتسوار: "أولئك الذين هم أجود من أن يرضوا بهذا العالم، يُزيّنون غيرهم. ما دمتَ تتنفس هواء الأرض النقي، فأنتَ مُلزمٌ بتقديم خدمةٍ مُمتنّة. وحده من أتقن حالة انقطاع النفس ١٢-١٦ هو المُتحرّر من الضرورات الكونية. لن أتردد في إخبارك عندما تبلغ الكمال النهائي".

لم يكن معلّمي يقبل الرشوة، حتى بالحب. لم يُظهر أي تهاون مع أي شخص، مثلي، عرض أن يكون تلميذه طوعًا. سواء كنا أنا والمعلّم محاطين بطلابه أو بغرباء، أو كنا وحدنا، كان دائمًا يتحدث بوضوح ويوبّخ بشدة. لم يفلت من توبيخه أي انزلاق تافه إلى السطحية أو التناقض. كان من الصعب تقبّل هذا التعامل المُجحف.

صبرت، لكن عزمي كان أن أسمح لسري يوكتسوار بحل جميع مشاكلي النفسية. وبينما كان يُكدح في هذا التحول الهائل، كنت أرتجف مرات عديدة تحت وطأة مطرقته التأديبية.

«إذا لم يعجبك كلامي، فلك مطلق الحرية في المغادرة في أي وقت»، أكد لي سيدي. «لا أريد منك سوى تحسين نفسك. ابقَ فقط إن شعرتَ أن ذلك يعود عليك بالنفع».

لكل ضربةٍ مُذلّةٍ وجّهها لغروري، ولكل سنٍّ في فكّي المجازي خلعه بتصويبٍ مُذهل، أنا ممتنٌّ بما يفوق أيّ تعبير. لا يُمكن نزع جوهر الأنانية البشرية إلا بفظاظة. برحيله، يجد الإلهي أخيرًا منفذًا مفتوحًا. عبثًا يسعى للتغلغل في قلوب الأنانية القاسية.

كانت حكمة سري يوكتسوار ثاقبة لدرجة أنه، متجاهلاً للملاحظات، كان يردّ في كثير من الأحيان على ملاحظات غير منطوقة. قال: "ما يتخيل المرء أنه يسمعه، وما قصده المتحدث فعلاً، قد يكونان مختلفين تماماً. حاول أن تستشعر الأفكار الكامنة وراء غموض كلام البشر".

لكن البصيرة الإلهية مؤلمةٌ لآذان العالمين؛ لم يكن المعلم محبوبًا لدى الطلاب السطحيين. أما الحكماء، وهم قلةٌ دائمًا، فقد كانوا يُجلّونه إجلالًا عميقًا. أجرؤ على القول إن سري يوكتسوار كان

ليصبح المعلم الروحي الأكثر طلبًا في الهند لو لم تكن كلماته صريحةً ونقديةً للغاية.

"أنا قاسٍ على من يأتون لتدريبي"، اعترف لي. "هذه طريقتي؛ إما أن تقبلها أو ترفضها. لن أتنازل أبدًا. لكنك ستكون ألطف بكثير مع تلاميذك؛ هذه طريقتك. أحاول التطهير فقط في نيران الشدة، حارقةً ما يفوق التسامح المُعتاد. إن نهج الحب اللطيف مُغيّرٌ أيضًا. الأساليب الجامدة والمستسلمة فعّالة بنفس القدر إذا طُبّقت بحكمة. ستذهب إلى بلاد أجنبية، حيث لا تُقدّر الهجمات الصريحة على الأنا. لا يمكن لمعلم أن ينشر رسالة الهند في الغرب دون قدرٍ وافرٍ من الصبر والتحمل المُتساهل." أرفض أن أذكر مقدار الحقيقة التي اكتشفتها لاحقًا في كلمات المعلم!

مع أن خطاب سري يوكتسوار الصريح منعه من اكتساب أتباع كثيرين خلال سنواته على الأرض، إلا أن روحه الحية تتجلى اليوم في جميع أنحاء العالم، من خلال طلاب مخلصين لكريا يوغا وتعاليمه الأخرى. له سلطان في نفوس البشر يفوق ما حلم به الإسكندر في الأرض.

وصل والدي ذات يوم ليُقدّم احترامه لسري يوكتسوار. توقع والدي، على الأرجح، أن يسمع بعض كلمات الثناء مني. صُدم عندما أُعطي وصفًا مُطوّلًا لنقائصي. كان من عادة المعلم أن يروي عيوبًا بسيطة لا تُذكر بنظرةٍ جادّةٍ مُبشّرة. هرع والدي

لرؤيتي. "من كلمات معلمك، ظننتُ أنك حطامٌ كامل!" كان والدي بين البكاء والضحك.

كان السبب الوحيد لاستياء سري يوكتسوار في ذلك الوقت هو أنني كنت أحاول، رغم تلميحه اللطيف، تحويل رجل معين إلى المسار الروحي.

بسرعة غاضبة بحثت عن معلّمي. استقبلني بنظراتٍ مُنخفضة، كما لو

مُدركًا للذنب. كانت تلك المرة الوحيدة التي رأيت فيها الأسد الإلهي وديعًا أمامي. استمتعتُ بتلك اللحظة الفريدة حتى النخاع.

"سيدي، لماذا حكمت عليّ بهذه القسوة أمام والدي المذهول؟ هل كان ذلك عادلاً؟"

"لن أفعل ذلك مرة أخرى." كانت نبرة المعلم اعتذارية.

فجأةً، أُصبتُ بالذعر. ما أسرع الرجل العظيم في الاعتراف بخطئه! مع أنه لم يُزعج راحة بال أبي بعد ذلك، استمرّ سيدي في تشريحي بلا هوادة متى شاء وأينما شاء.

كثيراً ما انضمّ تلاميذ جدد إلى سري يوكتسوار في نقد الآخرين بشكل مُسهب. حكماء كالغورو! نماذج في التمييز الدقيق! لكن من يُهاجم لا ينبغي أن يكون أعزلاً. فرّ هؤلاء التلاميذ المُنتقدون على عجلٍ

بمجرد أن أطلق المعلم علناً في اتجاههم بعض السهام من جعبته التحليلية.

«إن نقاط الضعف الداخلية الرقيقة، التي تنفر من لمسات اللوم الخفيفة، تشبه أجزاءً مريضة من الجسم، ترتجف حتى أمام اللمسة الرقيقة». كان هذا تعليق سري يوكتسوار الساخر على تلك النقاط الضعيفة.

هناك تلاميذ يبحثون عن معلمٍ على صورتهم. وكثيرًا ما اشتكى هؤلاء التلاميذ من عدم فهمهم لسري يوكتسوار.

"وأنت أيضًا لا تفهم الله!" رددتُ في إحدى المرات. "عندما يكون قديسٌ واضحًا لك، ستكون واحدًا منهم." من بين تريليونات الأسرار، التي تتنفس في كل ثانية هواءً لا يُفسَّر، من يجرؤ على طلب إدراك طبيعة سيدٍ غامضةٍ على الفور؟

جاء الطلاب، ورحلوا عمومًا. أما من رغب في طريقٍ من التعاطف الزائف والتقدير المريح، فلم يجده في المحبسة. قدّم المعلم المأوى والرعاية للأجيال، لكن العديد من التلاميذ طلبوا بخلًا بلسمًا للأنا أيضًا. رحلوا، مفضلين إذلال الحياة التي لا تُحصى على أي تواضع. كانت أشعة المعلم المتوهجة، ونور حكمته الثاقب، أقوى من أن تُخفف عنهم مرضهم الروحي. بحثوا عن معلمٍ أقل شأنًا، يُظللهم بالإطراء، ويسمح لهم بنوم الجهل المتقطع.

خلال أشهري الأولى مع المعلم، شعرتُ بخوفٍ شديد من توبيخاته. سرعان ما أدركتُ أنها كانت مخصصةً للتلاميذ الذين طلبوا منه تشريحَهم لفظيًا. إذا احتجّ أيُّ طالبٍ متلوٍّ، كان سري يوكتسوار يصمت دون أن يُسيء إليه. لم تكن كلماته غاضبةً أبدًا، بل كانت حكيمةً وجريئةً.

لم تكن بصيرة المعلم مُوجّهة للزائرين العابرين غير المُستعدين؛ فنادرًا ما كان يُشير إلى عيوبهم، حتى لو كانت واضحة. لكن سري يوكتسوار شعر بمسؤولية جسيمة تجاه الطلاب الذين التمسوا مشورته. شجاعٌ حقًا هو المعلم الروحي الذي يُبادر بتحويل خام الإنسانية المُشبعة بالغرور! شجاعة القديس تنبع من عطفه على المُتعثرين في هذا العالم.

عندما تخلّيت عن الاستياء الكامن، وجدتُ انخفاضًا ملحوظًا في عقابي. وبطريقةٍ خفيةٍ للغاية، انصهر المعلم في رحمته النسبية. ومع مرور الوقت، هدمت كل جدارٍ من التبرير والتحفظ اللاواعي الذي عادةً ما تختبئ خلفه الشخصية البشرية. ١٢-١٧ وكانت المكافأة انسجامًا سلسًا مع معلّمي. اكتشفتُ حينها أنه شخصٌ واثق، مراعٍ، ومحبٌّ في صمت. ومع ذلك، لم يُبدِ أيَّ كلمةٍ من المودة.

مزاجي الشخصي مُتدين في المقام الأول. كان من المُحير في البداية أن أجد أن مُعلّمي الروحي، المُشبع بالجنانا، ولكنه يبدو جافًا من البهاكتي، ١٢-

١٨، لا يُعبّر عن نفسه إلا بعبارات رياضية روحية باردة. لكن عندما تأقلمت مع طبيعته، لم أكتشف أي نقصان، بل زيادة في نهجي التعبدي تجاه الله. المُعلّم المُدرك لذاته قادر تمامًا على توجيه تلاميذه المُختلفين على طول الخطوط الطبيعية لتحيزهم الأساسي.

علاقتي بسري يوكتسوار، وإن كانت غامضة بعض الشيء، إلا أنها كانت تتمتع ببلاغة مطلقة. كثيرًا ما كنت أجد بصمة صمته على أفكاري، مما يجعل الكلام بلا جدوى. وأنا أجلس بجانبه بهدوء، أشعر بسخائه يتدفق بسلام على كياني.

تجلّت عدالة سري يوكتسوار العادلة بشكلٍ ملحوظ خلال العطلة الصيفية في سنتي الجامعية الأولى. سعدتُ بفرصة قضاء أشهرٍ متواصلة في سيرامبور مع معلّمي.

"قد تكون مسؤولاً عن المحبسة." سُرّ المعلم بوصولي المُتحمس. "ستكون مهمتك استقبال الضيوف والإشراف على عمل التلاميذ الآخرين."

كومار، قروي شاب من شرق البنغال، قُبل بعد أسبوعين للتدريب في الرهبانية. بفضل ذكائه اللافت، نال سريعًا ود سري يوكتسوار. ولسببٍ غامض، كان المعلم متساهلًا جدًا مع المقيم الجديد.

موكوندا، دع كومار يتولى مهامك. خصص وقتك للكنس والطبخ. أصدر المعلم هذه التعليمات بعد أن مضى شهر على وجود الطفل الجديد معنا.

رُفع كومار إلى رتبة القيادة، فمارس استبدادًا منزليًا بسيطًا. وفي تمرد صامت، استمر التلاميذ الآخرون في طلب المشورة مني يوميًا.

"موكوندا مستحيل! لقد جعلتني مشرفًا، ومع ذلك يذهب الآخرون إليه ويطيعونه." بعد ثلاثة أسابيع، كان كومار يشكو إلى معلمنا الروحي. سمعته من غرفة مجاورة.

"لهذا السبب كلّفته بالمطبخ وأنتَ بالصالون." كانت نبرة سري يوكتسوار اللاذعة جديدة على كومار. "بهذه الطريقة أدركتَ أن القائد الجدير لديه الرغبة في الخدمة، لا في الهيمنة. كنتَ ترغب في منصب موكوندا، لكنك لم تستطع الاحتفاظ به بجدارة. عد الآن إلى عملك السابق كمساعد طباخ."

بعد هذه الحادثة المُذلة، عاد المعلم تجاه كومار إلى موقفه السابق من الانغماس غير المُعتاد. من يستطيع حل لغز الانجذاب؟ اكتشف معلمنا في كومار نبعًا ساحرًا لم يتدفق لتلاميذه. مع أن الصبي الجديد كان سريًا على ما يبدو

كان يوكتسوار، المفضل لديّ، لم أشعر بأي انزعاج. فالغرائب الشخصية، التي يمتلكها حتى الأساتذة، تُضفي تعقيدًا غنيًا على نمط الحياة. نادرًا ما تُسيطر

التفاصيل على طبيعتي؛ كنتُ أطلب من سري يوكتسوار منفعة أبعد من مديح خارجي.

لقد تحدث كومار معي ذات يوم بألفاظ مسمومة دون سبب، مما أدى إلى إصابتي بجروح بالغة.

رأسك يتورم حتى الانفجار! أضفتُ تحذيرًا شعرتُ بصحته حدسيًا: "ما لم تُصلح سلوكك، فسيُطلب منك يومًا ما مغادرة هذا الأشرم".

ضحك كومار ساخرًا، وكرر ملاحظتي لمعلمنا الذي دخل الغرفة لتوه. توقعتُ توبيخًا، فانزويت في زاوية.

ربما يكون موكوندا مُحقًا. جاء ردّ المعلم على الصبيّ ببرودٍ غير مُعتاد. نجوتُ دون أيّ عقاب.

بعد عام، انطلق كومار لزيارة منزل طفولته. تجاهل استنكار سري يوكتسوار الصامت، الذي لم يتحكم بتحركات تلاميذه بتسلط. عند عودة الصبي إلى سيرامبور بعد بضعة أشهر، بدا التغيير جليًا بشكل غير سار. رحل كومار المهيب بوجهه المتوهج الهادئ. لم يقف أمامنا سوى فلاح عادي، اكتسب مؤخرًا عددًا من العادات السيئة.

استدعاني المعلم وناقشني بقلب مكسور حقيقة أن الصبي لم يعد مناسبًا لحياة الدير المنعزل.

موكوندا، سأترك لك أمر كومار بمغادرة الأشرم غدًا؛ لا أستطيع فعل ذلك! انهمرت الدموع من عيني

سري يوكتسوار، لكنه تمالك نفسه بسرعة. "ما كان الصبي ليهبط إلى هذه الدركات لو استمع إليّ ولم يبتعد ليختلط برفاق غير مرغوب فيهم. لقد رفض حمايتي؛ لا بد أن العالم القاسي لا يزال معلمه."

لم يُشعرني رحيل كومار بأيّ فرح؛ وللأسف تساءلتُ كيف يُمكن لشخصٍ يملك القدرة على كسب حبّ سيده أن يستجيب لإغراءاتٍ أرخص. متعة الخمر والجنس متأصلة في الإنسان الطبيعي، ولا تتطلب أيّ دقّة إدراك لتقديرها. حيل الحواس تُشبه زهرة الدفلى دائمة الخضرة، عطرة بأزهارها متعددة الألوان: كلّ جزءٍ من النبات سامّ. أرض الشفاء تكمن في الداخل، مُشرقةً بتلك السعادة التي نبحث عنها بِأعمى في آلاف التوجيهات الخاطئة. ١٢-١٩

قال المعلم ذات مرة، في إشارة إلى ذكاء كومار الفذ: "الذكاء الحاد سلاح ذو حدين. قد يُستخدم بنّاءً أو هدامًا كالسكين، إما لقطع غليان الجهل، أو لقطع رأس المرء. لا يُهتدى الذكاء توجيهًا صحيحًا إلا بعد أن يُقرّ العقل بحتمية القانون الروحي".

كان معلّمي يختلط بتلاميذه من الرجال والنساء، ويعاملهم جميعًا كأبنائه. وإذ أدرك تساويهم الروحي، لم يُبدِ أي تمييز أو تحيز.

قال: «في النوم، لا تعرف إن كنت رجلاً أم امرأة. فكما أن الرجل

إن انتحال شخصية امرأة لا يُصبح كذلك، لذا فالروح، التي تتقمص شخصية رجل وامرأة، ليس لها جنس. الروح هي صورة الله النقية الثابتة.

لم يتجنب سري يوكتسوار النساء قط أو يلومهن على كونهن أدوات إغواء. بل قال إن الرجال أيضًا يُغريون النساء. سألتُ معلمي ذات مرة عن سبب وصف قديس عريق النساء بأنهن "باب الجحيم".

أجابني معلّمي ساخرًا: "لا بد أن الفتاة كانت مصدر إزعاج كبير لراحة باله في طفولته. وإلا لكان قد شجب، ليس المرأة، بل عيبًا في ضبط نفسه."

إذا تجرأ زائر على سرد قصة مثيرة في المحبسة، التزم المعلم الصمت التام. قال لتلاميذه: "لا تسمحوا لأنفسكم بأن تُجلدوا بسوط وجه جميل مُستفز. كيف يُمتع عبيد الحواس الدنيا؟ تفلت منهم نكهاتها الرقيقة وهم يزحفون في الوحل البدائي. كل تمييز جميل يضيع أمام رجل الشهوات الأساسية".

تلقى الطلاب الذين يسعون إلى الهروب من الوهم الثنائي المايا المشورة الصبورة والمتفهمة من سري يوكتسوار.

كما أن غاية الأكل هي إشباع الجوع، لا الجشع، كذلك صُممت الغريزة الجنسية لتكاثر النوع وفقًا للقانون الطبيعي، لا لإشعال رغبات لا تُشبع، كما قال. دمر الرغبات الخاطئة الآن؛ وإلا ستلاحقك بعد

أن يُنزع الجسد النجمي من غلافه المادي. حتى عندما يكون الجسد ضعيفًا، يجب أن يكون العقل مقاومًا دائمًا. إذا هاجمتك الإغراءات بقوة قاسية، فتغلب عليها بالتحليل الموضوعي والإرادة التي لا تُقهر. كل شغف طبيعي يمكن التغلب عليه.

حافظ على قواك. كن كالمحيط الرحب، يمتص جميع روافد الحواس. الرغبات الصغيرة هي ثغرات في خزان سلامك الداخلي، تسمح بتبديد مياه الشفاء في صحراء المادية. إن الدافع القوي للرغبة الخاطئة هو ألد أعداء سعادة الإنسان. تجول في العالم كأسد ضبط النفس؛ لئلا تهاجمك ضفادع الضعف.

يتحرر المُتعبد أخيرًا من كل الدوافع الغريزية. فيُحوّل حاجته إلى المودة الإنسانية إلى توق إلى الله وحده، حبٌّ مُنعزلٌ لأنه حاضرٌ في كل مكان.

عاشت والدة سري يوكتسوار في منطقة رانا محل في بنارس، حيث زرتُ معلّمي لأول مرة. كانت كريمة ولطيفة، ومع ذلك كانت امرأةً ذات آراء حازمة. وقفتُ على شرفتها ذات يوم وشاهدتُ الأم وابنها يتحدثان. بطريقته الهادئة والعقلانية، كان المعلم يحاول إقناعها بأمرٍ ما. يبدو أنه لم يُفلح، فقد هزت رأسها بقوةٍ كبيرة.

"لا، لا يا ابني، اذهب الآن! كلماتك الحكيمة ليست لي! أنا لست تلميذك!"

تراجع سري يوكتسوار دون أي جدال، كطفلٍ مُوبَّخ. تأثرتُ باحترامه الكبير لأمه حتى في تقلباتها المزاجية. لم تكن تراه إلا ابنها الصغير.

ليس كحكيم. كان لهذه الحادثة التافهة سحرٌ خاص؛ فقد سلطت الضوء على طبيعة معلّمي غير العادية، المتواضعة داخليًا والمتصلبة ظاهريًا.

لا تسمح اللوائح الرهبانية للسوامي بالحفاظ على صلاته الدنيوية بعد انقطاعها رسميًا. لا يمكنه أداء طقوس العائلة الاحتفالية المفروضة على رب الأسرة. ومع ذلك، تجاهل شانكارا، المؤسس القديم للرهبنة السوامية، هذه الأوامر. عند وفاة والدته الحبيبة، أحرق جسدها بنار سماوية تفجرت من يده المرفوعة.

تجاهل سري يوكتسوار القيود أيضًا، بطريقة أقل إثارة. بعد وفاة والدته، أقام مراسم حرق الجثث على ضفاف نهر الغانج المقدس في بنارس، وأطعم العديد من البراهمة وفقًا للعادات القديمة.

كانت المحظورات الشسترية تهدف إلى مساعدة السوامي على تجاوز هوياتهم الضيقة. لقد دمج شانكارا وسري يوكتسوار كيانيهما كليًا في الروح غير الشخصية؛ ولم يحتاجا إلى إنقاذ بالقاعدة. أحيانًا أيضًا، يتجاهل المعلم عمدًا قانونًا ما ليُعلي من مبدأه باعتباره أسمى من الشكل ومستقلًا عنه. وهكذا قطف يسوع سنابل القمح في يوم الراحة. وقال

للنقاد الذين لا مفر منهم: "لقد خُلِق السبت من أجل الإنسان، وليس الإنسان من أجل السبت". ١٢-٢٠

نادرًا ما كان سري يوكتسوار يُقدّر قراءة كتابٍ خارج نطاق الكتب المقدسة. ومع ذلك، كان مُطّلعًا دائمًا على أحدث الاكتشافات العلمية وغيرها من تطورات المعرفة. كان مُحاورًا بارعًا، يستمتع بتبادل الآراء حول مواضيع لا تُحصى مع ضيوفه. كانت روح الدعابة لدى مُعلّمي وضحكته المرحة تُنعش كل نقاش. كان مُعلّمي، الذي غالبًا ما كان جادًا، لا يُعاني من الكآبة. كان يُعلّق: "للبحث عن الرب، لا يحتاج المرء إلى تشويه وجهه. تذكّر أن إيجاد الله يعني جنازة كل الأحزان".

من بين الفلاسفة والأساتذة والمحامين والعلماء الذين زاروا المحبسة، وصل عددٌ منهم في زيارتهم الأولى متوقعين لقاءَ عالم دينٍ أرثوذكسي. كانت ابتسامةٌ متعجرفة أو نظرةٌ من التسامح المُسَلَّم به تكشف أحيانًا أن الوافدين الجدد لم يتوقعوا سوى بعض العبارات التقوى المبتذلة. إلا أن رحيلهم المُتردد سيُثير قناعةً مُعلنةً بأن سري يوكتسوار قد أظهر بصيرةً دقيقةً في مجالاتهم التخصصية.

كان معلّمي عادةً لطيفًا وودودًا مع الضيوف؛ وكان يُرحّب بهم بودٍّ ساحر. ومع ذلك، كان الأنانيون المتزمتون يُصابون أحيانًا بصدمةٍ مُنعشة. كانوا

يواجهون في معلّمي إما لامبالاةً باردةً أو معارضةً شديدةً: جليدًا أو حديدًا!

ذات مرة، تخاصم كيميائي مشهور مع سري يوكتسوار. لم يُقرّ الزائر بوجود الله، لأن العلم لم يبتكر أي وسيلة لاكتشافه.

لقد فشلتَ إذًا، لسببٍ غامض، في عزل القوة العظمى في أنابيب اختبارك! كانت نظرة المعلم صارمة. "أوصي بتجربةٍ فريدة. تفحّص أفكارك بلا هوادة لمدة أربع وعشرين ساعة. ثم لا تتعجب بعد الآن من غياب الله."

تلقى عالمٌ مشهورٌ صدمةً مماثلة. بحماسٍ مُتباهٍ، هزّ العالمُ الأشرم.

عوارض خشبية مع تقاليد كتابية. نصوصٌ مُدوّيةٌ مُتدفقةٌ من المهابهاراتا، والأوبانيشاد، والآيات ١٢-٢١ من باشياس شانكارا.

"أنتظر سماعك." كان صوت سري يوكتسوار مستفسرًا، وكأن صمتًا مطبقًا قد ساد المكان. كان الخبير في حيرة من أمره.

لقد كانت هناك اقتباساتٌ كثيرة. هزتني كلماتُ المعلمِ فرحًا، وأنا أجلسُ في زاويتي، على بُعدِ احترامٍ من الزائر. "ولكن ما هو التعليقُ الأصيلُ الذي يُمكنكَ تقديمُه، من تفرّدِ حياتكَ الخاصة؟ ما هو النصُّ المقدسُ الذي استوعبتَه وجعلتَه خاصًّا

بك؟ كيفَ جدّدت هذه الحقائقُ الخالدةُ طبيعتَكَ؟ هل ترضى بأن تكونَ مجردَ مُجرّدِ تقليدٍ آليٍّ لأقوالِ الآخرين؟"

"أستسلم!" كان حزن الباحث مُضحكًا. "لا أملك إدراكًا داخليًا."

ولأول مرة، ربما، أدرك أن تحديد موضع الفاصلة بشكل صحيح لا يكفر عن الغيبوبة الروحية.

قال معلّمي بعد رحيل المُعَذَّب: "هؤلاء المُتَعَصِّبون المُتَعَصِّبون يُفْرِطُونَ في كَلِمَةِ الْمِصْبَاحِ". "يُفَضِّلُونَ الْفِكْرَةَ تَمْرِينًا عَقْلِيًّا رَخْصًا. فَخُطُطُهُمْ الْمُتَعَظِّمَةُ تَحْتَ الْعَدْلِ، وَلا تَصِلُ إِلَى فَخَشِّيَّةِ الْأَعْمَالِ الْمَظْهَرِيَّةِ أَوْ إِلَى أَيِّ تَأْدِيبٍ بَاطِنٍ!"

وأكد المعلم في مناسبات أخرى على عبثية التعلم من الكتب فقط.

لا تخلطوا بين الفهم ومفردات أوسع، كما لاحظ. "الكتابات المقدسة مفيدة في تحفيز الرغبة في الإدراك الداخلي، إذا تم استيعاب مقطع واحد في كل مرة ببطء. الدراسة الفكرية المستمرة تؤدي إلى الغرور والرضا الزائف بمعرفة غير مهضومة."

روى سري يوكتسوار إحدى تجاربه في التنوير الديني. كان المشهد في منعزلة بغابة شرق البنغال، حيث تابع أسلوب معلم مشهور، دابرو بالاف. كانت

طريقته، البسيطة والصعبة في آن واحد، شائعة في الهند القديمة.

جمع دابرو بالاف تلاميذه حوله في خلواتهم الغابوية. كانت البهاجافاد غيتا المقدسة مفتوحة أمامهم. نظروا بثبات إلى أحد المقاطع لمدة نصف ساعة، ثم أغمضوا أعينهم. انقضى نصف ساعة أخرى. ألقى المعلم تعليقًا موجزًا. صمتوا، وتأملوا مجددًا لمدة ساعة. وأخيرًا، تكلم المعلم.

"هل فهمت؟"

"نعم سيدي." قال أحد أفراد المجموعة هذا التأكيد.

لا، ليس تمامًا. ابحثوا عن الحيوية الروحية التي منحت هذه الكلمات القدرة على تجديد شباب الهند قرنًا بعد قرن. مرّت ساعة أخرى في صمت. صرف المعلم الطلاب، والتفت إلى سري يوكتسوار.

هل تعرف بهاجافاد جيتا؟

"لا يا سيدي، ليس حقًا؛ على الرغم من أن عيني وعقلي قد تصفحا صفحاته عدة مرات."

أجابني الآلاف بردود مختلفة! ابتسم الحكيم العظيم للسيد مُباركًا. "إذا انشغل المرء باستعراضٍ خارجيٍّ للغنى الكتابي، فما الوقت المتبقي للغوص الصامت في أعماقه بحثًا عن اللآلئ الثمينة؟"

أدار سري يوكتسوار دراسة تلاميذه بنفس المنهج المكثف، وهو التركيز على الهدف. قال: "الحكمة لا

تُكتسب بالعين، بل بالذرات". "عندما لا يكون اقتناعك بحقيقة ما في عقلك فحسب، بل في كيانك أيضًا، يمكنك أن تضمن معناها بتردد". وقد عارض أي ميل لدى الطالب لتفسير المعرفة الكتابية على أنها خطوة ضرورية نحو الإدراك الروحي.

كتب الحكماء في جملة واحدة أفكارًا عميقةً شغلت علماء التفسير أنفسهم بها أجيالًا، كما لاحظ.
«الجدل الأدبي الذي لا ينتهي هو لعقولٍ خاملة. وأيُّ فكرةٍ أكثر تحررًا من «الله موجود» - بل «الله»؟»

لكن الإنسان لا يعود بسهولة إلى البساطة. نادرًا ما يكون "إلهًا" بالنسبة له، بل غرورًا مكتسبًا. غروره يسرّه أن يستوعب هذه المعرفة.

كان من المرجح أن يُضيف الرجال المُتَعَبِّرون عن فخرهم بمكانتهم الدنيوية الرفيعة، في حضور المعلم، تواضعًا إلى ممتلكاتهم الأخرى. ذات مرة، وصل قاضٍ محلي لإجراء مقابلة في مُعتزلة بوري الساحلية. كان الرجل، المعروف بقسوته، قادرًا تمامًا على طردنا من الأشرم. حذَّرتُ مُعلِّمي من احتمالات الاستبداد. لكنه جلس بثبات، ولم ينهض لتحية الزائر. شعرتُ ببعض التوتر، فجلستُ القرفصاء قرب الباب. اكتفى الرجل بصندوق خشبي؛ ولم يطلب مني مُعلِّمي إحضار كرسي. لم يتحقق توقع القاضي الواضح بأن يُعترف بأهميته رسميًا.

نشأ نقاش ميتافيزيقي. أخطأ الضيف في تفسير النصوص المقدسة. ومع تراجع دقته، ازداد غضبه.

هل تعلم أنني حصلت على المركز الأول في امتحان الماجستير؟ لقد تخلى عنه العقل، لكنه ما زال قادرًا على الصراخ.

أجاب المعلم بهدوء: "سيدي القاضي، لقد نسيتَ أن هذه ليست قاعة محكمتك. من تعليقاتك الطفولية، كنتُ سأستنتج أن مسيرتك الجامعية لم تكن مميزة. على أي حال، الشهادة الجامعية لا علاقة لها البتة بالإدراك الفيدي. لا يُخرّج القديسون دفعةً واحدةً في كل فصل دراسي، كما هو الحال مع المحاسبين."

وبعد صمت مذهول، ضحك الزائر من أعماق قلبه.

قال: "هذه أول مرة أقابل فيها قاضيًا سماويًا". لاحقًا، قدّم طلبًا رسميًا، مُصاغًا بعبارات قانونية كانت جزءًا لا يتجزأ من كيانه، ليُقبل كـ...

"تلميذ تحت الاختبار".

اهتمّ معلّمي شخصيًا بتفاصيل إدارة ممتلكاته. حاول أشخاصٌ عديمو الضمير في مناسباتٍ عديدة الاستيلاء على أرض أجداده. بعزيمةٍ، وحتى بتحريضه على رفع الدعاوى القضائية، تفوّق سري يوكتسوار على كل خصومه. مرّ بهذه التجارب المؤلمة رغبةً

منه في ألا يكون معلّمًا متسولًا، أو عبئًا على تلاميذه.

كان استقلاله المالي أحد أسباب براءة أستاذي الصريح بشكل مثير للقلق من حيل الدبلوماسية. فعلى عكس المعلمين الذين يُجبرون على مدح أتباعهم، كان معلّمي منيعًا أمام تأثيرات ثروة الآخرين، الظاهرة منها والباطنة. لم أسمعه قط يطلب مالًا أو حتى يُلمّح إليه لأي غرض. كان تدريبه في عزلة يُقدّم مجانًا ودون قيود لجميع تلاميذه.

في أحد الأيام، وصل نائب محكمة متغطرس إلى معبد سيرامبور ليُحضر سري يوكتسوار استدعاءً قانونيًا. وكان حاضرًا أيضًا تلميذ يُدعى كاناي وأنا. كان موقف الضابط من المعلم مُسيئًا.

«سيكون من الجيد أن تترك ظلال معتكفك وتتنفس هواء قاعة المحكمة الصادق». ابتسم النائب بازدراء. لم أستطع تمالك نفسي.

"كلمة أخرى من وقاحتك وسوف تكون على الأرض!" تقدمت مهددًا.

يا لك من حقير! صرخة كاناي كانت متزامنة مع صرختي. هل تجرؤ على إدخال تجديفك إلى هذا المعبد المقدس؟

لكن السيد وقف حاميًا أمام مُعتديه. "لا تغضب من لا شيء. هذا الرجل لا يؤدي إلا واجبه الشرعي."

اندهش الضابط من الاستقبال المتفاوت الذي قوبل به، فقدّم له كلمة اعتذار باحترام ثم انطلق مسرعًا.

كان من المدهش أن نجد معلمًا بهذه الإرادة القوية يتمتع بهذا القدر من الهدوء الداخلي. لقد كان مناسبًا للتعريف الفيدي لرجل الله: "أنعم من الزهرة حين يتعلق الأمر باللطف، وأقوى من الرعد حين يتعلق الأمر بالمبادئ".

هناك دائمًا في هذا العالم مَن، على حد تعبير براونتج، "لا يطيقون النور، فهم أنفسهم غامضون". كان أحد الغرباء يوبخ سري يوكتسوار أحيانًا على مظلمة وهمية. كان معلّمي الهادئ يستمع بأدب، ويحلل نفسه ليرى إن كان هناك أي ذرة من الحقيقة في هذا التنديد. هذه المشاهد تُذكّرني بإحدى ملاحظات المعلم الفريدة: "يحاول بعض الناس أن يكونوا كبارًا بقطع رؤوس الآخرين!"

إن هدوء القديس الدائم مُبهرٌ يفوق أي عظة. «البطيء الغضب خيرٌ من الجبار، والمسيطر على روحه خيرٌ ممن يأخذ مدينةً». ١٢-٢٣

لقد فكرت كثيرًا في أن سيدي الجليل كان من الممكن أن يكون بسهولة إمبراطورًا أو شخصًا يهز العالم

كان المحارب مُركّزًا على الشهرة أو الإنجازات الدنيوية. لكنه اختار بدلًا من ذلك اقتحام قلاع

الغضب والأنانية الداخلية التي يُعدّ سقوطها ذروة الإنسان.

١٢-١: "عبادة دورغا". هذا هو المهرجان الرئيسي في السنة البنغالية، ويستمر تسعة أيام تقريبًا في نهاية سبتمبر. يليه مباشرةً مهرجان داشاهارا (الذي يمحو عشر خطايا) الذي يستمر عشرة أيام: ثلاث خطايا جسدية، وثلاث خطايا نفسية، وأربع خطايا كلامية. كلا المهرجانين مقدسان لدورغا، التي تُعرف حرفيًا باسم "العذراء"، وهي أحد جوانب الأم الإلهية، شاكتي، القوة الأنثوية الخلاقة المتجسدة.

12-2: ولد سري يوكتسوار في 10 مايو 1855.

١٢-٣: يوكتسوار تعني "متحد بالله". جيري تمييز تصنيفي لأحد فروع السوامي العشرة القديمة.
سري تعني "مقدس"؛ وهي ليست اسمًا، بل لقب احترام.

١٢-٤: حرفيًا، "التوجيه معًا". السمادهي هي حالة من النشوة الفائقة للوعي حيث يدرك اليوغي هوية الروح والنفس.

12-5: الشخير، حسب علماء وظائف الأعضاء، هو مؤشر على الاسترخاء التام (للممارس الغافلين فقط).

١٢-٦: الدال حساء كثيف مصنوع من البازلاء المجففة أو غيرها من البقوليات. تشانا جبن من

الحليب الرائب الطازج، يُقطع إلى مربعات ويُطهى بالكاري مع البطاطس.

12-7: لقد تم وصف القوى الحاضرة في كل مكان لدى اليوغي، والتي من خلالها يرى، ويسمع، ويتذوق، ويشم، ويشعر بوحدانيته في الخلق دون استخدام أعضاء حسية، على النحو التالي في تايتيريا أرانياكا: "اخترق الأعمى اللؤلؤة؛ ووضع بلا أصابع خيطًا فيها؛ وارتداها بلا رقبة؛ وأثنى عليها بلا لسان".

١٢-٨: تهاجم الكوبرا بسرعة أي جسم متحرك ضمن نطاقها. عادةً ما يكون الثبات التام هو أمل السلامة الوحيد.

١٢-٩: في الواقع، قال لاهيري ماهاسايا "بريا" (الاسم الأول أو الاسم الشخصي)، وليس "يوكتسوار" (اسم رهباني لم يتلقاه معلّمي خلال حياة لاهيري ماهاسايا). (انظر الصفحة ١٠٩). استُبدل "يوكتسوار" هنا، وفي مواضع أخرى من هذا الكتاب، لتجنّب الخلط بين الاسمين للقارئ.

١٢-١٠: "لذلك أقول لكم: كل ما تطلبونه حين تصلون، فآمنوا أنكم تنالونه، فينالكم." - مرقس ١١: ٢٤. المعلمون الذين يمتلكون الرؤية الإلهية قادرون تمامًا على نقل إدراكاتهم إلى تلاميذ متقدمين، كما فعل لاهيري ماهاسايا لسري يوكتسوار في هذه المناسبة.

12-11: "وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى. فأجاب يسوع وقال: دعوا هذا! فلمس أذنه وأبرأها." - لوقا 22: 50-51.

12-12: "لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم أمام الخنازير، لئلا تدوسها بأرجلها، ثم تلتفت فتمزقكم." -متى 7: 6.

12-13: التلاميذ؛ من جذر الفعل السنسكريتي، "الخدمة".

١٢-١٤: كان مريضًا في كشمير عندما كنت غائبًا عنه. (انظر الفصل ٢٣).

١٢-١٥: كتب الطبيب الشجاع، تشارلز روبرت ريشيه، الحائز على جائزة نوبل في علم وظائف الأعضاء، ما يلي: "لم تُعترف الميتافيزيقيا رسميًا بعدُ بعلمٍ مُعترف به كعلم. لكنها ستصبح كذلك... في إدنبرة، تمكنتُ من التأكيد أمام مئة عالم فسيولوجي أن حواسنا الخمس ليست وسيلتنا الوحيدة للمعرفة، وأن جزءًا من الواقع يصل أحيانًا إلى العقل بطرقٍ أخرى... لأن الحقيقة نادرة، ليس هذا سببًا لعدم وجودها. ولأن الدراسة صعبة، فهل هذا سببٌ لعدم فهمها؟... أولئك الذين هاجموا الميتافيزيقيا باعتبارها علمًا خفيًا سيخجلون من أنفسهم تمامًا كما يخجل أولئك الذين هاجموا الكيمياء بحجة أن السعي وراء حجر الفلاسفة وهمي... في مسألة المبادئ، لا توجد سوى مبادئ

لافوازييه وكلود برنار وباستور - التجريبي في كل مكان وزمان. تحياتي إذن للعلم الجديد الذي... "سوف يؤدي ذلك إلى تغيير اتجاه الفكر الإنساني."

12-16: السمادهي: الاتحاد المثالي بين الروح الفردية والروح اللانهائية.

١٢-١٧: تختلف التفسيرات العقلية الموجهة لا شعوريًا اختلافًا جذريًا عن التوجيه المعصوم للحقيقة النابع من الوعي الفائق. بقيادة علماء فرنسيين من جامعة السوربون، بدأ المفكرون الغربيون في دراسة إمكانية الإدراك الإلهي لدى الإنسان.

أشار الحاخام إسرائيل هـ. ليفينثال عام ١٩٢٩ إلى أنه "على مدى العشرين عامًا الماضية، كرّس طلاب علم النفس، متأثرين بفرويد، جلّ وقتهم للبحث في عوالم اللاوعي". وأضاف: "صحيح أن اللاوعي يكشف الكثير من الغموض الذي يمكن أن يفسر أفعال البشر، ولكن ليس جميع أفعالنا. يمكنه تفسير الشذوذ، ولكن ليس الأفعال التي تتجاوز الطبيعي. وقد اكتشف علم النفس الحديث، برعاية المدارس الفرنسية، منطقة جديدة في الإنسان، أطلق عليها اسم اللاوعي الفائق. فعلى عكس اللاوعي الذي يمثل التيارات الكامنة في طبيعتنا، يكشف اللاوعي عن القمم التي يمكن أن تصل إليها طبيعتنا. يمثل الإنسان شخصية ثلاثية، لا مزدوجة؛ كياننا الواعي واللاواعي متوّج بوعي فائق. قبل سنوات عديدة، اقترح عالم النفس الإنجليزي، ف. و. هـ. مايرز، أن

"في أعماق كياننا كومة قمامة، وكذلك كنزًا". "على النقيض من علم النفس الذي يركز كل أبحاثه على العقل الباطن في طبيعة الإنسان، فإن علم النفس الجديد للعقل الفائق يركز انتباهه على كنز الحقيقة، المنطقة التي وحدها قادرة على تفسير الأعمال البطولية العظيمة وغير الأنانية التي يقوم بها الرجال."

12-18: جنانا، الحكمة، وبهاكتي، التفاني: اثنان من الطرق الرئيسية إلى الله.

١٢-١٩: «يبذل الإنسان في يقظته جهودًا لا تُحصى لتجربة الملذات الحسية؛ فعندما تُرهَق مجموعة الحواس بأكملها، ينسى حتى اللذة التي بين يديه وينام ليستريح في روحه، في طبيعته الخاصة»، كتب شانكارا، عالم الفيدانتا العظيم. «وهكذا، فإن بلوغ النعيم الحسي الفائق سهلٌ للغاية، وهو أسمى بكثير من ملذات الحواس التي تنتهي دائمًا بالاشمئزاز».

12-20: مرقس 2: 27.

١٢-٢١: ترد الأوبانيشاد أو الفيدانتا (حرفيًا، "نهاية الفيدا") في أجزاء معينة من الفيدا كملخصات أساسية. تُشكل الأوبانيشاد الأساس العقائدي للديانة الهندوسية. وقد أشاد بها شوبنهاور قائلًا: "كيف تتدفق الأوبانيشاد بروح الفيدا المقدسة بكاملها! كيف يتأثر كل من اطلع على هذا الكتاب

الفريد بتلك الروح حتى أعماق روحه! من كل جملة تنبثق أفكار عميقة وأصيلة وساميّة، ويمتلئ النص كله بروح سامية ومقدسة وصادقة... إن الوصول إلى الفيدا من خلال الأوبانيشاد هو في نظري أعظم امتياز يمكن أن يناله هذا القرن مقارنةً بكل القرون السابقة."

١٢-٢٢: التعليقات. شرح شانكارا الأوبانيشاد ببراعة.

12-23: الأمثال 16: 32.

الفصل: 13

القديس الذي لا ينام

أرجو أن تسمحوا لي بالذهاب إلى جبال الهيمالايا. آمل أن أتمكن من تحقيق تواصل إلهي مستمر في عزلة متواصلة.

في الواقع، وجهتُ هذه الكلمات الجاحدة لمعلمي ذات مرة. مُستولىً عليّ أحد الأوهام غير المتوقعة التي تُصيب المُريد أحيانًا، فشعرتُ بنفاد صبري المُتزايد تجاه واجبات المُنعزلة والدراسة الجامعية. وأحد الأسباب المُخففة هو أن عرضي قُدِّم لي وأنا على علاقة بسري يوكتسوار لستة أشهر فقط. لم أكن قد تأملتُ تمامًا قامته الشامخة بعد.

يعيش العديد من سكان جبال الهيمالايا، لكنهم لا يدركون الله. جاء جواب معلّمي بطيئًا وبسيطًا.

"الحكمة من رجلٍ مُدركٍ خيرٌ من أن تُطلب من جبلٍ جامد."

تجاهلتُ تلميحَ المعلمِ الواضحِ بأنه هو، وليس تلةً، مُعلِّمي، وكرَّرتُ توسُّلي. لم يُجِبْني سري يوكتسوار. اعتبرتُ صمتَه موافقةً، وهو تفسيرٌ مُتقلِّبٌ يُمكنُ تقبُّله بسهولةٍ متى ما شاءَ المرءُ.

في منزلي بكلكتا ذلك المساء، انشغلتُ بتحضيرات السفر. وبينما كنتُ أربط بعض الأغراض داخل بطانية، تذكرتُ رزمةً مماثلة، أُلقيت خلسةً من نافذة عليتي قبل بضع سنوات. تساءلتُ إن كانت هذه رحلةً أخرى مشؤومةً نحو جبال الهيمالايا. في المرة الأولى، كانت نشوتي الروحية عالية؛ أما الليلة، فقد ثقل ضميري بشدةٍ لفكرة ترك معلّمي.

وفي صباح اليوم التالي، بحثت عن بيهاري بونديت، أستاذي في اللغة السنسكريتية في كلية الكنيسة الاسكتلندية.

"سيدي، لقد أخبرتني عن صداقتك مع أحد تلاميذ لاهيري ماهاسايا العظماء. أرجو أن تعطيني عنوانه."

تقصد رام غوبال موزمدار. أُسمّيه "القديس الذي لا ينام". إنه دائمًا مستيقظ في حالة من النشوة. منزله في رانباجبور، قرب تاراكيسوار.

شكرتُ الخبير، وتوجهتُ فورًا إلى تاراكيسوار. كنتُ آملُ أن أُخففَ من شكوكي بنيلِ إذنٍ من "القديس الأرق" لأُمارسَ تأملًا منفردًا في جبال الهيمالايا. سمعتُ أن صديقَ بيهاري قد نالَ الاستنارةَ الروحيةَ بعدَ سنواتٍ طويلةٍ من ممارسةِ الكريا يوغا في كهوفٍ معزولة.

في تاراكيسوار، اقتربتُ من ضريحٍ شهير. يُقدّره الهندوس بنفس التبجيل الذي يُقدِّره الكاثوليك لمزار لورد في فرنسا. وقد حدثت معجزات شفاء لا تُحصى في تاراكيسوار، منها واحدةٌ لأحد أفراد عائلتي.

قالت لي عمتي الكبرى ذات مرة: "جلستُ في المعبد هناك لمدة أسبوع، وصامتُ صومًا كاملًا، وصليتُ من أجل شفاء عمك سارادا من مرض مزمن. في اليوم السابع، وجدتُ عشبةً تجسّدت في يدي! صنعتُ مشروبًا من الأوراق، وأعطيته لعمك. اختفى مرضه فورًا، ولم يعد إليه أبدًا".

دخلتُ ضريح تاراكيسوار المقدس؛ لا يحتوي المذبح إلا على حجر مستدير. محيطه، الذي لا بداية له ولا نهاية له، يجعله دلالةً واضحةً على اللانهائي.

إن الأفكار التجريدية ليست غريبة حتى على الفلاح الهندي الأكثر تواضعا؛ فقد اتهمه الغربيون، في الواقع، بالعيش على الأفكار التجريدية!

كان مزاجي آنذاك قاسيًا لدرجة أنني شعرتُ بتردد في الانحناء أمام الرمز الحجري. فكّرتُ أن البحث عن الله لا ينبغي أن يكون إلا في داخل الروح.

غادرتُ المعبد دون ركوع، وسرت بخطى حثيثة نحو قرية رانباجبور النائية. استغاثتي بأحد المارة طلبًا للإرشاد جعلته يغرق في تأمل طويل.

"عندما تصل إلى مفترق طرق، اتجه يمينًا واستمر في السير"، قال أخيرًا بنبوءة.

اتبعتُ التوجيهات، وشققتُ طريقي بمحاذاة ضفاف قناة. حلّ الظلام؛ وازدهرت أطراف قرية الغابة بوميض اليراعات وعواء ابن آوى القريب. كان ضوء القمر خافتًا جدًا لدرجة أنه لم يُطمئنني؛ فواصلتُ طريقي متعثرًا لساعتين.

أهلاً بقرع جرس البقر! صرخاتي المتكررة جلبت في النهاية فلاحاً إلى جانبي.

"أنا أبحث عن رام جوبال بابو."

لا يعيش مثل هذا الشخص في قريتنا. كان صوت الرجل متجهمًا. "أنت على الأرجح محقق كاذب."

آملًا أن أُبدّد شكوكه السياسية، شرحتُ له معاناتي بكلمات مؤثرة. اصطحبني إلى منزله واستقبلني بحفاوة بالغة.

قال: «رانباجبور بعيدة عن هنا. عند مفترق الطرق، كان عليك الانعطاف يسارًا، لا يمينًا».

اعتقدتُ بحزن أن مُخبري السابق كان يُشكّل خطرًا داهمًا على المسافرين. بعد وجبة شهية من الأرز الخشن، ودال العدس، وكاري البطاطس مع الموز النيء، لجأتُ إلى كوخ صغير مُجاور للفناء. في البعيد، كان القرويون يُغنّون على أنغام المريدانغا ١-١٣ الصاخبة وأصوات الصنج. لم يكن النوم ذا قيمة تلك الليلة؛ فدعوتُ الله أن يُرشدني إلى اليوغي السري، رام غوبال.

مع بزوغ خيوط الفجر الأولى في شقوق غرفتي المظلمة، انطلقتُ نحو رانباجبور. عبرتُ حقول الأرز الوعرة، ومشيتُ بصعوبة فوق جذوع شائكة منجلية وأكوام من الطين الجاف. كان فلاحٌ التقيتُ به من حين لآخر يُخبرني، دون انقطاع، أن وجهتي "على بُعد ميلين فقط". في غضون ست ساعات، سافرت الشمس بانتصار من الأفق إلى خط الزوال، لكنني بدأتُ أشعر أنني لن أبتعد عن رانباجبور إلا بميل واحد.

في منتصف النهار، كان عالمي لا يزال حقل أرز لا نهاية له. كانت الحرارة المتدفقة من السماء الصافية تدفعني إلى حافة الانهيار. وبينما كان رجل يقترب ببطء، لم أجرؤ على التفوه بسؤالي المعتاد، خشية أن يستدعي السؤال الرتيب: "مجرد كروشا".

توقف الغريب بجانبي. قصير ونحيف، لم يكن مثيرًا للإعجاب جسديًا إلا من خلال...

زوج غير عادي من العيون الداكنة الثاقبة.

كنتُ أخطط لمغادرة رانباجبور، لكن نيتك كانت حسنة، فانتظرتك. هزّ إصبعه في وجهي المذهول. "ألستَ ذكيًا لتظنّ أنه بإمكانكَ، دون سابق إنذار، أن تنقضّ عليّ؟ لم يكن من حقّ البروفيسور بيهاري أن يُعطيك عنواني."

ظننتُ أن تقديم نفسي أمام هذا المعلم سيكون مجرد إطناب، فوقفتُ صامتًا، وقد شعرتُ ببعض الألم في استقبالي. ثم ألقى ملاحظته التالية فجأةً.

"أخبرني؛ أين تعتقد أن الله موجود؟"

"حسنًا، إنه في داخلي وفي كل مكان." لا شك أنني كنت أبدو في حيرة من أمري كما شعرت.

"مُسيطرٌ على كل شيء، أليس كذلك؟" ضحك القديس ضحكة خفيفة. "إذن، لماذا يا سيدي الشاب، لم تنحني أمام اللانهائي في الرمز الحجري في معبد تاراكيسوار أمس؟ ١٣-٢ لقد عاقبك كبرياؤك بأن أخطأك المارة الذين لم يُبالوا بالتمييز الدقيق بين اليسار واليمين. واليوم أيضًا، مررت بوقت عصيب!"

وافقتُ بحماس، مُذهولاً من وجود عينٍ عليمةٍ تختبئ في الجسد العادي أمامي. انبعثت من اليوغي قوةٌ شفائية؛ فاستَجَدْتُ على الفور في الحقل الحارق.

يميل المُريد إلى الاعتقاد بأن طريقه إلى الله هو السبيل الوحيد، كما قال. "اليوغا، التي تُوجد من خلالها الألوهية في الداخل، هي بلا شك أسمى الطرق: هكذا أخبرنا لاهيري ماهاسيا. لكن باكتشاف الرب في الداخل، سرعان ما ندركه في الخارج. تُبجّل الأضرحة المقدسة في تاراكيسوار وغيرها بحق كمراكز أساسية للقوة الروحية."

اختفى موقف القديس الانتقادي، وأصبحت عيناه رقيقتين بعطف. ربت على كتفي.

أيها اليوغي الشاب، أرى أنك تهرب من معلمك. لديه كل ما تحتاجه؛ عليك العودة إليه. لا يمكن للجبال أن تكون معلمك. كان رام غوبال يردد نفس الفكرة التي عبّر عنها سري يوكتسوار في لقائنا الأخير.

"لا يخضع الأساتذة لأي إجبار كوني لتضييق نطاق إقامتهم." نظر إليّ رفيقي متسائلاً. "جبال الهيمالايا في الهند والتبت لا تحتكر القديسين. ما لا يُكلف المرء نفسه عناء البحث عنه في الداخل لن يُكتشف بنقل الجثة هنا وهناك. حالما يستعد المريد للذهاب حتى إلى أقاصي الأرض طلباً للتنوير الروحي، يظهر معلمه الروحي بالقرب منه."

وافقت بصمت، متذكرًا صلاتي في دير بنارس، ثم لقائي مع سري يوكتسوار في زقاق مزدحم.

"هل تستطيع أن تحصل على غرفة صغيرة حيث يمكنك إغلاق الباب وتكون وحدك؟"

"نعم." فكرت أن هذا القديس ينحدر من العام إلى الخاص بسرعة محيرة.

«هذا كهفك». منحني اليوغي نظرة استنارة لم أنساها أبدًا. «هذا جبلك المقدس. هناك ستجد ملكوت الله».

كلماته البسيطة قضت على شغفي الدائم بجبال الهيمالايا. في حقل أرز مشتعل، استيقظت من أحلام الثلوج الأبدية.

يا سيدي الشاب، عطشك الإلهي جدير بالثناء. أُكنّ لك حبًا كبيرًا. أمسك رام غوبال بيدي وقادني إلى قرية صغيرة خلابة. كانت منازلها المبنية من الطوب اللبن مغطاة بأوراق جوز الهند ومزينة بمداخل ريفية.

أجلسني القديس على منصة الخيزران الظليلة في كوخه الصغير. بعد أن أعطاني عصير ليمون مُحلى وقطعة من السكر، دخل باحته واتخذ وضعية اللوتس. بعد حوالي أربع ساعات، فتحت عينيّ المتأملتين ورأيت صورة اليوغي المُضاءة بضوء القمر لا تزال ساكنة. وبينما كنت أُذكّر معدتي بصرامة أن الإنسان لا يحيا بالخبز وحده، اقترب مني رام غوبال.

"أرى أنك جائع، الطعام سيكون جاهزًا قريبًا."

أُوقدت نارٌ تحت فرنٍ طينيٍّ في الفناء؛ وقُدِّم الأرز والعدس بسرعةٍ على أوراق موزٍ كبيرة. رفض مضيفُي بلطفٍ مساعدتي في جميع أعمال الطبخ. "الضيف هو الله"، مثلٌ هندوسيٌّ، فرضَ التزامًا مُتفانيًا منذ القدم. في رحلاتي اللاحقة حول العالم، سُحِرتُ برؤية احترامٍ مماثلٍ للزوار في المناطق الريفية في العديد من البلدان. يجد ساكن المدينة أن كرم الضيافة الحادّ يُخفِّف من وطأة كثرة الوجوه الغريبة.

بدت عوالم الرجال خافتة بعض الشيء وأنا أجلس القرفصاء بجانب اليوغي في عزلة قرية الغابة الصغيرة. كانت غرفة الكوخ غامضة بضوء خافت. رتب رام غوبال بعض البطانيات الممزقة على الأرض لسريري، وجلس على حصيرة من القش. غمرتني جاذبيته الروحية، فبادرت بطلب.

"سيدي، لماذا لا تمنحني السمادهي؟"

عزيزي، يسعدني أن أنقل لك هذه النشوة الإلهية، لكن ليس من حقي فعل ذلك. نظر إليّ القديس بعينين نصف مغمضتين. "سيمنحك معلمك هذه التجربة قريبًا. جسمك ليس مُهيأً بعد. فكما أن مصباحًا صغيرًا لا يتحمل الجهد الكهربائي الزائد، كذلك أعصابك غير مستعدة للتيار الكوني. لو منحتك

النشوة اللانهائية الآن، لاحترقت كما لو أن كل خلية فيك تحترق."

"أنت تطلب مني التنوير،" تابع اليوغي في تأمل، "بينما أتساءل - على الرغم من أنني لا أهتم، ومع القليل من التأمل الذي قمت به - عما إذا كنت قد نجحت في إرضاء الله، وما هي القيمة التي قد أجدها في عينيه في الحساب النهائي."

"سيدي، هل لم تكن تبحث عن الله بقلب واحد لفترة طويلة؟"

لم أفعل الكثير. لا بد أن بيهاري قد أخبرك شيئًا عن حياتي. لعشرين عامًا، كنت أسكن كهفًا سريًا، أتأمل ثماني عشرة ساعة يوميًا. ثم انتقلت إلى كهف أكثر عزلة، وبقيت هناك خمسة وعشرين عامًا، أمارس اليوغا عشرين ساعة يوميًا. لم أكن بحاجة للنوم، لأني كنت دائمًا مع الله. كان جسدي أكثر راحة في هدوء الوعي الفائق التام مما قد يكون عليه في سلام جزئي لحالة اللاوعي العادية.

تسترخي العضلات أثناء النوم، لكن القلب والرئتين والجهاز الدوري يعملان باستمرار؛ ولا يرتاحان. في حالة الوعي الفائق، تبقى الأعضاء الداخلية في حالة جمود، مشحونة بالطاقة الكونية. بهذه الطريقة، لم أعد بحاجة للنوم لسنوات. سيأتي الوقت الذي ستستغني فيه أنت أيضًا عن النوم.

يا إلهي، لقد تأملتَ طويلاً، ومع ذلك لستَ متأكدًا من رضى الرب! نظرتُ إليه بدهشة. "إذن، ماذا عنّا نحن البشر المساكين؟"

حسنًا، ألا ترى يا بنيّ العزيز أن الله هو الأبدية بذاتها؟ إن افتراض أن المرء يستطيع معرفته معرفةً كاملةً بخمسة وأربعين عامًا من التأمل هو توقعٌ سخيفٌ إلى حدٍّ ما. مع ذلك، يؤكد لنا باباجي أن قليلًا من التأمل يُجنّب المرء الخوف الشديد من الموت وحالات ما بعد الموت. لا تُعلّق مُثُلك الروحية على جبلٍ صغير، بل اربطها بنجمةِ بلوغٍ إلهيٍّ لا حدودَ له. إن اجتهدتَ، ستصل إلى هناك.

انبهرتُ بهذا الاحتمال، فطلبتُ منه المزيد من الكلمات المُنيرة. سرد عليّ قصةً رائعةً عن لقائه الأول مع باباجي، مُعلّم لاهيري ماهاسايا. 13-3 حوالي منتصف الليل، ساد الصمت رام غوبال، واستلقيتُ على بطانيتي. أغمضتُ عينيّ، فرأيتُ ومضاتٍ من البرق؛ كانت المساحة الشاسعة في داخلي غرفةً من ضوءٍ مُنصهر. فتحتُ عينيّ ولاحظتُ نفس الإشراق الباهر. أصبحت الغرفة جزءًا من ذلك القبة اللانهائية التي رأيتها ببصيرتي الداخلية.

"لماذا لا تذهب إلى النوم؟"

"سيدي، كيف يمكنني النوم في وجود البرق، المشتعل سواء كانت عيني مغلقة أو مفتوحة؟"

أنت محظوظٌ بهذه التجربة؛ فالإشعاعات الروحية لا تُرى بسهولة. أضاف القديس بضع كلماتٍ من المودة.

عند الفجر، أعطاني رام غوبال حلوىً صخريةً وقال لي إن عليّ الرحيل. شعرتُ بترددٍ شديدٍ في توديعه حتى انهمرت دموعي على خدي.

"لن أتركك خالي الوفاض." قال اليوغي بلطف. "سأفعل شيئًا من أجلك."

ابتسم ونظر إليّ بثبات. وقفتُ ثابتًا على الأرض، والسكينة تتدفق كسيلٍ جارفٍ من عينيّ. شُفيتُ على الفور من ألمٍ في ظهري ، كان يُزعجني على فتراتٍ متقطعةٍ لسنوات. تجددت، غارقًا في بحرٍ من الفرح المُشرق، ولم أعد أبكي. بعد أن لمست قدمي القديس، تهادتُ في الغابة، سائرًا عبر أجوائها الاستوائية.

تشابكت حتى وصلت إلى تاراكيسوار.

هناك، قمتُ بحجٍّ ثانٍ إلى المزار الشهير، وسجدتُ أمام المذبح سجودًا كاملًا. توسع الحجر المستدير أمام رؤيتي الداخلية حتى أصبح كراتٍ كونية، حلقةً داخل حلقة، منطقةً بعد منطقة، كلها مُزينةٌ بالألوهية.

ركبتُ القطار بسعادة بعد ساعة إلى كلكتا. انتهت رحلتي، ليس في الجبال الشامخة، بل في حضرة سيدي في جبال الهيمالايا.

13-1: طبول يتم العزف عليها يدويًا، وتستخدم فقط للموسيقى الدينية.

13-2: هنا نتذكر ملاحظة دوستويفسكي: "الرجل الذي لا ينحني أمام أي شيء لا يستطيع أبدًا أن يتحمل عبء نفسه".

13-3: انظر الفصل 35.

الفصل: 14

تجربة في الوعي الكوني

"أنا هنا، يا جورو جي." كان خجلي يتحدث عني بشكل أكثر بلاغة.

"هيا بنا نذهب إلى المطبخ ونبحث عن شيء نأكله." كان أسلوب سري يوكتسوار طبيعيًا كما لو أن الساعات لا الأيام تفصلنا.

"سيدي، لا بد أنني خيبت ظنك برحيلي المفاجئ عن واجباتي هنا؛ اعتقدت أنك ربما تكون غاضبًا مني."

لا، بالطبع لا! الغضب لا ينبع إلا من رغبات مُحبطة. لا أتوقع شيئًا من الآخرين، لذا لا يمكن لأفعالهم أن تتعارض مع رغباتي. لن أستخدمك لأغراضي الخاصة؛ أنا سعيد فقط بسعادتك الحقيقية.

يا سيدي، يسمع المرء عن الحب الإلهي بطريقة مبهمة، ولكن لأول مرة أجد مثالاً ملموساً في ذاتك الملائكية! في العالم، حتى الأب لا يسامح ابنه بسهولة إذا ترك عمل والديه دون سابق إنذار. لكنك لا تُظهر أدنى انزعاج، مع أنك لا بد أنك تعرضت لمضايقات كبيرة بسبب المهام الكثيرة غير المنجزة التي تركتها ورائي.

تبادلنا النظرات، حيث كانت الدموع تتلألأ. غمرتني موجة من السعادة؛ أدركتُ أن الرب، متمثلاً في معلّمي، يُوسّع اشتعالات قلبي الصغيرة إلى آفاق الحب الكوني التي لا تُضاهى.

بعد بضعة صباحات، توجهتُ إلى غرفة جلوس المعلم الفارغة. كنتُ أخطط للتأمل، لكن غايتي النبيلة لم تُشاركني فيها أفكارٌ مُتمردة. تفرقت كالطيور أمام الصياد.

"موكوندا!" جاء صوت سري يوكتسوار من شرفة داخلية بعيدة.

شعرتُ بتمردٍ كتمرد أفكاري. تمتمتُ في نفسي: "المعلم يحثني دائمًا على التأمل. لا ينبغي له أن يزعجني وهو يعلم سبب مجيئي إلى غرفته".

استدعاني مرة أخرى، فلزمتُ الصمتَ بعناد. وفي المرة الثالثة، كانت نبرته توبيخًا.

"سيدي، أنا أتأمل،" صرخت محتجًا.

"أعلم كيف تتأمل،" صاح معلّمي، "وعقلك منتشر كأوراق الشجر في العاصفة! تعال إليّ هنا."

بعد أن تعرضت للتجاهل والتعرض للخطر، شققت طريقي حزينًا إلى جانبه.

يا مسكين، الجبال لم تُعطِك ما تريد. قال المعلم بلُطفٍ وطمأنينة. كانت نظراته الهادئة غامضة. "ستتحقق أمنية قلبك."

نادرًا ما كان سري يوكتسوار يُفكّر في الألغاز، فأصابني الحيرة. ضربني برفق على صدري فوق القلب.

أصبح جسدي راسخًا بلا حراك؛ انسحبت أنفاسي من رئتي كما لو كان ذلك بمغناطيس ضخم. انفصلت الروح والعقل فجأةً عن عبوديتهما الجسدية، وتدفقتا كضوء سائل ثاقب من كل مسامي. كان الجسد ميتًا، ومع ذلك، في إدراكي العميق، عرفت أنني لم أكن يومًا حيًا تمامًا. لم يعد إحساسي بهويتي محصورًا في جسد، بل احتضن الذرات المحيطة. بدا الناس في الشوارع البعيدة وكأنهم يتحركون برقة فوق محيطي النائي. ظهرت جذور النباتات والأشجار من خلال شفافية خافتة للتربة؛ فأدركت تدفق عصارتها الداخلي.

كانت المنطقة المحيطة بأكملها مكشوفة أمامي. تحولت رؤيتي الأمامية العادية الآن إلى مشهد كروي واسع، شامل في آن واحد. من خلف رأسي، رأيت

رجالًا يتجولون بعيدًا في طريق راي غات، ولاحظت أيضًا بقرة بيضاء تقترب ببطء. عندما وصلت إلى المساحة أمام بوابة الأشرم المفتوحة، راقبتها بعينيّ. وبينما مرت من خلف الجدار الطوبي، رأيتها ثابتة بوضوح.

ارتجفت واهتزت كل الأشياء في ناظري البانورامية كأفلام متحركة سريعة. جسدي، ومنزل سيدي، والفناء ذو الأعمدة، والأثاث والأرضية، والأشجار وأشعة الشمس، كانت ترتجف بعنف أحيانًا، حتى ذاب كل شيء في بحر متوهج؛ حتى كبلورات سكر، تتناثر في كل مكان.

في كوب ماء، يذوب بعد رجّه. تناوب الضوء الموحّد مع تجسيدات الأشكال، وكشفت التحولات عن قانون السبب والنتيجة في الخلق.

غمرني فرحٌ محيطي على شواطئ روحي الهادئة التي لا نهاية لها. أدركتُ أن روح الله نعيمٌ لا ينضب؛ جسده أنسجةٌ لا تُحصى من النور. بدأ مجدٌ متصاعدٌ في داخلي يُغلف المدن والقارات والأرض والأنظمة الشمسية والنجمية والسُدم الرقيقة والأكوان العائمة. تألق الكون بأكمله، بنورٍ رقيق، كمدينةٍ تُرى من بعيدٍ في الليل، في اتساع كياني. تلاشت الخطوط العالمية الحادة قليلاً عند أقصى حوافها؛ هناك استطعتُ رؤية إشراقةٍ ناعمةٍ لا تتلاشى. كان خافتًا بشكلٍ لا يُوصف؛ تشكّلت صور الكواكب من ضوءٍ أكثر خشونة.

تدفقت الأشعة الإلهية من مصدر أبدي، متوهجةً في المجرات، متحولةً بهالاتٍ لا تُوصف. مرارًا وتكرارًا، رأيتُ أشعة الإبداع تتكثف في أبراج، ثم تتلاشى في صفائح من لهب شفاف. وبعودة إيقاعية، انعكست سكستليون عوالم في بريقٍ شفاف؛ وأصبحت النار سماءً.

أدركتُ مركزَ السماوات كنقطةِ إدراكٍ حدسيٍّ في قلبي. انبعثَ بريقٌ مُشعٌّ من جوهرِ كياني إلى كلِّ جزءٍ من هذا البناءِ الكوني. نبضَتْ فيَّ أمريتا الهنيئة، رحيقُ الخلود، بسيولةٍ كالزئبق. سمعتُ صوتَ اللهِ الخالقَ يترددُ كصوتِ أوم، 14-1، اهتزازِ المحركِ الكوني.

فجأةً، عادت أنفاسي إلى رئتيّ. وبخيبة أملٍ لا تُطاق، أدركتُ أن عظمتي اللانهائية قد ضاعت. أصبحتُ مجددًا حبيسًا لقفصٍ مُهين، جسدٍ لا يلين بسهولةٍ أمام الروح. كالطفلِ الضال، هربتُ من بيتي الكوني الكبير وسجنتُ نفسي في عالمٍ مُصغّرٍ ضيق.

كان معلّمي واقفًا أمامي بلا حراك، فبدأتُ أسقط عند قدميه المقدستين امتنانًا لتجربة الوعي الكوني التي لطالما سعيتُ إليها بشغف. رفعني منتصبًا، وتحدث بهدوء وتواضع.

لا تفرط في النشوة. ما زال أمامك الكثير من العمل في الدنيا. تعالَ، لنكنس أرض الشرفة، ثم نسير على ضفاف نهر الجانج.

أحضرتُ مكنسة؛ كنتُ أعلم أن المعلم يُعلّمني سرّ العيش المتوازن. على الروح أن تتمدد فوق هاويات الكون، بينما يُؤدّي الجسد واجباته اليومية. عندما انطلقنا لاحقًا في نزهة، كنتُ لا أزال مُفتونًا بنشوةٍ لا تُوصف. رأيتُ جسدينا كصورتين نجميتين، تتحركان على طريقٍ بجانب نهرٍ جوهره نورٌ خالص.

"إن روح الله هو الذي يُبقي على كل شكل وقوة في الكون؛ ومع ذلك فهو متسامٍ ومنعزل في الفراغ غير المخلوق السعيد، وراء عوالم الظواهر الاهتزازية"، أوضح المعلم ١٤-٢. "القديسون الذين يُدركون ألوهيتهم حتى وهم في الجسد يعرفون وجودًا مزدوجًا مشابهًا. وبينما ينخرطون بضمير حي في العمل الأرضي، يظلون غارقين في سعادة باطنية. لقد خلق الرب جميع البشر من فرح وجوده اللامحدود. ورغم ضيقهم الجسدي المؤلم، إلا أن الله يتوقع من النفوس التي خُلقت على صورته أن تسمو في النهاية فوق كل هوية حسية وتتحد معه."

خلّفت الرؤية الكونية دروسًا خالدة. فبتهدئة أفكاري يوميًا، استطعتُ التحرر من وهم أن جسدي كتلة من لحم وعظام، تجتاز تربة المادة الصلبة. رأيتُ أنفاسي وعقلي المضطرب كعواصف عاتية تضرب بحر النور بأمواج من الأشكال المادية - الأرض،

السماء، البشر، الحيوانات، الطيور، الأشجار. لا يمكن إدراك اللانهائي كنور واحد إلا بتهدئة تلك العواصف. كلما سكنتُ عن الضجيجين الطبيعيين، رأيتُ أمواج الخلق المتلاطمة تذوب في بحرٍ واحدٍ ساطع، كما تذوب أمواج المحيط، بعواصفها الهادئة، في وحدةٍ واحدة.

يمنح المعلم الروحي تلميذه التجربة الإلهية للوعي الكوني عندما يُقوّي عقله بالتأمل إلى درجة لا تُطغى عليها الآفاق الواسعة. لا يُمكن منح هذه التجربة بمجرد الاستعداد الفكري أو الانفتاح الذهني. وحده التوسع الكافي بممارسة اليوغا والتأمل الروحي يُمكن أن يُهيئ العقل لاستيعاب صدمة الوجود الكلي المُحرّرة. تأتي هذه التجربة حتميةً طبيعيةً للمُريد المُخلص. يبدأ شوقه الشديد بالانجذاب إلى الله بقوة لا تُقاوم. ينجذب الرب، باعتباره الرؤية الكونية، إلى نطاق وعيه بحماسة الباحث المغناطيسية.

كتبت في سنواتي الأخيرة القصيدة التالية، "سامادهي"، محاولاً نقل مجد حالتها الكونية:

اختفت حجب النور والظل، ورفعت كل بخار من الحزن، وأبحرت بعيدًا كل فجر من الفرح الزائل، وذهب سراب الحسية الخافتة. الحب والكراهية والصحة والمرض والحياة والموت، هلكت هذه الظلال الزائفة على شاشة الثنائية. موجات من الضحك، وممرات من السخرية، دوامات حزينة،

تذوب في بحر النعيم الشاسع. عاصفة مايا هدأت بعصا سحرية من الحدس العميق. الكون، حلم منسي، كامن لا شعوريًا، مستعد لغزو ذاكرتي الإلهية المستيقظة حديثًا. أعيش بدون الظل الكوني، لكنه ليس كذلك، محرومًا مني؛ كما يوجد البحر بدون الأمواج، لكنهم لا يتنفسون بدون البحر. الأحلام واليقظة وحالات نوم توريا العميق، الحاضر والماضي والمستقبل، لم يعد لي، ولكن الحاضر دائمًا، أنا المتدفق، أنا، في كل مكان. الكواكب، النجوم، غبار النجوم، الأرض، الانفجارات البركانية لكوارث يوم القيامة، فرن التشكيل في الخلق، الأنهار الجليدية للأشعة السينية الصامتة، فيضانات الإلكترونات المحترقة،

أفكار جميع الرجال، الماضي والحاضر والمستقبل، كل شفرة من العشب، نفسي، البشرية، كل ذرة من الغبار الكوني، الغضب، الجشع، الخير، الشر، الخلاص، الشهوة، ابتلعتها، حولتها كلها إلى محيط شاسع من دم كياني الوحيد! فرحة مشتعلة، غالبًا ما تنفثها التأملات التي تعمي عيني الدامعة، انفجرت في ألسنة اللهب الخالدة من النعيم، استهلكت دموعي، جسدي، كل شيء بالنسبة لي. أنت أنا، أنا أنت، العليم، العارف، المعروف، كواحد! نشوة هادئة غير منقطعة، تعيش إلى الأبد، سلام جديد دائمًا! ممتعة تتجاوز خيال التوقعات، نعيم السمادهي! ليست حالة غير واعية أو كلوروفورم

عقلي بدون عودة متعمدة، السمادهي ولكنها تمتد إلى عالمي الواعي خارج حدود الجسم البشري إلى أقصى حدود الأبدية حيث أنا، البحر الكوني، أشاهد الأنا الصغيرة العائمة في داخلي. العصفور، كل حبة رمل، لا تسقط دون رؤيتي. كل الفضاء يطفو مثل جبل جليدي في بحري العقلي. حاوية هائلة، أنا، لكل الأشياء المصنوعة. من خلال تأمل أعمق وأطول وأكثر عطشًا ومقدم من المعلم يأتي هذا السمادهي السماوي. تُسمع همسات الذرات المتنقلة، الأرض المظلمة، الجبال، الوديان، انظر! سائل منصهر! تتحول البحار المتدفقة إلى أبخرة سديم! ينفخ أوم على الأبخرة، ويفتح حجبها بشكل عجيب، وتنكشف المحيطات، والإلكترونات اللامعة، حتى يختفي أخيرًا صوت الطبل الكوني، الأضواء الأكثر خشونة إلى أشعة أبدية من النعيم الشامل. من الفرح أتيت، ومن أجل الفرح أعيش، وفي الفرح المقدس أذوب. محيط العقل، أشرب كل أمواج الخلق. أربعة حجب من الصلب والسائل والبخار والضوء، ترتفع بشكل صحيح. أنا، في كل شيء، أدخل ذاتي العظيمة. رحلت للأبد، ظلالٌ متقطعةٌ ومتقطعةٌ من ذكرياتٍ فانية. سماءُ عقلي صافيةٌ، في الأسفل، وفي الأمام، وفي الأعلى. أنا والخلود، شعاعٌ واحدٌ متحد. فقاعةٌ صغيرةٌ من الضحك، أصبحتُ بحرَ البهجةِ ذاته.

علّمني سري يوكتسوار كيف أستحضر التجربة المباركة بإرادتي، وكيف أنقلها للآخرين إذا ما طوّروا

حدسهم. ولشهور، دخلتُ في حالة من النشوة الروحية، مدركًا لماذا تقول الأوبانيشاد إن الله هو راسا، أي "الأكثر استساغة". ولكن في أحد الأيام، عرضتُ مسألةً على المعلم.

"أريد أن أعرف يا سيدي متى سأجد الله؟"

"لقد وجدته."

"لا يا سيدي، لا أعتقد ذلك!"

كان معلّمي يبتسم. "أنا متأكد أنك لا تتوقع شخصية جليلة، تُزيّن عرشًا في ركنٍ مُطهّر من الكون! لكنني أرى أنك تتخيل أن امتلاك قوى خارقة هو معرفة الله. قد يمتلك المرء الكون كله، ويجد الربّ بعيد المنال! لا يُقاس التقدم الروحي بالقدرات الخارجية، بل بعمق نعيمه في التأمل فقط.

الفرح الدائم هو الله. إنه لا ينضب؛ فبينما تواصل تأملاتك على مر السنين، سيُسحرك ببراعة لا حدود لها. المخلصون أمثالك الذين وجدوا طريقهم إلى الله لا يحلمون أبدًا باستبداله بأي سعادة أخرى؛ فهو فاتن لا يُضاهى.

ما أسرع ما نملّ من ملذات الدنيا! فالرغبة في الأشياء المادية لا تنتهي؛ فالإنسان لا يشبع أبدًا، فيسعى وراء هدف تلو الآخر. أما "الشيء الآخر" الذي يسعى إليه فهو الرب، فهو وحده القادر على منحه فرحًا دائمًا.

تُبعدنا الرغبات الخارجية عن جنة عدن الداخلية؛ فهي تُقدم لنا ملذات زائفة لا تُجسّد إلا سعادة الروح. وسرعان ما نستعيد الفردوس المفقود من خلال التأمل الإلهي. ولأن الله هو التجديد الأبدي الذي لا يُتوقع، فإننا لا نمل منه أبدًا. فهل يُمكننا أن نشبع من النعيم، مُتنوعين ببهجة على مر الأبدية؟

أفهم الآن يا سيدي لماذا يصف القديسون الرب بأنه لا يُسبر غوره. حتى الحياة الأبدية لا تكفي لتقديره.

هذا صحيح؛ ولكنه أيضًا قريب وعزيز. بعد أن يُنقى العقل بكريا يوغا من العوائق الحسية، يُقدم التأمل دليلاً مزدوجًا على وجود الله. الفرح المتجدد دائمًا دليل على وجوده، مُقنعٌ حتى ذراتنا. وفي التأمل أيضًا، يجد المرء إرشاده الفوري، واستجابته الكافية لكل صعوبة.

"أرى يا غورو جي، لقد حللتَ مشكلتي." ابتسمتُ بامتنان. "أدرك الآن أنني وجدتُ الله، فكلما عادت لي متعة التأمل لا شعوريًا خلال ساعات نشاطي، وُجِّهتُ بمهارةٍ لاتباع المسار الصحيح في كل شيء، حتى في التفاصيل."

"تظل الحياة البشرية مثقلةً بالحزن حتى نعرف كيف ننسجم مع الإرادة الإلهية، التي غالبًا ما يُحيّر "مسارها الصحيح" الذكاء الأناني. الله يتحمل عبء الكون؛ وهو وحده القادر على تقديم المشورة التي لا تخطئ."

14-1: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله."-يوحنا 1: 1.

١٤-٢: "لأن الآب لا يدين أحدًا، بل قد أعطى كل الدينونة للابن." - يوحنا ٥: ٢٢. "الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبَّر عنه." - يوحنا ١: ١٨. "الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بي فالأعمال التي أعملها يعملها هو أيضًا، ويعمل أعظم منها، لأني ماضٍ إلى أبي." - يوحنا ١٤: ١٢. "وأما المعزي، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم." - يوحنا ١٤: ٢٦.

تشير هذه الكلمات من الكتاب المقدس إلى طبيعة الله الثلاثية: الآب، والابن، والروح القدس (سات، تات، أوم في النصوص الهندوسية المقدسة). الله الآب هو المطلق، غير المتجلي، الموجود خارج نطاق الخلق الاهتزازي. الله الابن هو وعي المسيح (براهما أو كوتاستا تشايتانيا) الموجود في إطار الخلق الاهتزازي؛ هذا الوعي المسيح هو "الابن الوحيد" أو الانعكاس الوحيد للانهائي غير المخلوق. تجليه الخارجي أو "شاهده" هو أوم أو الروح القدس، القوة الإلهية الخلاقة غير المرئية التي تُنظّم الخليقة كلها من خلال الاهتزاز. يُسمع أوم، المعزي السعيد، في التأمل، ويكشف للمريد الحقيقة المطلقة.

الفصل: 15

سرقة القرنبيط

يا سيدي، هدية لك! هذه القرنبيطات الستة الضخمة زُرعت بيديّ؛ وراقبتُ نموها بعناية أمٍّ تُرضع طفلها. قدّمتُ سلة الخضراوات بحفاوة بالغة.

"شكرًا لك!" ابتسم سري يوكتسوار ابتسامة دافئة مليئة بالامتنان. "من فضلك، احتفظ بها في غرفتك؛ سأحتاجها غدًا لعشاء خاص."

وصلتُ لتوي إلى بوري في الساعة 15:00 لقضاء عطلتي الصيفية الجامعية مع معلّمي الروحي في معتكفه على شاطئ البحر. بناه المعلم وتلاميذه، وهو ملاذ صغير مُبهج من طابقين يُطل على خليج البنغال.

استيقظتُ باكرًا في صباح اليوم التالي، منتعشًا بنسمات البحر العليل وسحر ما حولي. كان صوت سري يوكتسوار الشجي يناديني؛ ألقيتُ نظرةً على قرنبيطي العزيز، ووضعته بعناية تحت سريري.

"تعالوا، لنذهب إلى الشاطئ." قاد المعلم الطريق؛ وتبعته أنا وعدد من التلاميذ الشباب.

مجموعة متفرقة. ألقى علينا معلمنا نظرة انتقادية خفيفة.

عندما يسير إخواننا الغربيون، عادةً ما يفخرون بالتناغم. الآن، من فضلكم، امشوا صفين؛ حافظوا على إيقاع خطواتكم مع بعضكم البعض. راقب

سري يوكتسوار ونحن نطيعه؛ وبدأ يُغني: "الأولاد يمشون جيئة وذهابًا، في صف صغير جميل". لم يسعني إلا أن أُعجب بسهولة المعلم في مُجاراة وتيرة طلابه الصغار السريعة.

"قف!" نظر معلمي إليّ. "هل تذكرت إغلاق الباب الخلفي للمُعتكف؟"

ملجأ معلّمي على شاطئ البحر في بوري

تدفق زوارٌ من كل حدب وصوب إلى هدوء المُنْزَل. جاء عددٌ من العلماء مُتَوَقِّعينَ بلقاءِ دُينٍ أرثوذكسي. كانت ابتسامةٌ مُتعاليةٌ أو نظرةُ تسامحٍ مُسَلِّيةٍ تُفْسِحُ أحيانًا أنَّ الوافدين الجُدد لم يتوقعوا سوى بعضِ التَّعْبِيراتِ التَّقوية. إلا أنَّ رحيلَهم المُتَرَدِّدَ سيُؤدِّي إلى قناعةٍ مُصْرَحةٍ بأنَّ سري يوكتسوار قد أظهرَ بصيرةً دقيقةً في مجالاتِ معرفتهم المُتَخَصِّصة.

كان لمعلّمي دائمًا تلاميذ شباب مقيمين في معتزليته. كان يُوجّه عقولهم وحياتهم بمنهجٍ دقيق، وهو ما تُشتق منه كلمة "تلميذ" أصلًا.

"أعتقد ذلك سيدي."

صمت سري يوكتسوار لبضع دقائق، وارتسمت على شفتيه ابتسامة شبه مكتومة. ثم قال أخيرًا: "لا، لقد نسيتَ. لا ينبغي أن يُتخذ التأمل الإلهي عذرًا للإهمال المادي. لقد أهملتَ واجبك في حماية الأشرم؛ يجب أن تُعاقب".

اعتقدت أنه كان يمزح بشكل غامض عندما أضاف: "ستصبح قرنبيطاتك الستة قريبًا خمسة فقط".

استدرنا بناء على أوامر المعلم وسرنا عائدين حتى اقتربنا من المحبسة.

استرح قليلًا. موكوندا، انظر عبر المجمع على يسارنا؛ راقب الطريق خلفه. سيصل رجلٌ ما إلى هناك قريبًا؛ سيكون سببًا في عقابك.

أخفيتُ انزعاجي من هذه التعليقات الغامضة. وسرعان ما ظهر فلاح على الطريق؛ كان يرقص رقصًا غريبًا ويلوح بذراعيه بحركات لا معنى لها. كدتُ أُشلّ من الفضول، فأُركز نظري على هذا المشهد المضحك. وعندما وصل الرجل إلى نقطة على الطريق حيث سيختفي عن أنظارنا، قال سري يوكتسوار: "الآن، سيعود".

غيّر الفلاح اتجاهه على الفور واتجه إلى الجزء الخلفي من الأشرم. عبر أرض رملية، ودخل المبنى من الباب الخلفي. كنت قد تركته مفتوحًا، كما قال لي معلمي. خرج الرجل بعد قليل، حاملًا إحدى قرنبيطي الثمينة. سار الآن بخطى واثقة، متمتعًا بكرامة الملكية.

لم تكن المهزلة المتكشفة، التي بدا فيها دوري كضحية مذهولة، مُربكة لدرجة أنني فشلت في ملاحقتها بغضب. كنت في منتصف الطريق عندما

استدعاني سيدي. كان يرتجف من رأسه إلى قدميه من الضحك.

«هذا المسكين المجنون كان يتوق إلى قرنبيط»، أوضح بين نوبات البهجة. «فكرتُ أنه سيكون من الجيد أن يحصل على واحد من قرنبيطك، يا له من سوء حفظ!»

هرعت إلى غرفتي، حيث وجدتُ اللص، الذي كان مهووسًا بالخضراوات على ما يبدو، قد ترك خواتمي الذهبية وساعتي ونقودي دون أن يمسها، كلها ملقاة مكشوفة على البطانية. زحف بدلًا من ذلك تحت السرير، حيث أثارت إحدى قرنبيطي، مخفيةً تمامًا عن الأنظار، رغبته الجامحة.

طلبت من سري يوكتسوار في ذلك المساء أن يشرح لي الحادث الذي كان، كما اعتقدت، يحمل بعض السمات المحيرة.

هزّ معلّمي رأسه ببطء. "ستفهم ذلك يومًا ما. سيكتشف العلم قريبًا بعضًا من هذه القوانين الخفية."

عندما انفجرت عجائب الراديو بعد سنوات في عالمٍ مذهول، تذكرتُ نبوءة المعلم. أُبيدت مفاهيم الزمان والمكان القديمة؛ لم يعد منزل فلاح ضيقًا لدرجة أن لندن أو كلكتا لا تستطيعان دخوله! تضخمت عقولٌ حمقاء أمام دليلٍ قاطع على أحد جوانب حضور الإنسان في كل مكان.

يمكن فهم "حبكة" كوميديا القرنبيط على أفضل وجه من خلال تشبيهها بالراديو. كان سري يوكتسوار مذيعًا بشريًا مثاليًا. الأفكار ليست سوى ذبذبات خفيفة جدًا تتحرك في الأثير. وكما يلتقط الراديو المُحسَّس نغمة موسيقية مرغوبة من بين آلاف البرامج الأخرى من كل اتجاه، فقد استطاع معلّمي أن يلتقط فكرة الرجل الأحمق الذي يتوق إلى القرنبيط، من بين الأفكار التي لا تُحصى لبثّ الإرادات البشرية في العالم. 15-2 بفضل إرادته القوية، كان المعلم أيضًا محطة بث بشرية، وقد نجح في توجيه الفلاح إلى عكس خطواته والذهاب إلى غرفة معينة لسماع...

قرنبيط.

الحدس ١٥-٣ هو إرشادٌ للروح، يظهر طبيعيًا في الإنسان خلال تلك اللحظات التي يهدأ فيها ذهنه. قد مرّ كلُّ شخصٍ تقريبًا بتجربة "حدسٍ" صحيحٍ لا يمكن تفسيره، أو نقل أفكاره بفعاليةٍ إلى شخصٍ آخر.

العقل البشري، متحررًا من سكون القلق، قادرٌ من خلال حدسه على أداء جميع وظائف آليات الراديو المعقدة - إرسال واستقبال الأفكار، وتجاهل الأفكار غير المرغوب فيها. وكما تعتمد قوة الراديو على كمية التيار الكهربائي الذي يستهلكه، فإن الراديو البشري يُغذّى وفقًا لقوة إرادة كل فرد.

جميع الأفكار تتذبذب في الكون أبديًا. بالتركيز العميق، يستطيع المعلم رصد أفكار أي عقل، حيًا كان أم ميتًا. الأفكار عالمية وليست متأصلة في شخص واحد؛ لا تُخلق الحقيقة، بل تُدرك فقط. أفكار الإنسان الخاطئة ناتجة عن عيوب في إدراكه. هدف علم اليوغا هو تهدئة العقل، حتى يعكس الرؤية الإلهية في الكون دون أي تحريف.

لقد نقل الراديو والتلفزيون الصوت والبصر الفوريين لأشخاص بعيدين إلى مدافئ الملايين: أولى الإشارات العلمية الخافتة إلى أن الإنسان روحٌ شاملة. ليس جسدًا محصورًا في نقطة في الفضاء، بل هو الروح الواسعة التي يتآمر الأنا، في أكثر الأوضاع همجية، عبثًا على خنقها.

"قد تظهر ظواهر غريبة للغاية، ورائعة للغاية، وتبدو غير محتملة للغاية، والتي عندما يتم إثباتها، لن تدهشنا أكثر مما نذهل الآن بكل ما علمنا إياه العلم خلال القرن الماضي"، هذا ما أعلنه تشارلز روبرت ريشيت، الحائز على جائزة نوبل في علم وظائف الأعضاء. يُفترض أن الظواهر التي نقبلها الآن دون مفاجأة لا تُثير دهشتنا لأنها مفهومة. لكن هذا ليس صحيحًا. إذا لم تُفاجئنا، فليس لأنها مفهومة، بل لأنها مألوفة؛ لأنه إذا كان ما لا يُفهم يُفاجئنا، فيجب أن نُفاجأ بكل شيء - سقوط حجر يُلقى في الهواء، وحبة بلوط تُصبح سنديانًا، والزئبق الذي يتمدد عند تسخينه، والحديد الذي ينجذب إلى مغناطيس،

والفوسفور الذي يحترق عند فركه... إن علم اليوم مسألة تافهة؛ فالثورات والتطورات التي سيشهدها بعد مئة ألف عام ستتجاوز بكثير أكثر التوقعات جرأة. إن الحقائق - تلك الحقائق المُدهشة والمُذهلة وغير المتوقعة - التي سيكتشفها أحفادنا، موجودة الآن في كل مكان حولنا، تُحدق في أعيننا، إن جاز التعبير، ومع ذلك لا نراها. لكن لا يكفي أن نقول إننا لا نراها؛ لا نرغب في رؤيتها؛ لأنه بمجرد "عندما تظهر حقيقة غير متوقعة وغير مألوفة، نحاول أن ندرجها في إطار المعرفة المكتسبة المعتادة، ونشعر بالسخط لأن أي شخص يجرؤ على إجراء المزيد من التجارب."

وقعت حادثة طريفة بعد أيام قليلة من سرقتي المفاجئة لقرنبيط. لم يُعثر على مصباح كيروسين. بعد أن شهدتُ مؤخرًا بصيرة معلّمي العليم، ظننتُ أنه سيُظهر لي أن العثور على المصباح سهلٌ للغاية.

أدرك المعلم توقعاتي. وبجدية مبالغ فيها، استجوب جميع سكان الأشرم.

واعترف التلميذ الشاب بأنه استخدم المصباح للذهاب إلى البئر في الفناء الخلفي.

أعطى سري يوكتسوار النصيحة المهيبة: "ابحث عن المصباح بالقرب من البئر".

هرعت إلى هناك؛ لا مصباح! عدتُ إلى معلّمي حزينًا. كان يضحك من كل قلبي، دون أن يندم على خيبة أملي.

يا للأسف لم أستطع إرشادك إلى المصباح المختفي؛ فأنا لستُ عرافة! وأضاف بعينين تلمعان: "لستُ حتى شيرلوك هولمز مُرضيًا!"

لقد أدركت أن المعلم لن يظهر قواه أبدًا عندما يتم تحديه، أو من أجل تفاهات.

مرّت أسابيعٌ رائعة. كان سري يوكتسوار يُخطط لموكب ديني. طلب مني أن أقود التلاميذ في جولةٍ عبر مدينة بوري وشاطئها. بزغ فجرُ يومٍ احتفاليٍّ كأحد أشدّ أيام الصيف حرارةً.

"جورو جي، كيف يمكنني أن أقود الطلاب حفاة الأقدام فوق الرمال النارية؟" تحدثت بيأس.

«سأخبركم بسرٍّ»، أجاب المعلم. «سيرسل الرب مظلةً من السحاب، وستمشون جميعًا في راحة.»

لقد قمت بتنظيم الموكب بكل سرور؛ انطلقت مجموعتنا من الأشرم حاملين راية سات سانجا. 4-15 صممها سري يوكتسوار، وتحمل رمز العين الواحدة، والنظرة التلسكوبية للحدس.

ما إن غادرنا الدير حتى امتلأت السماء بالغيوم كأنها سحر. ومع صيحات الدهشة من كل جانب، هطلت زخات خفيفة من المطر، بردّت شوارع المدينة

وشاطئ البحر المشتعل. تساقطت هذه القطرات المهدئة خلال ساعتين من الاستعراض. وفي اللحظة التي عادت فيها مجموعتنا إلى الأشرم، اختفت الغيوم والمطر دون أن يتركا أثراً.

أجاب المعلم بعد أن عبّرتُ عن امتناني: "أرأيتَ كيف يشعر الله بنا؟ الرب يستجيب للجميع ويعمل من أجل الجميع. وكما أنزل المطر بناءً على دعائي، فإنه يُلبّي أي رغبة صادقة للمريد. نادرًا ما يدرك الناس كم يستجيب الله لصلواتهم. إنه لا يُحابي القليلين، بل يُنصت إلى كل من يلجأ إليه بثقة. ينبغي لأبنائه أن يؤمنوا إيمانًا راسخًا برحمة أبيهم الحاضر في كل مكان." ١٥-٦

كان سري يوكتسوار يُقيم أربعة مهرجانات سنوية، عند الاعتدالين والانقلابين الشمسيين، حيث كان طلابه يجتمعون من كل حدب وصوب. أُقيم احتفال الانقلاب الشتوي في سيرامبور؛ وقد ترك أول احتفال حضرته في نفسي بركة دائمة.

بدأت الاحتفالات صباحًا بموكب حافي القدمين جاب الشوارع. دوّت أصوات مئة طالب بأناشيد دينية عذبة؛ وعزف بعض الموسيقيين على الناي والخول كارتال (الطبول والصنج). وزّع سكان البلدة المتحمسون الزهور على الطريق، فرحين بدعوتنا من أعمال روتينية إلى تسبيحنا المدوّي لاسم الرب المبارك. الجولة الطويلة

انتهى اللقاء في فناء المحبسة. هناك أحطنا بمعلمنا الروحي، بينما أمطرنا الطلاب من الشرفات العلوية بأزهار القطيفة.

صعد العديد من الضيوف إلى الطابق العلوي لتناول بودنغ الشانا والبرتقال. توجهتُ إلى مجموعة من الإخوة التلاميذ الذين كانوا يخدمون اليوم كطهاة. كان لا بد من طهي الطعام لمثل هذه التجمعات الكبيرة في الهواء الطلق في مراجل ضخمة. كانت مواقد الطوب المرتجلة التي تعمل بالحطب تُصدر دخانًا وتثير الدموع، لكننا ضحكنا بمرح على عملنا. لا تُعتبر الأعياد الدينية في الهند أمرًا مزعجًا أبدًا؛ فكلٌّ منهم يقوم بدوره، فيُقدّم المال والأرز والخضراوات، أو يُقدّم خدماته الشخصية.

سرعان ما حلّ المعلم بيننا، يُشرف على تفاصيل الحفل. كان منشغلاً في كل لحظة، وكان يُواكب الطالب الشاب الأكثر نشاطاً.

كان هناك سانكيرتان (ترانيم جماعية)، مصحوبًا بعزف الهارمونيكا والطبول الهندية اليدوية، في الطابق الثاني. استمع سري يوكتسوار باهتمام؛ فقد كان حسه الموسيقي متقنًا للغاية.

"إنهم خارجون عن النغمة!" غادر المعلم الطهاة وانضم إلى الفنانين. سُمع اللحن مجددًا، وهذه المرة بأداء صحيح.

في الهند، تُعتبر الموسيقى، وكذلك الرسم والدراما، فنًا إلهيًا. كان براهما وفيشنو وشيفا -الثالوث الأبدي- أول الموسيقيين. يُصوَّر الراقص الإلهي شيفا في النصوص المقدسة على أنه ابتكر الأنماط الإيقاعية اللانهائية في رقصته الكونية للخلق الشامل والحفظ والانحلال، بينما أبرز براهما إيقاع الوقت بأصوات الصنج الرنانة، ودق فيشنو على المريدانجا المقدسة أو الطبل. يُصوَّر كريشنا، تجسيد فيشنو، دائمًا في الفن الهندوسي مع الناي، الذي يعزف عليه الأغنية المبهجة التي تذكر بموطنها الحقيقي الأرواح البشرية التي تتجول في مايا - الوهم. تُرمز ساراسواتي، إلهة الحكمة، إلى أنها تعزف على الفينا، أم جميع الآلات الوترية. يحتوي ساما فيدا في الهند على أقدم كتابات العالم في العلوم الموسيقية.

حجر الأساس للموسيقى الهندوسية هو الراغا، أو السلالم اللحنية الثابتة. تتفرع الراغا الأساسية الستة إلى ١٢٦ راجينيس (زوجات) وبوتراس (أبناء). لكل راغا خمس نغمات على الأقل: نغمة رئيسية (فادي أو ملك)، ونغمات ثانوية (سامافادي أو رئيس وزراء)، ونغمات مساعدة (أنوفادي، أي المرافقون)، ونغمات نشاز (فيفادي، أي العدو).

لكلٍّ من الراجا الأساسية الستة توافق طبيعي مع ساعة معينة من اليوم، وفصل من السنة، وإله رئيس يمنح قوة معينة. وهكذا، (1) يُسمع هندول

راجا فقط عند فجر الربيع، لاستحضار مزاج الحب العالمي؛ (2) يُعزف ديباكا راجا في المساء في الصيف، لإثارة التعاطف؛ (3) ميغا راجا هو لحن لظهيرة موسم الأمطار، لاستحضار الشجاعة؛ (4) بهايرافا راجا يُعزف في صباحات أغسطس وسبتمبر وأكتوبر، لتحقيق الهدوء؛ (5) سري راجا مخصص لشفق الخريف، لبلوغ الحب النقي؛ (6) مالكونسا راجا يُسمع في منتصف الليل في الشتاء، للشجاعة.

اكتشف الحكماء القدماء هذه القوانين التي تُحدد اتحاد الصوت بين الطبيعة والإنسان. ولأن الطبيعة هي تجسيدٌ لـ "أوم"، الصوت البدائي أو الكلمة الاهتزازية، يستطيع الإنسان السيطرة عليها.

15-7 تروي الوثائق التاريخية القدرات الاستثنائية التي امتلكها ميان تان سين، موسيقي بلاط الإمبراطور أكبر في القرن السادس عشر. بأمر من الإمبراطور، غنى تان سين راجا ليلية بينما كانت الشمس ساطعة، أنشد تان سين تراتيل غمرت حرم القصر بأكمله في الظلام.

تُقسّم الموسيقى الهندية الأوكتاف إلى 22 سروتي أو أنصاف نغمات. تتيح هذه الفواصل الدقيقة درجاتٍ دقيقة من التعبير الموسيقي لا يمكن بلوغها باستخدام السلم اللوني الغربي المكون من 12 نصف نغمة. ترتبط كل نغمة من النغمات السبع الأساسية للأوكتاف في الأساطير الهندوسية بلونٍ ما، وبصوت طائر أو حيوان طبيعي: دو باللون

الأخضر، والطاووس؛ ري باللون الأحمر، والقبرة؛ مي باللون الذهبي، والماعز؛ فا باللون الأبيض المصفر، ومالك الحزين؛ سول باللون الأسود، والعندليب؛ لا باللون الأصفر، والحصان؛ سي بمزيج من جميع الألوان، والفيل.

ثلاثة مقاييس - كبير، صغير متناغم، صغير لحني - هي الوحيدة التي تستخدمها الموسيقى الغربية، لكن الموسيقى الهندية تحدد 72 مقياسًا أو مقياسًا. يتمتع الموسيقي بمجال إبداعي للارتجال اللامتناهي حول اللحن التقليدي الثابت أو الراجا؛ فهو يركز على المشاعر أو المزاج النهائي للموضوع الهيكلي ثم يطرزه إلى حدود أصالته الخاصة. لا يقرأ الموسيقي الهندوسي نوتات محددة؛ فهو يرتدي ملابس جديدة في كل عزف للهيكل العظمي العاري للراجا، وغالبًا ما يقتصر على تسلسل لحني واحد، مؤكدًا بالتكرار على جميع اختلافاته الدقيقة الدقيقة والإيقاعية. كان لدى باخ، من بين الملحنين الغربيين، فهم لسحر وقوة الصوت المتكرر المتباين قليلاً في مائة طريقة معقدة.

يصف الأدب السنسكريتي القديم 120 تالاس، أو مقياسًا زمنيًا. ويُقال إن بهاراتا، المؤسس التقليدي للموسيقى الهندوسية، قد عزل 32 نوعًا من التالا في أغنية القبرة. يعود أصل التالا، أو الإيقاع، إلى الحركات البشرية - ضعف مدة المشي، وثلاثة أضعاف مدة التنفس أثناء النوم، عندما يكون

الشهيق ضعف مدة الزفير. لطالما اعتبرت الهند الصوت البشري أمثل أداة صوتية. لذلك، تقتصر الموسيقى الهندوسية إلى حد كبير على نطاق صوتي من ثلاثة أوكتافات. وللسبب نفسه، يُشدد على اللحن (علاقة النوتات المتتالية) بدلًا من التناغم (علاقة النوتات المتزامنة).

كان الهدف الأعمق للموسيقيين الريشي الأوائل هو مزج المغني بالأغنية الكونية التي يمكن سماعها من خلال إيقاظ مراكز العمود الفقري الخفية للإنسان. الموسيقى الهندية فن ذاتي وروحي وفردي، لا يهدف إلى التألق السيمفوني، بل إلى التناغم الشخصي مع الروح العليا. الكلمة السنسكريتية للموسيقي هي بهاغافاثار، أي "من يُنشد تسبيح الله". تُعدّ السانكيرتانات، أو التجمعات الموسيقية، شكلاً فعالاً من اليوغا أو الانضباط الروحي، إذ تتطلب تركيزًا عميقًا واستغراقًا عميقًا في الفكر والصوت. ولأن الإنسان نفسه تعبير عن الكلمة الخلاقة، فإن للصوت أقوى تأثير وأكثرها مباشرة عليه، إذ يُتيح له سبيلًا لتذكر أصله الإلهي.

كان صوت السانكيرتان الصادر من غرفة جلوس سري يوكتسوار في الطابق الثاني يوم المهرجان مُلهمًا للطهاة وسط دخان القدور. غنّيتُ أنا وإخوتي التلاميذ هذه الترانيم بفرح، ونحن نضرب الوقت بأيدينا.

بحلول غروب الشمس، كنا قد قدّمنا لمئات الزوار الخيشوري (الأرز والعدس)، وكاري الخضار، وبودنغ الأرز. فرشنا أغطية قطنية فوق الفناء؛ وسرعان ما جلس الحشد القرفصاء تحت القبو المرصع بالنجوم، منتبهين بهدوء إلى الحكمة التي تتدفق من شفتي سري يوكتسوار. أكدت خطاباته العامة على قيمة الكريا يوغا، وحياة من احترام الذات، والهدوء، والعزيمة، والنظام الغذائي البسيط، وممارسة الرياضة بانتظام.

ثم أنشدت مجموعة من التلاميذ الصغار بعض الترانيم المقدسة، واختتم الاجتماع بـ"سانكيرتان". من الساعة العاشرة صباحًا حتى منتصف الليل، غسل سكان الأشرم الأواني والمقالي، ونظفوا الفناء. دعاني معلّمي إلى جانبه.

"أنا سعيد جدًا بجهودك المبهرة اليوم وخلال الأسبوع الماضي من الاستعدادات. أريدك معي؛ يمكنك النوم في سريري الليلة."

كان هذا امتيازًا لم أتخيل يومًا أن يحالفني. جلسنا قليلًا في هدوءٍ إلهيٍّ عميق. وبعد عشر دقائق تقريبًا من ذهابنا إلى الفراش، نهض المعلم وبدأ يرتدي ملابسه.

"ما الأمر يا سيدي؟" شعرت بنوع من عدم الواقعية في فرحتي غير المتوقعة بالنوم بجانب معلّمي.

أعتقد أن بعض الطلاب الذين فاتتهم رحلات القطارات سيصلون قريبًا. هيا بنا نجهز بعض الطعام.

"جورو جي، لا أحد سيأتي في الساعة الواحدة صباحًا!"

"ابقَ في السرير، لقد كنتَ تعمل بجد. لكنني سأطبخ."

بنبرة سري يوكتسوار الحازمة، نهضتُ وتبعته إلى المطبخ الصغير المُستخدم يوميًا والمُجاور للشرفة الداخلية في الطابق الثاني. كان الأرز والعدس يغليان بسرعة.

ابتسم معلّمي بحنان. "لقد تغلبتَ الليلة على التعب والخوف من العمل الشاق؛ ولن يُزعجك ذلك أبدًا في المستقبل."

وبينما كان ينطق بهذه الكلمات المباركة مدى الحياة، سمعتُ وقع أقدام في الفناء. نزلتُ ركضًا إلى الطابق السفلي ودخلتُ مجموعة من الطلاب.

يا أخي العزيز، كم نتردد في إزعاج المعلم في هذا الوقت! خاطبني أحد الرجال معتذرًا. "لقد أخطأنا في مواعيد القطارات، لكننا شعرنا أننا لا نستطيع العودة إلى المنزل دون أن نلقي نظرة خاطفة على معلمنا الروحي."

"لقد كان ينتظرك وهو الآن يقوم بإعداد طعامك."

دوى صوت سري يوكتسوار المُرحِّب، فأخذتُ الزوارَ المُذهَلين إلى المطبخ. التفتَ إليَّ سيدي بعينين مُتلألئتين.

"الآن بعد أن انتهيت من مقارنة الملاحظات، فلا شك أنك راضٍ عن ضيوفنا حقًا

لقد فاتهم قطارهم!

تبعته إلى غرفة نومه بعد نصف ساعة، وأدركت تمامًا أنني كنت على وشك النوم بجانب معلم إلهي.

15-1: بوري، على بعد حوالي 310 ميل جنوب كلكتا، هي مدينة حج شهيرة لمحبي كريشنا؛ حيث يتم الاحتفال بعبادته هناك بمهرجانين سنويين هائلين، سناناياترا وراثاياترا.

١٥-٢: كشف اكتشاف المجهر الراديوي عام ١٩٣٩ عن عالم جديد من الأشعة غير المعروفة حتى الآن. وذكرت وكالة أسوشيتد برس: "الإنسان نفسه، وكذلك جميع أنواع المواد الخاملة المفترضة، تُصدر باستمرار الأشعة التي "ترصدها" هذه الأداة". أولئك الذين يؤمنون بالتخاطر، والرؤية الثانية، والاستبصار، لديهم في هذا الإعلان أول دليل علمي على وجود أشعة غير مرئية تنتقل بالفعل من شخص لآخر. جهاز الراديو في الواقع هو مطياف ترددات راديوية. وهو يفعل الشيء نفسه بالنسبة للمادة الباردة غير المتوهجة التي يفعلها المطياف عندما يكشف عن أنواع الذرات التي تُكوّن النجوم... لقد شكّ العلماء

لسنوات عديدة في وجود مثل هذه الأشعة الصادرة من الإنسان وجميع الكائنات الحية. واليوم هو أول دليل تجريبي على وجودها. يُظهر الاكتشاف أن كل ذرة وكل جزيء في الطبيعة هو محطة بث إذاعي مستمرة... وهكذا، حتى بعد الموت، تستمر المادة التي كانت إنسانًا في إرسال أشعتها الرقيقة. تتراوح أطوال موجات هذه الأشعة من أقصر ما يُستخدم الآن في البث إلى أطول أنواع موجات الراديو. يكاد يكون من المستحيل تصور خليط هذه الأشعة. هناك الملايين منها. يمكن لجزيء واحد كبير جدًا أن يُصدر مليون طول موجي مختلف في الوقت نفسه. تنتقل أطوال موجية أطول من هذا النوع بسهولة وسرعة موجات الراديو... هناك فرق مذهل بين أشعة الراديو الجديدة والأشعة المألوفة كالضوء. وهو المدة الطويلة، التي تصل إلى آلاف السنين، التي ستستمر هذه الموجات في إصدارها من مادة غير مضطربة.

١٥-٣: يتردد المرء في استخدام "الحدس"؛ فقد كاد هتلر أن يُفسد الكلمة، مُلحقًا بها دمارًا أكثر طموحًا. المعنى الأصلي لكلمة "الحدس" في اللاتينية هو "الحماية الداخلية". أما الكلمة السنسكريتية "أغاما" فتعني المعرفة الحدسية الناتجة عن الإدراك الروحي المباشر؛ ولذلك سُميت بعض الأطروحات القديمة التي كتبها الحكماء "أغاما".

١٥-٤: سات تعني حرفيًا "الوجود"، ومن هنا جاءت تسميتها "جوهر؛ حقيقة". سانغا تعني "الارتباط". أطلق سري يوكتسوار على منظمته الروحية اسم سات-سانغا، أي "الرفقة بالحقيقة".

١٥-٥: "فإن كانت عينك بسيطة، فجسدك كله يكون نيرًا." - متى ٦: ٢٢. أثناء التأمل العميق، تظهر العين البسيطة أو الروحية في منتصف الجبهة. يُشار إلى هذه العين العليمّة في الكتب المقدسة بأسماء مختلفة، مثل العين الثالثة، ونجمة الشرق، والعين الداخلية، والحمامة النازلة من السماء، وعين شيفا، وعين الحدس، إلخ.

١٥-٦: "الغارس الأذن ألا يسمع؟ المصمم العين ألا يبصر... الذي يعلم الإنسان المعرفة ألا يعرف؟" - مزمور ٩٤: ٩-١٠.

١٥-٧: تتضمن تراث الشعوب إشارات إلى تعاويذ ذات تأثير على الطبيعة. يُعرف الهنود الأمريكيون بتطويرهم طقوسًا صوتية للمطر والرياح. تان سين، الموسيقي الهندوسي العظيم، استطاع إطفاء النار بقوة أغنيته. قدّم تشارلز كيلوج، عالم الطبيعة الكاليفورني، عرضًا توضيحيًا لتأثير الاهتزاز النغمي على النار عام ١٩٢٦ أمام مجموعة من رجال الإطفاء في نيويورك. "مرر قوسًا، يشبه قوس الكمان المكبر، بسرعة عبر شوكة رنانة من الألومنيوم، فأصدر صريرًا حادًا يشبه اهتزازات الراديو. في لحظة، خمدت شعلة الغاز الصفراء،

التي بلغ ارتفاعها قدمين، والتي قفزت داخل أنبوب زجاجي مجوف، إلى ارتفاع ست بوصات وتحولت إلى وهج أزرق متقطع. محاولة أخرى بالقوس، وصرخة اهتزاز أخرى، أطفأتها."

الفصل: 16

التفوق على النجوم

"موكوندا، لماذا لا تحصل على سوار فلكي؟"

"هل يجب عليّ ذلك يا سيدي؟ أنا لا أؤمن بعلم التنجيم."

ليس الأمر مسألة إيمان؛ فالموقف العلمي الوحيد الذي يمكن للمرء اتخاذه تجاه أي موضوع هو مدى صحته. لقد كان قانون الجاذبية يعمل بكفاءة قبل نيوتن كما كان يعمل بعده. لكان الكون فوضويًا إلى حد ما لو لم تستطع قوانينه العمل دون موافقة الإيمان البشري.

لقد أوصل الدجالون علم النجوم إلى حالته الحالية من العار. علم التنجيم واسعٌ جدًا، رياضيًا وفلسفيًا، ولا يُدركه إلا ذوو الفهم العميق. إذا أخطأ الجهلاء في قراءة السماء، ورأوا فيها خربشةً بدلًا من نصٍّ مكتوب، فهذا أمرٌ متوقع في هذا العالم الناقص. لا ينبغي للمرء أن يتجاهل الحكمة بـ"الحكماء".

جميع أجزاء الخلق مترابطة وتتبادل تأثيراتها. إيقاع الكون المتوازن متجذر في التبادلية،" تابع معلّمي.

"على الإنسان، في طبيعته الإنسانية، أن يقاوم مجموعتين من القوى - أولاً، الاضطرابات الداخلية في كيانه، الناتجة عن اختلاط عناصر الأرض والماء والنار والهواء والأثير؛ ثانياً، قوى الطبيعة الخارجية المُفككة. ما دام الإنسان يُصارع فناءه، فإنه يتأثر بالطفرات العديدة في السماء والأرض.

علم التنجيم هو دراسة استجابة الإنسان للمنبهات الكوكبية. لا تُظهر النجوم أي لطف أو عداوة واعية؛ بل تُرسل فقط إشعاعات إيجابية وسلبية. هذه الإشعاعات، في حد ذاتها، لا تُفيد البشرية ولا تُضرّها، بل تُوفّر قناةً شرعيةً للعمل الخارجي لتوازنات السبب والنتيجة التي وضعها كل إنسان في الماضي.

يولد الطفل في ذلك اليوم والساعة التي تتناغم فيها الأشعة السماوية رياضيًا مع كرمته الشخصية. أبراجه صورةٌ مُعقدة، تكشف عن ماضيه الثابت ونتائجه المستقبلية المحتملة. لكن لا يمكن تفسير مخطط الميلاد تفسيرًا صحيحًا إلا من قِبل ذوي الحكمة الحدسية: هؤلاء قليلون.

الرسالة التي أُعلنت بجرأة في السماء لحظة ميلاده لا تهدف إلى التأكيد على القدر - نتيجة الخير والشر الماضي - بل إلى إيقاظ إرادة الإنسان للتحرر من عبوديته الكونية. ما فعله، يستطيع إبطاله. لم يكن أحدٌ غيره مُحرِّضًا على أسباب أي نتائج سائدة الآن في حياته. يستطيع التغلب على أي قيد، لأنه خلقه

بأفعاله في المقام الأول، ولأنه يمتلك موارد روحية لا تخضع لضغط الكواكب.

إن الرهبة الخرافية من علم التنجيم تجعل المرء آليًا، خاضعًا تمامًا للتوجيه الآلي. يهزم الحكيم كواكبه - أي ماضيه - بنقل ولائه من الخلق إلى الخالق. كلما أدرك وحدته مع الروح، قلّت قدرته على الخضوع للمادة. الروح حرة دائمًا؛ إنها خالدة لأنها لا تولد. لا يمكن ضبطها بالنجوم.

الإنسان روحٌ وله جسد. عندما يُرسّخ هويته، يُخلّص نفسه من كل الأنماط القهرية. ما دام حائرًا في حالته الروحية العادية، سيُدرك القيود الدقيقة للقانون البيئي.

الله هو الانسجام؛ والمريد الذي يُنسّق نفسه لن يُخطئ أبدًا في أي عمل. ستكون أنشطته مُوَقَّتَة بشكل صحيح وطبيعي وفقًا للقانون الفلكي. بعد صلاة عميقة وتأمل، يكون على اتصال بوعيه الإلهي؛ فلا قوة أعظم من تلك الحماية الداخلية.

"إذن، يا سيدي العزيز، لماذا تريدني أن أرتدي سوارًا فلكيًا؟" طرحتُ هذا السؤال بعد صمت طويل، حاولتُ خلاله استيعاب شرح سري يوكتسوار النبيل.

لا يُبرَّر للمسافر التخلي عن خرائطه إلا بعد بلوغه هدفه. وخلال رحلته، يستغل أي طريق مختصر مناسب. وقد اكتشف الحكماء القدماء طرقًا عديدة

لتقصير فترة نفي الإنسان في الوهم. هناك سمات آلية معينة في قانون الكارما يمكن ضبطها بمهارة بأصابع الحكمة.

جميع الشرور البشرية تنشأ من انتهاكٍ ما للقانون الكوني. تشير الكتب المقدسة إلى أن على الإنسان أن يُرضي قوانين الطبيعة، دون أن يُسيء إلى القدرة الإلهية المطلقة. عليه أن يقول: "يا رب، أثق بك، وأعلم أنك قادر على مساعدتي، لكنني سأبذل قصارى جهدي لإصلاح أي خطأ ارتكبته". بوسائل عديدة - بالصلاة، بقوة الإرادة، بتأمل اليوغا، باستشارة القديسين، باستخدام الأساور الفلكية - يُمكن التخفيف من الآثار السلبية لأخطاء الماضي أو إلغاؤها.

كما يُمكن تزويد المنزل بقضيب نحاسي لامتصاص صدمة البرق، كذلك يُمكن الاستفادة من تدابير وقائية مُتنوعة للمعبد الجسدي. منذ عصور، اكتشف مُمارسو اليوجا لدينا أن المعادن النقية تُصدر ضوءًا نجميًا مُضادًا بقوة للجاذبية السلبية للكواكب. تدور إشعاعات كهربائية ومغناطيسية دقيقة باستمرار في الكون؛ فعندما يتلقى جسد الإنسان مساعدة، لا يُدرك ذلك؛ وعندما يتفكك، يظل جاهلًا. فهل يُمكنه فعل أي شيء حيال ذلك؟

حظيت هذه المشكلة باهتمام حُكّامنا؛ فقد وجدوا فيها فائدةً ليس فقط في مزيج من المعادن، بل أيضًا في النباتات، والأكثر فعاليةً على الإطلاق، في

المجوهرات التي لا يقل وزنها عن قيراطين. نادرًا ما دُرست الاستخدامات الوقائية للتنجيم بجدية خارج الهند. ومن الحقائق التي لا يعرفها الكثيرون أن المجوهرات أو المعادن أو المستحضرات النباتية المناسبة لا قيمة لها إلا إذا حُدد الوزن المطلوب، وما لم تُلبس هذه المواد العلاجية بالقرب من الجلد.

سيدي، بالطبع سأتبع نصيحتك وأشتري سوارًا. أنا مفتون بفكرة التفوق على كوكب!

للأغراض العامة، أنصحك باستخدام سوار مصنوع من الذهب والفضة والنحاس. ولكن لغرض محدد، أريدك أن تختار سوارًا من الفضة والرصاص. وأضاف سري يوكتسوار تعليمات دقيقة.

"جورو جي، ما هو "الغرض المحدد" الذي تقصده؟"

يا موكوندا، النجوم على وشك أن تُبدي لك اهتمامًا غير ودي. لا تخف، ستكون في مأمن. بعد شهر تقريبًا، سيُسبب لك كبدك مشاكل جمة. من المُقرر أن يستمر المرض ستة أشهر، لكن استخدامك لسوار فلكي سيُختصر المدة إلى أربعة وعشرين يومًا.

في اليوم التالي، بحثتُ عن صائغ، وسرعان ما ارتديتُ السوار. كانت صحتي ممتازة؛ فغابت عن ذهني نبوءة المعلم. غادر سيرامبور لزيارة بنارس. بعد ثلاثين يومًا من حديثنا، شعرتُ بألم مفاجئ في منطقة الكبد. كانت الأسابيع التالية كابوسًا من الألم

المبرح. ترددتُ في إزعاج معلّمي، وظننتُ أنني سأواجه محنتي بشجاعة وحدي.

لكن ثلاثة وعشرين يومًا من العذاب أضعفت عزيمتي؛ سافرتُ بالقطار إلى بنارس. هناك، استقبلني سري يوكتسوار بحرارة غير عادية، لكنه لم يمنحني فرصةً لأخبره بمحنتي على انفراد. زار العديد من المريدين المعلم في ذلك اليوم، لمجرد رؤية شيء ما. 16-2، مريضًا ومهملًا، جلستُ في زاوية. لم يغادر جميع الضيوف إلا بعد العشاء. استدعاني معلّمي إلى شرفة المنزل المثمنة.

لا بد أنك أصبت بمرض الكبد. شَوَّه سري يوكتسوار نظره؛ وسار جيئة وذهابًا، يعترض ضوء القمر من حين لآخر. "دعني أرى؛ أنت مريض منذ أربعة وعشرين يومًا، أليس كذلك؟"

"نعم سيدي."

"من فضلك قم بتمرين المعدة الذي علمتك إياه."

لو كنت تعلم حجم معاناتي يا سيدي، لما طلبت مني ممارسة الرياضة. ومع ذلك، حاولت جاهداً أن أطيعه.

تقول إنك تعاني من الألم، وأنا أقول إنك لا تعاني منه. كيف يُمكن لمثل هذه التناقضات أن توجد؟ نظر إليّ معلّمي متسائلاً.

أصابني الذهول، ثم غمرني ارتياحٌ مُبهج. لم أعد أشعر بالعذاب المستمر الذي أبقاني شبه بلا نوم لأسابيع؛ وعند سماع كلمات سري يوكتسوار، اختفى الألم كما لو لم يكن.

بدأت بالركوع عند قدميه امتنانًا، لكنه منعني بسرعة.

لا تكن طفوليًا. انهض واستمتع بجمال القمر فوق نهر الغانج. لكن عينيّ المعلم كانتا تلمعان فرحًا وأنا أقف بجانبه في صمت. فهمتُ من موقفه أنه أرادني أن أشعر أنه ليس هو، بل الله، هو الشافي.

ما زلت أرتدي حتى الآن سوار الفضة والرصاص الثقيل، تذكارًا لذلك اليوم الذي مضى، والذي ما زال عزيزًا على قلبي، عندما اكتشفتُ مجددًا أنني أعيش مع شخصية خارقة حقًا. في مناسبات لاحقة، عندما كنتُ أحضر أصدقائي إلى سري يوكتسوار للشفاء، كان ينصحني دائمًا

المجوهرات أو السوار، وتمجيد استخدامها كعمل من أعمال الحكمة الفلكية.

كنتُ مُتحيزًا ضد علم التنجيم منذ طفولتي، جزئيًا لأنني لاحظتُ تعلق الكثيرين به بتواضع، وجزئيًا بسبب تنبؤٍ منجم عائلتنا: "ستتزوج ثلاث مرات، وأنتَ أرملٌ مرتين". فكرتُ مليًا في الأمر، وشعرتُ ككبشٍ ينتظر التضحية أمام معبد الزواج الثلاثي.

قال أخي أنانتا: "عليك أن تستسلم لمصيرك. لقد تنبأ برجك المكتوب أنك ستطير من وطنك نحو جبال الهيمالايا في سنواتك الأولى، لكنك ستُجبر على العودة. ومن المؤكد أن توقعات زواجك ستكون صحيحة أيضًا".

في إحدى الليالي، خطر ببالي حدسٌ واضحٌ أن النبوءة باطلةٌ تمامًا. أشعلتُ النار في مخطوطة الأبراج، ووضعتُ الرماد في كيسٍ ورقيٍّ كتبتُ عليه: "بذور الكارما الماضية لا تنبت إذا حُمّصت في نيران الحكمة الإلهية". وضعتُ الكيس في مكانٍ ظاهر؛ فقرأ أنانتا تعليقي المُتحدّي على الفور.

"لا يمكنك تدمير الحقيقة بسهولة كما أحرقت هذه المخطوطة الورقية." ضحك أخي بازدراء.

من المعروف أنه قبل بلوغي سن الرشد، حاولت عائلتي ترتيب خطوبتي ثلاث مرات. في كل مرة كنت أرفض الالتزام بالخطط، عارفًا أن حبي لله كان أعظم من أي قناعة فلكية سابقة.

كلما تعمق إدراك الإنسان لذاته، زاد تأثيره على الكون بأسره بذبذباته الروحية الدقيقة، وقل تأثره هو نفسه بالتدفق الظاهري. غالبًا ما كانت كلمات المعلم هذه تخطر ببالي ملهمة.

أحيانًا كنتُ أنصح المنجمين باختيار أسوأ فترات حياتي، وفقًا للمؤشرات الكوكبية، وكنتُ أُنجز أي مهمة أُوكلها لنفسي. صحيحٌ أن نجاحي في مثل هذه

الأوقات كان مصحوبًا بصعوباتٍ جمة. لكن قناعتي كانت دائمًا مُبرَّرة: فالإيمان بالحماية الإلهية، والاستخدام الصحيح لإرادة الإنسان التي وهبها الله، قوتان هائلتان تتجاوزان أي قدرةٍ تُحشدها "الوعاء المقلوب".

أدركتُ أن النقش النجمي عند ميلاد الإنسان لا يعني أن الإنسان دمية في ماضيه، بل رسالته هي دافعٌ للفخر؛ فالسماوات نفسها تسعى لإيقاظ عزم الإنسان على التحرر من كل قيد. خلق الله كل إنسان روحًا، موهوبةً بالفردية، ومن ثم فهي جوهريةٌ في البناء الكوني، سواءً في دوره المؤقت كعمودٍ أو كطفيلي. حريته نهائيةٌ وفورية، إن شاء؛ فهي لا تعتمد على انتصاراتٍ خارجيةٍ بل داخلية.

اكتشف سري يوكتسوار التطبيق الرياضي لدورة الاعتدال التي تمتد لأربعة وعشرين ألف عام على عصرنا الحالي. 16-4 تنقسم الدورة إلى قوس صاعد وقوس هابط، مدة كل منهما 12 ألف عام. وفي كل قوس تقع أربعة عصور، تُسمى كالي، ودوابارا، وتريتا، وساتيا، وهي تتوافق مع الأفكار اليونانية عن العصر الحديدي، والبرونز، والفضة، والذهبي.

حدد معلّمي، بناءً على حسابات مختلفة، أن آخر عصر كالي يوغا أو العصر الحديدي، من القوس الصاعد، بدأ حوالي عام 500 ميلادي. العصر الحديدي، الذي استمر 1200 عام، هو فترة مادية؛

وانتهى حوالي عام 1700 ميلادي. في ذلك العام، بشرت فترة دوابارا يوغا، وهي فترة امتدت 2400 عام من التطورات الكهربائية والطاقة الذرية، وعصر التلغراف والراديو والطائرات وغيرها من أدوات إبادة الفضاء.

ستبدأ فترة تريتا يوغا، التي تمتد لـ 3600 عام، عام 4100 ميلادي؛ وسيتميز عصرها بمعرفة عامة بالتواصل التخاطري وغيرها من وسائل محو الزمن. خلال 4800 عام من ساتيا يوغا، وهي العصر الأخير في قوس تصاعدي، سيتطور ذكاء الإنسان تطورًا كاملًا؛ وسيعمل بتناغم مع الخطة الإلهية.

قوسٌ تنازليٌّ مدته ١٢٠٠٠ عام، يبدأ بعصرٍ ذهبيٍّ تنازليٍّ مدته ٤٨٠٠ عام، ثم يبدأ ١٦-٥ للعالم؛ حيث يغرق الإنسان تدريجيًا في الجهل. هذه الدورات هي دوراتٌ أبديةٌ من المايا، تناقضات الكون الظاهري ونسبياته. ١٦-٦ يتحرر الإنسان، واحدًا تلو الآخر، من سجن ازدواجية الخلق، إذ يستيقظ على وعيٍ بوحدته الإلهية التي لا تنفصم مع الخالق.

لقد وسّع أستاذي فهمي ليس فقط لعلم التنجيم، بل لكتب العالم المقدسة أيضًا. بوضعه النصوص المقدسة على طاولة عقله النقية، استطاع تحليلها بمشرط التفكير الحدسي، وفصل أخطاء العلماء وتحريفاتهم عن الحقائق كما عبّر عنها الأنبياء أصلًا.

"ثبّت البصر على طرف الأنف". هذا التفسير غير الدقيق لفقرة من بهاجافاد غيتا، من ١٦ إلى ٧، مقبول على نطاق واسع من قِبل علماء الشرق والمترجمين الغربيين، كان يُستخدم لإثارة انتقادات المعلم الساخرة.

"إن طريق اليوغي فريدٌ بما فيه الكفاية،" لاحظ. "لماذا تُنصحه بأن يجعل عينيه حولاء؟ المعنى الحقيقي لكلمة "ناسيكاغرام" هو "أصل الأنف"، وليس "طرفه". يبدأ الأنف من النقطة بين الحاجبين، مركز الرؤية الروحية." 16-8 بسبب إحدى أقوال سانخيا 16-9، "إيسوار-أشيدها"، "لا يمكن استنتاج وجود رب الخلق" أو "لم يُثبت وجود الله"، 16-10، يُطلق العديد من العلماء على هذه الفلسفة بأكملها اسم الإلحاد.

أوضح سري يوكتسوار قائلاً: "الآية ليست عدمية. إنها ببساطة تعني أنه بالنسبة للإنسان غير المستنير، الذي يعتمد على حواسه في جميع الأحكام النهائية، يجب أن يبقى دليل وجود الله مجهولاً، وبالتالي غير موجود. أما أتباع السانخيا الحقيقيون، ببصيرة راسخة نابعة من التأمل، فيدركون أن الرب موجود ومعروف".

شرح المعلم الكتاب المقدس المسيحي بوضوحٍ بديع. ومن معلّمي الهندوسي، الذي لم يكن معروفًا لدى أعضاء الكنيسة، تعلمتُ إدراك جوهر الكتاب المقدس الخالد، وفهم حقيقة قول المسيح - وهو بلا

شكّ القول الأكثر صرامةً وإثارةً على الإطلاق: "السماء والأرض تزولان، لكن كلامي لا يزول". ١٦-١١

إن أسياد الهند العظماء يشكلون حياتهم بنفس المثل الإلهية التي حركت يسوع؛ هؤلاء الرجال هم أقرباؤه المعلنون: "كل من يفعل إرادة أبي الذي في السموات، يفعل إرادة أبي الذي في السموات".

"إن أخي وأختي وأمي هو نفسه أخي وأختي وأمي". 16-12 "إن ثبتم في كلامي"، أشار المسيح، "فإنكم تلاميذي حقاً، وتعرفون الحق، والحق يحرركم". 16-13 جميع الأحرار، سادة أنفسهم، إن المسيحيين اليوغيين في الهند هم جزء من الأخوة الخالدة: أولئك الذين بلغوا المعرفة المحررة للأب الواحد.

«قصة آدم وحواء غامضة عليّ!» لاحظتُ بانفعالٍ شديد ذات يومٍ في خضمّ صراعي مع هذه المجازية. «لماذا عاقب الله ليس الزوجين المذنبين فحسب، بل أيضًا الأجيال البريئة التي لم تولد بعد؟»

كان المعلم أكثر استمتاعًا بعنفي من جهلي. أوضح قائلًا: "سفر التكوين رمزيٌّ عميق، ولا يُمكن فهمه بالتفسير الحرفي. شجرة حياته هي جسد الإنسان. الحبل الشوكي كشجرةٍ مُقلوبة، جذورها شعر الإنسان، وأغصانها الأعصاب الواردة والصادرة. تُثمر

شجرة الجهاز العصبي ثمارًا مُمتعةً كثيرة، أو أحاسيس البصر والسمع والشم والتذوق واللمس. في هذه الثمار، يحق للإنسان أن يُدلل نفسه؛ لكنه مُنع من تجربة الجنس، تلك "التفاحة" التي تُشكل جوهر حديقة الجسد. ١٦-١٤

يُمثل "الثعبان" الطاقة الشوكية الملتفة التي تُحفز الأعصاب الجنسية. "آدم" هو العقل، و"حواء" هي الشعور. عندما يتغلب الدافع الجنسي على العاطفة أو وعي حواء لدى أي إنسان، يستسلم عقله أو عقل آدم أيضًا. 16-15

خلق الله الجنس البشري بتجسيد جسدي الرجل والمرأة بقوة إرادته؛ ومنح النوع الجديد القدرة على خلق الأطفال بطريقة "نقية" أو إلهية مماثلة. 16-16 ولأن تجليه في النفس المتفردة كان حتى ذلك الحين مقتصرًا على الحيوانات، مقيدة بالغريزة وتفتقر إلى إمكانيات العقل الكامل، خلق الله أول جسدي بشريين، يُطلق عليهما رمزيًا آدم وحواء. ولهذه الأجساد، من أجل تطور تصاعدي مفيد، نقل إليهما أرواح أو جوهرًا إلهيًا لحيوانين. 16-17 في آدم أو الإنسان، ساد العقل؛ وفي حواء أو المرأة، ساد الشعور. وهكذا تجلى الازدواج أو القطبية التي تكمن وراء العوالم الظاهرة. ويظل العقل والشعور في نعيم من الفرح التعاوني ما دام العقل البشري غير منخدع بالطاقة الأفعوانية للميول الحيوانية.

لذا، لم يكن جسم الإنسان نتيجة تطور من الحيوانات فحسب، بل نتج عن خلق خاص من الله. كانت أشكال الحيوانات بدائية للغاية بحيث لا يمكنها التعبير عن الألوهية الكاملة؛ فقد مُنح الإنسان قدرة عقلية هائلة - زهرة اللوتس ذات الألف بتلة في الدماغ - بالإضافة إلى مراكز خفية مستيقظة بحدة في العمود الفقري.

نصحهما الله، أو الوعي الإلهي الموجود في الزوجين المخلوقين الأولين، بالتمتع بجميع الحواس البشرية، ولكن دون التركيز على أحاسيس اللمس. 16-18 حُظرت هذه الأمور لتجنب نمو الأعضاء التناسلية، مما قد يُوقع البشرية في فخ أسلوب التكاثر الحيواني الأدنى. لم يُؤخذ التحذير من إحياء الذكريات الحيوانية الموجودة لا شعوريًا في الاعتبار. باستئنافهما طريق التكاثر الحيواني، سقط آدم وحواء من حالة الفرح السماوي الطبيعية للإنسان الكامل الأصلي.

"إن معرفة "الخير والشر" تشير إلى الإكراه الثنائي الكوني. الوقوع تحت سيطرة

"إن الإنسان، من خلال إساءة استخدام مشاعره وعقله، أو وعي حواء وآدم، يتخلى عن حقه في دخول الجنة السماوية للاكتفاء الذاتي الإلهي. 16-19 إن المسؤولية الشخصية لكل إنسان هي استعادة "والديه" أو طبيعته المزدوجة إلى انسجام موحد أو عدن."

وعندما أنهى سري يوكتسوار خطابه، نظرت باحترام جديد إلى صفحات سفر التكوين.

"يا سيدي العزيز،" قلت، "لأول مرة أشعر بالالتزام الأبوي المناسب تجاه آدم وحواء!"

١٦-١: من خلال المراجع الفلكية في الكتب الهندوسية القديمة، تمكّن العلماء من تحديد تواريخ المؤلفين بدقة. كانت المعرفة العلمية للريشيس واسعة جدًا؛ ففي كتاب "كوشيتاكي براهمانا"، نجد مقاطع فلكية دقيقة تُظهر أن الهندوس كانوا متقدمين جدًا في علم الفلك في عام ٣١٠٠ قبل الميلاد، مما كان له أهمية عملية في تحديد الأوقات المناسبة للاحتفالات الفلكية. في مقال نُشر في مجلة East-West، في فبراير 1934، ورد الملخص التالي لعلم التنجيم أو مجموعة الأطروحات الفلكية الفيدية: "يحتوي هذا العلم على المعارف العلمية التي جعلت الهند في طليعة الأمم القديمة وجعلتها قبلة الباحثين عن المعرفة. يُعد كتاب براهماغوبتا القديم جدًا، أحد أعمال علم التنجيم، أطروحة فلكية تتناول مسائل مثل حركة الكواكب حول مركز الشمس في نظامنا الشمسي، وميل مسار الشمس، وشكل الأرض الكروي، وانعكاس ضوء القمر، والدوران المحوري اليومي للأرض، ووجود نجوم ثابتة في مجرة درب التبانة، وقانون الجاذبية، وغيرها من الحقائق العلمية التي لم تتضح في العالم الغربي حتى عصر كوبرنيكوس ونيوتن".

من المعروف الآن أن ما يُسمى "الأرقام العربية"، والتي يصعب بدون رموزها تطوير الرياضيات المتقدمة، وصلت إلى أوروبا في القرن التاسع، عن طريق العرب، من الهند، حيث وُضع نظام الترميز هذا قديمًا. للمزيد من المعلومات حول التراث العلمي الهندي الواسع، يُرجى مراجعة كتاب الدكتور بي سي راي "تاريخ الكيمياء الهندوسية"، وكتاب الدكتور بي إن سيل "العلوم الإيجابية للهندوس القدماء".

16-2: البركة التي تتدفق من مجرد رؤية القديس.

16-3: إحدى الفتيات اللاتي اختارتهن عائلتي كعروس محتملة لي، تزوجت بعد ذلك من ابن عمي، برابهاس تشاندرا غوش.

16-4: ظهرت سلسلة من ثلاثة عشر مقالة حول التحقق التاريخي لنظرية يوغا لسري يوكتسوار في مجلة إيست-ويست (لوس أنجلوس) من سبتمبر 1932 إلى سبتمبر 1933.

16-5: في سنة 12500م.

١٦-٦: تُصنّف الكتب الهندوسية عصر العالم الحالي ضمن دورة كالي يوغا الكونية الأطول بكثير من دورة الاعتدال البسيطة التي استمرت ٢٤ ألف عام والتي تناولها سري يوكتسوار. تبلغ مدة الدورة الكونية المذكورة في الكتب ٤,٣٠٠,٥٦٠,٠٠٠ عام، وتقيس يوم الخلق، أو مدة الحياة المُخصصة

لنظامنا الكوكبي في شكله الحالي. يستند هذا الرقم الهائل الذي حدده الحكماء إلى العلاقة بين طول السنة الشمسية ومضاعف باي (٣.١٤١٦، نسبة محيط الدائرة إلى قطرها).

إن عمر الكون بأكمله، وفقًا للرائين القدماء، هو 314,159,000,000,000 سنة شمسية، أو "عصر براهما".

يُقدّر العلماء عمر الأرض الحالي بحوالي ملياري سنة، مستندين في استنتاجاتهم إلى دراسة جيوب الرصاص المتبقية نتيجة النشاط الإشعاعي في الصخور. تُشير الكتب الهندوسية المقدسة إلى أن أرضًا كأرضنا تتلاشى لأحد سببين: إما أن يصبح سكانها جميعًا إما خيرين تمامًا أو أشرارًا تمامًا. وهكذا، يُولّد العقل الكوني قوة تُحرّر الذرات الأسيرة المُتماسكة كأرض.

تُنشر أحيانًا تصريحاتٌ مُريعةٌ بشأن "نهاية العالم" الوشيكة. وكان آخر تنبؤٍ بالهلاك هو القس تشارلز جي. لونغ من باسادينا، الذي حدد علنًا "يوم القيامة" في 21 سبتمبر/أيلول 1945. سألني مراسلو يونايتد برس عن رأيي؛ فشرحتُ أن دورات العالم تسير في تتابعٍ مُنظمٍ وفقًا لخطةٍ إلهية. لا يوجد انحلالٌ أرضيٌّ في الأفق؛ إذ ينتظر كوكبنا في شكله الحالي مليارا عام من دوراتٍ تصاعديةٍ وتنازليةٍ مُعتدلة. تستحق الأرقام التي قدمها الحكماء لمختلف عصور العالم دراسةً متأنيةً في الغرب؛ وقد

وصفتها مجلة تايم (17 ديسمبر/كانون الأول 1945، ص 6) بأنها "إحصائياتٌ مُطمئنة".

16-7: الفصل السادس:13.

١٦-٨: "إن سراج الجسد هو العين. فمتى كانت عينك بسيطة، فجسدك كله يكون نيرًا. ومتى كانت عينك شريرة، فجسدك يكون مظلمًا. فاحذر إذًا لئلا يكون النور الذي فيك ظلامًا." - لوقا ١١: ٣٤-٣٥.

١٦-٩: أحد الأنظمة الفلسفية الهندوسية الستة. تُعلّم السانخيا التحرر النهائي من خلال معرفة خمسة وعشرين مبدأً، بدءًا من براكريتي (الطبيعة) وانتهاءً ببوروشا (الروح).

16-10: الأمثال السنخيا، ط: 92.

16-11: متى 24: 35.

16-12: متى 12: 50.

١٦-١٣: يوحنا ٨: ٣١-٣٢. شهد القديس يوحنا: "أما كل الذين قبلوه، فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أبناء الله، أي المؤمنين باسمه (أي الذين هم ثابتون في ضمير المسيح)". - يوحنا ١: ١٢.

16-14: "من ثمر شجر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا." (تكوين 3: 2-3).

16-15: "المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقالت المرأة: الحية أغوتني فأكلت." - تكوين 3: 12-13.

١٦-١٦: "فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكرًا وأنثى خلقه. وباركه الله، وقال له: أثمر واكثر واملأ الأرض وأخضعها." - تكوين ١: ٢٧-٢٨.

16-17: "وخلق الرب الإله الإنسان ترابًا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار الإنسان نفسًا حية." -تكوين 2: 7.

16-18: "وكانت الحية (القوة الجنسية) أحيل من كل حيوان البرية" (أي معنى آخر للجسد).-تكوين 3: 1.

١٦-١٩: "وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقًا، ووضع هناك الإنسان الذي جبله." - تكوين ٢: ٨. "فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أُخذ منها." - تكوين ٣: ٢٣. كان وعي الإنسان الإلهي، الذي خلقه الله أولًا، متمركزًا في عينه الوحيدة القادرة على كل شيء في جبهته (شرقًا). وقد فُقدت قوى إرادته الخلاقة، المتركزة في تلك البقعة، عندما بدأ "يعمل الأرض" بطبيعته الجسدية.

الفصل: 17

ساسي والياقوتات الثلاث

"لأنك وابني تعتقدان أن سوامي سري يوكتسوار يحظى باحترام كبير، فسوف ألقي نظرة عليه."

نبرة صوت الدكتور نارايان تشاندر روي أوحت بأنه كان يُرضي نزوة حمقاء. أخفيتُ غضبي، على نهج المُبشرين.

كان رفيقي، وهو جراح بيطري، ملحدًا مُصرّاً. توسّل إليّ ابنه الصغير سانتوش أن أهتمّ بوالده. حتى الآن، كانت مساعدتي القيّمة غير مرئية بعض الشيء.

رافقني الدكتور روي في اليوم التالي إلى دير سيرامبور. بعد أن منحه السيد مقابلة قصيرة، سادها صمتٌ تامٌّ من الجانبين، غادر الزائر فجأةً.

"لماذا نحضر رجلاً ميتاً إلى الأشرم؟" نظر إليّ سري يوكتسوار متسائلاً بمجرد أن أغلق الباب على المتشكك من كلكتا.

"سيدي! الطبيب لا يزال على قيد الحياة!"

"ولكن في وقت قصير سوف يموت."

صُدمتُ. "سيدي، ستكون هذه ضربةً موجعةً لابنه. ومع ذلك، يأمل سانتوش أن يتغيّر الوقتُ عن نظرة والده المادية. أناشدك يا سيدي أن تساعد الرجل."

"حسنًا، من أجلك." كان وجه معلمي جامدًا. "طبيب الخيول المغرور قد تدهورت حالته الصحية بسبب مرض السكري، مع أنه لا يعلم. سيلازم الفراش بعد

خمسة عشر يومًا. سيتخلى عنه الأطباء؛ موعد رحيله الطبيعي هو ستة أسابيع من اليوم. لكن بفضل شفاعتك، سيتعافى في ذلك التاريخ. لكن هناك شرط واحد. يجب أن تجعله يرتدي سوارًا فلكيًا؛ سيعترض بلا شك بعنف كأحد خيوله قبل عملية جراحية!" ضحك المعلم.

بعد فترة صمت، تساءلت خلالها كيف يمكن لسانتوش وأنا أن نستخدم أفضل أساليب الإقناع مع الطبيب المتمرد، كشف سري يوكتسوار المزيد من الأسرار.

حالما يتعافى الرجل، انصحه بالامتناع عن أكل اللحوم. لكنه لن يستمع لهذه النصيحة، وبعد ستة أشهر، وهو في أفضل حالاته، سيموت. حتى تمديد حياته لستة أشهر لم يُمنح له إلا بفضل توسلاتك.

في اليوم التالي، اقترحتُ على سانتوش أن يطلب سوارًا من محل المجوهرات. كان جاهزًا خلال أسبوع، لكن الدكتور روي رفض ارتداءه.

أنا في أفضل صحة. لن تُبهرني أبدًا بهذه الخرافات الفلكية. نظر إليّ الطبيب نظرة عدائية.

تذكرتُ بتسلية أن السيد قد شبّه الرجل، عن حق، بحصانٍ مُعوّق. مرّت سبعة أيام أخرى؛ فوافق الطبيب، الذي تفاقم مرضه فجأةً، على ارتداء السوار. بعد أسبوعين، أخبرني الطبيب المُعالج أن

حالة مريضه ميؤوس منها. وروى تفاصيل مُريعة عن الأضرار التي يُسببها داء السكري.

هززتُ رأسي. "قال لي معلّمي إنه بعد مرضٍ دام شهرًا، سيتعافى الدكتور روي."

حدق بي الطبيب بدهشة. لكنه عاد إليّ بعد أسبوعين، بنبرة اعتذار.

هتف قائلًا: "لقد تعافى الدكتور روي تمامًا! إنها أروع حالة في تجربتي. لم يسبق لي أن رأيت رجلًا يحتضر يتعافى بهذه الطريقة الغامضة. لا بد أن معلمك الروحي نبي شفاء!"

بعد مقابلة واحدة مع الدكتور روي، كررتُ خلالها نصيحة سري يوكتسوار باتباع نظام غذائي خالٍ من اللحوم، لم أرَ الرجل مرة أخرى لمدة ستة أشهر. توقف للدردشة ذات مساء بينما كنتُ جالسًا في ساحة منزل عائلتي في شارع جوربار.

أخبر معلمك أنني بتناول اللحوم بكثرة، استعدت قوتي تمامًا. لم تؤثر أفكاره غير العلمية عن الحمية الغذائية عليّ. صحيح أن الدكتور روي بدا في صحة جيدة.

لكن في اليوم التالي، جاءني سانتوش راكضًا من منزله في الحي المجاور. "هذا الصباح، سقط أبي ميتًا!"

كانت هذه الحالة من أغرب تجاربي مع المعلم. شفى الطبيب البيطري المتمرد رغم كفره، ومدد مدة حياته الطبيعية ستة أشهر، فقط بفضل توسلاتي الصادقة. كان سري يوكتسوار لا حدود للطفه عندما واجه دعاءً عاجلاً من أحد المريدين.

كان من دواعي فخري أن أدعو أصدقاء الجامعة للقاء معلّمي. كثير منهم سيتخلى - على الأقل في الأشرم! - عن عباءة التشكك الديني الأكاديمية الأنيقة.

قضى أحد أصدقائي، ساسي، عطلات نهاية أسبوع سعيدة في سيرامبور. أحبّ المعلم الصبي حبًا شديدًا، وكان يشكو من فوضى حياته الخاصة.

"ساسي، إن لم تُصلِح نفسك، فبعد عام ستُصاب بمرض خطير." نظر سري يوكتسوار إلى صديقي بانزعاجٍ مُحبّ. "موكوندا هو الشاهد: لا تقل لاحقًا إنني لم أُحذّرك."

ضحك ساسي. "سيدي، سأترك لك مهمة تقديم صدقة كونية سخية لحالتي الحزينة! روحي راغبة، لكن إرادتي ضعيفة. أنت منقذي الوحيد على الأرض؛ لا أؤمن بغيره."

على الأقل عليكِ ارتداء ياقوتة زرقاء قيراطين. هذا سيساعدكِ.

لا أستطيع تحمل تكلفة واحدة. على أي حال، يا عزيزي المعلم، إذا حدثت مشكلة، فأنا على ثقة تامة بأنك ستحميني.

أجاب سري يوكتسوار بغموض: "بعد عام، ستجلب ثلاثة ياقوتات، ولن تكون ذات فائدة حينها".

كانت هناك تنويعات على هذه المحادثة بانتظام. كان ساسي يقول بيأس ساخر: "لا أستطيع إصلاح نفسي! وثقتي بك يا سيدي أغلى من أي حجر!"

بعد عام، كنت أزور معلّمي في منزل تلميذه نارين بابو في كلكتا. حوالي الساعة العاشرة صباحًا، بينما كنتُ أنا وسري يوكتسوار نجلس بهدوء في صالة الطابق الثاني، سمعتُ صوت الباب الأمامي يُفتح. اعتدل المعلم في جلسته.

«إنه ساسي»، قال بجدية. «انقضى العام الآن؛ رئتاه فاقدتا. لقد تجاهل نصيحتي؛ أخبره أنني لا أريد رؤيته».

مذهولاً من صرامة سري يوكتسوار، نزلتُ الدرج مسرعاً. كان ساسي يصعد.

"يا موكوندا! أتمنى أن يكون المعلم هنا؛ كان لدي حدس أنه قد يكون هنا."

"نعم، لكنه لا يرغب في أن يتم إزعاجه."

انفجر ساسي بالبكاء ومرّ بجانبي. ألقى بنفسه عند قدمي سري يوكتسوار، واضعًا هناك ثلاث ياقوتات جميلة.

أيها المعلم العليم، يقول الأطباء إنني مصابٌ بالسل المُزمن! ولن يُعطوني أكثر من ثلاثة أشهر أخرى! أتوسل إليك بتواضعٍ أن تُساعدني؛ فأنا أعلم أنك قادرٌ على شفائي!

أليس من المتأخر الآن أن تقلق على حياتك؟ انصرف بجواهرك، فقد ولّى أجلها. ثم جلس المعلم صامتًا كأبي الهول، تخللته شهقات الصبي طالبًا الرحمة.

تسللت إلى ذهني قناعةٌ بديهيةٌ مفادها أن سري يوكتسوار كان يختبر فقط عمق إيمان ساسي بقوة الشفاء الإلهية. لم أُفاجأ بعد ساعةٍ من التوتر عندما نظر المعلم بعطفٍ إلى صديقي المُسجد.

انهضي يا ساسي، يا لكِ من ضجة تُثيرينها في بيوت الآخرين! أعيدي ياقوتكِ إلى الصائغ، فهو الآن نفقة لا داعي لها. لكن اشتري سوارًا فلكيًا وارتديه. لا تخافي، ستكونين بخير بعد أسابيع قليلة.

أضاءت ابتسامة ساسي وجهه الملطخ بالدموع كشمسٍ ساطعةٍ على أرضٍ رطبة. "يا معلّمنا الحبيب، هل أتناول الأدوية التي وصفها لي الأطباء؟"

كانت نظرة سري يوكتسوار طويلة. "كما تشاء - اشربها أو تخلص منها؛ لا يهم. من الأرجح أن تتبادل الشمس والقمر مواقعهما من أن تموت بالسل." وأضاف فجأةً: "اذهب الآن، قبل أن أغير رأيي!"

انحنى صديقي بانفعال، ثم غادر على عجل. زرته عدة مرات خلال الأسابيع القليلة التالية، وذهلني تدهور حالته.

"لا يستطيع ساسي الصمود طوال الليل." هذه كلمات طبيبه، ومشهد

أرسلني صديقي، الذي أصبح الآن شبه هيكل عظمي، على عجل إلى سيرامبور. استمع معلّمي ببرود إلى تقريري المليء بالدموع.

لماذا أتيتَ إلى هنا لتزعجني؟ لقد سمعتَني أُطمئن ساسي على شفائه.

انحنيتُ أمامه في رهبةٍ عظيمة، وتراجعتُ إلى الباب. لم ينطق سري يوكتسوار بكلمةٍ وداعية، بل غرق في صمتٍ عميق، وعيناه نصف مفتوحتين دون أن يرفّزا، ورؤيتهما تتجهان إلى عالمٍ آخر.

عدتُ فورًا إلى منزل ساسي في كلكتا. فوجدتُ صديقي جالسًا يشرب الحليب بدهشة.

يا موكوندا! يا لها من معجزة! قبل أربع ساعات، شعرتُ بوجود المعلم في الغرفة؛ واختفت أعراضي المريعة على الفور. أشعر أنني بخير بفضله.

في غضون أسابيع قليلة، أصبح ساسي أكثر بدانةً وتمتع بصحة أفضل من أي وقت مضى. ١٧-١ لكن رد فعله الفريد تجاه شفائه كان يحمل مسحة من جحود الشكر: نادرًا ما زار سري يوكتسوار مرة أخرى! أخبرني صديقي ذات يوم أنه ندم بشدة على نمط حياته السابق لدرجة أنه خجل من مواجهة المعلم.

لم أستطع إلا أن أستنتج أن مرض ساسي كان له تأثير معاكس في تقوية إرادته وإضعاف أخلاقه.

كانت السنتان الأوليتان من دراستي في كلية الكنيسة الاسكتلندية تقتربان من نهايتهما. كان حضوري في الفصول الدراسية متقطعًا للغاية؛ وما درسته قليلًا كان فقط للحفاظ على السلام مع عائلتي. كان معلماي الخصوصيان يزوران منزلي بانتظام؛ وكنتُ أغيب باستمرار: أستطيع أن ألاحظ على الأقل هذا الانتظام في مسيرتي الدراسية!

في الهند، يؤدي إكمال عامين ناجحين من الدراسة الجامعية إلى الحصول على دبلوم الفنون المتوسطة؛ وقد يتطلع الطالب بعد ذلك إلى عامين آخرين والحصول على درجة البكالوريوس في الفنون.

كانت امتحانات الفنون المتوسطة النهائية تلوح في الأفق. هربتُ إلى بوري، حيث كان معلّمي يقضي بضعة أسابيع. آملًا أن يسمح لي بتغيبي عن

الامتحانات النهائية، فشرحتُ له عدم استعدادي المُحرج.

لكن المعلم ابتسم مُعزيًا. "لقد واصلتَ واجباتك الروحية بكل إخلاص، ولم تستطع إلا أن تُهمل دراستك الجامعية. ركز على دراستك للأسبوع القادم، وستتجاوز محنتك بسلام."

عدتُ إلى كلكتا، وأنا أكبتُ بحزمٍ كلَّ شكوكٍ معقولةٍ كانت تُراودني أحيانًا بسخريةٍ مُقلقة. وبينما كنتُ أُمعن النظر في كومة الكتب على طاولتي، شعرتُ كمسافرٍ تائهٍ في صحراء. منحتني فترةٌ طويلةٌ من التأمل إلهامًا مُوفِّرًا للجهد. فتحتُ كلَّ كتابٍ عشوائيًّا، ولم أدرس سوى الصفحات التي كانت مكشوفةً هكذا. بمتابعتي لهذه الدورة ثماني عشرة ساعةً يوميًا لمدة أسبوع، اعتبرتُ نفسي مُخوَّلًا بتقديم النصح لجميع الأجيال القادمة في فنِّ الحشد.

كانت الأيام التالية في قاعات الامتحانات تبريرًا لإجراءاتي التي بدت عشوائية. اجتزتُ جميع الاختبارات، وإن بفارق ضئيل. امتزجت تهاني أصدقائي وعائلتي بشكلٍ مُضحك مع صيحات استهجانٍ كشفت عن دهشتهم.

عند عودته من بوري، فاجأني سري يوكتسوار مفاجأة سارة: "لقد انتهت دراستك في كلكتا. سأحرص على أن تتابع آخر عامين من دراستك الجامعية هنا في سيرامبور."

كنتُ في حيرة. "سيدي، لا يوجد برنامج بكالوريوس في الآداب في هذه المدينة." كلية سيرامبور، المؤسسة التعليمية العليا الوحيدة، لم تُقدّم سوى برنامج مدته سنتان في الآداب المتوسطة.

ابتسم المعلم بخبث. "أنا كبير السن جدًا على جمع التبرعات لإنشاء كلية بكالوريوس لكم. أعتقد أنني سأضطر لترتيب الأمر مع شخص آخر."

بعد شهرين، أعلن البروفيسور هاولز، رئيس كلية سيرامبور، علنًا نجاحه في جمع تمويل كافٍ لتقديم برنامج دراسي مدته أربع سنوات. أصبحت كلية سيرامبور فرعًا تابعًا لجامعة كلكتا. كنتُ من أوائل الطلاب الذين التحقوا بجامعة سيرامبور كمرشحين للحصول على درجة البكالوريوس.

يا غورو جي، ما ألطفك بي! لطالما تمنيتُ مغادرة كلكتا والبقاء بقربك كل يوم في سيرامبور. البروفيسور هاولز لا يتخيل كم يدين له بمساعدتك الصامتة!

نظر إليّ سري يوكتسوار بصرامة ساخرة. "الآن لن تضطر لقضاء كل هذه الساعات في القطارات؛ يا له من وقت فراغ كبير لدراستك! ربما ستصبح أقلّ كسلاً في حفظ المعلومات في اللحظات الأخيرة وأكثر اجتهاداً." لكن نبرته كانت تفتقر إلى الإقناع.

17-1: في عام 1936 سمعت من أحد الأصدقاء أن ساسي كان لا يزال يتمتع بصحة ممتازة.

الفصل: 18

صانع عجائب محمد

"قبل سنوات مضت، وفي نفس الغرفة التي تشغلها الآن، قام أحد صانعي المعجزات المسلمين بأربع معجزات قبلي!"

أدلى سري يوكتسوار بهذا التصريح المفاجئ أثناء زيارته الأولى لمسكني الجديد.

فور التحاقي بكلية سيرامبور، سكنتُ في نُزُلٍ قريبٍ يُدعى بانثي. كان قصرًا عتيقًا من الطوب، مُطلًّا على نهر الجانج.

يا سيدي، يا لها من مصادفة! هل هذه الجدران المُزينة حديثًا تحمل ذكرياتٍ قديمة حقًا؟ نظرتُ في أرجاء غرفتي المفروشة ببساطة باهتمامٍ مُتأجج.

"إنها قصة طويلة." ابتسم معلّمي متذكرًا. "كان اسم الفقير ١٨-١ أفضل خان. اكتسب قواه الخارقة من خلال لقاء صدفة مع يوغي هندوسي.

يا بني، أنا عطشان؛ أحضر لي بعض الماء. طلب سانياسي مغطى بالغبار هذا من أفزال ذات يوم خلال طفولته المبكرة في قرية صغيرة شرق البنغال.

"سيدي، أنا مسلم. كيف يمكنك، وأنت هندوسي، أن تقبل شرابًا من يدي؟"

"صدقك يرضيني يا بني. أنا لا ألتزم بقواعد النبذ الطائفية غير التقية. اذهب؛ أحضر لي الماء بسرعة."

"لقد تم مكافأة طاعة أفزال الموقرة بنظرة محبة من اليوغي.

قال بجدية: "لديك كارما جيدة من حيواتك السابقة. سأعلمك طريقة يوغا معينة ستمنحك السيطرة على أحد العوالم الخفية. يجب أن تُمارس هذه القوى العظيمة التي ستمتلكها لأغراض نبيلة؛ لا تستخدمها أبدًا بأنانية! أرى، للأسف! أنك جلبت من الماضي بذور ميول هدامة. لا تسمح لها بالنمو عن طريق ريها بأفعال شريرة جديدة. إن تعقيد كارماك السابقة كبير لدرجة أنك يجب أن تستخدم هذه الحياة للتوفيق بين إنجازاتك اليوغية وأهدافك الإنسانية العليا".

"بعد تعليم الصبي المذهول تقنية معقدة، اختفى المعلم.

مارس أفضل اليوغا بإخلاص لمدة عشرين عامًا. وبدأت أعماله العجيبة تجذب انتباهًا واسعًا. ويبدو أنه كان دائمًا برفقة روح بلا جسد، أطلق عليها اسم "حضرة". كان هذا الكيان الخفي قادرًا على تحقيق أدنى أمنية للفقير.

متجاهلاً تحذير سيده، بدأ أفضال يُسيء استخدام سلطاته. فأي شيء يلمسه ثم يُعيده إلى مكانه

سرعان ما يختفي دون أن يترك أثراً. هذا الاحتمال المُحير عادةً ما يجعل المسلم ضيفاً غير مرغوب فيه!

كان يزور متاجر المجوهرات الكبيرة في كلكتا بين الحين والآخر، مُقدِّمًا نفسه كمشتري محتمل. كانت أيُّ جوهرةٍ يتعامل معها تختفي بعد مغادرته المتجر بفترةٍ وجيزة.

كان أفضل محاطًا بمئات الطلاب، مدفوعين بأمل معرفة أسراره. وكان الفقير يدعوهم أحيانًا للسفر معه. وفي محطة القطار، كان يلمس لفافة تذاكر، فيعيدها إلى الموظف، قائلاً: "غيرت رأيي، ولن أشتريها الآن". ولكن عندما يصعد إلى القطار مع حاشيته، يكون أفضل بحوزته التذاكر المطلوبة. ١٨-٢

أثارت هذه المآثر ضجةً عارمة؛ حتى أن تجار المجوهرات وبائعي التذاكر البنغاليين كانوا يستسلمون لانهيارات عصبية! ووجدت الشرطة التي سعت لاعتقال أفضل نفسها عاجزة؛ إذ كان بإمكان الفقير إزالة الأدلة المُدينة بمجرد قوله: «يا حضرة، خذ هذا بعيدًا».

نهض سري يوكتسوار من مقعده وسار نحو شرفة غرفتي المطلة على نهر الغانج. تبعته متشوقًا لسماع المزيد عن رافلز المسلمين المحيّر.

كان منزل بانثي هذا ملكًا لصديق لي. تعرف على أفزال ودعاه إلى هنا. كما دعا صديقي حوالي عشرين جارًا، بمن فيهم أنا. كنت شابًا حينها، وشعرت بفضول شديد تجاه الفقير الشهير. ضحك المعلم. "اتخذت احتياطاتي بعدم ارتداء أي شيء ثمين! نظر إليّ أفزال بفضول، ثم قال:

"لديك يدان قويتان. انزل إلى الحديقة؛ أحضر حجرًا أملسًا واكتب اسمك عليه بالطباشير؛ ثم ارمِ الحجر إلى أبعد نقطة ممكنة في نهر الجانج."

"أطعتُ. وبمجرد أن اختفى الحجر تحت الأمواج البعيدة، خاطبني المسلم مرة أخرى:

"املأ وعاءً بماء الجانج بالقرب من مقدمة هذا المنزل."

"وبعد أن عدت بإناء من الماء، صاح الفقير: يا حضرة، ضع الحجر في الإناء!"

"ظهر الحجر على الفور. أخرجته من الوعاء ووجدت توقيعي واضحًا كما كان عندما كتبته.

كان بابو، أحد أصدقائي في الغرفة، يبلغ من العمر ١٨ عامًا وثلاثة أعوام، يرتدي ساعة ذهبية عتيقة ثقيلة وسلسلة. تفحصهما الفقير بإعجابٍ مُريب. وسرعان ما اختفيا!

"أفضال، أرجوك أعد لي إرثي الثمين!" كان بابو على وشك البكاء.

صمت المسلم برهة، ثم قال: «لديك خمسمائة روبية في خزنة حديدية. أحضرها لي، وسأخبرك أين تجد ساعتك».

غادر بابو المضطرب فورًا إلى منزله. عاد سريعًا وسلّم أفزال المبلغ المطلوب.

"اذهب إلى الجسر الصغير بالقرب من منزلك،" أمر الفقير بابو. "اتصل بحضرة ليعطيك الساعة والسلسلة."

"انصرف بابو مسرعًا. وعند عودته، كان مبتسمًا براحة، ولم يكن يرتدي أي مجوهرات.

«عندما أمرتُ حضرة كما هو مُوَجَّه»، أعلن، «سقطت ساعتي من الهواء على يدي اليمنى! كن على يقين أنني أغلقتُ الكنز في خزانتي قبل أن أعود إلى المجموعة هنا!»

كان أصدقاء بابو، شهودًا على مأساة فدية الساعة، ينظرون باستياء إلى أفزال. ثم تحدث بهدوء.

"أرجو منك أن تذكر أي مشروب تريده، وسوف يحضره لك حضرة."

طلب عددٌ منهم الحليب، وطلب آخرون عصائر الفاكهة. لم أُصَبْ بصدمةٍ كبيرةٍ عندما طلب بابو المُضطرب الويسكي! أصدر المسلم أمرًا؛ فأرسل حضرة المُطيع حاوياتٍ مُغلقةٍ تطير في الهواء

وتسقط على الأرض. وجد كلُّ رجلٍ مشروبه المُفضَّل.

"لا شك أن الوعد بالإنجاز الرابع المذهل لهذا اليوم كان مرضيًا لمضيفنا: فقد عرض أفزال تقديم وجبة غداء فورية!

«دعونا نطلب أغلى الأطباق»، اقترح بابو بكآبة. «أريد وجبة فاخرة مقابل خمسمائة روبية! يجب تقديم كل شيء في أطباق من ذهب!»

حالما عبّر كل رجل عن تفضيلاته، توجّه الفقير إلى حضرة الذي لا ينضب. تلا ذلك قعقعة عظيمة؛ وسقطت أطباق ذهبية مليئة بالكاري المُعدّ بإتقان، واللوتشي الساخن، والعديد من الفواكه في غير موسمها، من العدم عند أقدامنا. كان الطعام كله لذيذًا. بعد ساعة من التهام الطعام، بدأنا بمغادرة الغرفة. دفعنا ضجيج هائل، كما لو أن الأطباق تتراكم، إلى الالتفاف. يا للهول! لم يكن هناك أي أثر للأطباق اللامعة أو بقايا الطعام.

"غوروجي،" قاطعته، "إذا كان أفزال قادرًا على تأمين أشياء مثل الأطباق الذهبية بسهولة، فلماذا كان يطمع في ممتلكات الآخرين؟"

أوضح سري يوكتسوار قائلاً: "لم يكن الفقير متطورًا روحيًا بدرجة عالية. لكن إتقانه لتقنية يوغا معينة أتاح له الوصول إلى عالم نجمي حيث تتحقق أي رغبة فورًا. ومن خلال كائن نجمي، حضرة،

يستطيع المسلم استحضار ذرات أي شيء من الطاقة الأثيرية بفعل إرادة قوية. لكن هذه الأشياء النجمية زائلة هيكليًا؛ ولا يمكن الاحتفاظ بها طويلًا. كان أفضل يتوق إلى ثروة دنيوية، وإن كانت أصعب من كسبها، إلا أنها أكثر ديمومة".

ضحكتُ. "إنه أيضًا يختفي أحيانًا دون أي تفسير!"

"لم يكن أفضل رجلاً مُدركاً لله"، تابع الأستاذ. "المعجزات الدائمة النافعة يصنعها القديسون الحقيقيون لأنهم انسجموا مع الخالق القدير. كان أفضل مجرد رجل عادي يتمتع بقدرة خارقة على اختراق عالمٍ دقيق لا يدخله البشر عادةً إلا بعد الموت".

"أفهمت الآن يا جورو جي. يبدو أن العالم الآخر يتمتع ببعض الميزات الساحرة."

وافق المعلم. "لم أرَ أفزال بعد ذلك اليوم، ولكن بعد بضع سنوات، جاء بابو إلى منزلي ليُريني تقريرًا صحفيًا عن اعترافه العلني. منه عرفتُ الحقائق التي أخبرتك بها للتو عن بداية تنشئة أفزال على يد معلم هندوسي."

كان جوهر الجزء الأخير من الوثيقة المنشورة، كما يتذكره سري يوكتسوار، كما يلي: "أنا، أفزال خان، أكتب هذه الكلمات كعمل من أعمال التوبة وتحذير لمن يسعون إلى امتلاك قوى خارقة. لسنوات، كنت أسيء استخدام القدرات العجيبة التي وهبها لي الله

ومعلمي. لقد سُكرت بالأنانية، وشعرت أنني تجاوزت حدود الأخلاق العادية. أخيرًا جاء يوم حسابي.

التقيتُ مؤخرًا برجلٍ عجوز على طريقٍ خارج كلكتا. كان يمشي مُتعَبًا، يحمل شيئًا لامعًا يشبه الذهب. خاطبته بجشعٍ في قلبي.

"أنا أفزال خان، الفقير العظيم. ماذا لديك هناك؟"

"هذه الكرة الذهبية هي ثروتي المادية الوحيدة؛ ولا يمكن أن تكون ذات أهمية بالنسبة لفقير. أتوسل إليك يا سيدي أن تشفي عرجي."

لمست الكرة ومشيت دون رد. لحق بي الرجل العجوز متعثرًا. وسرعان ما أطلق صرخة: "ذهبي قد اختفى!"

"ولأنني لم أهتم، تحدث فجأة بصوت عالٍ خرج بشكل غريب من جسده الضعيف:

"هل لا تعرفني؟ "

وقفتُ عاجزًا عن الكلام، مذهولًا من الاكتشاف المتأخر أن هذا الرجل العجوز المتواضع لم يكن سوى القديس العظيم الذي دربني على اليوغا منذ زمن بعيد. استقام، وأصبح جسده قويًا وشابًا على الفور.

«حسنًا!» كانت نظرة معلّمي نارية. «أرى بأم عيني أنك تستخدم قواك، لا لمساعدة البشرية المتألمة،

بل لاستغلالها كاللص! أسحب منك مواهبك الخفية؛ لقد تحرر حضرة منك الآن. لن تكون بعد الآن مصدر رعب في البنغال!»

"لقد دعوت حضرة بصوت حزين؛ وللمرة الأولى، لم يظهر لي. ولكن فجأة ارتفع حجاب مظلم في داخلي؛ ورأيت بوضوح تجديف حياتي.

يا معلّمي، أشكرك على مجيئك لطرد وهمي الطويل. كنت أبكي عند قدميه. أعدك أن أتخلى عن طموحاتي الدنيوية. سأعتزل في الجبال لأتأمل في الله وحدي، آملاً أن أكفّر عن ماضيّ الشرير.

نظر إليّ سيدي بعطفٍ صامت. قال أخيرًا: "أشعر بإخلاصك. بفضل طاعتك الصارمة في سنواتك السابقة، وبفضل توبتك الحالية، سأمنحك نعمة واحدة. لقد ذهبت قواك الأخرى الآن، ولكن كلما احتجت إلى الطعام والملابس، يمكنك أن تطلب من حضرة أن يوفرها لك بنجاح. كرّس نفسك بكل قلبك للفهم الإلهي في عزلة الجبال".

ثم اختفى معلّمي، وتُركتُ لدموعي وتأملاتي. وداعًا أيها العالم! سأذهب لأطلب غفران الحبيب الكوني.

18-1: يوغي مسلم؛ من الكلمة العربية "فقير" أي فقير؛ كانت تُطلق في الأصل على الدراويش الذين نذروا الفقر.

18-2: أخبرني والدي لاحقًا أن شركته، شركة السكك الحديدية البنغالية - ناجبور، كانت واحدة من الشركات التي وقع ضحايا لأفضال خان.

18-3: لا أتذكر اسم صديق سري يوكتسوار، ويجب أن أشير إليه ببساطة باسم "بابو" (السيد).

الفصل: 19

سيدي، في كلكتا، يظهر في سيرامبور

كثيرًا ما تُراودني شكوكٌ إلحادية. ومع ذلك، يُطاردني أحيانًا تساؤلٌ مُعذب: ألا توجد إمكانياتٌ روحيةٌ غير مُستغلة؟ ألا يُضيّع الإنسان مصيره الحقيقي إن لم يُستكشفها؟

كانت هذه ملاحظات ديجين بابو، زميلي في السكن في بيت بانثي، نتيجة لدعوتي له لمقابلة معلّمي.

أجبتُ: "سري يوكتسوارجي سيُعلّمك الكريا يوغا. إنها تُهدئ اضطراب الثنائية بيقينٍ إلهيٍّ داخلي".

في ذلك المساء، رافقني ديجين إلى المُحبسة. في حضرة المعلم، حظي صديقي بسلام روحي عميق، وسرعان ما أصبح زائرًا دائمًا. إن مشاغل الحياة اليومية البسيطة لا تكفي الإنسان؛ فالحكمة أيضًا جوعٌ فطري. بكلمات سري يوكتسوار، وجد ديجين حافزًا لتلك المحاولات - المؤلمة في البداية، ثم المُحررة بسهولة - لإيجاد ذاتٍ حقيقية في صدره

من الأنا المُذلة لولادة مؤقتة، والتي نادرًا ما تكون كافية للروح.

بما أنني وديجين كنا ندرس بكالوريوس الآداب في كلية سيرامبور، فقد اعتدنا على السير معًا إلى الأشرم فور انتهاء الدروس. وكثيرًا ما كنا نرى سري يوكتسوار واقفًا على شرفته في الطابق الثاني، يرحب باقترابنا منه بابتسامة.

في أحد أيام ما بعد الظهيرة، التقى كاناي، وهو شاب مقيم في دير، بديجين وأنا عند الباب حاملين أخبارًا مخيبة للآمال.

"السيد ليس هنا؛ لقد تم استدعاؤه إلى كلكتا بملاحظة عاجلة."

في اليوم التالي، وصلتني بطاقة بريدية من معلّمي. كتب فيها: "سأغادر كلكتا صباح الأربعاء. ستلتقي أنت وديجين بقطار التاسعة في محطة سيرامبور".

حوالي الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم الأربعاء، تومض رسالة تليفونية من سري يوكتسوار في ذهني بإصرار: "أنا متأخر؛ لا تلحق بقطار الساعة التاسعة".

لقد نقلت التعليمات الأخيرة إلى ديجين، الذي كان يرتدي ملابسه بالفعل للمغادرة.

«أنت وحدسك!» كان صوت صديقي ساخرًا. «أفضّل أن أثق بكلام المعلم.»

هززتُ كتفيَّ وجلستُ بهدوءٍ تام. تمتم ديجين بغضب، ثم اتجه نحو الباب وأغلقه خلفه بصخب.

بما أن الغرفة كانت مظلمة نوعًا ما، اقتربتُ من النافذة المُطلة على الشارع. فجأةً، ازداد ضوء الشمس الخافت سطوعًا حادًا، فاختفت النافذة ذات القضبان الحديدية تمامًا. على هذه الخلفية المبهرة، ظهر جسد سري يوكتسوار بوضوح!

ذهلتُ من هول الصدمة، فنهضتُ من مقعدي وركعتُ أمامه. وبتحيتي المعتادة عند قدمي معلمي، لمستُ حذاءه. كان حذاءً مألوفًا لي، من قماش برتقالي اللون، بنعلٍ من حبل. لامسني قماش سوامي المغرة الذي يرتديه؛ شعرتُ بوضوح ليس فقط بملمس ردائه، بل أيضًا بسطح الحذاء الخشن، وضغط أصابع قدميه عليه. ذهلتُ لدرجة أنني لم أستطع النطق بكلمة، فنهضتُ ونظرتُ إليه متسائلًا.

سررتُ بتلقي رسالتي التخاطرية. كان صوت المعلم هادئًا وطبيعيًا تمامًا. "لقد انتهيتُ الآن من عملي في كلكتا، وسأصل إلى سيرامبور في قطار الساعة العاشرة."

وبينما كنتُ أحدق بصمت، تابع سري يوكتسوار: "هذا ليس شبحًا، بل هو من لحمي ودمي. لقد أُمرتُ إلهيًا أن أُقدم لكم هذه التجربة، النادرة على الأرض. قابلوني في المحطة؛ سترونني أنتَ وديجين

آتيًا إليكما، بملابسي الحالية. سيسبقني راكبٌ آخر - صبيٌّ صغيرٌ يحمل إبريقًا فضيًا."

وضع معلّمي كلتا يديه على رأسي، وهمس ببركة. وبينما اختتم كلامه بعبارة "تابا آسي"، سمعتُ صوتًا هديرًا غريبًا. بدأ جسده يذوب تدريجيًا في ضوءٍ ثاقب. اختفت قدماه وساقاه أولًا، ثم جذعه ورأسه، كملفة تُطوى. حتى آخر لحظة، شعرتُ بأصابعه تستقر بخفة على شعري. تلاشى الإشراق؛ لم يبقَ أمامي سوى النافذة ذات القضبان وشعاعٍ باهت من ضوء الشمس.

بقيتُ في حالة ذهولٍ شبه تام، أتساءل إن كنتُ ضحية هلوسة. دخل ديجين الغرفة سريعًا وهو حزين.

«لم يكن سيدي على متن قطار الساعة التاسعة، ولا حتى قطار الساعة التاسعة والنصف». أعلن صديقي ذلك بنبرة اعتذار خفيفة.

"هيا بنا، أعلم أنه سيصل الساعة العاشرة."
أمسكت بيد ديجين ودفعته بقوة نحوي، غير مكترث لاحتجاجاته. بعد حوالي عشر دقائق، دخلنا المحطة، حيث كان القطار قد توقف فجأة.

«القطار كله مُضاء بنور المعلم! هو هناك!» صرختُ بفرح.

"هل تحلم بهذا؟" ضحك ديجين ساخرًا.

"لننتظر هنا." أخبرتُ صديقي بتفاصيل الطريقة التي سيتعامل بها معلمنا معنا. وما إن أنهيتُ وصفي، حتى ظهر سري يوكتسوار، مرتديًا نفس الملابس التي رأيتها قبل قليل. كان يسير ببطء خلف فتى صغير يحمل إبريقًا فضيًا.

للحظة، انتابني خوفٌ شديدٌ من غرابة تجربتي غير المسبوقة. شعرتُ وكأن عالم القرن العشرين المادي يفلت مني؛ هل كنتُ أعود إلى الأيام الخوالي عندما ظهر يسوع لبطرس على البحر؟

عندما وصل سري يوكتسوار، وهو يوغي-مسيحي حديث، إلى المكان الذي كنا فيه أنا وديجين متجذرين في صمت، ابتسم المعلم لصديقي وعلق:

"لقد أرسلت لك رسالة أيضًا، لكنك لم تتمكن من فهمها."

كان ديجين صامتًا، لكنه حدق بي بريبة. بعد أن رافقنا معلمنا إلى صومعته، توجهتُ أنا وصديقي إلى كلية سيرامبور. توقف ديجين في الشارع، والسخط يتدفق من كل مسامه.

"إذن! سيدي أرسل لي رسالة! ومع ذلك أخفيتها! أطلب تفسيرًا!"

"هل يمكنني مساعدتك إذا كانت مرآتك العقلية تتأرجح بمثل هذا القلق بحيث لا يمكنك تسجيل تعليمات معلمنا؟" أجبت.

اختفى الغضب من وجه ديجين. قال بأسف: "أفهم قصدك. لكن من فضلك اشرح كيف عرفتَ أمر الطفل صاحب الإبريق."

بحلول الوقت الذي انتهيت فيه من قصة ظهور المعلم المذهل في بيت الإقامة ذلك الصباح، كنا أنا وصديقي قد وصلنا إلى كلية سيرامبور.

"إن الرواية التي سمعتها للتو عن قدرات معلمنا،" قال ديجين، "تجعلني أشعر بأن أي جامعة في العالم ليست سوى روضة أطفال."

الفصل 19 الحواشي

19-1: "وداعًا" البنغالية؛ حرفيًا، إنها مفارقة مفعمة بالأمل: "ثم أعود".

19-2: الصوت المميز لتحلل الذرات الجسدية.

الفصل: 20

نحن لا نزور كشمير

أبي، أريد دعوة سيدي وأربعة من أصدقائي لمرافقتي إلى سفوح جبال الهيمالايا خلال إجازتي الصيفية. هل لي بستة تذاكر قطار إلى كشمير ومبلغ كافٍ لتغطية نفقات سفرنا؟

كما توقعت، ضحك أبي ضحكة غامرة. "هذه هي المرة الثالثة التي تُخبرني فيها بنفس القصة المُضللة. ألم تطلب شيئًا مُماثلًا الصيف الماضي،

والعام الذي سبقه؟ في اللحظة الأخيرة، رفض سري يوكتسوارجي الذهاب."

"هذا صحيح يا أبي، لا أدري لماذا لا يعطيني معلّمي كلمته الحاسمة بشأن كشمير. 20-1 ولكن إذا أخبرته أنني حصلت بالفعل على التصاريح منك، أعتقد بطريقة ما أنه سيوافق هذه المرة على القيام بالرحلة."

لم يكن والدي مقتنعًا في تلك اللحظة، ولكن في اليوم التالي، وبعد بعض السخرية اللطيفة، أعطاني ستة بطاقات ولفافة من الأوراق النقدية من فئة العشر روبيات.

"لا أعتقد أن رحلتك النظرية تحتاج إلى مثل هذه الدعائم العملية"، لاحظ، "ولكن ها هي".

في عصر ذلك اليوم، عرضتُ غنيمتي على سري يوكتسوار. ورغم ابتسامته لحماسي، إلا أن كلماته كانت مبهمة: "أريد الذهاب؛ سنرى". لم يُبدِ أي تعليق عندما طلبتُ من تلميذه الصغير في ديره، كاناي، مرافقتنا. كما دعوتُ ثلاثة أصدقاء آخرين: راجندرا ناث ميترا، وجوتين أودي، وصبي آخر. حُدد موعد مغادرتنا يوم الاثنين التالي.

أقمتُ يومي السبت والأحد في كلكتا، حيث أُقيمت مراسم زواج ابن عمي في منزل عائلتي. وصلتُ إلى سيرامبور حاملاً أمتعتي صباح الاثنين الباكر. استقبلني راجندرا عند باب الدير.

"المعلم خارج، يمشي. لقد رفض الذهاب."

كنتُ حزينًا وعنيدًا بنفس القدر. "لن أمنح أبي فرصةً ثالثةً للسخرية من خططي الخيالية لكشمير. هيا بنا؛ سنذهب على أي حال."

وافق راجندرا؛ غادرتُ الأشرم لأبحث عن خادم. كنتُ أعلم أن كاناي لن يقوم بهذه الرحلة.

بدون سيد، وكان هناك حاجة إلى شخص لرعاية الأمتعة. تذكرت بيهاري، الذي كان خادمًا في منزل عائلتي، والذي يعمل الآن لدى معلم مدرسة في سيرامبور. وبينما كنت أسير بخطى حثيثة، التقيت بمعلمي أمام الكنيسة المسيحية قرب محكمة سيرامبور.

"إلى أين أنت ذاهب؟" كان وجه سري يوكتسوار خاليًا من الابتسام.

سيدي، سمعتُ أنك وكاناي لن تقوما بالرحلة التي خططنا لها. أبحث عن بيهاري. لعلّك تذكر أنه في العام الماضي كان متلهفًا لرؤية كشمير لدرجة أنه عرض الخدمة دون أجر.

"أتذكر. ومع ذلك، لا أعتقد أن بيهاري سيكون على استعداد للذهاب."

كنتُ غاضبًا. "إنه ينتظر هذه الفرصة بفارغ الصبر!"

استأنف معلّمي سيره بصمت؛ وسرعان ما وصلتُ إلى منزل مدير المدرسة. استقبلني بيهاري في

الفناء بحرارة ودودة اختفت فجأةً بمجرد أن ذكرتُ كشمير. وبكلمة اعتذارٍ مكتومة، تركني الخادم ودخل منزل صاحب عمله. انتظرتُ نصف ساعة، وأنا أطمئن نفسي بتوتر أن تأخير بيهاري كان بسبب استعداداته لرحلته. أخيرًا، طرقتُ الباب الأمامي.

أخبرني رجلٌ: "غادر بيهاري من الدرج الخلفي منذ حوالي ثلاثين دقيقة". ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة.

غادرتُ حزينًا، متسائلًا إن كانت دعوتي مُجبرة، أم أن تأثير المعلم الخفي كان مؤثرًا. مررتُ بالكنيسة المسيحية، فرأيتُ مُعلّمي يسير ببطء نحوي. دون أن ينتظر سماع تقريري، صاح:

"إذن بيهاري لن يذهب! والآن، ما هي خططك؟"

شعرتُ كطفلٍ عنيدٍ مُصمّمٍ على تحدّي أبيه المُتسلط. "سيدي، سأطلب من عمّي أن يُعيرني خادمه، لال داري."

"زوري عمك إن شئتِ،" أجاب سري يوكتسوار ضاحكًا. "لكنني لا أظن أنكِ ستستمتعين بالزيارة."

بقلقٍ وتمردٍ في آنٍ واحد، تركتُ معلّمي ودخلتُ محكمة سيرامبور. رحّب بي عمّي لأبي، سارادا غوش، وهو محامٍ حكومي، ترحيبًا حارًا.

"سأغادر اليوم مع بعض الأصدقاء إلى كشمير"، قلت له. "لطالما انتظرتُ هذه الرحلة إلى جبال الهيمالايا لسنوات."

أنا سعيد من أجلك يا موكوندا. هل هناك أي شيء يمكنني فعله لجعل رحلتك أكثر راحة؟

هذه الكلمات الطيبة أعطتني دفعة من التشجيع. قلت: "عمي العزيز، هل يمكنك أن تتبرع لي؟"

"أنا خادمك، لال دهاري؟"

كان لطلبي البسيط وقعٌ هائل. قفز عمي بعنفٍ شديدٍ حتى انقلب كرسيه، وتطايرت الأوراق على المكتب في كل اتجاه، وسقط غليونه، الطويل ذو السيقان المدببة، على الأرض محدثًا ضجةً هائلة.

«يا لك من شاب أناني»، صرخ وهو يرتجف من الغضب، «يا لها من فكرة سخيفة! من سيعتني بي إذا أخذت خادمي في إحدى رحلاتك الترفيهية؟»

أخفيتُ دهشتي، مُفكّرًا في أن التغيير المفاجئ لوجه عمي اللطيف لم يكن سوى لغزٍ آخر في يومٍ مُكرّسٍ بالكامل للغموض. كان انسحابي من مكتب المحكمة عفويًا أكثر منه مُحترمًا.

عدتُ إلى المُنْتَزَل، حيثُ كان أصدقائي مُجتمعين بترقب. ازدادت قناعتي بأن وراء موقف المعلم دافعًا قويًا، وإن كان مُبهمًا للغاية. تملكني الندم لأنني كنتُ أحاول إحباط إرادة مُعلِّمي.

سأل سري يوكتسوار: "موكوندا، ألا ترغب بالبقاء معي لفترة أطول؟". "راجندرا والآخرون يمكنهم الآن انتظارك في كلكتا. سيكون هناك متسع من الوقت للحاق بآخر قطار مسائي يغادر كلكتا إلى كشمير."

"سيدي، لا أريد أن أذهب بدونك"، قلت بحزن.

لم يُعر أصدقائي أي اهتمام لملاحظتي. استدعوا عربة أجرة وانطلقوا بكل الأمتعة. جلستُ أنا وكاناي بهدوء عند قدمي معلمنا. بعد نصف ساعة من الصمت المطبق، نهض المعلم وسار نحو فناء الطعام في الطابق الثاني.

كاناي، من فضلك قدم طعام موكوندا. قطاره سيغادر قريبًا.

نهضتُ من مقعدي المُغطّى بالبطانية، وترنّحتُ فجأةً من غثيانٍ وإحساسٍ مُريعٍ بتقلّبٍ في معدتي. كان الألمُ الطعنيّ شديدًا لدرجة أنني شعرتُ وكأنني أُلقيتُ فجأةً في جحيمٍ عنيف. تلمّستُ طريقي نحو مُعلّمي بتثاقلٍ، فانهارتُ أمامه، مُهاجمةً بجميع أعراض الكوليرا الآسيوية المُريعة. حملني سري يوكتسوار وكاناي إلى غرفة الجلوس.

لقد صرخت وأنا أشعر بالألم: "يا سيدي، أسلم لك حياتي"، لأنني كنت أعتقد أنها تتلاشى بسرعة من شواطئ جسدي.

وضع سري يوكتسوار رأسي على حجره، ومسح جبهتي بحنان ملائكي.

«أرأيتَ الآن ما كان سيحدث لو كنتَ في المحطة مع أصدقائك»، قال. «كان عليّ أن أعتني بكَ بهذه الطريقة الغريبة، لأنكَ اخترتَ أن تشكّك في قراري بشأن القيام بالرحلة في هذا الوقت تحديدًا».

فهمتُ أخيرًا. ولأنّ الأساتذة العظماء نادرًا ما يرون من المناسب إظهار قدراتهم علانيةً، فإنّ أيّ مراقب عابر لأحداث ذلك اليوم كان ليتخيل أنّ تسلسلها كان طبيعيًا تمامًا.

كان تدخل معلّمي خفيًا للغاية بحيث لا يُشتبه فيه. لقد نفّذ إرادته من خلال بيهاري وعمي سارادا وراجندرا والآخرين بطريقة خفية لدرجة أن الجميع، عداي، ظنّوا أن الأمور كانت طبيعية منطقيًا.

وبما أن سري يوكتسوار لم يتخلف أبدًا عن مراعاة التزاماته الاجتماعية، فقد أصدر تعليماته إلى كاناي بالذهاب إلى أخصائي وإبلاغ عمي.

"سيدي،" احتججت، "أنت وحدك من يستطيع أن يشفيني. لقد أصبحت في حالة يرثى لها ولا يمكن لأي طبيب أن يعالجني."

يا بني، أنت محمي برحمة الله. لا تقلق بشأن الطبيب، فلن يجدك في هذه الحالة. لقد شُفيت بالفعل.

بكلمات معلّمي، فارقني الألم المبرح. جلستُ بضعف. وصل طبيبٌ سريعًا وفحصني بعناية.

«يبدو أنك تجاوزت أسوأ المراحل»، قال. «سآخذ معي بعض العينات لإجراء فحوصات مخبرية».

في صباح اليوم التالي، وصل الطبيب مسرعًا. كنتُ جالسًا، ومعنوياتي مرتفعة.

حسنًا، حسنًا، ها أنت ذا، تبتسم وتتحدث كما لو أنك لم تُصَبْ بموتٍ مُريع. ربت على يدي برفق. "لم أتوقع أن أجدك حيًا، بعد أن اكتشفتُ من العينات أن مرضك هو الكوليرا الآسيوية. أنت محظوظ أيها الشاب، لأن لديك معلمًا روحيًا ذا قدرات شفاء إلهية! أنا مُقتنع بذلك!"

وافقتُ بحماس. وبينما كان الطبيب يستعد للمغادرة، ظهر راجندرا وأودي عند الباب. تحوّل الاستياء على وجهيهما إلى تعاطف وهما ينظران إلى الطبيب، ثم إلى وجهي الشاحب بعض الشيء.

لقد غضبنا عندما لم تحضر كما اتفقنا في قطار كلكتا. هل كنت مريضًا؟

"نعم." لم أستطع منع نفسي من الضحك بينما وضع أصدقائي الأمتعة في نفس الزاوية التي كانت فيها بالأمس. قلتُ: "كانت هناك سفينةٌ ذهبت إلى إسبانيا، وعندما وصلت، عادت!"

دخل السيد الغرفة. سمحت لنفسي بفترة نقاهة، وأمسكت بيده بحب.

قلتُ: "يا جورو جي، منذ سنتي الثانية عشرة، بذلتُ محاولاتٍ عديدةً فاشلةً للوصول إلى جبال الهيمالايا. وأخيرًا، اقتنعتُ بأنه بدون بركاتك، لن تستقبلني الإلهة بارفاتي ٢٠-٢!"

20-1: على الرغم من أن المعلم فشل في تقديم أي تفسير، فإن إحجامه عن زيارة كشمير خلال هذين الصيفين ربما كان بمثابة علم مسبق بأن الوقت لم يكن مناسبًا لمرضه هناك (انظر الفصل 22).

٢٠-٢: حرفيًا، "من الجبال". بارفاتي، التي تُمثَّل أسطوريًا على أنها ابنة هيمافات أو الإله المقدس.

الجبال، هو اسم يطلق على الشاكتي أو "قرينة" شيفا.

الفصل: 21

نحن نزور كشمير

"أنت الآن قوي بما يكفي للسفر. سأرافقك إلى كشمير"، هذا ما أخبرني به سري يوكتسوار بعد يومين من شفائي المعجز من الكوليرا الآسيوية.

في ذلك المساء، انطلقت مجموعتنا المكونة من ستة أفراد بالقطار شمالًا. كانت محطتنا الأولى المريحة في شيملا، تلك المدينة الملكية التي تتربع

على عرش جبال الهيمالايا. تجولنا في الشوارع شديدة الانحدار، مستمتعين بالمناظر الخلابة.

"فراولة إنجليزية للبيع"، صرخت امرأة عجوز وهي تجلس القرفصاء في سوق مفتوح خلاب.

كان المعلم متشوقًا لمعرفة تلك الفاكهة الحمراء الصغيرة الغريبة. اشترى سلة مليئة بها وقدمها لي ولكاناي، اللذين كنا قريبين. تذوقتُ حبة واحدة، لكنني بصقتها على عجل على الأرض.

"سيدي، ما هذه الفاكهة الحامضة! لا أحب الفراولة أبدًا!"

ضحك معلّمي وقال: "أوه، ستُعجبك هذه الفراولة في أمريكا. في عشاءٍ هناك، ستُقدّمها لك مضيفتك مع السكر والقشدة. بعد أن تُهرس الفراولة بالشوكة، ستتذوقها وتقول: "ما أشهى الفراولة!" حينها ستتذكر هذا اليوم في شيملا."

اختفت توقعات سري يوكتسوار من ذاكرتي، لكنها عادت للظهور هناك بعد سنوات عديدة، بُعيد وصولي إلى أمريكا. كنتُ ضيفة عشاء في منزل السيدة أليس ت. هاسي (الأخت يوغماتا) في ويست سومرفيل، ماساتشوستس. عندما وُضعت حلوى الفراولة على الطاولة، أمسكت مضيفة سيارتي بشوكتها وهرست الفراولة، مضيفةً الكريمة والسكر. علّقت قائلةً: "الفاكهة لاذعة بعض الشيء؛ أعتقد أنك ستحبها مُعدّة بهذه الطريقة".

أخذتُ لقمةً. "ما أشهى الفراولة!" هتفتُ. على الفور، انبثقت نبوءة معلّمي في شيملا من كهف الذاكرة السحيق. كان من المذهل إدراك أن عقل سري يوكتسوار المُعَدّل إلهيًا قد اكتشف بحساسية، منذ زمن بعيد، برنامج الأحداث الكرمية التي تتجول في أثير المستقبل.

غادرت مجموعتنا شيملا سريعًا، متجهين بالقطار إلى روالبندي. هناك، استأجرنا عربة لاندو كبيرة، يجرها حصانان، وبدأنا بها رحلةً استمرت سبعة أيام إلى سريناغار، عاصمة كشمير. في اليوم الثاني من رحلتنا شمالًا، تجلى لنا اتساع جبال الهيمالايا الحقيقي. وبينما كانت عجلات عربتنا الحديدية تُصدر صوت صرير على الطرق الصخرية الحارة، انبهرنا بمناظر الجبال المتغيرة والعظيمة.

"سيدي،" قال أودي لمعلمي، "أنا أستمتع كثيرا بهذه المشاهد المجيدة في شركتك المقدسة."

شعرتُ بنشوةٍ من السرور لتقدير أودي، فقد كنتُ المضيف في هذه الرحلة. لفت سري يوكتسوار انتباهي، فالتفت إليّ وهمس:

"لا تبالغ في مدح نفسك؛ أودي ليس منبهرًا بالمناظر الطبيعية بقدر ما هو منبهر باحتمالية تركنا لفترة كافية لتدخين سيجارة."

صُدمتُ. قلتُ بنبرةٍ خافتة: "سيدي، أرجوك لا تُفسد تناغمنا بهذه الكلمات البغيضة. لا أصدق أن أودي

يتوق إلى سيجارة." نظرتُ بقلقٍ إلى مُعلّمي الذي لا يُقهر عادةً.

حسنًا، لن أقول شيئًا لأودي. ضحك السيد بخفة. "لكنك سترى قريبًا، عندما تتوقف العربة، أن أودي يسارع إلى اغتنام فرصته."

وصلت العربة إلى خان صغير. وبينما كنا نقود خيولنا لسقيها، سأل أودي: "سيدي، هل تمانع أن أركب مع السائق قليلًا؟ أود أن أستنشق بعض الهواء الطلق."

لقد سمح سري يوكتسوار بذلك، لكنه قال لي: "إنه يريد دخانًا نقيًا وليس هواءً نقيًا".

استأنفت اللانداو تقدمها الصاخب فوق الطرقات المتربة. كانت عينا سيدي تلمعان؛ فأشار إليّ: "ارفع رقبتك عبر باب العربة وانظر ماذا يفعل أودي بالهواء."

أطعتُ، واندهشتُ لرؤية أودي وهو يزفر حلقاتٍ من دخان السجائر. كانت نظرتي نحو سري يوكتسوار مُعتَذِرةً.

أنت محق، كالعادة يا سيدي. أودي يستمتع بنفخة من سيجارته مع منظر بانورامي. ظننتُ أن صديقي تلقى هدية من سائق التاكسي؛ كنتُ أعلم أن أودي لم يحمل معه أي سجائر من كلكتا.

واصلنا طريقنا المتعرّج، مُزيّنين بمناظر الأنهار والوديان والمنحدرات الشاهقة وسلاسل الجبال

المترامية الأطراف. كنا نتوقف كل ليلة في نُزُل ريفية، ونُعدّ طعامنا بأنفسنا. اهتمّ سري يوكتسوار بنظامي الغذائيّ اهتمامًا خاصًا، مُصرًّا على أن أتناول عصير الليمون في جميع الوجبات. كنت لا أزال ضعيفًا، لكنّني كنتُ أتحسن يوميًا، مع أنّ العربة المُزعجة كانت مُصمّمة خصيصًا للشعور بعدم الراحة.

امتلأت قلوبنا بتوقعات سعيدة مع اقترابنا من وسط كشمير، أرض الجنة ببحيرات اللوتس، والحدائق العائمة، والقوارب المنزلية المظللة بأناقة، ونهر جيلوم متعدد الجسور، والمراعي المزهرة، وكلها محاطة بجلال جبال الهيمالايا. كان طريقنا إلى سريناغار عبر...

شارعٌ مُحاطٌ بأشجارٍ شامخةٍ مُرحِّبة. استأجرنا غرفًا في نُزُلٍ من طابقين يُطلُّ على التلال الشامخة. لم تكن المياه الجارية مُتاحة، فاستعنا بها من بئرٍ قريبة. كان طقس الصيف مثاليًا، بأيامٍ دافئة وليالٍ باردةٍ بعض الشيء.

قمنا برحلة حج إلى معبد سوامي شانكارا العريق في سريناغار. وبينما كنتُ أُحدّق في الدير المُقام على قمة الجبل، مُتّقدًا بشجاعةٍ مُقابل السماء، غمرتني نشوةٌ من النشوة. تراءت لي رؤيةٌ لقصرٍ على قمة تلٍّ في أرضٍ بعيدة. تحوّل معبد شانكارا الشامخ أمامي إلى المبنى الذي أسستُ فيه، بعد سنوات، مقرّ زمالة تحقيق الذات في أمريكا. عندما

زرتُ لوس أنجلوس لأول مرة، ورأيتُ المبنى الكبير على قمة جبل واشنطن، تعرّفتُ عليه فورًا من رؤايَ القديمة في كشمير وأماكن أخرى.

بضعة أيام في سريناغار؛ ثم إلى جولمارج ("ممرات جبلية من الزهور")، التي ترتفع ستة آلاف قدم. هناك، ركبتُ حصانًا ضخمًا لأول مرة. ركب راجندرا حصانًا صغيرًا، كان قلبه مليئًا بالطموح للسرعة. غامرنا بدخول خيلانمارج شديد الانحدار؛ كان الطريق يمر عبر غابة كثيفة، مليئة بفطر الأشجار، حيث كانت المسارات التي يلفها الضباب محفوفة بالمخاطر في كثير من الأحيان. لكن حصان راجندرا الصغير لم يسمح لحصاني الضخم بالراحة ولو للحظة، حتى في أخطر المنعطفات. انطلق حصان راجندرا بلا كلل، غافلًا عن كل شيء إلا متعة المنافسة.

كُوفئ سباقنا الشاق بمنظرٍ خلاب. لأول مرة في حياتي، حدّقتُ في كل الاتجاهات في جبال الهيمالايا الشامخة المغطاة بالثلوج، متراصةً طبقاتٍ فوق طبقات كظلال دببة قطبية ضخمة. استمتعتُ بجمالٍ لا متناهٍ لجبال جليدية تمتدّ على سماء زرقاء مشمسة.

تدحرجتُ بمرح مع رفاقي الصغار، جميعهم يرتدون معاطف، على المنحدرات البيضاء المتلألئة. في رحلتنا النزولية، رأينا من بعيد سجادةً واسعةً من الزهور الصفراء، تُبدّل التلال الكئيبة تمامًا.

كانت رحلاتنا التالية إلى "حدائق المتعة" الملكية الشهيرة للإمبراطور جهانجير، في شاليمار ونيشات باغ. بُني القصر القديم في نيشات باغ مباشرةً فوق شلال طبيعي. يتدفق السيل من الجبال، وقد تم تنظيمه بأساليب مبتكرة ليتدفق فوق مصاطب ملونة ويتدفق في نوافير وسط أحواض الزهور المبهرة. يدخل التيار أيضًا العديد من غرف القصر، ليسقط في النهاية كالجن في البحيرة أسفله. تزخر الحدائق الشاسعة بالألوان - ورودٌ بعشرات الألوان، وزهور أنف العجل، والخزامى، والبنفسج، والخشخاش. تُحيط بها صفوفٌ متناسقة من أشجار الصينر، و21-2 شجرة سرو، وأشجار كرز؛ وخلفها، تَشْهَدُ حدائق الهيمالايا البيضاء.

يُعتبر عنب كشمير من الأطعمة الشهية النادرة في كلكتا. راجندرا، الذي كان يعد نفسه بوفرة عند وصوله إلى كشمير، خاب أمله لعدم وجود كروم عنب كبيرة هناك. كنتُ أحيانًا أسخر منه ساخرًا بسبب توقعاته غير المبررة.

"يا إلهي، لقد شبعتُ من العنب لدرجة أنني لا أستطيع المشي!" كنتُ أقول. "العنب الخفي ينضج في داخلي!" لاحقًا، سمعتُ أن العنب الحلو ينمو بكثرة في كابول، غرب كشمير. كنا نعزي أنفسنا بآيس كريم مصنوع من الرابري، وهو حليب مكثف.

بنكهة الفستق الكامل.

قمنا بعدة رحلات في الشيكاراس أو المراكب المنزلية، مظللة بمظلات مطرزة باللون الأحمر، نسير على طول قنوات بحيرة دال المعقدة، شبكة قنوات كشبكة عنكبوت مائية. هنا، تُدهشنا الحدائق العائمة العديدة، المُرتجلة ببراعة من جذوع الأشجار والتراب، لدرجة أن رؤية الخضراوات والبطيخ تنمو وسط مياه شاسعة تبدو متناقضة للوهلة الأولى. أحيانًا نرى فلاحًا، يزدري "التأصل في الأرض"، يجرّ قطعة أرضه المربعة إلى موقع جديد في البحيرة متعددة الأشجار.

في هذا الوادي العريق، يجد المرء تجسيدًا لكل جمال الأرض. سيدة كشمير، متوجة بالجبال، ومزينة بأكاليل البحيرات، ومزينة بالزهور. في سنوات لاحقة، وبعد أن زرت بلدانًا بعيدة، فهمت لماذا تُعتبر كشمير غالبًا أجمل بقعة في العالم. فهي تتمتع ببعض سحر جبال الألب السويسرية، وبحيرة لوخ لوموند في اسكتلندا، وبحيرات إنجلترا الخلابة. يجد المسافر الأمريكي في كشمير الكثير مما يذكره بعظمة ألاسكا الوعرة وقمة بايكس بيك بالقرب من دنفر.

كمشاركات في مسابقة جمال المناظر الطبيعية، أرشح للجائزة الأولى إما منظر زوتشيميلكو الخلاب في المكسيك، حيث تنعكس الجبال والسماء وأشجار الحور في ممرات مائية لا تُحصى وسط الأسماك المرحة، أو بحيرات كشمير الخلابة، التي

تحرسها جبال الهيمالايا بصرامة، كعذارى جميلات. هذان المكانان لا يزالان في ذاكرتي كأجمل بقاع الأرض.

ومع ذلك، شعرتُ بالرهبة أيضًا عندما رأيتُ لأول مرة عجائب منتزه يلوستون الوطني، وغراند كانيون في كولورادو وألاسكا. ربما يكون منتزه يلوستون هو المنطقة الوحيدة التي يُمكن للمرء فيها رؤية عدد لا يُحصى من الينابيع الحارة تتدفق عاليًا في الهواء، عامًا بعد عام بانتظامٍ مُستمر. تُذكرنا برك الأوبال والياقوت، وينابيع الكبريت الساخنة، ودببته ومخلوقاته البرية، بأن الطبيعة تركت هنا نموذجًا من أقدم إبداعاتها. وبينما كنتُ أقود سيارتي على طول طرق وايومنغ إلى "وعاء طلاء الشيطان" من الطين الساخن المتدفق، مع ينابيعه المتدفقة، ونوافيره البخارية، وينابيعه الحارة المتدفقة في كل اتجاه، كنتُ أميل إلى القول إن منتزه يلوستون يستحق جائزةً خاصةً لتميزه.

أشجار الخشب الأحمر العتيقة المهيبة في يوسمايت، تمتد أعمدتها الضخمة في سماءٍ لا تُسبر غورها، كاتدرائيات طبيعية خضراء مصممة بمهارةٍ إلهية. ورغم وجود شلالاتٍ رائعة في الشرق، إلا أن أياً منها لا يُضاهي جمال شلالات نياجرا الغزير قرب الحدود الكندية. كهوف الماموث في كنتاكي وكهوف كارلسباد في نيو مكسيكو، بتكويناتها الجليدية الملونة، تُعتبر عوالم خيالية خلابة. تُقدم إبرها

الطويلة من الصواعد، المتدلية من أسقف الكهوف والمنعكسة في المياه الجوفية، لمحةً عن عوالم أخرى كما تخيلها الإنسان.

معظم هندوس كشمير، المشهورين عالميًا بجمالهم، بيض البشرة كالأوروبيين، ويتشابهون في ملامحهم وبنيتهم العظمية؛ فكثير منهم ذو عيون زرقاء وشعر أشقر. يرتدون ملابس غربية، فيشبهون الأمريكيين. تحمي جبال الهيمالايا الباردة الكشميريين من حرارة الشمس وتحافظ على بشرتهم الفاتحة. كلما سافر المرء إلى خطوط العرض الجنوبية والاستوائية في الهند، يجد أن لون بشرتهم يزداد تدريجيًا.

بعد أسابيع سعيدة قضيتها في كشمير، اضطررت للعودة إلى البنغال لقضاء الفصل الدراسي الخريفي في كلية سيرامبور. بقي سري يوكتسوار في سريناغار مع كاناي وأودي. قبل مغادرتي، ألمح لي المعلم إلى أن جسده سيُعاني في كشمير.

"سيدي، أنت تبدو في حالة صحية جيدة،" احتججت.

"هناك احتمال أن أترك هذه الأرض."

يا غورو جي! سقطتُ عند قدميه متوسلاً. "أرجوك أن تعدني بأنك لن تغادر جسدك الآن. أنا غير مستعدة أبدًا للاستمرار بدونك."

كان سري يوكتسوار صامتًا، لكنه ابتسم لي بعطفٍ شديدٍ جعلني أشعر بالاطمئنان. فتركته على مضض.

"سيدي مريضٌ بشكلٍ خطير". وصلتني هذه البرقية من أودي بعد عودتي إلى سيرامبور بفترةٍ وجيزة.

"سيدي،" أرسلت إلى معلّمي بعصبية، "لقد طلبت منك وعدًا بعدم تركي. من فضلك احتفظ بجسدك، وإلا فسوف أموت أيضًا."

"ليكن كما تريد". كان هذا رد سري يوكتسوار من كشمير.

وصلتني رسالة من أودي بعد أيام قليلة، تُخبرني بتعافي المعلم. عند عودته إلى سيرامبور خلال الأسبوعين التاليين، حزنتُ عندما وجدتُ جسد معلّمي قد انخفض إلى نصف وزنه المعتاد.

لحسن حظ تلاميذه، أحرق سري يوكتسوار الكثير من خطاياهم في نار حمى شديدة في كشمير. يعرف اليوغيون المتقدمون الطريقة الميتافيزيقية لنقل الأمراض جسديًا. يستطيع الرجل القوي مساعدة الضعيف بمساعدته على حمل عبئه الثقيل؛ يستطيع الإنسان الروحي الخارق تخفيف الأعباء الجسدية أو العقلية عن تلاميذه بمشاركة كارما أفعالهم الماضية. وكما يخسر الرجل الغني بعض المال عندما يسدد دينًا كبيرًا لابنه الضال، فينجو بذلك من عواقب حماقته، كذلك يضحي المعلم

طوعًا بجزء من ثروته الجسدية لتخفيف بؤس تلاميذه. 21-3

بطريقة سرية، يوحّد اليوغي عقله وجسده النجمي بعقل وجسد شخص يعاني؛ فينتقل المرض، كليًا أو جزئيًا، إلى جسد القديس. بعد أن يحصد المعلم الله في المجال المادي، لا يكترث بما يحدث لذلك الجسد. مع أنه قد يسمح له بتسجيل مرض معين لتخفيف آلام الآخرين، إلا أن عقله لا يتأثر أبدًا؛ فهو يعتبر نفسه محظوظًا لقدرته على تقديم هذه المساعدة.

يجد المُتعبّد الذي نال الخلاص النهائي في الرب أن جسده قد حقق غايته تمامًا؛ ويمكنه حينئذٍ استخدامه بأي طريقة يراها مناسبة. عمله في العالم هو تخفيف أحزان البشرية، سواءً بالوسائل الروحية أو بالمشورة الفكرية أو بقوة الإرادة أو بالانتقال الجسدي للأمراض. بالهروب إلى الوعي الفائق متى شاء، يمكن للمعلم أن يظل غافلًا عن المعاناة الجسدية؛ وأحيانًا...

يختار أن يتحمل آلام الجسد بصبر، ليكون قدوة لتلاميذه. بتحمله آلام الآخرين، يستطيع اليوغي أن يُرضي، نيابةً عنهم، قانون السبب والنتيجة الكارمي. هذا القانون فعال ميكانيكيًا أو رياضيًا؛ ويمكن لرجال الحكمة الإلهية التلاعب بآلياته علميًا.

لا يشترط القانون الروحي أن يمرض المعلم كلما شفى شخصًا آخر. عادةً ما تتم عمليات الشفاء من خلال معرفة القديس بأساليب علاجية فورية متنوعة لا تنطوي على أي أذى للمعالج الروحي. ومع ذلك، في حالات نادرة، قد يُمارس المعلم، الذي يرغب في تسريع تطور تلاميذه، طوعًا قدرًا كبيرًا من الكارما غير المرغوب فيها على جسده.

قدّم يسوع نفسه كفدية عن خطايا كثيرين. بفضل قواه الإلهية، ما كان جسده ليُسلَب لو لم يتعاون طوعًا مع قانون السبب والنتيجة الكوني الدقيق. وهكذا تحمّل عواقب كرمة الآخرين، وخاصةً كرمة تلاميذه. وبهذه الطريقة، تطهّروا تمامًا وأصبحوا مؤهلين لتلقي الوعي الكلي الذي نزل عليهم لاحقًا.

وحده المعلم المُدرك لذاته يستطيع نقل قوة حياته، أو نقل أمراض الآخرين إلى جسده. لا يستطيع الإنسان العادي استخدام هذه الطريقة اليوغية في العلاج، وليس من المستحسن أن يفعل ذلك؛ لأن أي أداة جسدية غير سليمة تُعيق التأمل في الله. تُعلّم الكتب المقدسة الهندوسية أن الواجب الأول للإنسان هو الحفاظ على صحة جسده، وإلا فلن يتمكن عقله من البقاء مُركزًا على التدين.

مع ذلك، يستطيع العقل القويّ أن يتجاوز كل الصعوبات الجسدية ويصل إلى إدراك الله. تجاهل العديد من القديسين المرض ونجحوا في مسعاهم

الإلهي. القديس فرنسيس الأسيزي، الذي عانى من أمراضٍ شديدة، شفى الآخرين، بل وأقام الموتى.

كنت أعرف قديسًا هنديًا، كان نصف جسده يومًا ما مليئًا بالقروح. كانت حالته السكرية حادة لدرجة أنه في الظروف العادية لم يكن يستطيع الجلوس ساكنًا لأكثر من خمس عشرة دقيقة. لكن طموحه الروحي كان لا يُقهر. كان يدعو: "يا رب، هل ستأتي إلى معبدي المكسور؟" بفضل إرادته القوية، أصبح القديس قادرًا تدريجيًا على الجلوس يوميًا في وضعية اللوتس لمدة ثماني عشرة ساعة متواصلة، غارقًا في نشوة النشوة.

"ثم،" قال لي، "في نهاية ثلاث سنوات، وجدتُ النور اللانهائي يتوهج في جسدي المحطم. فرحًا بهذا البهجة البهيجة، نسيتُ الجسد. لاحقًا، رأيتُ أنه أصبح سليمًا بفضل الرحمة الإلهية."

حادثة شفاء تاريخية تتعلق بالملك بابر (١٤٨٣-١٥٣٠)، مؤسس إمبراطورية المغول في الهند. كان ابنه الأمير همايون مريضًا مرضًا مميتًا. دعا الأب بعزمٍ مُلحٍّ أن يُشفى من المرض، وأن يُنجي ابنه. بعد أن فقد جميع الأطباء الأمل، شُفي همايون. مرض بابر على الفور وتوفي بنفس المرض الذي أصاب ابنه. خلف همايون بابر إمبراطورًا على الهند.

يظن كثيرون أن كل معلم روحي يتمتع، أو ينبغي أن يتمتع، بصحة وقوة ساندو. هذا الافتراض عارٍ من

الصحة. فالجسم المريض لا يدل على أن المعلم الروحي ليس على تواصل.

بالقوى الإلهية، كما أن الصحة الدائمة لا تدل بالضرورة على استنارة داخلية. بمعنى آخر، لا يجوز اعتبار حالة الجسد المادي اختبارًا لمعلم. بل يجب البحث عن مؤهلاته المميزة في مجاله الخاص، أي في مجاله الروحي.

يعتقد العديد من الباحثين الحائرين في الغرب خطأً أن المتحدث أو الكاتب الفصيح في الميتافيزيقيا لا بد أن يكون مُلِمًّا. إلا أن الحكماء أشاروا إلى أن الاختبار الحقيقي للمُلِم هو قدرة الإنسان على الدخول بإرادته في حالة انقطاع النفس، والحفاظ على حالة السكون التام (السمادهي) التي تُعرف بالنيربيكالبا. 21-5 بهذه الإنجازات فقط، يُمكن للإنسان أن يُثبت أنه "أتقن" المايا أو الوهم الكوني الثنائي. هو وحده القادر على القول من أعماق الإدراك: "إيكام سات" - "لا يوجد إلا واحد".

"تُعلن الفيدا أن الجاهل الذي يكتفي بأدنى تمييز بين الروح الفردية والذات العليا مُعرَّض للخطر. فحيثما توجد ازدواجية بفعل الجهل، يرى المرء كل شيء منفصلاً عن الذات. وعندما يُنظر إلى كل شيء على أنه الذات، فلا يبقى سوى الذات...".

"بمجرد ظهور معرفة الحقيقة، لا يمكن أن تكون هناك ثمار لأفعال الماضي يمكن تجربتها، بسبب

عدم واقعية الجسد، بنفس الطريقة كما لا يمكن أن يكون هناك حلم بعد الاستيقاظ."

وحدهم المعلمون الروحيون العظماء قادرون على تحمل عاقبة تلاميذهم. ما كان سري يوكتسوار ليعاني في كشمير لولا إذن روحه القابعة في داخله بمساعدة تلاميذه بهذه الطريقة الغريبة. قلّما كان القديسون أكثر امتلاكًا للحكمة لتنفيذ الأوامر الإلهية من سيدي المُتَّقِن.

وعندما حاولت أن أقول بضع كلمات من التعاطف مع شخصيته الهزيلة، قال لي معلّمي بمرح:

"إنها لها نقاطها الجيدة؛ فأنا قادر الآن على ارتداء بعض الغانجي (القمصان الداخلية) الصغيرة التي لم أرتديها منذ سنوات!"

عندما استمعت إلى ضحكة المعلم المرحة، تذكرت كلمات القديس فرانسيس دي سال: "القديس الحزين هو قديس حزين!"

21-1: في الهند، يعتبر التدخين أمام كبار السن والرؤساء علامة على عدم الاحترام.

21-2: شجرة الدلب الشرقي..

21-3: إن العديد من القديسين المسيحيين، ومن بينهم تيريز نيومان (انظر الفصل 39)، على دراية بالانتقال الميتافيزيقي للمرض.

٤-٢١: قال المسيح، قبيل اقتياده إلى الصلب: "أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشًا من الملائكة؟ فكيف تتحقق الكتب: أنه هكذا ينبغي أن يكون؟" - متى ٢٦: ٥٣-٥٤.

5-21: انظر الفصلين 26 و43 من الملاحظات.

الفصل: 22

صورة قلب الحجر

كزوجة هندوسية مخلصة، لا أرغب في الشكوى من زوجي. لكنني أتوق إلى رؤيته يتخلى عن آرائه المادية. إنه يستمتع بالسخرية من صور القديسين في غرفة التأمل الخاصة بي. أخي العزيز، لديّ إيمان عميق بأنك قادر على مساعدته. هل ستفعل؟

نظرت إليّ أختي الكبرى روما بتوسل. كنتُ أزورها في منزلها الكائن في شارع جيريش فيدياراتنا في كلكتا. تأثرتُ بتوسلها، فقد كان لها تأثير روحي عميق على طفولتي، وسعت جاهدةً لملء الفراغ الذي خلّفه رحيل أمي في محيط العائلة.

"أختي الحبيبة، بالطبع سأفعل أي شيء أستطيعه." ابتسمت، راغبًا في إزالة الكآبة الواضحة على وجهها، على النقيض من تعبيرها الهادئ والمبهج المعتاد.

جلستُ أنا وروما لبعض الوقت في صمتٍ ندعو الله أن يهدينا. قبل عام، طلبت مني أختي أن أُعلّمها الكريا يوغا، وقد أحرزت فيها تقدمًا ملحوظًا.

غمرني إلهام. قلتُ: "غدًا، سأذهب إلى معبد داكشينسوار. أرجوكِ تعالي معي، وأقنعي زوجكِ بمرافقتنا. أشعرُ أن الأم الإلهية، في اهتزازات ذلك المكان المقدس، ستلمس قلبه. لكن لا تُفصحي عن هدفنا في إرادته بالذهاب."

وافقت الأخت بأمل. في صباح اليوم التالي، سررتُ جدًا عندما وجدتُ روما وزوجها مستعدين للرحلة. وبينما كانت عربتنا تُصدر صوتًا مزعجًا على طول الطريق الدائري العلوي باتجاه داكشينسوار، كان صهري، ساتيش تشاندرا بوس، يُسلي نفسه بالسخرية من المعلمين الروحيين في الماضي والحاضر والمستقبل. لاحظتُ أن روما كانت تبكي بهدوء.

كنيسة تحقيق الذات لجميع الأديان، سان دييغو، كاليفورنيا

أنا أقف مع أختيّ، روما (على اليسار) وناليني

أختي أوما، عندما كانت فتاة صغيرة

همستُ: "يا أختي، اطمئني! لا تُقنعي زوجكِ بأننا نأخذ سخريته على محمل الجد."

قال ساتيش: "موكوندا، كيف تُعجبُ بالخداع التافه؟". "مظهرُ الراهبِ نفسه مُقزِّز. إما أن يكونَ نحيفًا كالهيكلِ العظمي، أو سمينًا كالفيل!"ـ

صرختُ ضاحكًا. أزعج ردة فعلي اللطيفة ساتيش، فانسحب في صمتٍ عابس. وعندما دخلت سيارتنا الأجرة إلى ساحة داكشينسوار، ابتسم بسخرية.

"أعتقد أن هذه الرحلة هي خطة لإصلاحي؟"

وبينما استدرتُ دون رد، أمسك بذراعي وقال: "أيها الراهب الشاب، لا تنسَ أن تُجري الترتيبات اللازمة مع سلطات المعبد لتوفير وجبة الغداء لنا."

سأتأمل الآن. لا تقلق بشأن غدائك، أجبتُ بحدة. ستعتني به الأم الإلهية.

لا أثق في أن الأم الإلهية ستفعل شيئًا من أجلي. لكنني أعتبركِ مسؤولة عن طعامي. كان صوت ساتيش مُهددًا.

توجهتُ وحدي إلى القاعة ذات الأعمدة المطلة على معبد كالي الكبير، أو الأم الطبيعة. اخترتُ مكانًا مظللًا بالقرب من أحد الأعمدة، ووضعتُ جسدي في وضعية اللوتس. مع أن الساعة كانت حوالي السابعة مساءً، إلا أن شمس الصباح كانت ستُصبح خانقة قريبًا.

انحسرت الدنيا عني وأنا غارقٌ في التعبد. كان ذهني منصبًّا على الإلهة كالي، التي كانت صورتها في

داكشينيسوار موضع عبادةٍ خاصٍّ للمعلم العظيم، سري راماكريشنا باراماهانسا. واستجابةً لمطالبه المُلحّة، أُزيلت الصورة الحجرية لهذه الإلهة.

وكان المعبد قد اتخذ في كثير من الأحيان شكلًا حيًا وتحدث معه.

"يا أمنا الصامتة ذات القلب الحجري،" صليت، "لقد امتلأت بالحياة بناءً على طلب مخلصك الحبيب راماكريشنا؛ لماذا لا تستمعين أيضًا إلى صراخ ابنك المتوق هذا؟"

ازداد حماسي الطموح بلا حدود، مصحوبًا بسلام إلهي. ومع ذلك، بعد مرور خمس ساعات، ولم تُجب الإلهة التي كنتُ أتخيلها في داخلي، شعرتُ ببعض الإحباط. أحيانًا يكون تأخير تلبية الدعاء اختبارًا من الله. لكنه في النهاية يظهر للمُتعبّد المُثابر في أي صورة يُحبّها. يرى المسيحي المُتدين يسوع؛ ويرى الهندوسي كريشنا، أو الإلهة كالي، أو نورًا مُمتدًا إذا اتخذت عبادته منحىً غير شخصي.

فتحت عينيّ على مضض، فرأيت كاهنًا يُغلق أبواب المعبد، كعادةٍ في الظهيرة. نهضتُ من مقعدي المنعزل تحت القاعة المفتوحة المسقوفة، ودخلتُ الفناء. كانت أرضيته الحجرية تلسعها شمس الظهيرة، وشعرتُ بحروقٍ مؤلمة في قدميّ العاريتين.

"يا أمي الإلهية،" اعترضت في صمت، "لم تأتِ إليّ في رؤيا، وأنتِ الآن مختبئة في الهيكل خلف الأبواب المغلقة. أردتُ أن أقدم لكِ صلاة خاصة اليوم نيابةً عن صهري."

استُجيبَ لدعوتي الداخلية على الفور. في البداية، غمرتني موجة بردٍ عذبة على ظهري وتحت قدمي، مُبددةً كلَّ انزعاج. ثم، ولدهشتي، تَضخَّم المعبد بشكلٍ هائل. فُتح بابه الكبير ببطء، كاشفًا عن تمثالٍ حجريٍّ للإلهة كالي. تحوّل تدريجيًا إلى هيئةٍ حية، تُومئ برأسها مُبتسمةً مُرحِّبةً، مُبهجةً إياي فرحةً لا تُوصف. وكأنما سُحِبَت أنفاسي من رئتيّ بواسطة حقنةٍ غامضة؛ وأصبح جسدي ساكنًا للغاية، وإن لم يكن خاملًا.

أعقب ذلك توسعٌ مُبهجٌ في الوعي. استطعتُ الرؤية بوضوحٍ لأميالٍ عديدةٍ فوق نهر الجانج إلى يساري، وما وراء المعبد إلى كامل حرم داكشينسوار. تلألأت جدران جميع المباني بشفافيةٍ، ومن خلالها رأيتُ الناس يمشون جيئةً وذهاباً عبر أفدنةٍ بعيدة.

رغم أنني كنتُ لاهثًا وجسدي في حالة هدوء غريبة، إلا أنني تمكنتُ من تحريك يديّ وقدميّ بحرية. لعدة دقائق، جرّبتُ إغلاق عينيّ وفتحهما؛ وفي كلتا الحالتين، رأيتُ بانوراما داكشينسوار بأكملها بوضوح.

البصر الروحي، كشعاع سين، يخترق كل مادة؛ العين الإلهية مركز في كل مكان، لا محيط لها في أي مكان. أدركتُ من جديد، وأنا أقف هناك في الفناء المشمس، أنه عندما يتوقف الإنسان عن كونه ابنًا ضالًا لله، منغمسًا في عالم مادي، بل حلم، بلا أساس كفقاعة، فإنه يرث عوالمه الأبدية. إذا كان "الهروب" حاجةً للإنسان، المكبل بشخصيته الضيقة، فهل يُضاهي أي هروب عظمة الحضور الكلي؟

في تجربتي المقدسة في داكشينيسوار، كانت الأشياء الوحيدة المكبرة بشكل غير عادي هي

المعبد وشكل الإلهة. كل شيء آخر بدا في أبعاده الطبيعية، مع أن كل شيء كان محاطًا بهالة من ألوان قوس قزح الباهتة والناعمة - الأبيض والأزرق وألوان قوس قزح الباستيل. بدا جسدي أثيريًا، مستعدًا للطفو. واعيًا تمامًا بمحيطي المادي، كنت أنظر حولي وأخطو بضع خطوات دون أن أزعج استمرارية هذه الرؤية الهانئة.

خلف جدران المعبد، لمحتُ فجأةً صهري جالسًا تحت أغصان شجرة بل المقدسة الشائكة. استطعتُ بسهولةٍ تمييز مسار أفكاره. كان مُفعمًا بالتفاؤل إلى حدٍّ ما تحت تأثير داكشينسوار المقدس، ومع ذلك كان عقله يحمل تأملاتٍ قاسيةً عني. التفتُّ مباشرةً إلى شكل الإلهة اللطيف.

"يا أمي الإلهية،" صليت، "هل يمكنك تغيير زوج أختي روحياً؟"

وأخيراً تحدثت الشخصية الجميلة، التي كانت صامتة حتى ذلك الحين: "لقد تحققت رغبتك!"

نظرتُ إلى ساتيش بسعادة. وكأنه أدرك غريزيًا وجود قوة روحية تعمل، نهض من مقعده على الأرض باستياء. رأيته يركض خلف المعبد؛ اقترب مني وهو يهز قبضته.

اختفت الرؤية الشاملة. لم أعد أرى الإلهة المجيدة؛ تقلص المعبد الشامخ إلى حجمه المعتاد، بلا شفافية. ارتجف جسدي مرة أخرى تحت أشعة الشمس الحارقة. قفزتُ إلى ملجأ القاعة ذات الأعمدة، حيث لاحقني ساتيش بغضب. نظرتُ إلى ساعتي. كانت الواحدة ظهرًا؛ دامت الرؤية الإلهية ساعة.

يا أحمق، قال صهري، "لقد جلستَ هناك متربعًا وعيناك حولان لست ساعات. كنتُ أراقبك ذهابًا وإيابًا. أين طعامي؟ الآن المعبد مغلق؛ لقد أخفقت في إبلاغ السلطات؛ تُركنا بلا غداء!"

كان النشوة التي شعرت بها بحضور الإلهة لا تزال تنبض في قلبي. تشجعتُ لأهتف: "الأم الإلهية ستطعمنا!"

ثار ساتيش غضبًا. صرخ قائلًا: "مرةً واحدةً وإلى الأبد، أودّ أن أرى والدتكِ الإلهية تُقدّم لنا الطعام هنا دون ترتيباتٍ مسبقة!"

لم ينطق بكلماته إلا عندما عبر أحد كهنة المعبد الفناء وانضم إلينا.

يا بني، قال لي، "كنتُ ألاحظ وجهك يتوهج بهدوء خلال ساعات التأمل. رأيتُ وصول جماعتك هذا الصباح، وشعرتُ برغبة في توفير ما يكفي من الطعام لغدائك. من المخالف لقواعد المعبد إطعام من لم يطلب مسبقًا، لكنني استثنيتُك."

شكرته، ونظرت مباشرة في عيني ساتيش. احمرّ وجهه من شدة التأثر، وأخفض بصره في ندم صامت. عندما قُدّمت لنا وجبة فاخرة، تضمنت مانجو خارج موسمها، لاحظت أن شهية صهري كانت ضئيلة. كان في حيرة من أمره، غارقًا في بحر من الأفكار. في رحلة العودة إلى كلكتا، قال ساتيش، بوجهٍ خافت،

كان ينظر إليّ من حين لآخر متوسلاً. لكنه لم ينطق بكلمة واحدة بعد اللحظة التي ظهر فيها الكاهن ليدعونا للغداء، كما لو كان يردّ مباشرةً على تحدي ساتيش.

في عصر اليوم التالي، زرتُ أختي في منزلها، فاستقبلتني بحفاوة.

"أخي العزيز"، صرخت، "يا لها من معجزة! الليلة الماضية بكى زوجي علانية أمامي.

يا حبيبي، قال: "أنا سعيدٌ للغاية لأن خطة أخيك الإصلاحية هذه قد أحدثت تغييرًا جذريًا. سأُصلح كل خطأ ارتكبته بحقك. من الليلة سنستخدم غرفة نومنا الكبيرة كمكان للعبادة فقط؛ وستُحوّل غرفة تأملك الصغيرة إلى غرفة نومنا. أنا آسفٌ بصدقٍ لأنني سخرتُ من أخيك. على طريقتي المشينة في التصرف، سأعاقب نفسي بعدم التحدث إلى موكوندا حتى أتقدم في الطريق الروحي. سأبحث بعمق عن الأم الإلهية من الآن فصاعدًا؛ لا بد أن أجدها يومًا ما!"

بعد سنوات، زرتُ صهري في دلهي. غمرتني السعادة عندما رأيتُ أنه قد نما بشكل كبيرٍ في إدراكه لذاته، ونال نعمة رؤية الأم الإلهية. خلال إقامتي معه، لاحظتُ أن ساتيش كان يقضي معظم لياليه سرًا في تأمل إلهي، رغم معاناته من مرض خطير، وانشغاله خلال النهار في مكتبه.

خطرت لي فكرة أن عمر صهري لن يكون طويلاً. لا بد أن روما قد قرأ أفكاري.

قالت: "أخي العزيز، أنا بخير، وزوجي مريض. ومع ذلك، أريدك أن تعلم أنني، كزوجة هندوسية مخلصة، سأكون أول من يموت. 22-2 لن يمر وقت طويل قبل أن أرحل".

دهشتُ من كلماتها المشؤومة، لكنني أدركتُ صدقها. كنتُ في أمريكا عندما توفيت أختي، بعد عام تقريبًا من نبوءتها. أخبرني أخي الأصغر بيشنو لاحقًا بالتفاصيل.

أخبرني بيشنو: "كان روما وساتيش في كلكتا وقت وفاتها. في ذلك الصباح، ارتدت فستان زفافها الفاخر.

"لماذا هذا الزي الخاص؟" سأل ساتيش.

أجابت روما: «هذا آخر يوم لي في خدمتك على الأرض». وبعد فترة وجيزة، أصيبت بنوبة قلبية. وبينما كان ابنها يهرع للمساعدة، قالت:

يا بني، لا تتركني. لا جدوى من ذلك؛ سأرحل قبل وصول الطبيب. بعد عشر دقائق، وهي تحتضن قدمي زوجها باحترام، غادرت روما جسدها بوعي، سعيدةً ودون معاناة.

"أصبح ساتيش منعزلاً للغاية بعد وفاة زوجته"، تابع بيشنو. "في أحد الأيام، كنا أنا وهو

أنظر إلى صورة كبيرة لروما وهي مبتسمة.

صرخ ساتيش فجأةً، وكأن زوجته حاضرة: «لماذا تبتسم؟ تظن أنك كنت ذكيًا في ترتيب ذهابك قبلي. سأثبت لك أنك لن تستطيع البقاء بعيدًا عني طويلًا؛ سألحق بك قريبًا».

"على الرغم من أن ساتيش كان قد تعافى تمامًا من مرضه في ذلك الوقت، وكان يتمتع بصحة ممتازة، إلا أنه توفي دون سبب واضح بعد وقت قصير من ملاحظته الغريبة قبل الصورة."

وهكذا انتقلت نبويًا أختي الكبرى الحبيبة روما وزوجها ساتيش - الذي تحول في داكشينسوار من رجل دنيوي عادي إلى قديس صامت.

22-1: إلهة.

22-2: تعتقد الزوجة الهندوسية أن موتها قبل زوجها هو علامة على التقدم الروحي، كدليل على خدمتها المخلصة له، أو "الموت في السرج".

الفصل: 23

حصلت على شهادتي الجامعية

أنت تتجاهل واجباتك المدرسية في الفلسفة. لا شك أنك تعتمد على حدسٍ مُرهق لاجتياز الامتحانات. لكن ما لم تُجتهد بطريقةٍ علميةٍ أكثر، فسأحرص على ألا تنجح في هذه المادة.

كان البروفيسور دي سي غوشال من كلية سيرامبور يخاطبني بصرامة. إذا لم أجتز اختباره الكتابي النهائي، فلن أكون مؤهلاً لدخول الامتحانات النهائية. تُعدّ هذه الامتحانات من قِبل هيئة التدريس في جامعة كلكتا، التي تُعدّ كلية سيرامبور من بين فروعها التابعة. يجب على الطالب في الجامعات

الهندية الذي لا ينجح في مادة واحدة في الامتحانات النهائية لشهادة الثانوية العامة (AB) أن يُعيد امتحان جميع مواده في العام التالي.

كان أساتذتي في كلية سيرامبور يعاملونني عادةً بلطف، لا يشوبه تسامحٌ مُسَلِّي. "موكوندا مُسْتَفِزٌّ قليلاً بالدين". باختصار، لقد جَنَّبوني بلباقةٍ إحراجَ الإجابة على أسئلة الفصل؛ وثقوا بأن الاختبارات الكتابية النهائية ستُقصِيني من قائمة مُرشَّحي شهادة البكالوريوس. وقد عبَّر زملائي الطلاب عن حكمهم عليَّ بلقبهم الذي أطلقوه عليَّ: "الراهب المجنون".

اتخذتُ خطوةً ذكيةً لإبطال تهديد البروفيسور غوشال لي بالرسوب في الفلسفة. عندما اقتربت نتائج الاختبارات النهائية من الإعلان، طلبتُ من أحد زملائي مرافقتي إلى مكتب البروفيسور.

«تعال، أريد شاهدًا»، قلتُ لرفيقي. «سأشعر بخيبة أمل كبيرة إن لم أنجح في التفوق على المدرب».

هز البروفيسور غوشال رأسه بعد أن سألته عن التقييم الذي أعطاه لبحثي.

قال منتصرًا: "لستَ من الناجحين". ثمّ فتش كومةً كبيرةً على مكتبه. "ورقتك غير موجودة هنا إطلاقًا؛ لقد رسبت، على أي حال، لعدم حضورك الامتحان".

ضحكتُ بخفة. "سيدي، كنتُ هناك. هل يُمكنني إلقاء نظرة على الكومة بنفسي؟"

ارتبك الأستاذ، فأذن لي؛ فوجدتُ ورقتي بسرعة، حيثُ حذفتُ بعناية أي علامة تعريف باستثناء رقمي في قائمة الحضور. ودون أن يُنذرني "الراية الحمراء" التي تُشير إلى اسمي، منح المُدرّس تقييمًا عاليًا لإجاباتي، رغم أنها لم تُزيّنها اقتباسات من الكتب الدراسية. ٢٣-١

بعد أن اكتشف خدعتي، هتف قائلًا: "يا له من حظٍّ عاثر!" وأضاف بأمل: "من المؤكد أنك ستفشل في نهائيات AB."

بالنسبة لاختبارات موادي الأخرى، تلقيتُ بعض التوجيه، وخاصةً من صديقي العزيز وابن عمي، برابهس تشاندرا غوش، ابن عمي سارادا، الذي يبلغ طوله ٢٣ قدمًا و٢ بوصة. اجتزتُ جميع اختباراتي النهائية بشق الأنفس، ولكن بنجاح، وحصلتُ على أقلّ درجات ممكنة.

الآن، بعد أربع سنوات من الدراسة الجامعية، أصبحتُ مؤهلاً لخوض امتحانات شهادة البكالوريوس. مع ذلك، لم أتوقع قطّ أن أحظى بهذا الامتياز. كانت الامتحانات النهائية في كلية سيرامبور سهلةً مقارنةً بالامتحانات الصارمة التي ستُجريها جامعة كلكتا لشهادة البكالوريوس. لم تُتح لي زياراتي شبه اليومية لسري يوكتسوار سوى القليل

من الوقت لدخول قاعات الكلية. هناك، كان حضوري، لا غيابي، هو ما أثار دهشة زملائي!

كان روتيني المعتاد أن أركب دراجتي حوالي التاسعة والنصف صباحًا. أحمل في إحدى يدي هديةً لمعلمي - بضع أزهار من حديقة مسكني في بانثي. يحييني المعلم بود، ويدعوني لتناول الغداء. كنت أقبله دائمًا بصدر رحب، سعيدًا بتبديد فكرة الدراسة الجامعية لهذا اليوم. بعد ساعات مع سري يوكتسوار، أستمع إلى فيض حكمته التي لا تُضاهى، أو أساعد في واجبات الأشرم، كنت أغادر على مضض حوالي منتصف الليل إلى بانثي. أحيانًا كنت أقضي الليل كله مع معلمي، منغمسًا في حديثه بسعادة غامرة لدرجة أنني بالكاد لاحظت حلول الظلام فجرًا.

في إحدى الليالي حوالي الساعة الحادية عشرة، بينما كنت أرتدي حذائي الساعة 23-3 استعدادًا للرحلة إلى المنزل الداخلي، سألني سيدي بجدية.

متى تبدأ امتحانات AB الخاصة بك؟

"بعد خمسة أيام، سيدي."

"آمل أن تكون مستعدًا لهم."

من شدة الفزع، رفعتُ حذائي في الهواء. "سيدي"، احتججتُ، "أنت تعلم كيف قضيتُ أيامي معك لا مع

الأساتذة. كيف لي أن أمثلَ مهزلةً بالظهور في تلك الامتحانات النهائية الصعبة؟"

وجّه سري يوكتسوار نظره نحوي بنظرات حادة. "يجب أن تحضر." كانت نبرته حازمة وباردةً. "لا ينبغي أن نمنح والدك وأقاربك الآخرين سببًا لانتقاد اختيارك لحياة الأشرم. فقط وعدني بحضورك الامتحانات؛ وأجب عنها بأفضل ما يمكنك."

انهمرت دموعي بغزارة. شعرتُ أن أمرَ السيد غير معقول، وأن اهتمامه، على أقل تقدير، متأخرٌ جدًا.

قلتُ وسط شهقاتي: "سأحضر إن شئت. لكن لم يبقَ وقتٌ للتحضير الجيد". تمتمتُ في نفسي: "سأملأ الأوراق بتعاليمك ردًا على الأسئلة!"

عندما دخلتُ إلى المُعتكف في اليوم التالي في ساعتي المعتادة، قدّمتُ باقة زهوري بجلالٍ حزين. ضحك سري يوكتسوار من حزني الشديد.

"موكوندا، هل خذلك الرب في الامتحان أو في أي مكان آخر؟"

"لا يا سيدي،" أجبتُ بحرارة. تدفقت الذكريات الممتنة في سيلٍ مُنعش.

قال لي معلّمي بلطف: "ليس الكسل، بل الحماس الشديد لله، هو ما منعك من السعي وراء مرتبة الشرف الجامعية". وبعد صمت، اقتبس: "اطلبوا أولًا ملكوت الله وبره، وهذه كلها تُزاد لكم". ٢٣-٤

للمرة الألف، شعرتُ براحةٍ في حضرة المعلم. بعد أن انتهينا من غداءنا المبكر، اقترح عليّ العودة إلى البانثي.

"هل صديقك، روميش تشاندرا دوت، لا يزال يعيش في منزلك الداخلي؟"

"نعم سيدي."

"تواصل معه، وسوف يلهمه الرب لمساعدتك في الامتحانات."

حسنًا يا سيدي، لكن روميش مشغولٌ على غير العادة. إنه الرجل الأبرز في صفنا، ويحمل رتبةً أعلى من الآخرين.

لوّح المعلم باعتراضاتي جانبًا. "سيجد روميش وقتًا لك. الآن اذهب."

عدتُ إلى بانثي بالدراجة. كان أول شخص قابلته في مجمع السكن الداخلي هو روميش، العالم. وكأن أيامه كانت خالية، وافق على طلبي المتردد.

"بالتأكيد، أنا في خدمتك." أمضى عدة ساعات من تلك الظهيرة والأيام التالية في تدريبي على مختلف المواد الدراسية.

أعتقد أن العديد من أسئلة الأدب الإنجليزي ستتمحور حول تشايلد هارولد، قال لي. "يجب أن نحصل على أطلس فورًا."

أسرعتُ إلى منزل عمي سارادا واستعرتُ أطلسًا. وضع روميش علامات على خريطة أوروبا للأماكن التي زارها رحالة بايرون الرومانسي.

اجتمع بعض زملائي للاستماع إلى الدروس الخصوصية. علّق أحدهم عليّ في نهاية إحدى الجلسات: "روميش يُخطئ في نصحك. عادةً ما تكون خمسون بالمائة فقط من الأسئلة متعلقة بالكتب؛ أما النصف الآخر فيتعلق بحياة المؤلفين".

عندما جلستُ لامتحان الأدب الإنجليزي في اليوم التالي، جعلتني أول نظرة على الأسئلة أذرف دموع الامتنان، بللت ورقتي. جاء مراقب الفصل إلى مكتبي وسألني بتعاطف.

تنبأ معلّمي أن روميش سيساعدني، شرحتُ. انظروا؛ الأسئلة التي أملاها عليّ روميش موجودة هنا في ورقة الامتحان! لحسن حظي، هناك أسئلة قليلة جدًا هذا العام عن المؤلفين الإنجليز، الذين يكتنف الغموض حياتهم، من وجهة نظري!

كان مسكني الداخلي يعجّ بالضجة عند عودتي. نظر إليّ الطلاب الذين كانوا يسخرون من أسلوب روميش التدريبي بدهشة، وكادوا يصمّون آذانهم بالتهاني. خلال أسبوع الامتحانات، قضيت ساعات طويلة مع روميش، الذي كان يصوغ أسئلةً ظنّ أن الأساتذة سيضعونها. يومًا بعد يوم، كانت أسئلة

روميش تظهر بنفس الشكل تقريبًا في أوراق الامتحان.

انتشر الخبر على نطاق واسع في الكلية بأن ما يشبه المعجزة كان يحدث، وأن نجاح "الراهب المجنون" الغائب عن الوعي يبدو محتملاً. لم أحاول إخفاء حقائق القضية. كان الأساتذة المحليون عاجزين عن تغيير الأسئلة التي رتبتها جامعة كلكتا.

بينما كنتُ أفكّر في امتحان الأدب الإنجليزي، أدركتُ ذات صباح أنني ارتكبتُ خطأً فادحًا. قُسِّمَ جزءٌ من الأسئلة إلى قسمين: أ أو ب، و ج أو د. وبدلًا من الإجابة عن سؤالٍ واحدٍ من كلِّ قسم، أجبتُ بإهمالٍ عن سؤالي المجموعة الأولى، ولم أُفكّر في أيِّ شيءٍ في المجموعة الثانية. أفضلُ علامةٍ يُمكنني الحصولُ عليها في تلك الورقة هي ٣٣، أي أقلَّ بثلاثِ درجاتٍ من علامةِ النجاحِ البالغةِ ٣٦. هرعتُ إلى الماجستيرِ وسكبتُ جهدي.

يا سيدي، لقد ارتكبتُ خطأً فادحًا لا يُغتفر. لا أستحقّ البركات الإلهية من خلال روميش؛ أنا لا أستحقّها إطلاقًا.

"ابتهج يا موكوندا." كانت نبرة سري يوكتسوار خفيفة وغير مكترثة. وأشار إلى قبة السماء الزرقاء. "من الأرجح أن تتبادل الشمس والقمر مواقعهما في الفضاء، بدلاً من أن تفشل في الحصول على شهادتك!"

غادرتُ المُنْتَزِلَ في حالةٍ أكثر هدوءًا، مع أنَّ مروري بدا مستحيلًا رياضيًا. نظرتُ إلى السماءِ مرةً أو مرتينِ بقلقٍ؛ فبدا لي ربُّ النهارِ مُستقرًّا في مدارِهِ المُعتاد!

عندما وصلت إلى البانتي، سمعت ملاحظة أحد زملائي في الفصل: "لقد علمت للتو أنه هذا العام، وللمرة الأولى، تم تخفيض العلامة المطلوبة للنجاح في الأدب الإنجليزي".

دخلتُ غرفة الصبي بسرعةٍ جعلته ينظر إليّ بفزع. سألته بلهفة.

قال ضاحكًا: "يا راهب طويل الشعر، لماذا هذا الاهتمام المفاجئ بالأمور الدراسية؟ لماذا البكاء في اللحظة الأخيرة؟ صحيح أن علامة النجاح قد خُفِّضت للتو إلى ٣٣ نقطة."

لقد أخذتني بعض القفزات المبهجة إلى غرفتي الخاصة، حيث غرقت على ركبتي وأشادت بالكمالات الرياضية لأبي الإلهي.

كنت أشعر كل يوم بنشوةٍ غامرةٍ بوعيٍ بوجودٍ روحيٍّ أحسستُ بوضوحٍ أنه يرشدني خلال روميش. وقعت حادثةٌ مهمةٌ تتعلق بامتحان اللغة البنغالية. اتصل بي روميش، الذي لم يتطرق كثيرًا إلى هذا الموضوع، ذات صباحٍ وأنا أغادر السكن الداخلي في طريقي إلى قاعة الامتحان.

قال لي أحد زملائي بفارغ الصبر: "روميش يناديك. لا تعد، سنتأخر في القاعة."

متجاهلة النصيحة، عدت راكضا إلى المنزل.

قال لي روميش: "عادةً ما يجتاز أبناؤنا البنغاليون امتحان اللغة البنغالية بسهولة. لكنني شعرتُ للتو أن الأساتذة هذا العام يخططون لإبادة الطلاب بطرح أسئلة من أدبنا القديم". ثم استعرض صديقي بإيجاز قصتين من حياة فيدياساغار، فاعل الخير الشهير.

شكرتُ روميش وركبتُ دراجتي بسرعة إلى قاعة الكلية. تبيّن أن ورقة امتحان اللغة البنغالية تحتوي على جزأين. كان التعليم الأول: "اكتب مثالين عن أعمال فيدياساغار الخيرية". وبينما كنتُ أنقل إلى الورقة المعلومات التي اكتسبتها مؤخرًا، همستُ ببضع كلمات شكر لاستجابتي لدعوة روميش في اللحظة الأخيرة. لو كنتُ جاهلًا بعطاءات فيدياساغار للبشرية (بما في ذلك نفسي في نهاية المطاف)، لما نجحتُ في امتحان اللغة البنغالية. لو رسبتُ في مادة واحدة، لاضطررتُ إلى إعادة الامتحان في جميع المواد في العام التالي. كان هذا الاحتمال مُثيرًا للاشمئزاز، وهو أمر مفهوم.

كان التوجيه الثاني على الورقة: "اكتب مقالاً باللغة البنغالية عن حياة الرجل الذي ألهمك أكثر من غيره". أيها القارئ الكريم، لستُ بحاجة لإخبارك

بالرجل الذي اخترته لموضوعي. وبينما كنتُ أقرأ صفحةً تلو الأخرى بثناءٍ على معلّمي، ابتسمتُ لأدرك أن تنبؤي الذي تمتمتُ به قد تحقق: "سأملأ الأوراق بتعاليمك!"

لم أكن أرغب في سؤال روميش عن دراستي للفلسفة. وثقةً بتدريبي الطويل على يد سري يوكتسوار، تجاهلتُ شروحات الكتب الدراسية بثقة. كانت أعلى درجة مُنحت لأيٍّ من أوراقي هي درجة الفلسفة. أما درجتي في جميع المواد الأخرى فكانت بالكاد قريبة من درجة النجاح.

يسعدني أن أسجل أن صديقي غير الأناني روميش حصل على شهادته الجامعية بامتياز مع مرتبة الشرف.

كان والدي مُكللاً بالابتسامات عند تخرجي. اعترف قائلًا: "لم أتوقع أبدًا أن تنجح يا موكوندا. أنت تقضي وقتًا طويلًا مع مُعلّمك". لقد أدرك المعلم بالفعل النقد الضمني لوالدي.

لسنوات، كنتُ غير متأكد من أنني سأرى يومًا ما أُمنح لقب AB. نادرًا ما أستخدم هذا اللقب دون أن أُدرك أنه هبة إلهية، مُنحتُها لأسبابٍ غامضة نوعًا ما. أحيانًا أسمع طلابًا جامعيين يُشيرون إلى أن القليل جدًا من معارفهم المُتراكمة لم يبقَ معهم بعد التخرج. هذا الاعتراف يُعزيني قليلًا على قصوري الأكاديمي الواضح.

في اليوم الذي حصلت فيه على شهادتي من جامعة كلكتا، ركعت عند قدمي معلّمي وشكرته على كل النعم التي تدفقت من حياته إلى حياتي.

"انهض يا موكوندا"، قال بنبرة متسامحة. "لقد وجد الرب أن منحك شهادة التخرج أنسب من أن يعيد ترتيب الشمس والقمر!"

٢٣-١: عليّ أن أُنصف البروفيسور غوشال بالاعتراف بأن توتر علاقتنا لم يكن بسببه، بل بسبب غيابي عن المحاضرات وعدم انتباهي لها. كان البروفيسور غوشال، ولا يزال، خطيبًا بارعًا ذا معرفة فلسفية واسعة. وفي السنوات اللاحقة، توصلنا إلى تفاهم ودي.

23-2: على الرغم من أنني وابن عمي لدينا نفس اسم العائلة وهو غوش، إلا أن برابهاس اعتاد على كتابة اسمه باللغة الإنجليزية باسم غوش؛ لذلك أتبع تهجئته الخاصة هنا.

23-3: يخلع التلميذ حذائه دائمًا في الملجأ الهندي.

23-4: متى 6: 33.

الفصل: 24

أصبحت راهبًا في نظام سوامي

يا سيدي، كان والدي حريصًا على قبولي منصبًا تنفيذيًا في سكة حديد بنغال-ناغبور. لكنني رفضته رفضًا قاطعًا. أضفتُ بأمل: "سيدي، ألا تجعلني راهبًا

في الرهبنة السوامية؟" نظرتُ إلى معلّمي متوسلًا. خلال السنوات السابقة، ولاختبار مدى عزمي، رفض هذا الطلب نفسه. أما اليوم، فقد ابتسم لي برقة.

حسنًا، غدًا سأُدخلك في عالم السُّوام. تابع بهدوء: "أنا سعيدٌ بإصرارك على رغبتك في أن تصبح راهبًا. لطالما قال لاهيري ماهاسايا: "إن لم تدعُ الله ليكون ضيفك الصيفي، فلن يأتي في شتاء حياتك".

"سيدي العزيز، لا يمكنني أبدًا أن أتردد في هدفي المتمثل في الانتماء إلى نظام سوامي مثلك الموقر." ابتسمت له بمودة لا حدود لها.

«غير المتزوج يهتم بما للرب، كيف يُرضي الرب. أما المتزوج فيهتم بأمور الدنيا، كيف يُرضي زوجته.» ٢٤-١ لقد حللتُ حياة العديد من أصدقائي الذين تزوجوا بعد خضوعهم لبعض التدريبات الروحية. إذ غرقوا في بحر المسؤوليات الدنيوية، نسوا عزمهم على التأمل العميق.

كان منح الله مكانةً ثانويةً في الحياة، بالنسبة لي، أمرًا لا يُصدَّق. فمع أنه المالك الوحيد للكون، يُغدِق علينا بسخاءٍ من حياةٍ إلى حياة، يبقى شيءٌ واحدٌ لا يملكه، وكلُّ قلبٍ بشريٍّ مُخوَّلٌ بحجبه أو منحه: محبة الإنسان. الخالق، ببذله جهودًا لا تُحصى لإخفاء حضوره بغموضٍ في كلِّ شيء.

ذرة من ذرات الخلق، لم يكن لها إلا دافع واحد - رغبةٌ مُلحةٌ في أن يسعى البشر إليه فقط من خلال

الإرادة الحرة. بأيِّ قفازٍ مخمليٍّ من كلِّ تواضعٍ لم يُغطِّ يد القدرة المطلقة الحديدية!

كان اليوم التالي من أكثر الأيام التي لا تُنسى في حياتي. أتذكر أنه كان يوم خميس مشمسًا في يوليو ١٩١٤، بعد أسابيع قليلة من تخرجي من الجامعة. على الشرفة الداخلية لدير سيرامبور، غمس المعلم قطعة جديدة من الحرير الأبيض في صبغة المغرة، اللون التقليدي للرهبنة السوامية. بعد أن جفّ القماش، لفّه معلمي حولي كرداءٍ للرافضين.

قال: «ستذهبون يومًا ما إلى الغرب، حيث يُفضّل الحرير. وكرمزٍ لذلك، اخترت لكم هذا الحرير بدلًا من القطن المُعتاد».

في الهند، حيث يعتنق الرهبان مبدأ الفقر، يُعدّ رؤية سوامي يرتدي الحرير مشهدًا غير مألوف. مع ذلك، يرتدي العديد من اليوغيين ملابس من الحرير، الذي يحافظ على بعض التيارات الجسدية الدقيقة بشكل أفضل من القطن.

قال سري يوكتسوار: "أنا أكره الاحتفالات. سأجعلك سواميًا في البدوات".

"بطريقة غير احتفالية."

تتضمن البيبيديسا، أو التنشئة المُتقنة في السوايمة، مراسم نار تُقام خلالها طقوس جنازة رمزية. يُصوَّر جسد التلميذ ميتًا، يُحرق في لهيب الحكمة. ثم يُلقى

على السوامي المُصبح حديثًا ترنيمة، مثل: "هذا الأتما هو براهما" 24-2 أو "أنت هو" أو "أنا هو". إلا أن سري يوكتسوار، لحبه للبساطة، استغنى عن جميع الطقوس الرسمية، وطلب مني فقط اختيار اسم جديد.

"سأمنحك امتياز اختياره بنفسك"، قال مبتسما.

"يوغاناندا"، أجبتُ بعد لحظة تفكير. الاسم يعني حرفيًا "النعيم (أناندا) من خلال الاتحاد الإلهي (يوغا)".

"فليكن كذلك. بالتخلي عن اسم عائلتك موكوندا لال غوش، من الآن فصاعدًا سيتم استدعاؤك يوغاناندا من فرع جيري من نظام سوامي."

بينما ركعتُ أمام سري يوكتسوار، وسمعته ينطق اسمي الجديد لأول مرة، فاض قلبي امتنانًا. كم بذل من جهدٍ دؤوبٍ ومحبّ، ليتحول الفتى موكوندا يومًا ما إلى الراهب يوغاناندا! أنشدتُ بفرحٍ بعض الأبيات من ترنيمة اللورد شانكارا السنسكريتية الطويلة:

"لا عقل، ولا فكر، ولا أنا، ولا شعور؛ أنا السماء ولا الأرض ولا المعادن. أنا هو، أنا هو، أيها الروح المبارك، أنا هو! لا ميلاد، لا موت، ولا طبقة لي؛ لا أب، ولا أم، ليس لي. أنا هو، أنا هو، أيها الروح المبارك، أنا هو! وراء مغامرات الخيال، أنا بلا شكل، أتخلل أطراف كل حياة؛ لا أخشى العبودية؛ أنا حر،

حر إلى الأبد، أنا هو، أنا هو، أيها الروح المبارك، أنا هو!"

ينتمي كل سوامي إلى الرهبانية القديمة التي نظّمها شانكارا في شكلها الحالي. ٢٤-٣ ولأنها رهبنة رسمية، ذات سلسلة متصلة من الممثلين القديسين الذين يعملون كقادة فاعلين، لا يجوز لأي إنسان أن يُطلق على نفسه لقب سوامي. فهو لا يحصل عليه إلا من سوامي آخر؛ وبالتالي، يُرجع جميع الرهبان نسبهم الروحي إلى معلم روحي واحد، هو اللورد شانكارا. ومن خلال نذور الفقر والعفة والطاعة للمعلم الروحي، تُشبه العديد من الرهبانيات المسيحية الكاثوليكية رهبنة السوامي.

بالإضافة إلى اسمه الجديد، الذي ينتهي عادةً بـ "أناندا"، يتخذ السوامي لقبًا يدل على ارتباطه الرسمي بأحد الفروع العشرة لرهبنة السوامي. هذه الداسانامیس أو

عشرة ألقاب تشمل جيري (الجبل)، الذي ينتمي إليه سري يوكتسوار، ومن ثمّ أنا. ومن الفروع الأخرى ساجار (البحر)، بهاراتي (الأرض)، أرانيا (الغابة)، بوري (المنطقة)، تيرثا (مكان الحج)، وساراسواتي (حكمة الطبيعة).

إن الاسم الجديد الذي يتلقاه السوامي له أهمية مزدوجة، فهو يمثل بلوغ النعيم الأعظم (أناندا) من خلال بعض الصفات أو الحالات الإلهية - الحب،

الحكمة، الإخلاص، الخدمة، اليوغا - ومن خلال الانسجام مع الطبيعة، كما تتجلى في اتساعها اللانهائي من المحيطات والجبال والسموات.

إن مُثُلَ خدمة البشرية جمعاء بإيثار، والتخلي عن الروابط الشخصية والطموحات، يدفع غالبية السواميين إلى الانخراط بنشاط في العمل الإنساني والتعليمي في الهند، أو أحيانًا في بلدان أجنبية. متجاهلين جميع التحيزات الطبقية أو المذهبية أو الطبقية أو اللون أو الجنس أو العرق، يتبع السوامي مبادئ الأخوة الإنسانية. هدفه هو الوحدة المطلقة مع الروح. مُشبعًا وعيه اليقظ والمنم بفكرة "أنا هو"، يتجول راضيًا، في العالم لا منه. وهكذا وحده يُمكنه تبرير لقبه "سوامي" - أي الشخص الذي يسعى إلى تحقيق الوحدة مع السوا أو الذات. وغني عن القول إن ليس كل من يحمل لقبًا رسميًا من السواميين متساوٍ في النجاح في تحقيق هدفه الأسمى.

كان سري يوكتسوار سوامي ويوغي في آنٍ واحد. السوامي، وهو راهبٌ رسميًا بحكم صلته بالنظام القديم، ليس بالضرورة يوغيًا. كل من يمارس أسلوبًا علميًا للتواصل مع الله هو يوغي؛ قد يكون متزوجًا أو غير متزوج، إما رجلًا دنيويًا أو ذا روابط دينية رسمية. قد يتبع السوامي فقط طريق التفكير الجاف والتخلي البارد؛ لكن اليوغي ينخرط في إجراء محدد خطوة بخطوة يتم من خلاله تأديب

الجسد والعقل وتحرير الروح. لا يأخذ اليوغي أي شيء كأمر مسلم به لأسباب عاطفية أو إيمانية، ويمارس سلسلة من التمارين المختبرة بدقة والتي رسمها لأول مرة الحكماء الأوائل. لقد أنتجت اليوغا، في كل عصر من عصور الهند، رجالًا أصبحوا أحرارًا حقًا، مسيحيين يوغيين حقًا.

كأي علم آخر، تُناسب اليوغا الناس في كل زمان ومكان. إن النظرية التي يطرحها بعض الكُتّاب الجهلاء بأن اليوغا "غير مناسبة للغربيين" نظرية خاطئة تمامًا، وقد حالت للأسف دون سعي العديد من الطلاب المخلصين وراء بركاتها العديدة. اليوغا طريقة لكبح جماح اضطراب الأفكار الطبيعي، الذي يمنع جميع البشر، في جميع أنحاء العالم، من إدراك جوهر روحهم الحقيقي. لا تعرف اليوغا حاجزًا بين الشرق والغرب، تمامًا كما لا يعرف نور الشمس الشافي والمنصف. ما دام الإنسان يمتلك عقلًا نابضًا بأفكاره المضطربة، ستظل هناك حاجة عالمية لليوغا أو التحكم.

- بقلم بي كيه ميترا في "كاليانا-كالباتور"

الرب في مظهره كشيفا

شيفا، ليس شخصية تاريخية ككريشنا، بل هو الاسم الذي يُطلق على الإله في آخر جوانب طبيعته الثلاثية (الخالق-الحافظ-المدمر). شيفا، مُبيد المايا أو الوهم، مُمثل رمزيًا في الكتب المقدسة بسيد

المُتخلِّصين، ملك اليوغيين. في الفن الهندوسي، يُصوَّر دائمًا مع الهلال في شعره، مرتديًا إكليلًا من الثعابين المُقلَّعة، رمزًا قديمًا للتغلب على الشر والحكمة الكاملة. عين العليم "الوحيدة" مفتوحة على جبهته.

يُعرّف الراشي القديم باتانجالي "اليوغا" بأنها "التحكم في تقلبات العقل". 24-4 تُشكّل شروحاته القصيرة والبارعة، "يوغا سوترا"، أحد الأنظمة الفلسفية الهندوسية الستة. 24-5 على عكس الفلسفات الغربية، تُجسّد الأنظمة الهندوسية الستة ليس فقط التعاليم النظرية، بل أيضًا التعاليم العملية. بالإضافة إلى كل بحث وجودي يُمكن تصوره، تُشكّل الأنظمة الستة ستة تخصصات مُحددة تهدف إلى الإزالة الدائمة للمعاناة وتحقيق النعيم الأبدي.

الرابط المشترك بين الأنظمة الستة هو التأكيد على استحالة نيل الإنسان حرية حقيقية دون معرفة الحقيقة المطلقة. وتؤكد الأوبانيشاد المتأخرة على أن يوغا سوترا، من بين الأنظمة الستة، تحتوي على أنجع الطرق لتحقيق الإدراك المباشر للحقيقة. ومن خلال أساليب اليوغا العملية، يترك الإنسان وراءه إلى الأبد عوالم التكهنات القاحلة، ويدرك بالتجربة الجوهر الحقيقي.

يُعرف نظام اليوغا، كما حدده باتانجالي، بالمسار الثماني. تتطلب الخطوتان الأوليتان، (١) ياما و(٢)

نياما، مراعاة عشر قيم أخلاقية سلبية وإيجابية: تجنب إيذاء الآخرين، والكذب، والسرقة، وضبط النفس، وقبول الهدايا (الذي يترتب عليه التزامات)؛ ونقاء الجسد والعقل، والرضا، وضبط النفس، والدراسة، والتفاني في سبيل الله.

الخطوات التالية هي (3) أسانا (الوضع الصحيح)؛ يجب إبقاء العمود الفقري مستقيمًا، والجسم ثابتًا في وضع مريح للتأمل؛ (4) براناياما (السيطرة على برانا، تيارات الحياة الدقيقة)؛ و(5) براتياهارا (سحب الحواس من الأشياء الخارجية).

الخطوات الأخيرة هي أشكال اليوغا الصحيحة: (٦) دارانا (التركيز)؛ تركيز الذهن على فكرة واحدة؛ (٧) ديانا (التأمل)؛ و(٨) سامادهي (الإدراك الفائق). هذا هو المسار الثماني لليوغا ٢٤-٦ الذي يقود المرء إلى الهدف النهائي، كايفاليا (الإطلاقية)، وهو مصطلح يمكن تفسيره بشكل أوضح بأنه "إدراك الحقيقة التي تتجاوز كل إدراك فكري".

قد يتساءل المرء: "أيهما أعظم؟ السوامي أم اليوغي؟" فإذا تحققت الوحدة النهائية مع الله، زالت الفروقات بين مختلف المسارات. إلا أن البهاغافاد غيتا تُشير إلى أن أساليب اليوغا شاملة. فتقنياتها لا تقتصر على أنواع وأمزجة معينة، مثل القلة التي تميل إلى الحياة الرهبانية؛ فاليوغا لا تتطلب أي ولاء رسمي. ولأن علم اليوغا يُلبي حاجة عالمية، فإنه يتمتع بإمكانية تطبيق عالمية طبيعية.

يمكن لليوغي الحقيقي أن يبقى ملتزمًا في الدنيا؛ فهو هناك كالزبدة على الماء، وليس كالحليب السهل الذوبان لبشرية غير مُخضَّبة وغير منضبطة. إن الوفاء بمسؤوليات المرء الدنيوية هو بالفعل الطريق الأسمى، شريطة أن يُؤدي اليوغي دوره كأداة طوعية لله، محافظًا على هدوء ذهنه مع الرغبات الأنانية.

هناك عدد من النفوس العظيمة، التي تعيش اليوم في أجساد أمريكية أو أوروبية أو غيرها من الحضارات غير الهندوسية، والذين، وإن لم يسمعوا قط بكلمة يوغي وسوامي، إلا أنهم يُمثلون مثالاً يُحتذى به. بفضل خدمتهم النزيهة للبشرية، أو بسيطرتهم على الأهواء والأفكار، أو بحبهم الصادق لله، أو بقدراتهم العظيمة على التركيز، فهم، بمعنى ما، يوغيون؛ لقد وضعوا لأنفسهم هدفًا يتمثل في ضبط النفس باليوغا. بإمكان هؤلاء الرجال أن يرتقوا إلى آفاق أعلى لو تعلموا علم اليوغا الدقيق، الذي يُمكّن من توجيه العقل والحياة بوعي أكبر.

لقد أساء بعض الكُتّاب الغربيين فهم اليوغا ظاهريًا، لكن منتقديها لم يكونوا يومًا من ممارسيها. من بين العديد من الإشادات المدروسة لليوغا، يمكن ذكر إشادة للدكتور سي جي يونغ، عالم النفس السويسري الشهير.

عندما تُصنّف طريقة دينية نفسها على أنها "علمية"، يُمكنها أن تكون على يقين من جمهورها في الغرب.

واليوغا تُلبّي هذا التوقع، كما كتب الدكتور يونغ. 24-7 "بصرف النظر عن سحر الجديد، وفتنة ما هو غير مفهوم، هناك سبب وجيه لوجود العديد من المُتبعين لليوغا. فهي تُتيح إمكانية تجربة يُمكن التحكم بها، وبالتالي تُلبي الحاجة العلمية إلى "الحقائق"، بالإضافة إلى ذلك، وبفضل اتساعها وعمقها، وعمرها العريق، وعقيدتها ومنهجها، اللذين يشملان كل مرحلة من مراحل الحياة، فإنها تُبشّر بإمكانيات لم تكن في الحسبان.

كل ممارسة دينية أو فلسفية تعني انضباطًا نفسيًا، أي طريقة للنظافة العقلية. كما أن الإجراءات الجسدية البحتة المتعددة لليوغا ٢٤-٨ تعني أيضًا نظافة فسيولوجية تتفوق على الجمباز العادي وتمارين التنفس، لأنها ليست آلية وعلمية فحسب، بل فلسفية أيضًا؛ ففي تدريبها لأجزاء الجسم،

يوحدهم مع الروح بأكملها، كما هو واضح تمامًا، على سبيل المثال، في تمارين براناياما حيث برانا هو التنفس والديناميكيات العالمية للكون.

عندما يكون ما يفعله الفرد حدثًا كونيًا، فإن التأثير الذي يُختبر في الجسم (التعصيب) يتحد مع عاطفة الروح (الفكرة الكونية)، وينشأ عن ذلك وحدة حيوية لا يمكن لأي تقنية، مهما كانت علمية، أن تُنتجها. ممارسة اليوغا أمرٌ لا يُتصور، بل ستكون عديمة الفائدة، بدون المفاهيم التي تقوم عليها. إنها تجمع

بين الجسد والروح بطريقة متكاملة بشكلٍ استثنائي.

في الشرق، حيث تطورت هذه الأفكار والممارسات، وحيث أسس تقليدٌ متواصلٌ لآلاف السنين الأسس الروحية اللازمة، تُعدّ اليوغا، كما أؤمن، الطريقة الأمثل والمناسبة لدمج الجسد والعقل معًا، ليشكلا وحدةً لا تقبل الشك. هذه الوحدة تخلق استعدادًا نفسيًا يُمكّن من ظهور حدسٍ يتجاوز الوعي.

إن العصر الغربي يقترب بالفعل، حيث سيصبح علم ضبط النفس الباطني ضروريًا بقدر أهمية غزو الطبيعة من الخارج. سيشهد هذا العصر الذري الجديد يقظة عقول البشر وتوسع مداركهم بفضل الحقيقة العلمية القاطعة، وهي أن المادة في الواقع مركز للطاقة. إن قوى العقل البشري الأدق قادرة، بل يجب عليها، على تحرير طاقات أعظم من تلك الموجودة في الأحجار والمعادن، خشية أن يُطلق العملاق الذري المادي العنان حديثًا، ويُدمر العالم تدميرًا أعمى. 24-9

24-1: 1 كورنثوس 7: 32-33.

٢٤-٢: حرفيًا، "هذه النفس روح". الروح الأسمى، غير المخلوق، غير مشروط تمامًا (نيتي، نيتي، ليس هذا، وليس ذاك)، ولكن يُشار إليه غالبًا في الفيدانتا باسم سات-تشيت-أناندا، أي الوجود-الذكاء-النعيم.

٢٤-٣: يُطلق عليه أحيانًا اسم شانكاراشاريا. آشاريا تعني "المعلم الديني". يُعد تاريخ شانكارا محورًا للجدل المدرسي المعتاد. تشير بعض السجلات إلى أن هذا الموحدي الفذ عاش بين عامي ٥١٠ و٤٧٨ قبل الميلاد؛ بينما يُرجعه المؤرخون الغربيون إلى أواخر القرن الثامن الميلادي. سيجد القراء المهتمون بشرح شانكارا الشهير لبراهما سوترا ترجمة إنجليزية دقيقة في كتاب الدكتور بول ديوسن "نظام الفيدانتا" (شيكاغو: شركة أوبن كورت للنشر، ١٩١٢). ستجدون مقتطفات قصيرة من كتاباته في كتاب "الأعمال المختارة لسري شانكاراشاريا" (ناتيسان وشركاه، مدراس).

٢٤-٤: "تشيتا فريتي نيرودا" - يوغا سوترا ١:٢. تاريخ باتانجالي غير معروف، مع أن عددًا من العلماء يُرجّحون أنه عاش في القرن الثاني قبل الميلاد. قدّم الحكماء أطروحات في جميع المواضيع ببصيرة ثاقبة عجزت العصور عن تجاوزها؛ ومع ذلك، مما أثار استياء المؤرخين لاحقًا، لم يبذل الحكماء أي جهد لربط تواريخهم وشخصياتهم بأعمالهم الأدبية. كانوا يعلمون أن حياتهم لا تُعدّ ذات أهمية مؤقتة إلا كمضات من الحياة العظمى اللانهائية؛ وأن الحقيقة خالدة، يستحيل تسجيلها كعلامة تجارية، وليست ملكًا خاصًا بهم.

٢٤-٥: الأنظمة الأرثوذكسية الستة (سادارسانا) هي سانخيا، ويوجا، وفيدانتا، وميمامسا، ونيايا،

وفايسيسيكا. سيستمتع القراء ذوو التوجه العلمي بتفاصيل هذه الصياغات القديمة ونطاقها الواسع، كما لخّصها، باللغة الإنجليزية، البروفيسور سوريندرانات داس جوبتا (مطبعة جامعة كامبريدج، ١٩٢٢) في كتابه "تاريخ الفلسفة الهندية"، المجلد الأول.

24-6: لا ينبغي الخلط بينه وبين "الطريق النبيل الثماني" للبوذية، وهو دليل لسلوك الإنسان في الحياة، على النحو التالي: (1) المثل العليا الصحيحة، (2) الدافع الصحيح، (3) الكلام الصحيح، (4) العمل الصحيح، (5) وسائل العيش الصحيحة، (6) الجهد الصحيح، (7) التذكر الصحيح (للذات)، (8) الإدراك الصحيح (السامادهي).

24-7: حضر الدكتور جونج المؤتمر العلمي الهندي في عام 1937 وحصل على درجة فخرية من جامعة كلكتا.

24-8: يشير الدكتور يونج هنا إلى هاثا يوغا، وهو فرع متخصص من أوضاع الجسم وتقنيات الصحة و

طول العمر. الهاثا مفيد، ويُنتج نتائج بدنية مذهلة، لكن هذا الفرع من اليوغا نادرًا ما يستخدمه اليوغيون الذين يسعون إلى التحرر الروحي.

٢٤-٩: في قصة أطلانطس لأفلاطون في محاورة طيماوس، يروي أفلاطون تطور المعرفة العلمية لدى سكانها. يُعتقد أن القارة المفقودة اختفت

حوالي عام ٩٥٠٠ قبل الميلاد نتيجة كارثة طبيعية؛ إلا أن بعض الكُتّاب الميتافيزيقيين يزعمون أن الأطلنطيين قد دُمروا نتيجة سوء استخدامهم للقوة الذرية. وقد جمع كاتبان فرنسيان مؤخرًا قائمةً ببليوغرافية لأطلانطس، تضم أكثر من ١٧٠٠ مرجع تاريخي وغير تاريخي.

الفصل: 25

الأخ أنانتا والأخت ناليني

"أنانتا لا يستطيع أن يعيش؛ لقد نفدت رمال الكارما الخاصة به في هذه الحياة."

وصلت هذه الكلمات الحاسمة إلى أعماقي ذات صباح وأنا أتأمل بعمق. بعد انضمامي إلى نظام السوامي بفترة وجيزة، زرت مسقط رأسي، غوراخبور، ضيفًا على أخي الأكبر أنانتا. مرض مفاجئ ألزمه الفراش، فرعته بحب.

ملأني هذا النطق الداخلي المهيب حزنًا. شعرتُ أنني لا أطيق البقاء في غوراخبور لفترة أطول، لأرى أخي يُبعد أمام ناظري الحائر. وسط انتقادات لاذعة من أقاربي، غادرتُ الهند على متن أول قارب متاح. أبحر القارب عبر بورما وبحر الصين إلى اليابان. نزلتُ في كوبي، حيث لم أقضِ سوى بضعة أيام. كان قلبي ثقيلًا جدًا على مشاهدة المعالم السياحية.

في رحلة العودة إلى الهند، رست السفينة في شنغهاي. هناك، رافقني الدكتور ميسرا، طبيب السفينة، إلى عدة متاجر للتحف، حيث اخترت هدايا متنوعة لسري يوكتسوار وعائلتي وأصدقائي. اشتريتُ لأنانتا قطعة خيزران كبيرة منحوتة. ما إن ناولني البائع الصيني قطعة الخيزران التذكارية حتى أسقطتها على الأرض، وصرختُ: "اشتريتُ هذه لأخي العزيز الراحل!"

اجتاحني إدراكٌ واضحٌ بأن روحه تتحرر في اللانهائي. تصدّع التذكارُ بشكلٍ حادٍّ ورمزيّ بسقوطه؛ فبينما كنتُ أبكي، كتبتُ على سطح الخيزران: "إلى حبيبي أنانتا، رحل الآن".

وكان رفيقي الطبيب يراقب هذه الإجراءات بابتسامة ساخرة.

"احتفظي بدموعكِ"، قال. "لماذا تذرفينها حتى تتأكدي من وفاته؟"

عندما وصل قاربنا إلى كلكتا، رافقني الدكتور ميسرا مرة أخرى. وكان أخي الأصغر بيشنو ينتظرني عند الرصيف.

"أعلم أن أنانتا قد رحل عن هذه الحياة"، قلتُ لبيشنو قبل أن يتسنى له الكلام. "أرجوك أن تخبرني، أنا والطبيب هنا، متى توفي أنانتا".

لقد أطلق بيشنو على هذا التاريخ اسمًا، وهو نفس اليوم الذي اشتريت فيه الهدايا التذكارية في شنغهاي.

"انظروا هنا!" صرخ الدكتور ميسرا. "لا تدع أي كلمة من هذا تنتشر! سيضيف الأساتذة سنة دراسية في التخاطر العقلي إلى المقرر الطبي، وهي مدة كافية بالفعل!"

عانقني أبي بحرارة وأنا أدخل منزلنا في طريق غوربار. قال بحنان: "لقد أتيتِ". انهمرت دمعتان غزيرتان من عينيه. لم يسبق له أن أبدى لي هذه الدلالات من قبل، فهو أبٌ جادٌّ في ظاهره، وقلب أمٍّ حنون. في جميع تعاملاته مع العائلة، كان دوره الأبوي المزدوج جليًا.

بعد وفاة أنانتا بفترة وجيزة، أُعيدت أختي الصغرى ناليني من على شفا الموت بفضل شفاء إلهي. قبل أن أروي القصة، سأشير إلى بعض مراحل حياتها السابقة.

لم تكن علاقتي بناليني في طفولتي سعيدة. كنتُ نحيفًا جدًا؛ وكانت أنحف. بدافع لا شعوري أو "عقدة" يصعب على الأطباء النفسيين تحديدها، كنتُ كثيرًا ما أسخر من أختي بشأن مظهرها الشاحب. كانت ردودها تتسم بنفس القدر من الصراحة القاسية التي تميز شبابًا متطرفًا. أحيانًا

كانت أمي تتدخل، منهيةً شجارات الطفولة، مؤقتًا، بلكمة خفيفة على أذني، كما تفعل الأم الأكبر سنًا.

مرّ الوقت؛ فخطبت ناليني لطبيب شاب من كلكتا، يُدعى بانشانون بوس. تلقّى مهرًا سخيًا من أبي، على الأرجح (كما ذكرتُ للأخت) لتعويض العريس عن مصيره بالتحالف مع عمود فاصولياء بشري.

أُقيمت مراسم الزواج المُتقنة في الوقت المُناسب. في ليلة الزفاف، انضممتُ إلى مجموعة كبيرة من الأقارب المُرحّبين في غرفة معيشة منزلنا في كلكتا. كان العريس مُتكئًا على وسادة ضخمة مُطرزة بالذهب، ونالينى إلى جانبه. لم يستطع ساري حريري أرجواني فاخر (25-1)، للأسف، إخفاء ملامحها الحادة تمامًا. احتميتُ خلف وسادة صهري الجديد وابتسمتُ له ابتسامةً ودودة. لم يكن قد رأى نالينى قط حتى يوم الزفاف، عندما علم أخيرًا بما سيحصل عليه في يانصيب الزواج.

وبشعور مني بالتعاطف، أشار الدكتور بوس بهدوء إلى نالينى، وهمس في أذني، "قولي، ما هذا؟"

"حسنًا، يا دكتور،" أجبت، "إنه هيكل لملاحظتك!"

لقد كنا أنا وزوجي في حالة من البهجة والسرور، وكان من الصعب علينا أن نحافظ على النظام اللائق أمام أقاربنا المجتمعين.

مع مرور السنين، أصبح الدكتور بوس عزيزًا على عائلتنا، الذين كانوا يلجأون إليه كلما مرضوا. أصبحنا أنا وهو أصدقاء مقربين، وكثيرًا ما كنا نمزح، وعادةً ما كنا نستهدف ناليني.

قال لي صهري ذات يوم: "إنها فضول طبي. لقد جربت كل شيء على أختك النحيفة - زيت كبد سمك القد، والزبدة، والشعير، والعسل، والسمك، واللحم، والبيض، والمنشطات. ومع ذلك، لم ينتفخ جسمها ولو لجزء من مئة من البوصة". ضحكنا كلانا.

بعد بضعة أيام، زرتُ منزل آل بوز. لم تستغرق مهمتي هناك سوى دقائق معدودة؛ كنتُ أغادر، دون أن تُلاحظني ناليني، كما ظننتُ. عندما وصلتُ إلى الباب الأمامي، سمعتُ صوتها، ودودًا ولكنه آمر.

يا أخي، تعال هنا. لن تفلتني هذه المرة. أريد التحدث إليك.

صعدتُ الدرج إلى غرفتها. ولدهشتي، كانت تبكي.

قالت: "يا أخي العزيز، دعنا ندفن الأحقاد القديمة. أرى أن قدميك الآن راسختان على الطريق الروحي. أريد أن أصبح مثلك في كل شيء." وأضافت بأمل: "أنت الآن قوي البنية؛ هل يمكنك مساعدتي؟ زوجي لا يقترب مني، وأنا أحبه كثيرًا! ولكنني أريد أكثر من ذلك أن أتقدم في طريق

إدراك الله، حتى لو اضطررت للبقاء نحيفة وغير جذابة."

لقد تأثر قلبي بشدة لتوسلها. تطورت صداقتنا الجديدة تدريجيًا؛ وفي يوم من الأيام طلبت مني أن تصبح تلميذتي.

دربني كما شئت. أثق بالله لا بالمنشطات. جمعت حفنة من الأدوية وسكبتها في بالوعة السقف.

كاختبار لإيمانها، طلبت منها أن تستبعد من نظامها الغذائي كل أنواع الأسماك واللحوم والبيض.

بعد عدة أشهر، اتبعت خلالها ناليني بدقة القواعد المختلفة التي حددتها لها، والتزمت بنظامها الغذائي النباتي على الرغم من الصعوبات العديدة التي واجهتها، قمت بزيارتها.

يا أختي، لقد التزمتِ بالوصايا الروحية بضمير حي؛ جزاءكِ قريب. ابتسمتُ بخبث. "كم تريدين أن تكوني ممتلئة الجسم - سمينة كعمتنا التي لم تر قدميها منذ سنوات؟"

"لا! ولكنني أرغب في أن أكون قويًا مثلك."

أجبتُ بجدية: "بفضل الله، وكما كنتُ أقول الحق دائمًا، فأنا الآن أتكلم بصدق. ٢٥-٣ بفضل البركات الإلهية، سيتغير جسدك حقًا من اليوم؛ ففي غضون شهر واحد سيكون له نفس وزن جسدي."

وجدت هذه الكلمات النابعة من قلبي ثمارها. في ثلاثين يومًا، أصبح وزن ناليني مساويًا لوزني. منحها هذا الاستدارة الجديدة جمالًا، ووقع زوجها في حبها بشدة. بدأ زواجهما هكذا.

لسوء الحظ، تبين أنه كان سعيدًا بشكل مثالي.

عند عودتي من اليابان، علمتُ أن ناليني أصيبت بحمى التيفوئيد أثناء غيابي. هرعتُ إلى منزلها، وفوجئتُ بها وقد تحولت إلى مجرد هيكل عظمي. كانت في غيبوبة.

قبل أن يُصاب عقلها بالمرض، أخبرني صهري، "كانت تقول دائمًا: لو كان أخي موكوندا هنا، لما كنتُ أعيش هكذا." وأضاف بيأس: "لا أرى أنا والأطباء الآخرون أي أمل. لقد أصابها الزحار الدموي، بعد معاناتها الطويلة مع التيفوئيد."

بدأتُ أُحرك السماء والأرض بصلواتي. واستعنتُ بممرضة إنجليزية هندية، تعاونت معي تعاونًا كاملًا، وطبّقتُ على أختي تقنيات يوغا علاجية متنوعة. واختفى الزحار الدموي.

لكن الدكتور بوس هز رأسه بحزن. "لم يعد لديها ما تسيل منه."

أجبتُ بحزم: "ستتعافى. ستزول حُمّاها خلال سبعة أيام".

بعد أسبوع، غمرتني السعادة عندما رأيت ناليني تفتح عينيها وتنظر إليّ بتقديرٍ مُحبّ. ومنذ ذلك اليوم، تعافت بسرعة. ورغم أنها استعادت وزنها المعتاد، إلا أنها حملت ندبةً حزينةً من مرضها الذي كاد أن يُودي بحياتها: فقد شُلّت ساقاها. وقد وصفها أخصائيون هنود وإنجليز بأنها مُقعدةٌ لا أمل في شفائها.

لقد أنهكني جهادي المتواصل من أجل حياتها، والذي خضته بالدعاء. ذهبتُ إلى سيرامبور لأطلب مساعدة سري يوكتسوار. عبّرت عيناه عن تعاطف عميق وأنا أروي له محنة ناليني.

ستكون ساقا أختك طبيعيتين بعد شهر. وأضاف: "دعها ترتدي، بجانب جلدها، سوارًا مرصعًا بلؤلؤة غير مثقوبة عيار قيراطين، مثبتًا بمشبك."

سجدت عند قدميه مستمتعاً بالراحة والفرح.

"سيدي، أنت سيد؛ كلمتك بشأن تعافيها كافية، ولكن إذا أصريت فسوف أحضر لها لؤلؤة على الفور."

أومأ معلّمي برأسه. "نعم، افعل ذلك." ثم وصف بدقة الخصائص الجسدية والعقلية لناليني، التي لم يرَها قط.

"سيدي،" سألت، "هل هذا تحليل فلكي؟ أنت لا تعرف يوم ولا ساعة ميلادها."

ابتسم سري يوكتسوار قائلًا: "هناك علم تنجيم أعمق، لا يعتمد على شهادات التقويمات والساعات. كل إنسان جزء من الخالق، أو الإنسان الكوني؛ له جسد سماوي وجسد أرضي. ترى العين البشرية الشكل المادي، لكن العين الباطنية تتعمق أكثر، حتى تصل إلى النموذج الكوني الذي يكون كل إنسان جزءًا لا يتجزأ منه وفرديًا."

عدتُ إلى كلكتا واشتريتُ لؤلؤةً لناليني. بعد شهر، شُلَّت ساقاها.

تم شفاءه تماما.

طلبت مني أختي أن أبلغ معلّمي امتنانها الصادق. استمع إلى رسالتها في صمت. لكن بينما كنتُ أودع، أدلى بتعليقٍ مؤثر.

أخبرها العديد من الأطباء أنها لن تنجب أطفالًا أبدًا. طمئنها أنها ستلد ابنتين بعد بضع سنوات.

وبعد مرور بضع سنوات، ولفرحة ناليني، أنجبت طفلة، وتلتها بعد بضع سنوات ابنة أخرى.

قالت أختي: "لقد بارك سيدك بيتنا، وعائلتنا بأكملها. إن وجود رجل كهذا هو تقديسٌ للهند كلها. أخي العزيز، أرجوك أن تخبر سري يوكتسوارجي أنني، من خلالك، أعتبر نفسي بتواضع أحد تلاميذه في الكريا يوغا."

1-25: اللباس الأنيق الذي ترتديه النساء الهنديات.

25-2: نظرًا لأن معظم الأشخاص في الهند نحيفون، فإن السمنة المعقولة تعتبر مرغوبة للغاية.

٢٥-٣: تُعلن الكتب الهندوسية المقدسة أن من اعتاد قول الحقيقة سيُنمّي القدرة على تجسيد كلماته. وما يُصدره من أوامر من القلب سيتحقق في الحياة.

الفصل: 26

علم الكريا يوغا

اكتسب علم الكريا يوغا، الذي ذُكر كثيرًا في هذه الصفحات، شهرة واسعة في الهند الحديثة بفضل لاهيري ماهاسايا، معلمي الروحي. أصل الكريا السنسكريتي هو كري، أي الفعل والفعل ورد الفعل؛ وهو نفس الأصل في كلمة كارما، المبدأ الطبيعي للسبب والنتيجة. وهكذا، فإن الكريا يوغا هي "الاتحاد (يوغا) مع اللانهائي من خلال فعل أو طقس معين". فاليوغي الذي يتبع أسلوبها بإخلاص يتحرر تدريجيًا من الكارما، أو سلسلة السببية الكونية.

بسبب بعض الوصايا اليوغية القديمة، لا أستطيع تقديم شرح وافٍ للكريبا يوغا في كتاب موجه للعامة. يجب تعلم التقنية الفعلية من كريبابان أو كريبا يوغي؛ وهنا يكفي ذكر مرجع شامل.

كريا يوغا هي طريقة نفسية فسيولوجية بسيطة يتم من خلالها إزالة الكربون من دم الإنسان

وتُشحن بالأكسجين. تتحول ذرات هذا الأكسجين الإضافي إلى تيار حيوي لتجديد الدماغ ومراكز النخاع الشوكي. 26-1 بإيقاف تراكم الدم الوريدي، يستطيع اليوغي تقليل أو منع تحلل الأنسجة؛ أما اليوغي المتقدم فيحول خلاياه إلى طاقة نقية. كان إيليا وعيسى وكبير وغيرهم من الأنبياء بارعين في استخدام الكريا أو تقنية مشابهة، حيث جعلوا أجسادهم تتلاشى بإرادتهم.

الكريا علمٌ قديم. تلقّاه لاهيري ماهاسايا من معلمه باباجي، الذي أعاد اكتشاف هذه التقنية ووضّحها بعد أن اندثرت في العصور المظلمة.

"إن الكريا يوغا التي أقدمها للعالم من خلالك في هذا القرن التاسع عشر،" قال باباجي للاهيري ماهاسايا، "هي إحياء لنفس العلم الذي قدمه كريشنا، منذ آلاف السنين، لأرجونا، والذي عرفه فيما بعد باتانجالي، والمسيح، والقديس يوحنا، والقديس بولس، وغيرهم من التلاميذ."

يشير كريشنا، أعظم أنبياء الهند، إلى الكريا يوغا في مقطع من بهاجافاد غيتا: "بإدخال نفس الشهيق في نفس الزفير، وإدخال نفس الزفير في نفس الشهيق، يُحيّد اليوغي كلا النفسين؛ وبالتالي يُطلق قوة الحياة من القلب ويُسيطر عليها." 26-2

التفسير هو: "يُوقف اليوغي التحلل في الجسم بإضافة قوة الحياة، ويُوقف طفرات النمو في الجسم بواسطة أبان (إزالة التيار). وهكذا، بمعادلة التحلل والنمو، وبتهدئة القلب، يتعلم اليوغي التحكم في الحياة."

يروي كريشنا أيضًا (٢٦-٣) أنه هو، في تجسد سابق، من نقل اليوغا غير القابلة للتدمير إلى مُستنير قديم، يُدعى فيفاسفات، الذي نقلها بدوره إلى مانو، المُشرّع العظيم. (٢٦-٤) بدوره، علّم إيكشواكو، أبو سلالة المحاربين الشمسيين في الهند. وهكذا، انتقلت اليوغا الملكية من واحد إلى آخر، وحُفظت من قِبل الحكماء حتى مجيء العصور المادية. (٢٦-٥) ثم، بسبب سرية الكهنة ولامبالاة الإنسان، أصبحت المعرفة المقدسة تدريجيًا بعيدة المنال.

ذُكرت الكريا يوغا مرتين من قِبل الحكيم القديم باتانجالي، رائد اليوغا، الذي كتب: "تتألف الكريا يوغا من ضبط النفس، والتحكم العقلي، والتأمل في أوم". 26-6 يتحدث باتانجالي عن الله باعتباره الصوت الكوني الحقيقي لأوم الذي يُسمع في التأمل. 26-7 أوم هي الكلمة الخلاقة، 26-8 صوت المحرك الاهتزازي. حتى المبتدئ في اليوغا سرعان ما يسمع داخليًا صوت أوم العجيب. بتلقي هذا التشجيع الروحي السعيد، يطمئن المريد إلى أنه على اتصال حقيقي بالعوالم الإلهية.

يشير باتانجالي مرة ثانية إلى تقنية التحكم في الحياة أو الكريا على النحو التالي: "يمكن تحقيق التحرير من خلال البراناياما الذي يتم تحقيقه عن طريق فصل مسار الإلهام والزفير". 26-9

كان القديس بولس يعرف الكريا يوغا، أو تقنيةً مشابهةً لها، تُمكّنه من تحويل تيارات الحياة من الحواس وإليها. ولذلك كان قادرًا على القول: "حقًا، إني أحتجّ بفرحنا الذي في المسيح، أموت يوميًا". 26-10. بسحبه اليومي لقوة حياته الجسدية، وحّدها باتحاد اليوغا مع فرح وعي المسيح (النعيم الأبدي). في تلك الحالة السعيدة، كان...

الوعي الواعي بكونك ميتًا بالنسبة لعالم مايا الحسي الوهمي.

في الحالات الأولية للتواصل مع الله (سابيكالبا سامادهي)، يندمج وعي المُريد مع الروح الكونية؛ فتُسحب قوة حياته من الجسد، الذي يبدو "ميتًا"، أو جامدًا وجامدًا. يدرك اليوغي تمامًا حالة جسده من الجمود. ومع تقدمه إلى الحالات الروحية العليا (نيربيكالبا سامادهي)، يتواصل مع الله دون ركود جسدي، وفي وعيه اليقظ المعتاد، حتى في خضم واجباته الدنيوية الشاقة. ٢٦-١١

أوضح سري يوكتسوار لطلابه: "كريا يوغا أداةٌ لتسريع التطور البشري. اكتشف اليوغيون القدماء أن سرّ الوعي الكوني يرتبط ارتباطًا وثيقًا بإتقان

التنفس. وهذه مساهمة الهند الفريدة والخالدة في كنز المعرفة العالمي. إن قوة الحياة، التي تُستنفد عادةً في الحفاظ على ضخ القلب، يجب أن تُطلق العنان لأنشطة أسمى من خلال تهدئة وتسكين متطلبات التنفس المتواصلة".

يوجه الكريا يوغي طاقة حياته ذهنيًا لتدور، صعودًا وهبوطًا، حول مراكز العمود الفقري الستة (الضفائر النخاعية، والعنقية، والظهرية، والقطنية، والعجزية، والعصعصية) التي تتوافق مع الأبراج النجمية الاثنتي عشرة للأبراج، رمز الإنسان الكوني. نصف دقيقة من دوران الطاقة حول الحبل الشوكي الحساس للإنسان تُحدث تقدمًا دقيقًا في تطوره؛ نصف دقيقة من الكريا تُعادل عامًا كاملًا من التطور الروحي الطبيعي.

يرتبط النظام النجمي للإنسان، بستة أبراج داخلية (اثنا عشر بحسب القطبية) تدور حول شمس العين الروحية العليم، بالشمس المادية وأبراج الأبراج الاثنتي عشرة. وهكذا يتأثر جميع البشر بكون داخلي وخارجي. اكتشف الحكماء القدماء أن بيئة الإنسان الأرضية والسماوية، في دورات مدتها اثنا عشر عامًا، تدفعه إلى الأمام في مساره الطبيعي. وتؤكد الكتب المقدسة أن الإنسان يحتاج إلى مليون عام من التطور الطبيعي السليم لإتقان دماغه البشري بما يكفي للتعبير عن الوعي الكوني.

إن ممارسة ألف كريبا في ثماني ساعات تُعطي اليوغي، في يوم واحد، ما يُعادل ألف عام من التطور الطبيعي: 365,000 عام من التطور في عام واحد. في ثلاث سنوات، يستطيع يوغي الكريا، بجهده الذاتي الذكي، تحقيق نفس النتيجة التي تُحققها الطبيعة في مليون عام. وبالطبع، لا يُمكن اتباع اختصار الكريا إلا من قِبل اليوغيين المُتمرسين. فبتوجيه من مُعلم روحي، يُهيئ هؤلاء اليوغيون أجسادهم وعقولهم بعناية لاستقبال القوة المُولّدة من الممارسة المُكثّفة.

يمارس مبتدئ الكريا تمارينه اليوغية من أربعة عشر إلى ثمانية وعشرين مرة فقط، مرتين يوميًا. يصل عدد من اليوغيين إلى التحرر في ستة أو اثني عشر أو أربعة وعشرين أو ثمانية وأربعين عامًا. أما اليوغي الذي يموت قبل بلوغه الإدراك الكامل، فيحمل معه الكارما الجيدة لجهوده السابقة في الكريا؛ وفي حياته الجديدة، يندفع بتناغم نحو هدفه اللامتناهي.

جسد الإنسان العادي أشبه بمصباح بقوة خمسين واط، لا يستوعب مليارات الواط من الطاقة الناتجة عن الإفراط في ممارسة الكريا. من خلال التزايد التدريجي والمنتظم لأساليب الكريا البسيطة والمضمونة، يتحول جسد الإنسان نجميًا يومًا بعد يوم، ويصبح في النهاية مؤهلًا للتعبير عن الإمكانات اللانهائية للطاقة الكونية - أولها ماديًا

التعبير النشط عن الروح.

لا علاقة للكرييا يوغا بتمارين التنفس غير العلمية التي يروج لها عدد من المتعصبين المضللين. فمحاولاتهم لحبس النفس قسرًا في الرئتين ليست غير طبيعية فحسب، بل مُزعجة للغاية. أما الكريا، فمنذ البداية، فتصاحبها نفحة من السلام النفسي، وأحاسيس مُهدئة تُجدد العمود الفقري.

تُحوّل تقنية اليوغا القديمة التنفس إلى عقل. وبالتقدم الروحي، يستطيع المرء إدراك التنفس كفعل ذهني - تنفس حلم.

يمكن تقديم العديد من الأمثلة على العلاقة الرياضية بين معدل تنفس الإنسان وتغيرات حالات وعيه. فالشخص الذي ينغمس تمامًا في متابعة نقاش فكري مترابط، أو في محاولة القيام بمهمة بدنية دقيقة أو صعبة، يتنفس تلقائيًا ببطء شديد. ويعتمد ثبات الانتباه على التنفس البطيء؛ فالأنفاس السريعة أو غير المنتظمة تصاحب حتمًا الحالات العاطفية الضارة: الخوف، والشهوة، والغضب. يتنفس القرد المضطرب بمعدل 32 مرة في الدقيقة، على عكس متوسط تنفس الإنسان البالغ 18 مرة. أما الفيل والسلحفاة والثعبان وغيرها من الحيوانات المعروفة بطول عمرها، فلديها معدل تنفس أقل من الإنسان. فعلى سبيل المثال، تتنفس السلحفاة، التي قد تبلغ من العمر 300 عام، 26-12 عامًا، 4 مرات فقط في الدقيقة.

تعود آثار النوم المُجدِّدة إلى غفلة الإنسان المؤقتة عن جسده وتنفسه. يصبح النائم يوغيًا؛ ففي كل ليلة، يُؤدي لا شعوريًا طقوس اليوغا لتحرير نفسه من هويته الجسدية، ودمج قوة الحياة مع التيارات العلاجية في منطقة الدماغ الرئيسية والمولدات الفرعية الستة لمراكز العمود الفقري. وهكذا، ينغمس النائم دون وعي في مستودع الطاقة الكونية الذي يُغذي كل أشكال الحياة.

يقوم اليوغي الطوعي بعملية بسيطة وطبيعية بوعي، وليس بغير وعي كالنائم البطيء. يستخدم الكريا يوغي أسلوبه لإشباع جميع خلاياه الجسدية وتغذيتها بنور لا يتحلل، والحفاظ عليها في حالة مغناطيسية. يُلغي التنفس علميًا، دون أن يُسبب حالات نوم أو غيبوبة.

بفضل الكريا، لا تُهدر قوة الحياة الخارجة وتُساء استغلالها في الحواس، بل تُجبر على الاتحاد مجددًا مع الطاقات الشوكية الدقيقة. بهذا التعزيز للحياة، تُشحن خلايا جسد اليوغي ودماغه بالإكسير الروحي. وهكذا، يُبعد نفسه عن التقيد المدروس بقوانين الطبيعة، التي لا يُمكن أن توصله إلا - بوسائل ملتوية كالطعام المناسب، وأشعة الشمس، والأفكار المتناغمة - إلى هدفٍ يمتد لمليون عام. يتطلب الأمر اثني عشر عامًا من الحياة الصحية الطبيعية لإحداث أي تغيير ولو طفيف في بنية الدماغ،

ويُطلب مليون عودة شمسية لتنقية الدماغ بما يكفي لتجسيد الوعي الكوني.

بفكّ حبل التنفس الذي يربط الروح بالجسد، تُطيل الكريا الحياة وتُوسّع الوعي إلى ما لا نهاية. تتغلب طريقة اليوغا على صراع العقل والحواس المادية، وتُحرّر المُريد ليستعيد ملكوته الأبدي. يُدرك أن طبيعته الحقيقية لا تُقيّدها أغطية مادية ولا نَفَس، رمز عبودية الإنسان للهواء، ولإكراهات الطبيعة الجوهرية.

الاستبطان، أو "الجلوس في صمت"، هو طريقة غير علمية لمحاولة فصل العقل عن الحواس، المرتبطين بقوة الحياة. العقل المتأمل، في محاولته العودة إلى الألوهية، يُجذب باستمرار نحو الحواس بفعل تيارات الحياة. الكريا، التي تتحكم بالعقل مباشرة من خلال قوة الحياة، هي أسهل الطرق وأكثرها فعاليةً وعلميةً للوصول إلى اللانهائي. على عكس الطريق اللاهوتي البطيء وغير المؤكد "عربة الثور" إلى الله، يُمكن وصف الكريا بحق بأنها "الطريق السريع".

يعتمد علم اليوغا على دراسة تجريبية لجميع أشكال تمارين التركيز والتأمل. تُمكّن اليوغا المُريد من إيقاف أو تشغيل تيار الحياة من الحواس الخمس، البصر والسمع والشم والتذوق واللمس، حسب رغبته. وبامتلاكه قوة فصل الحواس هذه، يجد اليوغي سهولة في توحيد عقله بإرادته مع العوالم

الإلهية أو مع عالم المادة. لم يعد يُعاد، رغماً عنه، بواسطة قوة الحياة إلى عالم الأحاسيس الصاخبة والأفكار المضطربة. مُسيطراً على جسده وعقله، يُحقق الكريا يوغي في النهاية النصر على "العدو الأخير"، الموت.

"فأنت تتغذى على الموت الذي يتغذى على البشر: والموت عندما يموت، لن يكون هناك موت بعد ذلك." 26-13

لا تتأثر حياة الكريا يوغي المتقدم بآثار أفعال الماضي، بل بتوجيهات الروح فقط. وهكذا يتجنب المريد ضغوط الأفعال الأنانية، خيرها وشرها، والحياة اليومية، الثقيلة والبطيئة التي تبدو على قلوب النسور.

إن الأسلوب الأمثل لعيش الروح يُحرر اليوغي الذي يتحرر من سجن أنانيته، فيتذوق نفحة الوجود المطلق. أما عبودية الحياة الطبيعية، فهي، على النقيض من ذلك، مُهينة. فبمواءمة حياته مع النظام التطوري، لا يستطيع الإنسان أن يطلب من الطبيعة أي تنازلات، ولكنه، إذ يعيش بلا خطأ، مُخالفًا قوانين فطرته الجسدية والعقلية، لا يزال يحتاج إلى مليون عام تقريبًا من التنكر ليبلغ التحرر النهائي.

إن أساليب اليوغيين التلسكوبية، التي تنأى بنفسها عن التماهي الجسدي والعقلي لصالح فردية الروح، تُناسب أولئك الذين ينظرون بتمرد إلى ألف ألف

عام. يتسع هذا المحيط العددي للإنسان العادي، الذي لا يعيش في انسجام مع الطبيعة، ناهيك عن روحه، بل يسعى جاهدًا وراء تعقيدات غير طبيعية، مُسيءًا بذلك إلى سلامة عقله في جسده وفكره. بالنسبة له، لا تكفيه مليونا عام للتحرر.

نادرًا ما يدرك الإنسان الخامل، أو لا يدرك أبدًا، أن جسده مملكة يحكمها إمبراطور الروح على عرش الجمجمة، مع حكام فرعيين في المراكز الشوكية الستة أو مجالات الوعي. تمتد هذه الثيوقراطية على حشد من الرعايا المطيعين: سبعة وعشرون ألف مليار خلية - مُنحت بذكاء أكيد، وإن كان آليًا، تؤدي به جميع واجبات النمو الجسدي والتحولات والانحلالات - وخمسون مليون فكرة وعاطفة وتنوعات من مراحل متناوبة في وعي الإنسان في متوسط عمر ستين عامًا. أي تمرد ظاهر للخلايا الجسدية أو الدماغية تجاه إمبراطور الروح، يتجلى في شكل مرض أو اكتئاب، لا يرجع إلى خيانة من المواطنين المتواضعين، بل إلى إساءة استخدام الإنسان، في الماضي أو الحاضر، لشخصيته الفردية أو إرادته الحرة، الممنوحة له بالتزامن مع الروح، والتي لا يمكن إلغاؤها أبدًا.

يُعرّف الإنسان نفسه بأنا سطحية، فيفترض أنه هو من يفكر ويريد ويشعر ويهضم الطعام ويحافظ على حياته، ولا يُقرّ أبدًا من خلال التأمل (القليل يكفي!) بأنه في حياته العادية ليس سوى دمية لأفعال

الماضي (الكارما) والطبيعة أو البيئة. إن ردود أفعال كل إنسان الفكرية ومشاعره وأمزجته وعاداته مُقيدة بتأثيرات أسباب الماضي، سواء كانت من هذه الحياة أو من حياة سابقة. ومع ذلك، فإن روحه الملكية تسمو فوق هذه التأثيرات. مُتجاهلًا الحقائق والحريات الزائلة، يتجاوز الكريا يوغي كل خيبة أمل إلى كيانه الحر. تُعلن جميع الكتب المقدسة أن الإنسان ليس جسدًا قابلًا للفساد، بل روح حية؛ ويُمنح من خلال الكريا طريقة لإثبات الحقيقة الكتابية.

كتب شانكارا في كتابه الشهير "قرن من الشعر": "لا يمكن للطقوس الخارجية أن تقضي على الجهل، لأنها ليست متناقضة. المعرفة المُدركة وحدها تقضي على الجهل... لا يمكن للمعرفة أن تنبثق إلا من خلال البحث. 'من أنا؟ كيف وُلد هذا الكون؟ من هو صانعه؟ ما هو سببه المادي؟' هذا هو نوع البحث المشار إليه". لا يملك العقل إجابة على هذه الأسئلة؛ ولذلك طوّر الحكماء اليوغا كأسلوب للبحث الروحي.

كريا يوغا هي "طقوس النار" الحقيقية، التي يُمجّدها كثيرًا كتاب بهاجافاد غيتا. تُضفي نيران اليوغا المُطهّرة نورًا أبديًا، وبالتالي تختلف اختلافًا كبيرًا عن طقوس النار الدينية الظاهرية قليلة الفعالية، حيث يُحرق إدراك الحقيقة غالبًا، إلى مصاحبة ترانيم مهيبة، إلى جانب البخور!

اليوغي المتقدم، إذ يحفظ عقله وإرادته ومشاعره من التماهي الزائف مع رغبات الجسد، موحدًا عقله مع القوى العليا في الأضرحة الفقرية، يعيش في هذا العالم كما خطط الله، لا مدفوعًا بدوافع الماضي ولا بجهل جديد بدوافع بشرية جديدة. ينال مثل هذا اليوغي تحقيق رغبته العليا، آمنًا في ملاذ الروح الهانئ الذي لا ينضب.

يُقدّم اليوغي أشواقه البشرية المتشعبة إلى نارٍ توحيدية مُهداة للإله الأعظم. هذا هو بالفعل طقس النار اليوغي الحقيقي، حيث تُحرق جميع الرغبات الماضية والحاضرة بالحب الإلهي. تتقبل الشعلة النهائية ذبيحة كل جنون بشري، ويصبح الإنسان طاهرًا من كل خباثة. تُجرّد عظامه من كل لحمٍ شهواني، ويُبيّض هيكله الكرمي بشمس الحكمة المُطهّرة، فيصبح أخيرًا طاهرًا، غير مُؤذٍ أمام الإنسان والخالق.

في إشارة إلى فعالية اليوغا الأكيدة والمنهجية، يمتدح اللورد كريشنا اليوغي التكنولوجي بالكلمات التالية: "اليوغي أعظم من الزاهدين في تأديب الجسد، وأعظم حتى من أتباع طريق الحكمة (جنانا يوغا)، أو طريق العمل (كارما يوغا)؛ كن أنت، أيها التلميذ أرجونا، يوغي!" 26-14

26-1: شرح العالم الشهير الدكتور جورج دبليو كرايل من كليفلاند، أمام اجتماع الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم عام 1940، التجارب التي أثبت من

خلالها أن جميع أنسجة الجسم سلبية كهربائيًا، باستثناء أنسجة المخ والجهاز العصبي التي تظل موجبة كهربائيًا لأنها تمتص الأكسجين المنشط بمعدل أسرع.

26-2: بهاجافاد جيتا، 4: 29.

26-3: بهاجافاد جيتا الرابع: 1-2.

٢٦-٤: مؤلف كتاب "مانافا دارما شاسترا". لا تزال هذه المعاهد القانونية العامة المُقَرَّبة سارية المفعول في الهند حتى يومنا هذا. يكتب الباحث الفرنسي لويس جاكوليوت أن تاريخ مانو "ضاع في غياهب العصر ما قبل التاريخي للهند؛ ولم يجرؤ أي باحث على رفض منحه لقب أقدم مُشرِّع في العالم". في كتابه "الكتاب المقدس في الهند"، الصفحات ٣٣-٣٧، يُعيد جاكوليوت إنتاج مراجع نصية مُوازية لإثبات أن قانون جستنيان الروماني يتبع قوانين مانو بدقة.

٢٦-٥: بدأت العصور المادية، وفقًا للحسابات الدينية الهندوسية، عام ٣١٠٢ قبل الميلاد. كانت هذه بداية عصر دوابارا الهابط (انظر الصفحة ١٧٤). يعتقد علماء العصر الحديث، ظنًا منهم أن جميع البشر قبل ١٠٠٠٠ عام غرقوا في عصر حجري همجي، فيرفضون جميع سجلات وتقاليد الحضارات القديمة جدًا في الهند والصين ومصر وبلدان أخرى، ويصفونها بأنها "أساطير".

٢٦-٦: أقوال باتانجالي المأثورة، ٢:١. باستخدامه مصطلح "كريا يوغا"، كان باتانجالي يشير إما إلى التقنية نفسها التي درّسها باباجي، أو إلى تقنية مشابهة جدًا لها. وقد أثبتت أقوال باتانجالي المأثورة ٢:٤٩ أنها تقنية مؤكدة للتحكم في الحياة.

26-7: مقولات باتانجالي، 1:27.

٢٦-٨: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله... به كان كل شيء، وبغيره لم يكن شيء مما كان." - يوحنا ١: ١-٣. أصبحت كلمة "أوم" (أوم) في الفيدا الكلمة المقدسة "أمين" للمسلمين، و"هوم" للتبتيين، و"آمين" للمسيحيين (ومعناها في العبرية "أكيد" أي "مؤمن"). "هذا ما يقوله الأمين، الشاهد الأمين الصادق، بداية خلق الله." - رؤيا ٣: ١٤.

26-9: الأمثال 2: 49..

٢٦-١٠: ١ كورنثوس ١٥: ٣١. «فرحنا» هي الترجمة الصحيحة؛ وليس «فرحكم» كما يُقال عادةً. كان القديس بولس يشير إلى حضور وعي المسيح في كل مكان.

٢٦-١١: كالبا تعني الزمن أو الدهر. سابيكالبا تعني خاضعًا للزمن أو للتغير؛ حيث تبقى صلة ما ببراكريتي أو المادة. نيربيكالبا تعني خالدًا لا يتغير؛ وهذه هي أعلى درجات السمادهي.

26-12: وفقًا لمكتبة لينكولن للمعلومات الأساسية، ص 1030، تعيش السلحفاة العملاقة ما بين 200 و 300 عام.

26-13: شكسبير: السوناتة رقم 146.

26-14: بهاجافاد جيتا، 6:46.

الفصل: 27

تأسيس مدرسة لليوغا في رانشي

لماذا أنت كاره للعمل التنظيمي؟

لقد أذهلني سؤال المعلم قليلاً. صحيح أن قناعتي الشخصية آنذاك كانت أن

وكانت المنظمات بمثابة "أعشاش الدبابير".

«إنها مهمة شاقة يا سيدي»، أجبتُ. «سواءً فعل القائد أو لم يفعل، فهو مُنتقد».

هل تريدينَ كلَّ هذا الكَوْن الإلهي (خثارة الحليب) لنفسكِ وحدكِ؟ كان ردُّ مُعلِّمي مصحوبًا بنظرةٍ صارمة. "هل يُمكنكِ أنتِ أو أيُّ شخصٍ آخرَ تحقيقُ التواصلِ الإلهيِّ من خلالِ اليوغا لو لم يكن صفٌّ من الأساتذةِ ذوي القلوبِ الكريمةِ على استعدادٍ لنقلِ معارفِهم للآخرين؟" وأضاف: "اللهُ هو العسلُ، والمنظماتُ هي الخلايا؛ كلاهما ضروري. أيُّ شكلٍ لا طائلَ منه، بالطبع، بدونِ الروح، ولكن لماذا لا تُنشئينَ خلايا مليئةً بالرحيقِ الروحيِّ؟"

أثرت نصيحته بي بشدة. ورغم أنني لم أرد عليه علنًا، إلا أن عزمًا راسخًا نشأ في صدري: سأشارك رفاقي، بقدر ما أستطيع، الحقائق التي تعلمتها من معلمي والتي تُحررني من القيود. دعيت: "يا رب، أشرق حبك إلى الأبد على محراب إخلاصي، وأجعلني قادرًا على إيقاظ هذا الحب في قلوب الآخرين".

في مناسبة سابقة، قبل انضمامي إلى الرهبنة، أدلى سري يوكتسوار بملاحظة غير متوقعة على الإطلاق.

قال: "كيف ستفتقد رفقة زوجتك في شيخوختك! ألا توافق على أن رب الأسرة، الذي يعمل عملاً نافعاً لإعالة زوجته وأولاده، يؤدي دوراً مجزياً في نظر الله؟"

"سيدي،" احتججت بفزع، "أنت تعلم أن رغبتي في هذه الحياة هي الزواج فقط من الحبيب الكوني."

لقد ضحك المعلم بمرح شديد حتى أنني فهمت أن ملاحظته كانت مجرد اختبار لإيماني.

"تذكر"، قال ببطء، "أن من يتخلى عن واجباته الدنيوية لا يستطيع تبرير نفسه إلا من خلال تحمل نوع ما من المسؤولية تجاه عائلة أكبر بكثير".

لطالما كان مُثُلُ التعليم الشامل للشباب مُحببًا إلى قلبي. رأيتُ بوضوحٍ النتائجَ الباهتةَ للتعليمِ الاعتيادي، الذي لا يهدفُ إلا إلى تنميةِ الجسدِ والعقل. كانت

القيمُ الأخلاقيةُ والروحيةُ، التي لا يُدركُها الإنسانُ دونَ تقديرٍ، غائبةً عن المناهجِ الرسمية. عزمتُ على تأسيسِ مدرسةٍ يُمكنُ للصبيانِ أن يتطوروا فيها إلى كاملِ الرجولة. وكانت خطوتي الأولى في هذا الاتجاهِ مع سبعةِ أطفالٍ في ديهيكا، وهي قريةٌ ريفيةٌ صغيرةٌ في البنغال.

بعد عام، في عام ١٩١٨، وبفضل كرم السير مانيندرا تشاندرا نوندي، مهراجا كاسيمبازار، تمكنتُ من نقل مجموعتي سريعة النمو إلى رانشي. تتمتع هذه المدينة الواقعة في بيهار، على بُعد حوالي مائتي ميل من كلكتا، بأحد أصحّ المناخات في الهند. حُوِّل قصر كاسيمبازار في رانشي إلى مقرّ المدرسة الجديدة، التي أسميتها براهماشاريا فيديالايا ٢٧-١، تماشيًا مع المُثُل التعليمية للريشيس. كانت أشرماتهم الغابوية مراكزَ عِريقةً للتعلم، الدنيوي والإلهي، لشباب...

الهند.

في رانشي، نظمتُ برنامجًا تعليميًا للمرحلتين الابتدائية والثانوية. شمل البرنامج موادًا زراعية وصناعية وتجارية وأكاديمية. كما تعلّم الطلاب التركيز على اليوغا والتأمل، بالإضافة إلى نظام فريد للنمو البدني يُسمى "يوغودا"، اكتشفتُ مبادئه عام ١٩١٦.

أدركتُ أن جسد الإنسان كالبطارية الكهربائية، فاستنتجتُ أنه يمكن إعادة شحنه بالطاقة من خلال الإرادة البشرية المباشرة. وبما أنه لا يمكن لأي فعل، مهما كان بسيطًا أو كبيرًا، أن يتم دون إرادة، فإن الإنسان يستطيع الاستفادة من محركه الأساسي، إرادته، لتجديد أنسجة جسده دون الحاجة إلى أجهزة ثقيلة أو تمارين ميكانيكية. لذلك، علّمتُ طلاب رانشي تقنيات "يوغودا" البسيطة التي يُمكن من خلالها إعادة شحن قوة الحياة، المتمركزة في النخاع المستطيل للإنسان، بوعي وبشكل فوري من إمداد الطاقة الكونية اللامحدود.

استجاب الأولاد لهذا التدريب بشكل رائع، وطوروا قدرة استثنائية على نقل طاقة الحياة من جزء من الجسم إلى آخر، والجلوس بثبات تام في أوضاع جسدية صعبة. 27-2 وأدوا مآثر في القوة والتحمل لم يستطع الكثير من البالغين الأقوياء معادلتها. انضم أخي الأصغر، بيشنو تشاران غوش، إلى مدرسة رانشي؛ وأصبح لاحقًا خبيرًا رائدًا في التربية البدنية في البنغال. سافر هو وأحد طلابه إلى أوروبا وأمريكا، وقدموا عروضًا للقوة والمهارة أذهلت علماء الجامعة، بمن فيهم علماء جامعة كولومبيا في نيويورك.

في نهاية السنة الأولى في رانشي، وصل عدد طلبات الالتحاق إلى ألفي طالب. لكن المدرسة، التي كانت آنذاك مدرسة داخلية فقط، لم تستوعب

سوى حوالي مائة طالب. وسرعان ما أُضيف نظام التعليم النهاري.

في فيديالايا، كان عليّ أن ألعب دور الأب والأم مع الأطفال الصغار، وأن أواجه العديد من الصعوبات التنظيمية. وكثيرًا ما كنت أتذكر كلمات المسيح: "الحق أقول لكم: ما من إنسان ترك بيتًا، أو إخوة، أو أخوات، أو أبًا، أو أمًا، أو زوجة، أو أولادًا، أو أراضي، لأجلي ولأجل الإنجيل، إلا وينال مئة ضعف الآن في هذا الزمان، بيوتًا وإخوة، وأخوات، وأمهات، وأولادًا، وأراضي، مع الاضطهاد؛ وفي العالم الآتي الحياة الأبدية". 27-3 فسّر سري يوكتسوار هذه الكلمات: "المريد الذي يتخلى عن تجارب الزواج والأسرة، ويستبدل مشاكل الأسرة الصغيرة والأنشطة المحدودة بمسؤوليات أكبر في خدمة المجتمع عمومًا، يضطلع بمهمة غالبًا ما تكون مصحوبة باضطهاد من عالم غير متفهم، ولكن أيضًا برضًى داخلي إلهي".

يوغودا ماث، ملاذٌ جميلٌ لجمعية تحقيق الذات في داكشينيسوار على نهر الغانج. تأسس عام ١٩٣٨ كملجأ يوغا لطلاب الشرق والغرب.

المبنى المركزي لمدرسة يوغودا سات-سانغا براهماشاريا فيديالايا في رانشي، بيهار، التي تأسست عام ١٩١٨ كمدرسة يوغا للبنين، تضمّ تعليمًا للمرحلتين الابتدائية والثانوية. وترتبط بها بعثة لاهيري ماهاسايا الخيرية.

ذات يوم وصل والدي إلى رانشي ليمنحني البركة الأبوية، والتي حجبتها عنه لفترة طويلة لأنني آذيته برفضي عرضه لي للعمل في شركة السكك الحديدية بنغال-ناجبور.

قال: "يا بني، لقد رضيتُ الآن باختيارك في الحياة. يُسعدني رؤيتك بين هؤلاء الشباب السعداء المتحمسين؛ مكانك هنا لا بين جداول مواعيد القطارات الجامدة." لوّح بيده لمجموعة من اثني عشر طفلاً كانوا يلحقون بي. قال بعينين تلمعان: "لم يكن لديّ سوى ثمانية أطفال، لكنني أشعر بك!"

مع بستان فاكهة واسع وخمسة وعشرين فدانًا خصبة تحت تصرفنا، استمتعتُ أنا والطلاب والمعلمون بساعات طويلة من العمل في الهواء الطلق في هذه البيئة المثالية. كان لدينا العديد من الحيوانات الأليفة، بما في ذلك غزال صغير كان محبوبًا جدًا من الأطفال. أنا أيضًا أحببتُ الغزال الصغير لدرجة أنني سمحتُ له بالنوم في غرفتي. مع بزوغ الفجر، كان المخلوق الصغير يتهادى إلى سريري ليداعبني في الصباح.

في أحد الأيام، أطعمتُ الظبي أبكر من المعتاد، إذ كان عليّ إنجاز بعض الأعمال في مدينة رانشي. ورغم أنني حذرتُ الأولاد من إطعام الظبي الصغير حتى عودتي، إلا أن أحدهم عصى.

وأعطيتُ الغزال الصغير كميةً كبيرةً من الحليب. وعندما عدتُ في المساء، استقبلتني أخبارٌ حزينة: "الغزال الصغير على وشك الموت، بسبب الإفراط في الرضاعة".

باكيةً، وضعتُ الحيوان الأليف الذي بدا ميتًا على حجري. دعوتُ الله برحمة أن يحفظه. بعد ساعات، فتح المخلوق الصغير عينيه، ووقف، ومشى بخطواتٍ واهنة. هتفت المدرسة كلها فرحًا.

لكنّ درسًا عميقًا تعلّمته في تلك الليلة، درسًا لن أنساه أبدًا. سهرتُ مع الغزال حتى الثانية، ثم غفوتُ. ظهر الغزال في المنام، وكلّمني:

"أنت تعيقني. من فضلك دعني أذهب؛ دعني أذهب!"

"حسنًا"، أجبت في الحلم.

استيقظت على الفور، وصرخت، "يا أولاد، الغزال يموت!" هرع الأطفال إلى جانبي.

ركضتُ إلى زاوية الغرفة التي وضعتُ فيها الحيوان الأليف. حاول النهوض أخيرًا، ثم تعثر نحوي، ثم سقط عند قدميّ ميتًا.

وفقًا للكارما الجماعية التي تُوجِّه وتُنظِّم مصائر الحيوانات، كانت حياة الغزال قد انتهت، وكان مُستعدًا للارتقاء إلى مستوى أعلى. لكن بفضل تعلقي العميق، الذي أدركتُ لاحقًا أنه أناني، وبفضل

دعواتي الحارة، استطعتُ كبح جماحه في قيود الشكل الحيواني الذي كانت الروح تُكافح من أجل التحرر منه. توسلت روح الغزال في المنام، لأنه، دون إذني المُحب، إما أنه لم يُرِد الذهاب أو لم يستطع. بمجرد موافقتي، رحل.

رحل عني كل حزن؛ وأدركتُ من جديد أن الله يريد من أبنائه أن يحبوا كل شيء كجزء منه، لا أن يتوهموا أن الموت نهاية كل شيء. لا يرى الجاهل إلا جدار الموت المنيع، الذي يخفي، على ما يبدو، أصدقاءه الأعزاء إلى الأبد. أما من لا يتعلّق، من يحب الآخرين كتعبير عن الله، فيدرك أن الأعزاء عند الموت ما عادوا إلا لأخذ قسط من الراحة والفرح معه.

نمت مدرسة رانشي من بدايات صغيرة وبسيطة إلى مؤسسة معروفة الآن في الهند. وتتلقى العديد من أقسامها الدعم من تبرعات طوعية ممن يحرصون على ترسيخ المبادئ التربوية للريشيس. وتحت الاسم العام "يوغودا سات سانغا"، أُنشئت 27-4 مدارس فرعية مزدهرة في ميدنابور ولاكشمانبور وبوري.

يضم المقر الرئيسي في رانشي قسمًا طبيًا تُقدم فيه الأدوية وخدمات الأطباء مجانًا لفقراء المنطقة. وقد تجاوز متوسط عدد المرضى الذين يتلقون العلاج 18,000 شخص سنويًا. كما تركت فيديالايا بصمتها في الرياضات التنافسية الهندية، وفي

المجال الدراسي، حيث برز العديد من خريجي رانشي في حياتهم الجامعية اللاحقة.

المدرسة التي دخلت عامها الثامن والعشرين وهي مركز العديد من الأنشطة، تم تكريمها 27-5

بفضل زيارات رجال بارزين من الشرق والغرب. كان سوامي براناباناندا، "القديس ذو الجسدين" من بنارس، من أوائل الشخصيات العظيمة التي زارت فيديالايا في عامها الأول. وبينما كان المعلم العظيم يشاهد الدروس الخارجية الخلابة، التي تُعقد تحت الأشجار، ويرى في المساء الصبية الصغار يجلسون بلا حراك لساعات في تأمل اليوغا، تأثر بشدة.

قال: "يغمرني الفرح عندما أرى أن مبادئ لاهيري ماهاسيا للتدريب السليم للشباب تُطبّق في هذه المؤسسة. فلتكن بركات معلّمي عليها".

كان هناك شاب يجلس بجانبي، تجرأ على طرح سؤال على اليوغي العظيم.

"سيدي"، قال، "هل يجب أن أكون راهبًا؟ هل حياتي لله فقط؟"

على الرغم من أن سوامي براناباناندا كان يبتسم بلطف، إلا أن عينيه كانت تخترق المستقبل.

أجاب: "يا بني، عندما تكبر، تنتظرك عروسٌ جميلة". تزوج الصبي في النهاية، بعد أن خطط لسنوات للانضمام إلى نظام السوامي.

بعد فترة من زيارة سوامي براناباناندا لرانشي، رافقتُ والدي إلى منزل كلكتا حيث كان اليوغي يقيم مؤقتًا. وخطر ببالي فجأةً ما قاله لي براناباناندا قبل سنوات عديدة: "سأراكم مع والدكم لاحقًا".

عندما دخل الأب غرفة السوامي، نهض اليوغي العظيم من مقعده واحتضن والدي باحترام ومحبة.

قال: "بهاجاباتي، ماذا تفعلين بنفسك؟ ألا ترين ابنك يركض نحو اللانهائي؟" احمرّ وجهي لسماع مديحه أمام والدي. تابع السوامي: "تذكرين كم كان معلمنا المبارك يقول: "بانات، بانات، بان جاي". ٢٦-٦ لذا استمري في ممارسة الكريا يوغا بلا انقطاع، وبلغي البوابات الإلهية بسرعة."

لقد أظهر جسد براناباناندا، الذي كان يبدو قوياً ومتعافياً للغاية أثناء زيارتي الأولى المذهلة له في بنارس، علامات شيخوخة واضحة، على الرغم من أن وضعه كان لا يزال منتصباً بشكل مثير للإعجاب.

"سواميجي،" سألته وأنا أنظر مباشرة في عينيه، "أرجوك أخبرني الحقيقة: ألا تشعر بتقدمك في السن؟ مع ضعف الجسد، هل تتراجع إدراكاتك لله؟"

ابتسم ابتسامة ملائكية. "الحبيب معي الآن أكثر من أي وقت مضى". غمرني اقتناعه التام. وتابع: "ما زلت أستمتع بالمعاشين - أحدهما من بهاجاباتي هنا، والآخر من السماء". أشار القديس بإصبعه نحو

السماء، وغمرته النشوة، وأشرق وجهه بنور إلهي - إجابة وافية على سؤالي.

عندما لاحظت أن غرفة براناباناندا تحتوي على العديد من النباتات وحزم البذور، سألت عن غرضها.

قال: "لقد غادرتُ بنارس نهائيًا، وأنا الآن في طريقي إلى جبال الهيمالايا. هناك سأفتتح أشرمًا لتلاميذي. ستنتج هذه البذور السبانخ وبعض الخضراوات الأخرى. سيعيش أحبائي حياةً بسيطة، يقضون أوقاتهم في اتحادٍ إلهيٍّ سعيد. لا شيء آخر ضروري".

سأل الأب أخاه التلميذ متى سيعود إلى كلكتا.

"لن أعود أبدًا"، أجاب القديس. "هذا هو العام الذي أخبرني فيه لاهيري ماهاسايا أنني سأترك بنارس الحبيبة إلى الأبد وأذهب إلى جبال الهيمالايا، لأتخلص من جسدي الفاني هناك."

امتلأت عيناي بالدموع عند سماع كلماته، لكن السوامي ابتسم بهدوء. ذكّرني بطفل سماوي صغير، جالس بثقة في حضن الأم الإلهية. لا يؤثر ثقل السنين سلبًا على امتلاك اليوغي العظيم للقوى الروحية العليا. إنه قادر على تجديد جسده متى شاء؛ ومع ذلك، أحيانًا لا يكترث بتأخير عملية الشيخوخة، بل يسمح لكارماه بأن تُنجز على المستوى المادي، مستخدمًا جسده القديم كأداة

لتوفير الوقت لاستبعاد ضرورة إنجاز الكارما في تجسد جديد.

وبعد أشهر التقيت بصديق قديم، ساناندان، الذي كان أحد تلاميذ براناباناندا المقربين.

قال لي وسط شهقاته: "رحل معلّمي المُحبب. لقد أسس لنا ديرًا قرب ريشيكيش، ودرّبنا فيه على حبّ. وعندما استقرينا فيه جيدًا، وحققنا تقدمًا روحيًا سريعًا برفقته، اقترح يومًا ما إطعام حشد كبير من ريشيكيش. سألته عن سبب رغبته في إطعام هذا العدد الكبير".

"قال: "هذه آخر احتفالية لي". لم أفهم المعاني الكاملة لكلماته.

ساعد برانابانانداجي في طهي كميات كبيرة من الطعام. أطعمنا حوالي ألفي ضيف. بعد الوليمة، جلس على منصة عالية وألقى عظةً مُلهمة عن اللانهائي. في النهاية، أمام أنظار الآلاف، التفت إليّ، وأنا جالس بجانبه على المنصة، وتحدث بقوة غير عادية.

"ساناندان، كن مستعدًا؛ سأركل الإطار. 27-7"

بعد صمتٍ مُذهل، صرختُ بصوتٍ عالٍ: «يا مُعلِّم، لا تفعل! أرجوك، أرجوك، لا تفعل!» كان الحشد مُعْلَق اللسان، ينظرون إلينا بفضول. ابتسم لي مُعلِّمي، لكن نظرته الجادّة كانت مُثَبَّتة بالفعل على الخلود.

قال: "لا تكن أنانيًا، ولا تحزن عليّ. لقد خدمتكم جميعًا بفرح طويل؛ الآن افرحوا وتمنوا لي التوفيق. سأذهب للقاء حبيبي الكوني". همس براناباناداجي قائلًا: "سأولد من جديد قريبًا. بعد أن أستمتع بفترة قصيرة من النعيم الأبدي، سأعود إلى الأرض وألتحق بباباجي. 27-8 ستعرفون قريبًا متى وأين حُفظت روحي في جسد جديد".

"صرخ مرة أخرى، "ساناندان، هنا أركل الإطار بواسطة كرييا يوغا الثانية." 27-9

نظر إلى بحر الوجوه أمامنا، وبارك. وجّه نظره نحو العين الروحية، فتجمد. وبينما ظنّ الجمع المذهول أنه يتأمل في حالة من النشوة، كان قد غادر بالفعل خيمة الجسد وانغمس بروحه في رحاب الكون. لمس التلاميذ جسده، جالسًا في وضعية اللوتس، لكنه لم يعد جسدًا دافئًا. لم يبقَ إلا جسدٌ متصلب؛ هرب الساكن إلى شاطئ الخلود.

لقد سألت أين سيولد براناباناندا؟

«هذه أمانةٌ مقدسةٌ لا أستطيعُ البوح بها لأحد»، أجاب سناندان. «لعلّك تجدُ الحلَّ بطريقةٍ أخرى».

وبعد سنوات اكتشفت من سوامي كيشابانندا 27-10 أن براناباناندا، بعد بضع سنوات من ولادته في جسد جديد، ذهب إلى بادري نريان في جبال الهيمالايا، وانضم هناك إلى مجموعة القديسين حول باباجي العظيم.

٢٧-١: فيديالايا، المدرسة. يشير مصطلح براهماشاريا هنا إلى إحدى المراحل الأربع في الخطة الفيدية لحياة الإنسان، والتي تشمل: (١) الطالب العازب (براهماشاري)؛ (٢) رب الأسرة ذو المسؤوليات الدنيوية (غريهاستا)؛ (٣) الناسك (فانابراستا)؛ (٤) ساكن الغابة أو المتجول، المتحرر من جميع الهموم الدنيوية (سانياسي). هذا المخطط المثالي للحياة، وإن لم يُتبع على نطاق واسع في الهند الحديثة، إلا أنه لا يزال يحظى بمتابعة واسعة. تُنفذ المراحل الأربع دينيًا تحت إشراف معلم روحي مدى الحياة.

27-2: لقد أتقن عدد من الطلاب الأميركيين أيضًا العديد من الوضعيات أو الأوضاع المختلفة، بما في ذلك برنارد كول، وهو مدرس في لوس أنجلوس لتعاليم زمالة تحقيق الذات.

27-3: مرقس 10: 29-30..

٢٧-٤: يوغودا: يوغا، اتحاد، انسجام، توازن؛ دا، ما يُعطي. سات-سانغا: سات، حقيقة؛ سانغا، رفقة. في الغرب، لتجنب استخدام اسم سنسكريتي، أُطلق على حركة يوغودا سات-سانغا اسم "رفقة تحقيق الذات".

27-5: تم وصف الأنشطة في رانشي بشكل أكثر تفصيلاً في الفصل 40. تقع مدرسة لاكشمانبور تحت المسؤولية الكفؤة للسيد جي سي دي،

الحاصل على درجة البكالوريوس في الآداب.
ويشرف على القسم الطبي بكفاءة الدكتور إس إن بال وساسي بهوشان موليك.

٢٧-٦: إحدى عبارات لاهيري ماهاسايا المفضلة، والتي تُشجع طلابه على المثابرة. ترجمتها: "اجتهدوا، جاهدوا، يومًا ما، ها هو الهدف الإلهي!"

27-7: أي التخلي عن الجسد.

٢٧-٨: معلم لاهيري ماهاسايا، الذي لا يزال على قيد الحياة. (انظر الفصل ٣٣.)

٢٧-٩: تُمكّن الكريا الثانية، كما علّمها لاهيري ماهاسايا، المُريدَ الذي أتقنها من مغادرة الجسد والعودة إليه بوعي في أي وقت. يستخدم اليوغيون المُتقدمون تقنية الكريا الثانية عند الخروج الأخير من الموت، وهي لحظة يعرفونها مُسبقًا.

27-10: تم وصف لقائي مع كيشابانادا في الفصل 42.

الفصل: 28

كاشي، ولدت من جديد وأُعيد اكتشافها

"من فضلك لا تذهب إلى الماء. دعونا نستحم عن طريق غمس دلاءنا."

كنتُ أُخاطب طلاب رانشي الشباب الذين كانوا يُرافقونني في رحلةٍ بطول ثمانية أميال إلى تلٍّ

مجاور. كانت البركة أمامنا جذابة، لكنّ نفورًا منها غمرني. حذت المجموعة من حولي حذوي في غمس الدلاء، لكنّ بعض الشباب استسلموا لإغراء المياه الباردة. ما إن غاصوا حتى تَلوّت حولهم ثعابين مائية كبيرة. خرج الأولاد من البركة برشاقةٍ مُضحكة.

استمتعنا بوجبة غداء خفيفة بعد وصولنا إلى وجهتنا. جلستُ تحت شجرة، محاطًا بمجموعة من الطلاب. ووجدوني في حالة من الإلهام، فانهالوا عليّ بالأسئلة.

"من فضلك قل لي يا سيدي،" سأل أحد الشباب، "هل سأبقى معك دائمًا في طريق الزهد."

"آه، لا،" أجبت، "سوف يتم نقلك بالقوة إلى منزلك، وبعد ذلك سوف تتزوج."

في حالة من عدم التصديق، احتج بشدة. "لن يُحملني أحد إلى المنزل إلا إذا متُّ". لكن بعد بضعة أشهر، وصل والداه ليأخذاه بعيدًا، رغم مقاومته الدامعة؛ وبعد سنوات، تزوج.

بعد أن أجبتُ على العديد من الأسئلة، خاطبني شابٌّ يُدعى كاشي. كان في الثانية عشرة من عمره تقريبًا، طالبًا متفوقًا، ومحبوبًا من الجميع.

"سيدي"، قال، "ما هو مصيري؟"

"سوف تموت قريبًا." جاء الرد من شفتي بقوة لا تقاوم.

صدمني هذا الكشف غير المتوقع وحزنني، وكذلك كل من حضر. وبخّتُ نفسي بصمتٍ على كوني طفلًا سيئًا، ورفضتُ الإجابة على أي أسئلة أخرى.

عند عودتنا إلى المدرسة، جاء كاشي إلى غرفتي.

"إذا متُّ، فهل ستجدني عندما أولد من جديد، وتعيدني إلى المسار الروحي؟" بكى.

شعرتُ بضغطٍ يدفعني لرفض هذه المسؤولية الغامضة الصعبة. لكن لأسابيعٍ تلت، ظلّ كاشي يُلحّ عليّ بإصرار. وعندما رأيته مُنهكًا لدرجة الانهيار، عزّيته أخيرًا.

"نعم،" وعدتُ. "إذا ساعدني الآب السماوي، فسأحاول العثور عليك."

خلال العطلة الصيفية، انطلقتُ في رحلة قصيرة. ندمًا لعدم قدرتي على اصطحاب كاشي معي، اتصلتُ به إلى غرفتي قبل المغادرة، ونصحته بعناية بالبقاء، رغم كل الإقناع، في أجواء المدرسة الروحية. شعرتُ بطريقة ما أنه إن لم يعد إلى المنزل، فقد يتجنب الكارثة الوشيكة.

ما إن غادرتُ حتى وصل والد كاشي إلى رانشي. حاول لمدة خمسة عشر يومًا نقض وصية ابنه، موضحًا أنه إذا ذهب كاشي إلى كلكتا لمدة أربعة

أيام فقط لرؤية والدته، فيمكنه العودة. رفض كاشي بإصرار. قال الأب أخيرًا إنه سيأخذ الصبي بمساعدة الشرطة. أزعج هذا التهديد كاشي، الذي لم يكن راغبًا في أن يكون سببًا في أي دعاية سلبية للمدرسة، فلم يجد خيارًا سوى الرحيل.

عدتُ إلى رانشي بعد بضعة أيام. عندما سمعتُ بنبأ نقل كاشي، استقللتُ القطار فورًا إلى كلكتا. وهناك استأجرتُ عربةً تجرها الخيول. ومن الغريب، بينما كانت العربة تتجاوز جسر هاورا فوق نهر الغانج، رأيتُ والد كاشي وأقاربه الآخرين يرتدون ثياب الحداد. صرختُ على سائقي أن يتوقف، ثم اندفعتُ للخارج وحدقتُ في الأب التعيس.

"يا سيد القاتل،" صرخت بشكل غير معقول إلى حد ما، "لقد قتلت ابني!"

أدرك الأب خطأه بإحضاره كاشي قسرًا إلى كلكتا. فخلال الأيام القليلة التي قضاها هناك، تناول طعامًا ملوثًا، وأصيب بالكوليرا، ثم فارق الحياة.

كان حبي لكاشي، ووعدي بالعثور عليه بعد الموت، ليلًا ونهارًا، يطاردني. أينما ذهبت، كان وجهه يلوح أمامي. بدأتُ بحثًا لا يُنسى عنه، تمامًا كما بحثتُ عن أمي المفقودة منذ زمن بعيد.

كاشي، المفقودة والمُعاد اكتشافها

أخي بيشنو؛ موتيلال موخيرجي من سيرامبور، وهو تلميذ متقدم للغاية لسري يوكتسوار؛ والدي؛ السيد رايت؛ نفسي؛ تولسي نارايان بوس؛ سوامي ساتياناندا من رانشي

مجموعة من المندوبين إلى المؤتمر الدولي لليبراليين الدينيين عام ١٩٢٠ في بوسطن، حيث ألقيتُ خطابي الأول في أمريكا. (من اليسار إلى اليمين): القس كلاي ماكولي، القس ت. روندا ويليامز، البروفيسور س. أوشيغاساكي، القس جابيز ت. سندرلاند، أنا، القس تشارلز دبليو. ويندت، القس صموئيل أ. إليوت، القس باسل مارتن، القس كريستوفر ج. ستريت، القس صموئيل م. كروذرز.

شعرتُ أنه بما أن الله وهبني القدرة على التفكير، فعليّ أن أستخدمها وأُكرّس قواي إلى أقصى حدّ لاكتشاف القوانين الدقيقة التي تُمكّنني من معرفة مكان الصبيّ النجمي. أدركتُ أنه روحٌ تهتزّ برغباتٍ لم تُحقّق - كتلةٌ من النور تطفو في مكانٍ ما وسط ملايين الأرواح المُضيئة في العوالم النجمية. كيف لي أن أتناغم معه، بين كل هذه الأنوار المُهتزّة لأرواحٍ أخرى؟

باستخدام تقنية اليوغا السرية، قمت ببث حبي لروح كاشي من خلال ميكروفون

العين الروحية، النقطة الداخلية بين الحاجبين. مع هوائي اليدين والأصابع المرفوعة، كنتُ أدور حول

نفسي مرارًا وتكرارًا، محاولًا تحديد الاتجاه الذي وُلد فيه جنينًا. كنتُ آمل أن أتلقى منه استجابةً في راديو قلبي المُركّز. ٢٨-١

شعرتُ حدسيًا أن كاشي سيعود إلى الأرض قريبًا، وأن روحه ستستجيب إن واصلتُ ندائي له بلا انقطاع. كنتُ أعلم أن أدنى نبضة يرسلها كاشي ستُشعِرُني في أصابعي، ويديّ، وذراعيّ، وعمودي الفقري، وأعصابي.

بحماسٍ متواصل، مارستُ طريقة اليوغا بثباتٍ لنحو ستة أشهر بعد وفاة كاشي. ذات صباح، بينما كنتُ أسير مع بعض الأصدقاء في حيّ بوبزار المزدحم في كلكتا، رفعتُ يديّ كعادتي. وللمرة الأولى، شعرتُ باستجابة. شعرتُ بسعادةٍ غامرةٍ عندما شعرتُ بنبضاتٍ كهربائيةٍ تتدفق على أصابعي وراحتيّ. تحوّلت هذه التيارات إلى فكرةٍ غامرةٍ من أعماق وعيي: "أنا كاشي؛ أنا كاشي؛ تعالَ إليّ!"

أصبحت الفكرة مسموعة تقريبًا وأنا أركز على جهاز راديو قلبي. في همسة كاشي المميزة، الأجشّة قليلًا، سمعتُ نداءه مرارًا وتكرارًا. أمسكت بذراع أحد رفاقي، بروكاش داس، وابتسمتُ له بفرح.

"يبدو وكأنني وجدت كاشي!"

بدأتُ أستديرُ وأدورُ، مُثيراً ضحك أصدقائي والحشد المارة. لم أشعرُ بوخزاتٍ كهربائيةٍ في أصابعي إلا عندما اتجهتُ نحو طريقٍ قريب، سُميَّ "الطريق

الأفعواني" ببراعة. اختفت التيارات النجمية عندما استدرتُ في اتجاهاتٍ أخرى.

"آه،" صرخت، "لا بد أن روح كاشي تعيش في رحم بعض الأمهات التي يقع منزلها في هذا الزقاق."

اقتربتُ أنا ورفاقي من شارع سربنتين، وازدادت اهتزازات يديّ المرفوعتين قوةً ووضوحًا. وكأنّ مغناطيسًا يجذبني نحو يمين الطريق. وعندما وصلتُ إلى مدخل منزلٍ ما، دهشتُ لأجد نفسي مشدوهًا. طرقتُ الباب في حالةٍ من الإثارة الشديدة، حابسًا أنفاسي. شعرتُ أن النهاية الموفقة قد أتت لرحلتي الطويلة والشاقة، والتي لا شكّ أنها غير عادية!

فتح الباب خادمٌ وأخبرني أن سيده في المنزل. نزل الدرج من الطابق الثاني وابتسم لي متسائلاً. لم أكن أعرف كيف أصيغ سؤالي، الذي بدا مناسباً ووقحاً في آنٍ واحد.

"أرجوك أن تخبرني يا سيدي، هل أنت وزوجتك كنتما تنتظران طفلاً منذ حوالي ستة أشهر؟"

"نعم، إنه كذلك." عندما رأى أنني سوامي، أي شخص زاهد يرتدي الزي البرتقالي التقليدي، أضاف بأدب: "أرجو أن تخبرني كيف تعرف شؤوني."

عندما سمع الرجل عن كاشي والوعد الذي قطعته، صدق قصتي.

قلتُ له: "سيولد لك طفلٌ ذو بشرةٍ بيضاء. سيكون وجهه عريضًا، بخصلةٍ من شعرٍ كثيفٍ على جبهته. ستكون شخصيته روحانيةً بشكلٍ ملحوظ". كنتُ على يقينٍ من أن الطفل القادم سيحمل هذه الشبه مع كاشي.

لاحقًا، زرتُ الطفل الذي أطلق عليه والداه اسمه القديم كاشي. حتى في طفولته، كان يُشبه إلى حدٍّ كبيرٍ طالبي العزيز من رانشي. أبدى لي الطفل عاطفةً فوريةً، فاستيقظت في داخلي جاذبية الماضي بقوةٍ مضاعفة.

بعد سنوات، كتب لي فتى مراهق، أثناء إقامتي في أمريكا، موضحًا شوقه العميق لاتباع طريق الزهد. وجّهته إلى معلم من الهيمالايا، لا يزال يُرشد الكاشي المولود حديثًا إلى يومنا هذا.

١-٢٨: تُعرف الإرادة، المُنطلقة من نقطة ما بين الحاجبين، لدى اليوغيين بأنها جهاز بث الأفكار. عندما يُركّز الشعور بهدوء على القلب، يعمل بمثابة راديو عقلي، ويستطيع استقبال رسائل الآخرين من بعيد أو قريب. في التخاطر، تنتقل الاهتزازات الدقيقة للأفكار في عقل شخص ما عبر الاهتزازات الدقيقة للأثير النجمي، ثم عبر الأثير الأرضي الأكثر كثافة، مُولّدةً موجات كهربائية تُترجم بدورها إلى موجات فكرية في عقل الشخص الآخر.

٢٨-٢: كل روح في طهرها عليمة بكل شيء. تذكرت روح كاشي جميع صفات كاشي، الصبي، فقلدت صوته الأجشّ لتُثير إدراكي.

28-3: بروكاش داس هو المدير الحالي لـ Yogoda Math (المحبسة) في داكشينسوار في البنغال.

الفصل: 29

أنا ورابندراناث طاغور نقارن المدارس

"علمنا رابندراناث طاغور الغناء، كشكل طبيعي للتعبير عن الذات، مثل الطيور."

بهولا ناث، فتى ذكي في الرابعة عشرة من عمره في مدرستي برانشي، شرح لي هذا بعد أن أثنيت عليه ذات صباح على انفعالاته الطربية. بغض النظر عن الاستفزاز أو عدمه، كان الفتى يتدفق سيلاً من الألحان. كان قد درس سابقًا في مدرسة طاغور الشهيرة "سانتينيكيتان" (ملاذ السلام) في بولبور.

قلتُ لرفيقي: «أغاني رابندراناث تردد على شفتيّ منذ صغري. كل البنغال، حتى الفلاحون الأميون، يُسعدون بشعره النبيل».

لقد غنيت أنا وبولا معًا بعض المقاطع من أشعار طاغور، الذي لحن آلاف القصائد الهندية، بعضها أصلي وبعضها الآخر من العصور القديمة.

«التقيتُ رابندراناث بعد فوزه بجائزة نوبل للآداب بفترة وجيزة»، علّقتُ بعد تبادلنا أطراف الحديث.

«انجذبتُ لزيارته لإعجابي بشجاعته غير الدبلوماسية في التعامل مع نقاده الأدبيين».
ضحكتُ بخفة.

سأل بهولا عن القصة بفضول.

بدأتُ حديثي قائلاً: "انتقد العلماء طاغور بشدة لإدخاله أسلوبًا جديدًا في الشعر البنغالي. لقد مزج بين التعبيرات العامية والكلاسيكية، متجاهلًا جميع القيود المفروضة على قلوب النقاد. تُجسّد أغانيه حقائق فلسفية عميقة بعبارات آسرة عاطفيًا، مع قليل من الاهتمام بالأشكال الأدبية المتعارف عليها".

أشار أحد النقاد المؤثرين باستخفاف إلى رابندرانات بأنه "شاعر حمام يبيع هديله مطبوعًا مقابل روبية". لكن انتقام طاغور كان وشيكًا؛ فقد قدّم العالم الغربي بأسره احترامه عند قدميه بعد وقت قصير من ترجمته لكتابه "جيتانجالي" ("قرابين الأغاني" إلى الإنجليزية). وتوجهت قافلة من الخبراء، بمن فيهم منتقدوه السابقون، إلى سانتينيكيتان لتقديم التهاني.

لم يستقبل رابندرانات ضيوفه إلا بعد تأخير طويل عمدًا، ثم استمع إلى مديحهم في صمتٍ تام. وأخيرًا، وجّه إليهم أسلحة النقد المعتادة.

قال: «أيها السادة، إن التكريمات العطرة التي تمنحونها هنا تختلط بشكل متناقض مع الروائح

الكريهة لازدرائكم الماضي. هل من الممكن أن تكون هناك أي صلة بين منحي جائزة نوبل وبين قدرتكم المفاجئة على التقدير؟ ما زلتُ نفس الشاعر الذي أغضبكم عندما قدمتُ زهوري المتواضعة لأول مرة في ضريح البنغال».

نشرت الصحف تقريرًا عن العقاب الجريء الذي وجهّه طاغور. أعجبتُ بالكلمات الصريحة لرجلٍ لم يُسحره الإطراء، تابعتُ. تعرّفتُ على رابندراناث في كلكتا عن طريق سكرتيره، السيد سي. إف. أندروز، البالغ من العمر 29 عامًا، والذي كان يرتدي دوتي بنغاليًا بسيطًا. أشار إلى طاغور بمودةٍ باعتباره معلمه الروحي.

استقبلني رابندراناث بحفاوة بالغة. كان يشعّ بهالة من السحر والثقافة واللباقة. ردًّا على سؤالي عن خلفيته الأدبية، أخبرني طاغور أن أحد مصادر إلهامه القديمة، إلى جانب ملاحمنا الدينية، كان الشاعر الكلاسيكي بيدياباتي.

مستلهمة من هذه الذكريات، بدأتُ أُغني نسخة طاغور من أغنية بنغالية قديمة بعنوان "أشعل مصباح حبك". هتفتُ أنا وبولا بفرح بينما كنا نتجول في أرجاء فيديالايا.

بعد حوالي عامين من تأسيس مدرسة رانشي، تلقيتُ دعوة من رابندراناث لزيارته في سانتينيكيتان لمناقشة مُثُلنا التعليمية. ذهبتُ بسرور. كان الشاعر

جالسًا في مكتبه عندما دخلتُ؛ فكرتُ حينها، كما في لقائنا الأول، أنه كان نموذجًا رائعًا للرجولة الرائعة التي يتمناها أي رسام. كان وجهه الجميل المنحوت، ذو الطابع الأرستقراطي النبيل، محاطًا بشعر طويل ولحية منسدلة. عينان واسعتان ساحرتان؛ ابتسامة ملائكية؛ و...

صوتٌ أشبه بصوت الناي، ساحرٌ بحق. قوي البنية، طويل القامة، ورصين، جمع بين رقةٍ أنثويةٍ وعفويةٍ ساحرةٍ كبراءة الأطفال. لا يمكن لأيّ تصورٍ مثاليٍّ للشاعر أن يجد تجسيدًا أنسب من هذا المغني اللطيف.

سرعان ما انغمستُ أنا وطاغور في دراسة مُقارنة لمدارسنا، التي تأسست كلتاهما على أسس غير تقليدية. اكتشفنا العديد من السمات المتشابهة - التعليم في الهواء الطلق، والبساطة، ومساحة واسعة لإبداع الطفل. مع ذلك، ركّز رابندرانات بشكل كبير على دراسة الأدب والشعر، والتعبير عن الذات من خلال الموسيقى والغناء، وهو ما سبق أن أشرتُ إليه في حالة بهولا. التزم أطفال سانتينيكيتان بفترات صمت، لكنهم لم يتلقوا أي تدريب يوغا خاص.

لقد استمع الشاعر باهتمام كبير إلى وصفي لتمارين "يوجودا" المنشطة وتقنيات التركيز في اليوغا التي يتم تدريسها لجميع الطلاب في رانشي.

أخبرني طاغور عن معاناته التعليمية المبكرة. قال ضاحكًا: "هربتُ من المدرسة بعد الصف الخامس". استطعتُ أن أفهم بسهولة كيف تأثرت حساسيته الشعرية الفطرية بأجواء الفصل الدراسي الكئيبة والصارمة.

لهذا السبب فتحتُ سانتينيكيتان تحت ظلال الأشجار وسماءٍ زاهية. أشار ببلاغةٍ إلى مجموعةٍ صغيرةٍ تدرس في الحديقة الجميلة. "يعيش الطفل في بيئته الطبيعية وسط الزهور والطيور المغردة. هكذا فقط يُعبّر عن ثروته الكامنة. لا يُمكن أبدًا حشوُ التعليم الحقيقي وضخُّه من الخارج؛ بل يجب أن يُساعد على إبراز كنوز الحكمة اللامتناهية في داخله تلقائيًا." ٢٩-٢

وافقتُ. "إن غرائز الشباب المثالية وعبادة الأبطال مُحرَّمةٌ على حميةٍ حصريةٍ من الإحصائيات والعصور الزمنية."

وتحدث الشاعر بحب عن والده، ديفيندرانات، الذي ألهم بدايات سانتينيكيتان.

أخبرني رابندرانات: "أهداني والدي هذه الأرض الخصبة، حيث بنى فيها دار ضيافة ومعبدًا. بدأتُ تجربتي التعليمية هنا عام ١٩٠١، مع عشرة أولاد فقط. وخُصصت الثمانية آلاف جنيه إسترليني التي حصلتُ عليها مع جائزة نوبل لصيانة المدرسة".

كان طاغور الأكبر، ديفيندراناث، المعروف في كل مكان باسم "مهاريشي"، رجلاً بارزًا للغاية، كما يتضح من سيرته الذاتية. قضى عامين من شبابه في التأمل في جبال الهيمالايا. وفي المقابل، كان والده، دواركاناث طاغور، مشهورًا في جميع أنحاء البنغال لسخائه في تقديم الإحسان العام. من هذه الشجرة العريقة انبثقت عائلة من العباقرة. ليس رابندراناث وحده؛ بل تميز جميع أقاربه في التعبير الإبداعي. يُعدّ شقيقاه، غوغونيندرا وأبانيندرا، من أبرز فناني الهند (29-3)؛ أما شقيقه الآخر، دويجندرا، فهو فيلسوف ذو بصيرة عميقة، تستجيب الطيور ومخلوقات الغابة لندائه اللطيف.

دعاني رابندراناث للمبيت في دار الضيافة. كان مشهدًا ساحرًا حقًا، في المساء، أن أرى الشاعر جالسًا مع مجموعة في الفناء. انعكس الزمن:

كان المشهد أمامي أشبه بمعبدٍ عتيق - مغنيٌ فرحٌ يحيط به أتباعه، جميعهم مُحاطون بهالةٍ من الحب الإلهي. نسج طاغور كلَّ رباطٍ بحبال التناغم. لم يكن حازمًا قط، بل كان يجذب القلب ويأسره بجاذبيةٍ لا تُقاوم. زهرةٌ نادرةٌ من الشعر تتفتح في حديقة الرب، تجذب الآخرين بعبيرٍ طبيعي!

بصوته الشجي، قرأ لنا رابندراناث بعضًا من قصائده الرائعة، التي ألّفها حديثًا. معظم أغانيه ومسرحياته، التي كُتبت لإمتاع طلابه، أُلِّفت في سانتينيكيتان. يكمن جمال أبياته، في نظري، في إتقانه الإشارة

إلى الله في كل مقطع تقريبًا، ونادرًا ما يذكر اسمه المقدس. كتب: "سكرانًا بنعيم الغناء، أنسى نفسي وأدعوك يا سيدي".

في اليوم التالي، بعد الغداء، ودعتُ الشاعر على مضض. أسعدني أن مدرسته الصغيرة قد تطورت لتصبح جامعة عالمية، "فيسوا بهاراتي"، حيث وجد العلماء من جميع أنحاء العالم بيئة مثالية.

"حيث يكون العقل بلا خوف والرأس مرفوعًا؛ حيث المعرفة حرة؛ حيث لم يُجزأ العالم إلى أجزاء بواسطة جدران منزلية ضيقة؛ حيث تخرج الكلمات من أعماق الحقيقة؛ حيث يمد الكفاح الدؤوب ذراعيه نحو الكمال؛ حيث لم يفقد تيار العقل الصافي طريقه في رمال الصحراء الكئيبة للعادات الميتة؛ حيث يقودك العقل إلى الأمام نحو الفكر والعمل المتسعين باستمرار؛ إلى سماء الحرية تلك، يا أبي، دع وطني يستيقظ!" 29-4 رابندراناث طاغور

٢٩-١: الكاتب والناشر الإنجليزي، الصديق المقرب للمهاتما غاندي. يُكرّم السيد أندروز في الهند لخدماته العديدة لوطنه الجديد.

٢٩-٢: "إن الروح، بعد أن وُلدت مرارًا، أو كما يقول الهندوس، "سارت على درب الوجود عبر آلاف الولادات"... لا يوجد شيء لم تكتسب معرفته؛ فلا عجب أنها قادرة على تذكر... ما كانت تعرفه

سابقًا... فالاستقصاء والتعلم هما كل شيء للتذكر." - إيمرسون.

٢٩-٣: انخرط رابندراناث أيضًا، في الستينيات من عمره، في دراسة جادة للرسم. وأُقيمت معارض لأعماله "المستقبلية" قبل بضع سنوات في عواصم أوروبية ونيويورك.

٢٩-٤: جيتانجالي (نيويورك: شركة ماكميلان). يمكن الاطلاع على دراسة متعمقة للشاعر في كتاب "فلسفة رابندراناث طاغور"، للباحث الشهير السير إس. راداكريشنان (ماكميلان، ١٩١٨). ومن المجلدات التفسيرية الأخرى كتاب "رابندراناث طاغور: الإنسان وشعره" لـ بي. كي. روي (نيويورك: دود، ميد، ١٩١٥). أما كتاب "بوذا وإنجيل البوذية" (نيويورك: بوتنام، ١٩١٦)، للخبير البارز في الفن الشرقي، أناندا ك. كوماراسوامي، فيتضمن عددًا من الرسوم التوضيحية الملونة لشقيق الشاعر، أبانيندرا ناث طاغور.

الفصل: 30

قانون المعجزات

كتب الروائي الكبير ليو تولستوي قصةً رائعة بعنوان "النساك الثلاثة". وقد لخّصها صديقه نيكولاس روريش (30-1) على النحو التالي:

على جزيرة عاش ثلاثة نساك مُسنّين. كانوا في غاية البساطة، لدرجة أن صلاتهم الوحيدة كانت: «نحن ثلاثة، أنت ثلاثة، ارحمنا!». وقد تجلّت معجزات عظيمة خلال هذه الصلاة البسيطة.

وصل الأسقف المحلي ٣٠-٢ ليعلم بأمر النساك الثلاثة وصلاتهم غير المقبولة، فقرر زيارتهم ليُعلّمهم الأدعية القانونية. وصل إلى الجزيرة، وأخبر النساك أن طلبهم السماوي مهين، وعلّمهم العديد من الأدعية المعتادة. ثم غادر الأسقف على متن قارب. رأى، وهو يتبع السفينة، نورًا ساطعًا. وبينما كانت تقترب، ميّز النساك الثلاثة، وهم يمسكون بأيدي بعضهم البعض ويركضون على الأمواج في محاولة لتجاوزها.

«لقد نسينا الصلوات التي علمتنا إياها»، صاحوا وهم يصلون إلى الأسقف، «وسارعوا إلى أن نطلب منك تكرارها». هز الأسقف رأسه مذهولاً.

«أجاب بتواضع: أيها الأحباء، استمروا في العيش مع صلاتكم القديمة!»

كيف مشى القديسين الثلاثة على الماء؟

كيف أقام المسيح جسده المصلوب؟

كيف قام لاهيري ماهاسيا وسري يوكتسوار بمعجزاتهما؟

لم يُقدّم العلم الحديث إجابةً بعد؛ مع ظهور القنبلة الذرية وعجائب الرادار، اتسع نطاق العقل العالمي فجأةً. أصبحت كلمة "مستحيل" أقلّ استخدامًا في المفردات العلمية.

تُصرّح الكتب الفيدية القديمة بأن العالم المادي يعمل بموجب قانون أساسي واحد من قوانين المايا، وهو مبدأ النسبية والثنائية. الله، الحياة الوحيدة، هو وحدة مطلقة؛ لا يمكن أن يظهر كمظاهر منفصلة ومتنوعة للخلق إلا تحت غطاء زائف أو

حجابٌ زائف. هذا الوهم الكوني هو مايا. كلُّ اكتشافٍ علميٍّ عظيمٍ في العصر الحديث كان تأكيدًا لهذا القول البسيط للريشيس.

قانون نيوتن للحركة هو قانون مايا: "لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه؛ فالفعلان المتبادلان لأي جسمين يكونان دائمًا متساويين ومتعاكسين في الاتجاه". وبالتالي، فإن الفعل ورد الفعل متساويان تمامًا. "من المستحيل وجود قوة واحدة. يجب أن تكون هناك، ودائمًا، قوتان متساويتان ومتعاكستان في المقدار".

جميع الأنشطة الطبيعية الأساسية تكشف عن أصلها الكوني. الكهرباء، على سبيل المثال، ظاهرة تنافر وتجاذب؛ إلكتروناتها وبروتوناتها متضادات كهربائية. مثال آخر: الذرة، أو الجسيم الأخير من المادة، هي،

كالأرض نفسها، مغناطيس ذو قطبين موجب وسالب. يخضع العالم الظاهري بأكمله لسيطرة القطبية اللامتناهية؛ فلا يوجد قانون في الفيزياء أو الكيمياء أو أي علم آخر خالٍ من مبادئ متأصلة متناقضة أو متعارضة.

إذن، لا يمكن للعلم الطبيعي أن يصوغ قوانين خارج المايا، بنية الخلق وبنيته. الطبيعة نفسها مايا؛ لذا، لا بد أن يتعامل العلم الطبيعي مع ماهيتها الحتمية. في مجالها الخاص، هي أبدية لا تنضب؛ ولا يستطيع علماء المستقبل إلا استكشاف جانب تلو الآخر من لانهائيتها المتنوعة. وهكذا، يبقى العلم في حالة تقلب دائم، عاجزًا عن بلوغ الغاية؛ فهو مؤهل بالفعل لصياغة قوانين كون قائم وعامل، لكنه عاجز عن كشف واضع القانون والمشغل الوحيد. لقد أصبحت المظاهر الجليلة للجاذبية والكهرباء معروفة، لكن ماهيتهما لا يعلمها بشر. ٣٠-٣ - بقلم بي كيه ميترا في "كاليانا-كالباتور".

المعلم والتلميذ

كانت بيوت الغابة هي المراكز القديمة للتعلم، الدنيوية والإلهية، بالنسبة للشباب

في الهند. هنا، يقف معلم روحي جليل، متكئًا على مسند خشبي للتأمل، يُدخل تلميذه في أسرار الروح الجليلة.

كان التغلب على المايا المهمة التي أوكلها أنبياء الألفية للبشرية. وكان الارتقاء فوق ثنائية الخلق وإدراك وحدة الخالق هدفًا أسمى للإنسان. وعلى من يتمسك بالوهم الكوني أن يقبل قانونه الجوهري المتمثل في القطبية: المد والجزر، الارتفاع والانخفاض، الليل والنهار، اللذة والألم، الخير والشر، الولادة والموت. ويتخذ هذا النمط الدوري رتابة مؤلمة نوعًا ما، فبعد أن يمر الإنسان ببضعة آلاف من الولادات البشرية، يبدأ في إلقاء نظرة أمل تتجاوز ضغوط المايا.

إن تمزيق حجاب المايا هو اختراقٌ لسر الخلق. اليوغي الذي يُعرّي الكون بهذه الطريقة هو الموحد الحقيقي الوحيد. أما الآخرون، فجميعهم يعبدون صورًا وثنية. وما دام الإنسان خاضعًا لأوهام الطبيعة الثنائية، فإن المايا ذات الوجهين هي إلهته؛ لا يمكنه معرفة الإله الحقيقي الوحيد.

وهم العالم، مايا، يُطلق عليه فرديًا اسم أفيديا، وتعني حرفيًا "عدم المعرفة"، أو الجهل، أو الوهم. لا يمكن القضاء على مايا أو أفيديا أبدًا من خلال الاقتناع الفكري أو التحليل، ولكن فقط من خلال بلوغ حالة نيربيكالبا سامادهي الداخلية. تكلم أنبياء العهد القديم، ورائو جميع البلدان والعصور، من تلك الحالة من الوعي. يقول حزقيال (43: 1-2): "ثم قادني إلى البوابة، البوابة التي تطل على الشرق، وإذا بمجد إله إسرائيل قادم من طريق الشرق،

وكان صوته كصوت مياه كثيرة، وأشرقت الأرض بمجده". من خلال العين الإلهية في الجبهة (الشرق)، يُبحر اليوغي بوعيه إلى الوجود الكلي، مستمعًا إلى الكلمة أو أوم، الصوت الإلهي للمياه أو الاهتزازات العديدة التي هي الحقيقة الوحيدة للخلق.

من بين ألغاز الكون التي لا تُحصى، يُعدّ الضوء أكثرها غرابةً. فعلى عكس الموجات الصوتية التي يتطلب انتقالها الهواء أو وسائط مادية أخرى، تمر الموجات الضوئية بحرية عبر فراغ الفضاء بين النجوم. حتى الأثير الافتراضي، المُعتَبَر وسيطًا للضوء بين الكواكب في نظرية التموج، يُمكن استبعاده استنادًا إلى نظرية أينشتاين القائلة بأن الخصائص الهندسية للفضاء تُعيق نظرية الأثير. وفي كلتا الفرضيتين، يبقى الضوء أدقّ المظاهر الطبيعية، وأكثرها تحررًا من الاعتماد على المادة.

في تصورات أينشتاين الهائلة، تُهيمن سرعة الضوء - 186,000 ميل في الثانية - على نظرية النسبية بأكملها. يُثبت رياضيًا أن سرعة الضوء، بقدر ما يتعلق الأمر بعقل الإنسان المحدود، هي الثابت الوحيد في كون ذي تدفق لا يُقاوم. تعتمد جميع المعايير البشرية للزمان والمكان على مُطلق سرعة الضوء وحده. ليس الزمان والمكان أبديين تجريديين كما اعتُبر حتى الآن، بل هما عاملان نسبيان ومحدودان، يستمدان صلاحية قياسهما فقط

بالإشارة إلى مقياس سرعة الضوء. بضم المكان إلى النسبية ذات الأبعاد، تخلى الزمن عن ادعاءاته القديمة بقيمة ثابتة. يُجرد الزمن الآن من طبيعته الصحيحة - جوهر بسيط من الغموض! ببضع ضربات معادلة من قلمه، نفى أينشتاين من الكون كل حقيقة ثابتة باستثناء حقيقة الضوء.

في تطور لاحق، نظرية المجال الموحد، جسّد الفيزيائي العظيم قوانين الجاذبية والكهرومغناطيسية في صيغة رياضية واحدة. اختزال الكون

من خلال الانتقال من بنية إلى أخرى على أساس قانون واحد، يصل أينشتاين 30-4 عبر العصور إلى الحكماء الذين أعلنوا عن نسيج واحد للخلق - نسيج المايا المتعدد الأشكال.

بفضل نظرية النسبية التاريخية، برزت الإمكانيات الرياضية لاستكشاف الذرة المطلقة. ويؤكد علماء عظماء الآن بجرأة ليس فقط أن الذرة طاقة وليست مادة، بل إن الطاقة الذرية هي جوهر العقل.

يكتب السير آرثر ستانلي إدينغتون في كتابه "طبيعة العالم المادي": "إن الإدراك الصريح بأن العلوم الفيزيائية تُعنى بعالم من الظلال يُعدّ من أهم التطورات". "في عالم الفيزياء، نشاهد عرضًا تصويريًا لدراما الحياة المألوفة. يستقر ظل مرفقي

على طاولة الظل بينما يتدفق حبر الظل على ورق الظل. كل شيء رمزي، وكرمز يتركه الفيزيائي. ثم يأتي العقل الكيميائي الذي يُحوّل الرموز... وبعبارة أخرى، فإن جوهر العالم هو جوهر العقل... فالمادة الواقعية وحقول القوة في النظرية الفيزيائية السابقة لا أهمية لها على الإطلاق إلا بقدر ما نسج جوهر العقل نفسه هذه التخيلات... وهكذا أصبح العالم الخارجي عالمًا من الظلال. بإزالة أوهامنا، أزلنا الجوهر، لأننا رأينا بالفعل أن الجوهر هو أحد أعظم أوهامنا".

مع الاكتشاف الحديث للمجهر الإلكتروني، برز دليل قاطع على جوهر الذرات الخفيف، وعلى ازدواجية الطبيعة التي لا مفر منها. نشرت صحيفة نيويورك تايمز التقرير التالي عن عرض توضيحي للمجهر الإلكتروني عام ١٩٣٧ أمام اجتماع للجمعية الأمريكية لتقدم العلوم:

برزت البنية البلورية للتنغستن، التي لم تكن معروفة حتى ذلك الحين إلا بشكل غير مباشر عن طريق الأشعة السينية، بوضوح على شاشة فلورية، موضحةً تسع ذرات في مواقعها الصحيحة في الشبكة الفراغية، على شكل مكعب، بذرة واحدة في كل زاوية وذرة واحدة في المنتصف. ظهرت ذرات الشبكة البلورية للتنغستن على الشاشة الفلورية كنقاط ضوئية، مرتبة في نمط هندسي. وعلى هذا المكعب البلوري من الضوء، يمكن رؤية

جزيئات الهواء المتساقطة كنقاط ضوئية راقصة، تشبه نقاط ضوء الشمس المتلألئة على المياه المتحركة...

اكتُشف مبدأ المجهر الإلكتروني لأول مرة عام ١٩٢٧ على يد الدكتورَين كلينتون جيه. دافيسون وليستر هـ. جيرمر من مختبرات بيل للهاتف في مدينة نيويورك، حيث وجدا أن للإلكترون شخصية مزدوجة تجمع بين خصائص الجسيم والموجة. وقد منحت خاصية الموجة للإلكترون خاصية الضوء، وبدأ البحث عن وسائل لتركيز الإلكترونات بطريقة تُشبه تركيز الضوء باستخدام عدسة.

"لاكتشافه لخاصية جيكل-هايد للإلكترون، والتي أكدت التنبؤ الذي قدمه دي بروجلي، الفيزيائي الفرنسي الحائز على جائزة نوبل، عام 1924، وأظهر أن عالم الطبيعة الفيزيائية بأكمله له شخصية مزدوجة، حصل الدكتور دافيسون أيضًا على جائزة نوبل في الفيزياء."

يكتب السير جيمس جينز في كتابه "الكون الغامض": "إن تيار المعرفة يتجه نحو واقع غير ميكانيكي؛ إذ بدأ الكون يبدو أشبه بفكرة عظيمة منه بآلة عظيمة". وهكذا، يبدو علم القرن العشرين وكأنه صفحة من الفيدا القديمة.

من العلم إذن، إن كان لا بد من ذلك، فليتعلم الإنسان الحقيقة الفلسفية، وهي أنه لا وجود للكون

المادي؛ فنسيجه ولحمته هما مايا، أي وهم. وتنهار كل سرابات الواقع تحت التحليل. وبينما تتحطم دعائم الكون المادي المطمئنة واحدة تلو الأخرى تحت قدميه، يدرك الإنسان إدراكًا خافتًا اعتماده الوثني، وتجاوزه السابق للأمر الإلهي: "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي".

في معادلته الشهيرة التي بيّنت تكافؤ الكتلة والطاقة، أثبت أينشتاين أن طاقة أي جسيم من المادة تساوي حاصل ضرب كتلته أو وزنه في مربع سرعة الضوء. ويحدث إطلاق الطاقات الذرية من خلال فناء الجسيمات المادية. وكان "موت" المادة بمثابة "ميلاد" العصر الذري.

سرعة الضوء معيار أو ثابت رياضي، ليس لأن ١٨٦,٠٠٠ ميل في الثانية قيمة مطلقة، بل لأنه لا يمكن لأي جسم مادي، تزداد كتلته مع سرعته، أن يصل إلى سرعة الضوء. بعبارة أخرى: لا يمكن إلا لجسم مادي ذي كتلة لا نهائية أن يضاهي سرعة الضوء.

وهذا المفهوم يوصلنا إلى قانون المعجزات.

إن الأساتذة القادرين على تجسيد وإزالة أجسادهم أو أي جسم آخر، والتحرك بسرعة الضوء، واستخدام أشعة الضوء الإبداعية في جلب أي مظهر مادي إلى رؤية فورية، قد حققوا الشرط الأينشتايني الضروري: كتلتهم لا نهائية.

إن وعي اليوغي المُتقن يُعرّف بسهولة، ليس بجسدٍ ضيق، بل بالبنية الكونية. الجاذبية، سواءٌ أكانت "قوة" نيوتن أم "تجلي القصور الذاتي" عند أينشتاين، عاجزة عن إجبار مُعلِّم على إظهار خاصية "الوزن" التي تُميّز جميع الأجسام المادية. من يعرف نفسه على أنه الروح الحاضر في كل مكان، لم يعد خاضعًا لصلابة الجسد في الزمان والمكان. لقد استسلمت "حلقاتهم السجينة" للحل: "أنا هو".

"فليكن النور! وكان نور". أول أمرٍ لله لخلقه المنظم (سفر التكوين ١: ٣) أوجد الحقيقة الذرية الوحيدة: النور. على أشعة هذا الوسط غير المادي، تظهر جميع المظاهر الإلهية. ويشهد أتباعه من كل عصر على ظهور الله كلهب ونور. "ملك الملوك، ورب الأرباب؛ الذي له وحده الخلود، ساكنًا في نور لا يدنو منه أحد". ٣٠-٥

اليوغي الذي دمج وعيه بالخالق، من خلال تأملٍ مُتقن، يدرك الجوهر الكوني نورًا؛ فلا فرق لديه بين أشعة الضوء التي تُكوّن الماء وأشعة الضوء التي تُكوّن الأرض. مُتحررًا من وعي المادة، مُتحررًا من أبعاد المكان الثلاثة وبُعد الزمان الرابع، ينقل المعلم جسده النوري بسهولة متساوية عبر أشعة ضوء الأرض، والماء، والنار، والهواء. تركيزه المُطوّل على العين الروحية المُحرّرة مكّن اليوغي من دحض جميع الأوهام المتعلقة بالمادة وثقل جاذبيتها؛ ومن

ثمّ، يرى الكون كتلةً من الضوء غير مُتمايزة في جوهرها.

يخبرنا الدكتور إل تي ترولاند من جامعة هارفارد أن "الصور البصرية مبنية على نفس المبدأ الذي تقوم عليه

نقوش "نصفية" عادية؛ أي أنها تتكون من نقاط أو خطوط دقيقة جدًا لا يمكن للعين رؤيتها... حساسية شبكية العين عالية جدًا لدرجة أنه يمكن توليد إحساس بصري بكمّيات قليلة نسبيًا من الضوء المناسب. بفضل المعرفة الإلهية للمعلم بظواهر الضوء، يمكنه إسقاط ذرات الضوء المنتشرة في كل مكان على الفور في تجليات محسوسة. الشكل الفعلي للإسقاط - سواء كان شجرة أو دواءً أو جسمًا بشريًا - يتوافق مع قوى الإرادة والتصور لدى اليوغي.

في وعي الإنسان الحلمي، حيث يُرخي في نومه قبضته على القيود الأنانية التي تُقيده يوميًا، تُظهر قدرة عقله المطلقة كل ليلة. ها! هناك في الحلم يقف الأصدقاء الذين رحلوا منذ زمن طويل، وأبعد القارات، ومشاهد طفولته التي بُعثت. بهذا الوعي الحر وغير المشروط، المعروف لجميع البشر في ظواهر الأحلام، صاغ المعلم المُتناغم مع الله رابطًا لا ينقطع أبدًا. بريء من جميع الدوافع الشخصية، مستخدمًا الإرادة الإبداعية التي منحها له الخالق، يُعيد اليوغي ترتيب ذرات الضوء في الكون لإرضاء

أي صلاة صادقة من المُريد. لهذا الغرض خُلق الإنسان والخليقة: أن ينهض سيدًا للمايا، مُدركًا سلطانه على الكون.

"وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم، وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض." 30-6

في عام ١٩١٥، بعد انضمامي إلى نظام السوامي بفترة وجيزة، شهدتُ رؤيا تناقضاتٍ عنيفة. تجلّت فيها نسبية الوعي البشري بوضوح؛ وأدركتُ بوضوح وحدة النور الأبدي وراء ثنائيات المايا المؤلمة. هبطت عليّ الرؤيا ذات صباح وأنا جالسٌ في غرفتي الصغيرة في علية منزل والدي في شارع جوربار. كانت الحرب العالمية الأولى مشتعلةً في أوروبا لأشهر؛ فتأملتُ بحزنٍ في الخسائر الفادحة.

بينما كنت أغمض عينيّ في تأمل، انتقل وعيي فجأةً إلى جسد قبطان يقود سفينة حربية. شقّ دوي المدافع الهواء مع تبادل إطلاق النار بين بطاريات الشاطئ ومدافع السفينة. أصابت قذيفة ضخمة مخزن البارود ومزقت سفينتي. قفزتُ في الماء، مع البحارة القلائل الذين نجوا من الانفجار.

قلبي يخفق بشدة، وصلتُ إلى الشاطئ بسلام. لكن يا للأسف! أنهت رصاصة طائشة رحلتها العنيفة في صدري. سقطتُ على الأرض وأنا أتأوه. كان

جسدي كله مشلولًا، ومع ذلك كنتُ أشعر به كما يشعر المرء بساقٍ نائمة.

"أخيرًا، لحقت بي خطوات الموت الغامضة"، فكرت. تنهدت أخيرًا، وكدت أفقد وعيي عندما وجدت نفسي جالسًا في وضعية اللوتس في غرفتي في شارع غوربار.

انهمرت دموعي الهستيرية وأنا أداعب وأقرص بفرح ما استرجعته - جسدٌ خالٍ من أي ثقب رصاصة في صدري. تأرجحتُ جيئةً وذهابًا، أستنشق وأزفر لأطمئن نفسي أنني على قيد الحياة. وسط هذه التهاني، وجدتُ وعيي ينتقل مجددًا إلى جثة القبطان على الشاطئ الملطخ بالدماء. اجتاحتني حالة من الارتباك التام.

"يا رب،" صليت، "هل أنا ميت أم حي؟"

ملأ ضوءٌ ساطعٌ الأفقَ بأكمله. وتَشَكَّلَ اهتزازٌ خافتٌ في كلماتٍ:

ما علاقة الحياة والموت بالنور؟ على صورة نوري خلقتك. نسبية الحياة والموت تنتمي إلى الحلم الكوني. انظر إلى كيانك الذي لا يحلم! استيقظ يا بني، استيقظ!

مع خطوات يقظة الإنسان، يُلهم الله العلماء لاكتشاف أسرار خلقه في الوقت والمكان المناسبين. تُساعد العديد من الاكتشافات الحديثة

البشر على إدراك الكون كتعبير متنوع عن قوة نور واحدة، مُهتدىً بذكاء إلهي. عجائب السينما، والراديو، والتلفزيون، والرادار، والخلية الكهروضوئية - "العين الكهربائية" التي ترى كل شيء، والطاقات الذرية - جميعها مبنية على ظاهرة الضوء الكهرومغناطيسية.

يستطيع فن السينما تصوير أي معجزة. من منظور بصري مُبهر، لا يُمنع أي عجيب من خداع التصوير. يُمكن رؤية جسد الإنسان النجمي الشفاف وهو ينهض من هيئته الجسدية الخام، ويستطيع المشي على الماء، وإحياء الموتى، وعكس التسلسل الطبيعي للأحداث، وعبثًا بالزمان والمكان. بتجميع الصور الضوئية كما يشاء، يُحقق المصور عجائب بصرية يُبدعها فنان بارع بأشعة الضوء الحقيقية.

تُجسّد الصور الواقعية للفيلم السينمائي حقائقَ كثيرةً عن الخلق. لقد ألّف المخرج الكوني مسرحياته بنفسه، وجمع طاقم الممثلين الهائل لاستعراض القرون. من كوخ الأبدية المظلم، يُسكب شعاعه الإبداعي عبر أفلام العصور المتعاقبة، وتُعرض الصور على شاشة الفضاء. وكما تبدو صور الفيلم حقيقية، لكنها مجرد مزيج من الضوء والظل، فكذلك التنوع الكوني يبدو وهميًا. إن الأجرام السماوية، بأشكال الحياة التي لا تُحصى فيها، ليست سوى صور في فيلم سينمائي كوني، صادقة مؤقتًا مع إدراكات الحواس الخمس، بينما تُعرض

المشاهد على شاشة وعي الإنسان بواسطة شعاع الإبداع اللامتناهي.

يستطيع جمهور السينما أن يرفع عينيه ليرى أن جميع صور الشاشة تظهر من خلال شعاع ضوء واحد بلا صورة. وبالمثل، تنبع الدراما الكونية الزاهية من ضوء أبيض واحد لمصدر كوني. ببراعة لا تُصدق، يُهيئ الله عرضًا ترفيهيًا لأبنائه البشر، جاعلًا منهم ممثلين وجمهورًا في مسرحه الكوكبي.

في أحد الأيام، دخلتُ دار سينما لمشاهدة فيلم إخباري عن ساحات المعارك الأوروبية. كانت الحرب العالمية الأولى لا تزال دائرة في الغرب؛ وقد وثّق الفيلم المذبحة بواقعية بالغة، لدرجة أنني غادرتُ الدار بقلبٍ حزين.

"يا رب،" صليت، "لماذا تسمح بمثل هذه المعاناة؟"

لدهشتي الشديدة، جاءتني إجابة فورية على شكل رؤية لساحات المعارك الأوروبية الحقيقية. كان رعب الصراع، المليء بالقتلى والمحتضرين، يفوق بكثير ضراوة

أي تمثيل للنشرة الإخبارية.

"انظُر بتمعن!" خاطبني صوتٌ رقيقٌ في داخلي. "ستُدرك أن هذه المشاهد التي تُعرض الآن في فرنسا ليست سوى مسرحيةٍ للضوء والظل. إنها

الفيلم الكوني، واقعيٌّ وغير واقعيٍّ كفيلم الأخبار الذي شاهدته للتو - مسرحيةٌ داخل مسرحية."

لم يطمئن قلبي بعد. تابع الصوت الإلهي: "الخليقة نور وظل، وإلا لما أمكن تصويرها. لا بد أن يتناوب الخير والشر في المايا على السيادة. لو كان الفرح لا ينقطع هنا في هذا العالم، فهل كان الإنسان ليبحث عن فرح آخر؟ فبدون معاناة، لا يكاد يكترث لتذكر أنه هجر بيته الأبدي. الألم دافع للذكرى. سبيل النجاة هو الحكمة! مأساة الموت غير واقعية؛ أولئك الذين يرتعدون منها كممثل جاهل يموت رعبًا على المسرح حين لا يُطلق عليه شيء سوى خرطوشة فارغة. أبنائي أبناء النور؛ لن يناموا إلى الأبد في وهم."

مع أنني قرأتُ رواياتٍ دينيةً عن المايا، إلا أنها لم تُعطني البصيرة العميقة التي جاءت مع الرؤى الشخصية وما صاحبها من كلماتٍ مُعزية. تتغير قيم المرء جذريًا عندما يقتنع أخيرًا بأن الخلق ليس سوى فيلمٍ سينمائيٍّ ضخم، وأن حقيقته تكمن ليس فيه، بل فيما وراءه.

بينما انتهيتُ من كتابة هذا الفصل، جلستُ على سريري في وضعية اللوتس. كانت غرفتي مضاءة بضوء خافت من مصباحين مظللين. رفعتُ بصري، فلاحظتُ أن السقف مُرصّع بأضواء صغيرة بلون الخردل، تتلألأ وترتعش ببريقٍ يشبه الراديوم. تجمعت آلاف الأشعة المرسومة بالقلم الرصاص،

كأوراق المطر، في عمود شفاف، وانهمر عليّ بصمت.

فجأةً، فقد جسدي المادي كثافته وتحول إلى نسيج نجمي. شعرتُ بإحساسٍ عائم، إذ بالكاد لامست السرير، تحرك الجسم عديم الوزن قليلاً، يمينًا ويسارًا، بالتناوب. نظرتُ في أرجاء الغرفة؛ كان الأثاث والجدران كالمعتاد، لكن كتلة الضوء الصغيرة تضاعفت لدرجة أن السقف كان غير مرئي. دهشتُ.

هذه هي آلية الحركة الكونية. تكلم صوتٌ كأنه من داخل النور. "يُلقي شعاعه على الشاشة البيضاء لملاءات سريرك، مُنتجًا صورة جسدك. انظر، شكلك ليس إلا نورًا!"

نظرتُ إلى ذراعيّ وحركتهما ذهابًا وإيابًا، لكنني لم أشعر بثقلهما. غمرتني فرحةٌ غامرة. بدت هذه الساق الكونية من النور، المتفتحة كجسدي، نسخةً إلهيةً من أشعة الضوء المتدفقة من كابينة العرض في دار السينما، والتي تتجلى كصور على الشاشة.

لفترة طويلة، عشتُ هذا المشهدَ المتحركَ لجسدي في قاعةِ نومي ذات الإضاءة الخافتة. ورغمَ كثرةِ الرؤى التي راودتني، لم تكن أيّ منها أكثرَ غرابةً من سابقتها. ومع تبددِ وهمِ الجسدِ الصلبِ تمامًا، وتعمقِ إدراكي بأنَّ جوهرَ كلِّ شيءٍ هو النور، رفعتُ بصري إلى تيارِ نبضاتِ الحياةِ وتحدثتُ بتوسُّل.

"أيها النور الإلهي، من فضلك اسحب هذه الصورة الجسدية المتواضعة إليك، تمامًا كما تم رفع إيليا إلى السماء بواسطة شعلة."

كانت هذه الصلاة مُذهلةً بلا شك؛ اختفى الشعاع. استعاد جسدي وزنه الطبيعي وغرق على السرير؛ ومضَت أضواء السقف المبهرة ثم اختفت. يبدو أن وقت رحيلي عن هذه الدنيا لم يحن بعد.

"وعلاوة على ذلك،" فكرت فلسفيا، "قد يكون النبي إيليا مستاء من جرأتي!"

٣٠-١: يعيش هذا الفنان والفيلسوف الروسي الشهير منذ سنوات طويلة في الهند قرب جبال الهيمالايا. وقد كتب: "من القمم ينبع الوحي. في الكهوف وعلى القمم عاش الحكماء. وفوق قمم جبال الهيمالايا الثلجية، يتوهج وهج ساطع، أشد سطوعًا من النجوم وومضات البرق المذهلة".

30-2: قد تكون للقصة أساس تاريخي؛ إذ تخبرنا إحدى المحررين أن الأسقف التقى بالرهبان الثلاثة أثناء إبحاره من رئيس الملائكة إلى دير سلوفينيا، عند مصب نهر دفينا.

30-3: اعترف ماركوني، المخترع العظيم، بالعجز العلمي أمام الحُكم النهائي: "إن عجز العلم عن حل مشكلة الحياة أمرٌ مُطلق. ولكانت هذه الحقيقة مُرعبة حقًا لولا الإيمان. إن لغز الحياة هو بلا شكّ

أكثر المشاكل إلحاحًا التي وُضعت أمام فكر الإنسان على الإطلاق".

30-4: إن الدليل على الاتجاه الذي اتخذه عبقرية أينشتاين يتجلى في حقيقة أنه كان تلميذاً مدى الحياة للفيلسوف العظيم سبينوزا، الذي كان أشهر أعماله كتاب "الأخلاق الموضحة في النظام الهندسي".

30-5: 1 تيموثاوس 6: 15-16.

30-6: تكوين 1: 26.

الفصل: 31

حوار مع الأم المقدسة

يا أمّي المُبجّلة، لقد عُمِّدتُ في طفولتي على يد زوجكِ النبيّ. كان مُعلّم والديّ ومُعلّمي سري يوكتسوارجي. فهل تسمحين لي إذًا بسماع بعض الأحداث في حياتكِ المُقدّسة؟

كنتُ أُخاطب سريماتي كاشي موني، رفيقة حياة لاهيري ماهاسايا. وبزيارتي بنارس لفترة وجيزة، كنتُ أُشبع رغبتي في زيارة هذه السيدة الجليلة. استقبلتني بحفاوة في منزل لاهيري القديم في منطقة غاروديسوار موهولا ببنما. ورغم تقدمها في السن، كانت تتفتح كزهرة لوتس، تفوح منها رائحة روحانية في صمت. كانت متوسطة البنية، ذات رقبة

نحيلة وبشرة فاتحة. وعينان واسعتان لامعتان تُضفيان على وجهها الأمومي لمسةً من اللطف.

"يا بني، أنت مرحب بك هنا. اصعد إلى الطابق العلوي."

قادتني كاشي موني إلى غرفة صغيرة جدًا عاشت فيها مع زوجها لفترة. شعرتُ بالفخر لرؤية هذا الضريح الذي تنازل فيه المعلم الفذّ ليُجسّد فيه دراما الزواج الإنسانية. أشارت لي السيدة اللطيفة إلى مقعدٍ مُبطّنٍ بجانبها.

"مرت سنوات قبل أن أدرك عظمة زوجي الإلهية"، بدأت. "في إحدى الليالي، في هذه الغرفة تحديدًا، حلمتُ حلمًا واضحًا. ملائكةٌ مُجيدةٌ تطفو فوقي برشاقةٍ لا تُصدق. كان المنظر واقعيًا لدرجة أنني استيقظتُ على الفور؛ كانت الغرفة مُحاطةً بنورٍ ساطعٍ بشكلٍ غريب.

كان زوجي، في وضعية اللوتس، معلقًا في وسط الغرفة، محاطًا بالملائكة الذين كانوا يعبدونه بوقارٍ متوسلٍ بأيديهم المتشابكة. دهشتُ دهشةً لا تُوصف، فأيقنت أنني ما زلتُ أحلم.

قال لاهيري ماهاسايا: «يا امرأة، أنتِ لستِ تحلمين. تخلّي عن نومكِ إلى الأبد». وبينما نزل ببطء إلى الأرض، انحنيتُ عند قدميه.

صرختُ قائلًا: «يا سيدي، أنحني لك مرارًا وتكرارًا! هل تسامحني على اعتبارك زوجي؟ أموت خجلًا وأنا أدرك أنني بقيتُ نائمًا في جهلٍ إلى جانب من استيقظ إلهيًا. منذ هذه الليلة، لم تعد زوجي، بل معلّمي. هل تقبل ذاتي التافهة تلميذًا لك؟» ٣١-١

لمسني المعلم برفق. «يا روحي المقدسة، انهضي. لقد قُبلتِ.» وأشار إلى الملائكة. «انحنوا بدوركم لكلٍّ من هؤلاء القديسين.»

"وبعد أن انتهيت من ركوعاتي المتواضعة، بدأت الأصوات الملائكية تتناغم مع بعضها البعض، وكأنها جوقة من كتاب مقدس قديم.

يا زوجة الإله، أنتِ مباركة. نُحييكِ. انحنوا عند قدميّ، وها هي وجوههم المتألقة تلاشت. أظلمت الغرفة.

"طلب مني معلّمي أن أتلقى المبادرة في كريا يوغا.

"بالطبع،" أجبت. "أنا آسف لعدم حصولي على نعمته في وقت سابق من حياتي."

«لم يحن الوقت بعد.» ابتسم لاهيري ماهاسايا مواساةً. «لقد ساعدتك سرًّا على فهم جزء كبير من كارماك. الآن أنت راغب ومستعد.»

لمس جبهتي. ظهرت كتل من الضوء الدوار؛ وتشكل الإشعاع تدريجيًا في شكل عين روحية

زرقاء اللون، محاطة بالذهب وفي وسطها نجمة خماسية بيضاء.

«اخترق وعيك عبر النجم إلى مملكة اللانهائي». كان لصوت معلّمي نغمة جديدة، ناعمة كموسيقى بعيدة.

"تحطمت رؤية تلو الأخرى كأمواج المحيط على شواطئ روحي. أخيرًا، ظهرت الكرات البانورامية

ذبتُ في بحرٍ من النعيم. غرقتُ في نعمةٍ لا تنضب. عندما عدتُ بعد ساعاتٍ إلى وعيي بهذا العالم، أعطاني المعلم تقنية الكريا يوغا.

منذ تلك الليلة، لم ينم لاهيري ماهاسيا في غرفتي مرة أخرى. ولم ينم بعدها أبدًا. بقي في الغرفة الأمامية في الطابق السفلي، برفقة تلاميذه ليلًا ونهارًا.

ساد الصمت بين السيدة الجليلة. وإذ أدركتُ فرادة علاقتها باليوغي السامي، قررتُ أخيرًا أن أسألها عن المزيد من الذكريات.

يا بني، أنت جشع. ومع ذلك، ستروي قصة أخرى. ابتسمت بخجل. سأعترف بذنب ارتكبته في حق زوجي معلمي الروحي. بعد أشهر من ترسيمي، بدأت أشعر باليأس والإهمال. في صباح أحد الأيام، دخل لاهيري ماهاسايا هذه الغرفة الصغيرة ليحضر

مقالًا؛ فتبعته بسرعة. غلبني الوهم الشديد، فخاطبته بقسوة.

أنت تقضي كل وقتك مع التلاميذ. ماذا عن مسؤولياتك تجاه زوجتك وأولادك؟ يؤسفني أنك لا تهتم بتوفير المزيد من المال للعائلة.

نظر إليّ السيد للحظة، ثم اختفى. فزعتُ وفزعت، فسمعتُ صوتًا يتردد في كل ركن من أركان الغرفة:

"إنها كلها لا شيء، ألا ترى؟ كيف يمكن لشخص مثلي أن يُنتج لك ثروة؟"

صرختُ قائلًا: "يا جورو جي، أتوسل إليكَ العفوَ مليونَ مرة! لم تعد عينايَ الخاطئتانِ تستطيعانِ رؤيتَكَ؛ أرجوكَ أن تظهرَ في هيئتِكَ المقدسة."

«أنا هنا». جاء هذا الرد من فوقي. رفعتُ رأسي فرأيت المعلم يتجسد في الهواء، رأسه يلامس السقف. كانت عيناه كشعلتين ساطعتين. فزعتُ من الخوف، واستلقيتُ أبكي عند قدميه بعد أن نزل بهدوء إلى الأرض.

قال: «يا امرأة، اطلبي الغنى الإلهي، لا الزينة الزهيدة. فبعد أن تكتسبي الغنى الداخلي، ستجدين أن الغنى الخارجي آتٍ لا محالة». وأضاف: «سيُعِدّ لكِ أحد أبنائي الروحيين ما تحتاجينه».

"لقد تحققت كلمات معلّمي بطبيعة الحال؛ فقد ترك أحد تلاميذي مبلغًا كبيرًا لعائلتنا."

شكرتُ كاشي موني على مشاركتها تجاربها الرائعة معي. ٣١-٢ في اليوم التالي، عدتُ إلى منزلها واستمتعتُ بساعاتٍ من النقاش الفلسفي مع تينكوري ودوكوري لاهيري. سار هذان الابنان القديسان لليوغي الهندي العظيم على خطاه المثالية. كان الرجلان شامخين، طويلي القامة، صامدين، ملتحين بكثافة، بصوتٍ خافت وأسلوبٍ ساحر.

لم تكن زوجته التلميذة الوحيدة للاهيري ماهاسايا؛ بل كان هناك المئات من التلميذات الأخريات، بمن فيهن والدتي. ذات مرة، طلبت امرأة من المعلم صورة له. فسلمها صورةً له.

اطبع، مع ملاحظة، "إذا كنت تعتبره حماية، فهو كذلك؛ وإلا فهو مجرد صورة".

بعد أيام قليلة، كانت هذه المرأة وزوجة ابن لاهيري ماهاسايا تدرسان بهاجافاد غيتا على طاولة عُلّقت خلفها صورة المعلم الروحي. اندلعت عاصفة رعدية شديدة.

"لاهيري ماهاسايا، احمِنا!" انحنت النساء أمام الصورة. ضرب البرق الكتاب الذي كنّ يقرأنه، لكنّ المريدتين لم تُصِبا بأذى.

"شعرت وكأن طبقة من الجليد وضعت حولي لتحميني من الحرارة الشديدة"، أوضحت الشيلا.

أجرت لاهيري ماهاسايا معجزتين مع تلميذتها، أبهويا. انطلقت هي وزوجها، وهو محامٍ من كلكتا، في أحد الأيام إلى بنارس لزيارة المعلم. تأخرت عربتهما بسبب ازدحام المرور، فوصلا إلى محطة هاورا الرئيسية ليسمعا صفير قطار بنارس معلنًا عن انطلاقه.

كان أبهوييا يقف بهدوء بالقرب من مكتب التذاكر.

"لاهيري ماهاسايا، أتوسل إليك أن توقف القطار!" صلت في صمت. "لا أطيق ألم التأخير في انتظار يوم آخر لرؤيتك."

استمرت عجلات القطار الصاخب في الدوران، لكن دون أي تقدم يُذكر. نزل المهندس والركاب إلى الرصيف لمشاهدة الظاهرة. اقترب حارس سكة حديد إنجليزي من أبهويا وزوجها. وخلافًا لكل ما هو سائد، تطوع بخدماته.

"بابو"، قال، "أعطني المال. سأشتري لك التذاكر بينما تصعد على متن الطائرة."

حالما جلس الزوجان واستلما التذاكر، انطلق القطار ببطء. وفي حالة من الذعر، صعد المهندس والركاب إلى أماكنهم، دون أن يعرفوا كيف انطلق القطار، ولا سبب توقفه أصلًا.

وعند وصولها إلى منزل لاهيري ماهاسايا في بنارس، سجدت آبهيا بصمت أمام المعلم، وحاولت أن تلمس قدميه.

"اهدأ يا أبهويا"، قال. "كم تُحبّ إزعاجي! كما لو أنك لم تكن لتأتي إلى هنا في القطار التالي!"

زارت أبهويا لاهيري ماهاسايا في مناسبة أخرى لا تُنسى. هذه المرة، طلبت شفاعته، ليس بقطار، بل بطائر اللقلق.

أدعوك أن تباركني حتى يعيش طفلي التاسع، قالت. وُلدتُ ثمانية أطفال، ماتوا جميعًا بعد ولادتهم بفترة وجيزة.

ابتسم المعلم بتعاطف. "طفلك القادم سيعيش. من فضلك اتبع تعليماتي."

بحذر. ستولد الطفلة ليلًا. احرص على إبقاء مصباح الزيت مضاءً حتى الفجر. لا تغفو حتى ينطفئ الضوء.

وُلدت ابنة أبيهويا ليلًا، تمامًا كما تنبأ المعلم العليم. أوعزت الأم لمربيتها بإبقاء المصباح مملوءًا بالزيت. سهرت المرأتان حتى ساعات الصباح الباكر، لكنهما غفوتا أخيرًا. كاد زيت المصباح أن ينفد، وخفّ ومض الضوء.

انفتح باب غرفة النوم فجأةً محدثًا صوتًا عنيفًا. استيقظت النساء المذعورات، ورأيت أعينهن المندهشة هيئة لاهيري ماهاسايا.

"أبويا، انظر، الضوء يكاد ينطفئ!" أشار إلى المصباح، الذي سارعت الممرضة لإعادة تعبئته. ما إن عاد المصباح إلى توهجه، حتى اختفى السيد. أُغلق الباب؛ وغُلق المزلاج دون أن يُرى.

لقد نجت طفلة آبهويا التاسعة؛ وفي عام 1935، عندما قمت بالاستفسار، كانت لا تزال على قيد الحياة.

وقد روى لي أحد تلاميذ لاهيري ماهاسايا، وهو كالي كومار روي، العديد من التفاصيل الرائعة عن حياته مع المعلم.

أخبرني روي: "كنتُ أزور منزله في بنارس لأسابيع متواصلة. لاحظتُ أن العديد من الشخصيات المقدسة، من بين 31 و3 من السواميين، يصلون في سكون الليل ليجلسوا عند قدمي المعلم الروحي. كانوا أحيانًا ينخرطون في نقاشات تأملية وفلسفية. وعند الفجر، كان الضيوف المرموقون يغادرون. لاحظتُ خلال زياراتي أن لاهيري ماهاسايا لم يخلد إلى النوم ولو لمرة واحدة".

في بداية ارتباطي بالمعلم، واجهتُ معارضة صاحب عملي، كما تابع روي. كان غارقًا في المادية.

"لا أريد متعصبين دينيين في طاقمي"، كان يقول ساخرًا. "إذا التقيت بمعلمك الدجال، فسأعطيه بعض الكلمات ليتذكرها".

لم يُعيق هذا التهديد المُقلق برنامجي المعتاد؛ فقد كنت أقضي كل مساء تقريبًا في حضور معلّمي. في إحدى الليالي، تبعني صاحب العمل واندفع بفظاظة إلى غرفة الجلوس. لا شك أنه كان مُصمّمًا تمامًا على إلقاء الكلمات اللاذعة التي وعد بها. ما إن جلس الرجل، حتى خاطب لاهيري ماهاسيا المجموعة الصغيرة من حوالي اثني عشر تلميذًا.

"هل ترغبون جميعًا في رؤية صورة؟"

"وعندما أومأنا برؤوسنا، طلب منا أن نجعل الغرفة مظلمة. وقال: "اجلسوا خلف بعضكم البعض في دائرة، وضعوا أيديكم على عيني الرجل الذي أمامكم".

لم أتفاجأ عندما رأيتُ أن صاحب عملي كان أيضًا يتبع توجيهات المعلم، وإن كان ذلك على مضض. بعد دقائق، سألنا لاهيري ماهاسايا عما رأيناه.

أجبتُ: «سيدي، ظهرت امرأة جميلة. ترتدي ساريًا أحمرَ الحواف، وتقف قرب نبتة أذن الفيل». وأعطى جميع التلاميذ الآخرين الوصف نفسه. التفت المعلم إلى صاحب عملي قائلًا: «هل تعرف تلك المرأة؟»

«نعم». كان الرجل يعاني بوضوح من مشاعر جديدة على طبيعته. «لقد أنفقت مالي عليها بحماقة، مع أن لدي زوجة صالحة. أشعر بالخجل من الدوافع التي جلبتني إلى هنا. هل تسامحني وتقبلني تلميذًا؟»

«إذا عشتَ حياةً أخلاقيةً صالحةً لمدة ستة أشهر، فسأقبلك». أضاف المعلم في غموض: «وإلا فلن أضطر إلى تدريبك».

امتنع صاحب عملي عن الإغراء لمدة ثلاثة أشهر؛ ثم استأنف علاقته السابقة بالمرأة. وبعد شهرين توفي. وهكذا فهمتُ نبوءة معلّمي المُبطّنة حول استحالة تطويب الرجل.

كان للاهيري ماهاسايا صديقٌ مشهورٌ جدًا، سوامي ترايلانجا، الذي قيل إنه تجاوز الثلاثمائة عام. كانا يوجاّنان معًا في كثيرٍ من الأحيان للتأمل. شهرة ترايلانجا واسعةٌ لدرجة أن قلةً من الهندوس ينكرون إمكانية صحة أي قصةٍ عن معجزاته المذهلة. لو عاد المسيح إلى الأرض وسار في شوارع نيويورك، مُظهرًا قواه الإلهية، لَأثار ذلك نفس الإثارة التي أثارها ترايلانجا قبل عقودٍ وهو يمرّ في أزقة بنارس المزدحمة.

في مناسبات عديدة، شوهد السوامي وهو يشرب، دون أي آثار جانبية، أشد السموم فتكًا. وقد رأى آلاف الأشخاص، بمن فيهم قلة لا تزال على قيد

الحياة، ترايلانجا يطفو على نهر الجانج. وكان يجلس لأيام متواصلة فوق الماء، أو يظل مختبئًا لفترات طويلة تحت الأمواج. ومن المشاهد الشائعة في حمامات بيناريس، جسد السوامي الساكن على ألواح حجرية حارقة، معرضًا بالكامل لأشعة الشمس الهندية القاسية. ومن خلال هذه الأعمال البطولية، سعى ترايلانجا إلى تعليم الناس أن حياة اليوغي لا تعتمد على الأكسجين أو الظروف والاحتياطات العادية. وسواء كان فوق الماء أم تحته، وسواء كان جسده معرضًا لأشعة الشمس الشديدة أم لا، فقد أثبت المعلم أنه عاش بوعي إلهي: لا يمكن للموت أن يمسه.

كان اليوغي عظيمًا، ليس روحيًا فحسب، بل جسديًا أيضًا. تجاوز وزنه ثلاثمائة رطل: رطل لكل سنة من عمره! ولأنه كان نادرًا ما يأكل، ازداد الغموض. ومع ذلك، يتجاهل المعلم بسهولة جميع قواعد الصحة المعتادة، عندما يرغب في ذلك لسبب خاص، غالبًا ما يكون خفيًا لا يعرفه إلا هو. يمكن للقديسين العظماء الذين استيقظوا من الحلم الكوني وأدركوا هذا العالم كفكرة في العقل الإلهي، أن يفعلوا ما يشاؤون بالجسد، مدركين أنه مجرد شكل قابل للتلاعب من الطاقة المكثفة أو المجمدة. على الرغم من أن العلماء الفيزيائيين يدركون الآن أن المادة ليست سوى طاقة متجمدة، إلا أن المعلمين المستنيرين تمامًا قد انتقلوا منذ فترة طويلة من

النظرية إلى الممارسة في مجال التحكم في المادة.

ظل ترايلانجا عاريًا تمامًا. حتى أن شرطة بنارس التي تعرضت للمضايقات اعتبرته طفلًا مُحيرًا ومُثيرًا للمشاكل. كان السوامي الفطري، كآدم الأول في جنة عدن، غافلًا تمامًا عن عريه. لكن الشرطة كانت على دراية تامة بالأمر، وأودعته السجن دون مراسم رسمية. ساد إحراج عام؛ فالجسد الضخم...

سرعان ما شوهد تريلانجا، بكامل هيئته المعتادة، على سطح السجن. زنزانته، التي لا تزال مغلقة بإحكام، لم تُفصح عن أي دليل على طريقة هروبه.

عاد رجال القانون المُحبطون لأداء واجبهم. هذه المرة، وُضع حارس أمام زنزانة السوامي. انسحب ماي مرة أخرى قبل الموعد. وسرعان ما شوهد تريلانغا وهو يتجول بلا مبالاة فوق السطح. العدالة عمياء؛ فقررت الشرطة المُضللة أن تحذو حذوها.

حافظ اليوغي العظيم على صمته المعتاد. ٣١-٤ على الرغم من وجهه المستدير ومعدته الضخمة الشبيهة بالبرميل، لم يكن ترايلانجا يأكل إلا نادرًا. بعد أسابيع من عدم تناول الطعام، كان يفطر على أوعية مليئة بالحليب المُخْرَج يُقَدِّمه له المُريدون. عزم أحد المُتشككين ذات مرة على كشف ترايلانجا كدجال. وُضِعَ أمام السوامي دلو كبير من خليط الكالسيوم والجير، المُستخدَم في تبييض الجدران.

"سيدي،" قال المادي، في احترام ساخر، "لقد أحضرت لك بعض الحليب المخفوق. من فضلك اشربه."

فرغ تريلانجا، دون تردد، حتى آخر قطرة من الجير المحترق. وفي دقائق معدودة، سقط الجاني أرضًا من شدة الألم.

"النجدة يا سوامي، النجدة!" صرخ. "أنا في حيرة من أمري! اغفر لي هذا الاختبار المؤلم!"

كسر اليوغي العظيم صمته المعتاد. قال: "يا ساخر، لم تُدرك عندما عرضت عليّ السم أن حياتي واحدة مع حياتك. لولا علمي بوجود الله في معدتي، كما في كل ذرة من ذرات الخليقة، لقتلني الجير. الآن وقد عرفت المعنى الإلهي للبومرانغ، فلا تُخدع أحدًا بعد الآن."

لقد تسلل الخاطئ المطهّر جيدًا، الذي شُفي بكلمات ترايلانجا، بعيدًا بشكل ضعيف.

لم يكن انعكاس الألم نتيجةً لإرادة السيد، بل جاء من خلال التطبيق الدقيق لقانون العدالة الذي يُعلي من شأن أبعد مدارات الخلق. رجالٌ مُدركون لله، مثل تريلانغا، يسمحون للقانون الإلهي بالعمل فورًا؛ فقد طردوا إلى الأبد كل تيارات الأنا المُعيقة.

إن التعديلات التلقائية للبر، والتي غالبًا ما تُدفع بثمن غير متوقع، كما في حالة تريلانجا وقاتله المفترض،

تُخفف من سخطنا المتسرع على الظلم البشري. "لي الانتقام، أنا أجازي، يقول الرب". 31-5 ما الحاجة إلى موارد الإنسان المحدودة؟ الكون يتآمر على الانتقام كما ينبغي. العقول البليدة تُشكك في إمكانية العدالة الإلهية، والمحبة، والعلم بكل شيء، والخلود. "تخمينات كتابية سطحية!" هذه النظرة الجامدة، التي لا تكترث بالمشهد الكوني، تُثير سلسلة من الأحداث تُثير فينا وعيها الخاص.

أشار المسيح إلى قدرة الشريعة الروحية المطلقة بمناسبة دخوله المظفّر إلى أورشليم. وبينما كان التلاميذ والجمهور يهتفون فرحًا، ويهتفون: "سلام في السماء، ومجد في الأعالي"، اشتكى بعض الفريسيين من هذا المشهد المهين. واحتجوا: "يا معلم، وبخ تلاميذك".

«أقول لكم»، أجاب يسوع، «إن سكت هؤلاء، فالحجارة تصرخ في الحال». 31-6

في هذا التوبيخ للفريسيين، كان المسيح يشير إلى أن العدالة الإلهية ليست تجريدًا مجازيًا، وأن رجل السلام، حتى لو تم انتزاع لسانه من جذوره، فسوف يجد كلامه ودفاعه في أساس الخلق، النظام الكوني نفسه.

"أتظنون أنكم،" قال يسوع، "تريدون إسكات رجال السلام؟ أليس كذلك؟ تأملون أن تختنقوا صوت الله، الذي تُنشد حجارته مجده ووجوده في كل

مكان. هل تطلبون من الناس ألا يحتفلوا تكريمًا للسلام في السماء، بل أن يجتمعوا حشودًا فقط ليصرخوا للحرب على الأرض؟ إذًا، أيها الفريسيون، استعدوا لقلب أسس العالم؛ لأنه ليس البشر الأعزاء وحدهم، بل الحجارة أو التراب، والماء والنار والهواء، هي التي ستنهض ضدكم، لتشهد على انسجامه المنظم."

لقد مُنحت نعمة اليوغي المسيحي، تريلانجا، لخالي ساجو ماما (خالي من جهة الأم). في صباح أحد الأيام، رأى عمي المعلم محاطًا بحشد من المريدين في غات بنارس. تمكن من الاقتراب من تريلانجا، الذي لمس قدميه بتواضع. دُهش عمي عندما وجد نفسه قد شُفي فورًا من مرض مزمن مؤلم. 31-7

التلميذة الوحيدة المعروفة لليوغي العظيم هي امرأة تُدعى شانكاري ماي جيو. ابنة أحد تلاميذ تريلانجا، تلقت تدريب السوامي منذ طفولتها المبكرة. عاشت أربعين عامًا في سلسلة من كهوف الهيمالايا المنعزلة بالقرب من بادري ناث، وكيدارناث، وأمارناث، وباسوباتيناث. البراهماشاريني (الزاهدة)، المولودة عام ١٨٢٦، تجاوزت الآن المائة عام. مع ذلك، لم تتقدم بها السن، فقد احتفظت بشعرها الأسود، وأسنانها اللامعة، وطاقتها المذهلة. تخرج من عزلتها كل بضع سنوات لحضور الميلا (المهرجانات الدينية) الدورية.

كانت هذه القديسة تزور لاهيري ماهاسيا باستمرار. روت أنه في أحد الأيام، في منطقة باراكبور قرب كلكتا، بينما كانت تجلس بجانب لاهيري ماهاسيا، دخل معلمه العظيم باباجي الغرفة بهدوء وتبادلا الحديث.

في إحدى المرات، تخلى معلمها تريلانجا عن صمته المعتاد، وأشاد بلاهيري ماهاسايا علنًا. اعترض أحد تلاميذ بنارس.

"سيدي"، قال، "لماذا أنت، السوامي والزاهد، تُظهر مثل هذا الاحترام لرب البيت؟"

أجاب تريلانجا: "يا بني، لاهيري ماهاسايا كقطٍّ إلهيٍّ صغير، يبقى حيثما وضعته الأم الكونية. وبينما كان يؤدي دور رجلٍ دنيويٍّ بإخلاص، فقد نال ذلك الإدراكَ الكاملَ لذاته، الذي من أجله تخلّيتُ حتى عن مئزري!"

31-1: هنا نتذكر سطر ميلتون: "هو من أجل الله فقط، وهي من أجل الله فيه".

31-2: انتقلت الأم الجليلة إلى رحمة الله في بنارس سنة 1930.

31-3: العصا، التي ترمز إلى النخاع الشوكي، تحملها طقوس معينة من قبل بعض الرهبان.

٣١-٤: كان موني، راهبًا يُراعي ماونا، أي الصمت الروحي. الجذر السنسكريتي موني قريب من كلمة

مونوس اليونانية، التي تعني "وحيد، أعزب"، ومنها اشتُقت الكلمات الإنجليزية "راهب" و"مونية" وما إلى ذلك.

31-5: رومية 12: 19.

31-6: لوقا 19: 37-40.

31-7: إن حياة ترايلانجا وغيره من الأساتذة العظماء تذكرنا بكلمات يسوع: "وهذه الآيات تتبع المؤمنين؛ يخرجون الشياطين باسمي (وعي المسيح)؛ ويتكلمون بألسنة جديدة؛ ويحملون الحيات؛ وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم؛ ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون." - مرقس 16: 17-18.

الفصل: 32

راما يُبعث من الموت

"وكان رجل مريض اسمه لعازر... فلما سمع يسوع ذلك قال: هذا المرض ليس للموت، بل لأجل مجد الله، ليتمجد ابن الله به." 32-1

كان سري يوكتسوار يُفسّر الكتب المقدسة المسيحية في صباحٍ مُشمس على شرفة مُعتكفه في سيرامبور. إلى جانب بعض تلاميذه الآخرين، كنتُ حاضرًا مع مجموعة صغيرة من طلابي في رانشي.

في هذا المقطع، يُطلق يسوع على نفسه اسم ابن الله. ومع أنه كان مُتحدًا بالله حقًا، إلا أن إشارته هنا تحمل دلالةً عميقةً غير شخصية، كما أوضح مُعلّمي. «ابن الله هو المسيح، أو الوعي الإلهي في الإنسان. لا يُمكن لأيّ بشري أن يُمجّد الله. الشرف الوحيد الذي يُمكن للإنسان أن يُقدّمه لخالقه هو البحث عنه؛ لا يُمكن للإنسان أن يُمجّد تجريدًا لا يعرفه. إن "المجد" أو الهالة المحيطة برؤوس القديسين شهادة رمزية على قدرتهم على تقديم التكريم الإلهي.»

واصل سري يوكتسوار قراءة قصة قيامة لعازر الرائعة. وفي ختامها، ساد صمتٌ طويل، والكتاب المقدس مفتوح على ركبتيه.

أنا أيضًا حظيتُ بشرف رؤية معجزة مماثلة. أخيرًا، نطق معلّمي بمسحةٍ مهيبة. "أحيا لاهيري ماهاسايا أحد أصدقائي من الموت."

ابتسم الشباب بجانبي باهتمام بالغ. كان بداخلي ما يكفي من الصبيانية لأستمتع ليس فقط بالفلسفة، بل أيضًا بأي قصة أستطيع أن أجعل سري يوكتسوار يرويها.

عن تجاربه الرائعة مع معلمه.

"كنتُ أنا وصديقي راما لا نفترق،" بدأ المعلم حديثه. "لأنه كان خجولاً ومنعزلاً، اختار زيارة معلمنا لاهيري ماهاسايا فقط خلال ساعات منتصف الليل

والفجر، عندما يكون حشد تلاميذ النهار غائباً. وبصفتي أقرب صديق لراما، كنتُ بمثابة منفذ روحي يُطلق من خلاله ثروات إدراكاته الروحية. وجدتُ الإلهام في صحبته المثالية." ارتسمت على وجه معلمي ملامح اللطف من الذكريات.

واصل سري يوكتسوار حديثه قائلاً: "فجأةً، وُضع راما أمام اختبارٍ قاسٍ. أُصيب بمرض الكوليرا الآسيوية. ولأن سيدناً لم يعترض قط على خدمات الأطباء في حالات المرض الخطير، فقد استُدعي طبيبان متخصصان. وفي خضمّ الاندفاع المحموم لتقديم الرعاية للرجل المصاب، كنتُ أدعو الله بشدة أن يعين لاهيري ماهاسايا. هرعت إلى منزله وسردتُ القصة باكيةً.

«الأطباء يفحصون راما. سيكون بخير». ابتسم معلّمي بمرح.

"عدت بقلب خفيف إلى سرير صديقي، لأجده في حالة احتضار.

«لا يستطيع أن يصمد أكثر من ساعة أو ساعتين»، هذا ما أخبرني به أحد الأطباء بإشارة يأس. ومرة أخرى، أسرعت إلى لاهيري ماهاسايا.

«الأطباء رجالٌ ذوو ضمير حي. أنا متأكد من أن راما سيكون بخير». صرفني السيد ببرود.

في منزل راما، وجدتُ الطبيبين غائبين. ترك لي أحدهما رسالةً: «لقد بذلنا قصارى جهدنا، لكن حالته ميؤوسٌ منها».

كان صديقي بالفعل صورةً لرجلٍ يحتضر. لم أفهم كيف يُمكن لكلمات لاهيري ماهاسايا أن تتحقق، ومع ذلك ظلّ مشهد حياة راما وهي تتلاشى بسرعةٍ يوحي في ذهني: "انتهى كل شيء الآن". وهكذا، وأنا أُلقي بثقل الإيمان والشك المُقلق، خدمتُ صديقي قدر استطاعتي. نهض ليصرخ:

«يوكتسوار، اركض إلى المعلم وأخبره أنني رحلت. اطلب منه أن يبارك جسدي قبل طقوسه الأخيرة». بهذه الكلمات، تنهد راما بعمق وأسلم الروح.

بكيت ساعةً على هيئته الحبيبة. لطالما كان محبًا للهدوء، أما الآن فقد بلغ سكون الموت التام. دخل تلميذٌ آخر، فطلبت منه البقاء في المنزل حتى أعود. عدتُ إلى معلّمي وأنا في حالة ذهولٍ شبه تام.

"كيف حال راما الآن؟" كان وجه لاهيري ماهاسايا مكللا بالابتسامات.

«سيدي، ستعرف حاله قريبًا»، قلتُ بانفعال. «بعد ساعات قليلة سترى جثته، قبل أن تُنقل إلى محرقة الجثث». انهارتُ وتأوهتُ بصوتٍ عالٍ.

"يوكتسوار، تحكم في نفسك. اجلس بهدوء وتأمل." اعتزل معلّمي في حالة الصمادهي.

لقد مرت فترة ما بعد الظهر والليل في صمت متواصل؛ كنت أكافح دون جدوى لاستعادة رباطة جأشي الداخلية.

عند الفجر، نظر إليّ لاهيري ماهاسايا مُعزّيًا. "أرى أنك ما زلتَ مضطربًا. لماذا لم تُوضّح بالأمس أنك تتوقع مني أن أُقدّم لراما مساعدةً ملموسةً على شكل دواء؟" أشار المعلم إلى مصباح على شكل كوب يحتوي على زيت الخروع الخام. "املأ زجاجةً صغيرةً من المصباح؛ ضع سبع قطرات في فم راما."

"سيدي،" اعترضت، "لقد مات منذ ظهر أمس. ما فائدة الزيت الآن؟"

لا بأس، افعل ما أطلبه. كان مزاج لاهيري ماهاسايا البشوش غير مفهوم؛ كنت لا أزال أعاني من ألم الفجيعة. سكبت قليلًا من الزيت، وغادرت إلى منزل راما.

وجدتُ جسد صديقي جامدًا في قبضة الموت. لم أُعر حالته المروعة أي اهتمام، ففتحتُ شفتيه بإصبعي الأيمن، ونجحتُ، بيدي اليسرى وبمساعدة الفلين، في وضع الزيت قطرةً قطرةً على أسنانه المشدودة.

"عندما لامست القطرة السابعة شفتيه الباردتين، ارتجف راما بعنف. اهتزت عضلاته من رأسه إلى قدميه وهو يجلس متعجبًا.

«رأيتُ لاهيري ماهاسايا في وهجٍ من نور»، صرخ. «كان يشرق كالشمس. انهض، دع نومك»، أمرني. «تعالَ مع يوكتسوار لرؤيتي».

لم أصدق عينيّ عندما ارتدى راما ملابسه وأصبح قويًا بما يكفي بعد ذلك المرض المميت للسير إلى منزل معلمنا. وهناك سجد أمام لاهيري ماهاسايا ودموع الامتنان تملأ عينيه.

"كان المعلم في غاية السعادة. كانت عيناه تلمعان نحوي بمرح.

قال: «يوكتسوار، من الآن فصاعدًا لن تفوّت زجاجة زيت الخروع! كلما رأيتَ جثةً، فاسكب الزيت عليها! سبع قطرات من زيت المصباح كفيلةٌ بتعطيل قوة ياما!» ٣٢-٣

"يا جورو جي، أنت تسخر مني. أنا لا أفهم؛ من فضلك أشر إلى طبيعة خطأي."

أوضح لاهيري ماهاسايا قائلًا: "أخبرتك مرتين أن راما سيكون بخير، لكنك لم تصدقني تمامًا. لم أقصد أن الأطباء سيتمكنون من شفائه؛ بل ذكرت فقط أنهم موجودون. لم تكن هناك أي علاقة سببية بين قولي. لم أُرِد التدخل في شؤون الأطباء؛ فعليهم أن يعيشوا هم أيضًا". وأضاف معلّمي بصوتٍ مُفعمٍ بالفرح: "اعلم دائمًا أن باراماتمان 32-4 الذي ًلا ينضب قادر على شفاء أي شخص، طبيبًا كان أم لا".

«أدركتُ خطأي»، اعترفتُ بندم. «أعلم الآن أن كلمتك البسيطة ملزمة للكون بأكمله».

وبينما انتهى سري يوكتسوار من سرد القصة المذهلة، طرح أحد المستمعين المذهولين سؤالاً كان مفهوماً للغاية من طفل.

"سيدي"، قال، "لماذا استخدم معلمك زيت الخروع؟"

يا بني، لم يكن لإهداء الزيت أي معنى سوى أنني كنت أتوقع شيئًا ملموسًا، واختار لاهيري ماهاسيا الزيت القريب رمزًا موضوعيًا لإيقاظ إيماني الأعمق. سمح المعلم لراما بالموت، لأنني كنت أشك جزئيًا. لكن المعلم الإلهي كان يعلم أنه بما أنه قال إن التلميذ سيكون بخير، فلا بد من الشفاء، حتى لو كان عليه شفاء راما من الموت، وهو مرضٌ عادةً ما يكون نهائيًا!

صرف سري يوكتسوار المجموعة الصغيرة، وأشار لي بالجلوس على مقعد مغطى بالبطانية عند قدميه.

"يوغاناندا"، قال بجدية غير عادية، "لقد كنت محاطًا منذ ولادتك بتلاميذ مباشرين للاهيري ماهاسايا. عاش المعلم العظيم حياته السامية في عزلة جزئية، ورفض بشدة السماح لأتباعه ببناء أي منظمة حول تعاليمه. ومع ذلك، فقد أطلق تنبؤًا ذا دلالة.

قال: «بعد حوالي خمسين عامًا من رحيلي، ستُكتب حياتي بفضل الاهتمام العميق باليوغا الذي سيُظهره الغرب. وستُحيط الرسالة اليوغية بالعالم، وستُساعد في ترسيخ تلك الأخوة الإنسانية التي تنبع من الإدراك المباشر للأب الواحد».

"واصل سري يوكتسوار حديثه قائلاً: "يا ابني يوغاناندا، يجب عليك أن تقوم بدورك في نشر هذه الرسالة، وفي كتابة هذه الحياة المقدسة".

بعد خمسين عامًا من رحيل لاهيري ماهاسايا عام ١٨٩٥، بلغ عام ١٩٤٥، وهو عام إتمام هذا الكتاب. ولا يسعني إلا أن أُدهش من مصادفة أن عام ١٩٤٥ قد بشّر أيضًا بعصر جديد، عصر الطاقات الذرية الثورية. تتجه جميع العقول المفكرة، كما لم يحدث من قبل، نحو مشاكل السلام والأخوة المُلحّة، خشية أن يُؤدي استمرار استخدام القوة البدنية إلى نفي جميع البشر مع هذه المشاكل.

مع أن الجنس البشري وأعماله تتلاشى بلا أثر بفعل الزمن أو القنبلة، فإن الشمس لا تتعثر في مسارها؛ فالنجوم تحافظ على سهرها الدائم. لا يمكن إيقاف أو تغيير القانون الكوني، ومن الأفضل للإنسان أن ينسجم معه. إذا كان الكون ضد القوة، وإذا لم تحارب الشمس الكواكب بل انسحبت في الوقت المناسب لتمنح النجوم نفوذها الضئيل، فما فائدة قبضتنا الحديدية؟ هل سينتج عن ذلك أي سلام حقًا؟ ليست القسوة، بل حسن النية هو ما يُسلح العزيمة

الكونية؛ فالبشرية التي تعيش في سلام ستعرف ثمار النصر التي لا تنتهي، أحلى طعمًا من أي نصر نشأ على أرض الدم.

ستكون عصبة الأمم الفعّالة عصبة طبيعية بلا اسم للقلوب البشرية. إن التعاطف الواسع والبصيرة الثاقبة اللازمتين لعلاج آلام الدنيا لا ينبعان من مجرد اعتبار فكري لتنوعات البشر، بل من معرفة وحدة الإنسان الوحيدة - صلته بالله. ولتحقيق أسمى مُثُل العالم - السلام من خلال الأخوة - فلتنتشر اليوغا، علم الاتصال الشخصي بالله، مع مرور الزمن بين جميع البشر في جميع أنحاء العالم.

مع أن حضارة الهند عريقةٌ فوق كل حضارة، إلا أن قلة من المؤرخين لاحظوا أن إنجازها في بقاء الأمة ليس محض صدفة، بل هو نتيجة منطقية في إخلاصها للقيم الخالدة التي قدمتها الهند من خلال خيرة رجالها على مر الأجيال. بفضل استمراريتها المطلقة، وثباتها على مر العصور - هل يستطيع العلماء المخضرمون حقًا أن يخبرونا كم عددهم؟ - قدمت الهند أثمن إجابة من أي شعب على تحدي الزمن.

القصة التوراتية ٣٢-٥، التي تتوسل فيها إبراهيم إلى الرب أن ينقذ مدينة سدوم إذا وُجد فيها عشرة رجال صالحين، والإجابة الإلهية: "لن أهلكها من أجل عشرة"، تكتسب معنى جديدًا في ضوء نجاة الهند من غياهب بابل ومصر وغيرهما من الأمم العظيمة

التي كانت في يوم من الأيام معاصرة لها. يُظهر جواب الرب بوضوح أن الأرض تحيا، ليس بإنجازاتها المادية، بل بروائعها البشرية.

لتسمع الكلمات الإلهية مجددًا، في هذا القرن العشرين، الذي غرق مرتين قبل أن ينقضي نصفه: لا أمة تستطيع أن تُخرج عشرة رجال عظماء في نظر القاضي الذي لا يُرشى، ستعرف الفناء. وإذ تصدت الهند لهذه المعتقدات، أثبتت أنها لا تغفل عن حيل الزمن. وقد قدس أسيادها المخلصون في كل قرن ترابها؛ ونهض حكماء مسيحيون معاصرون، مثل لاهيري ماهاسايا وتلميذه سري يوكتسوار، ليُعلنوا أن علم اليوغا أهم من أي تقدم مادي لسعادة الإنسان وطول عمر الأمة.

لم تُنشر إلا معلومات ضئيلة جدًا عن حياة لاهيري ماهاسايا ومذهبه العالمي. على مدى ثلاثة عقود في الهند وأمريكا وأوروبا، وجدتُ اهتمامًا عميقًا وصادقًا برسالته في اليوغا المُحرِّرة؛ ويُعدّ وجود سرد مكتوب لحياة المعلم، كما تنبأ، أمرًا ضروريًا الآن في الغرب، حيث لا تُعرف سوى القليل عن حياة كبار اليوغيين المعاصرين.

لم يُكتب عن حياة المعلم الروحي سوى كتيب أو كتيبين باللغة الإنجليزية. ظهرت سيرة ذاتية باللغة البنغالية بعنوان "سري سري 32-6 شياما شاران لاهيري ماهاسايا" عام ١٩٤١. كتبها تلميذي، سوامي ساتياناندا، الذي كان لسنوات عديدة المعلم الروحي

في فيديالايا رانشي. ترجمتُ بعض المقاطع من كتابه وأدرجتها في هذا القسم المخصص للاهيري ماهاسايا.

وُلد لاهيري ماهاسايا في 30 سبتمبر 1828 لعائلة براهمية متدينة ذات نسب عريق. كان مسقط رأسه قرية غورني في مقاطعة ناديا قرب كريشناغار، البنغال. كان الابن الأصغر لموكتاكاشي، الزوجة الثانية للحكيم غور موهان لاهيري. (توفيت زوجته الأولى، بعد ولادة ثلاثة أبناء، أثناء الحج). توفيت والدة الصبي في طفولته؛ ولا يُعرف عنها الكثير سوى أنها كانت من أشد المتعبدين للرب شيفا، الذي عُرف في الكتاب المقدس باسم "ملك اليوغيين".

قضى الصبي لاهيري، واسمه الحقيقي شياما شاران، سنواته الأولى في منزل أجداده بناديا. وفي سن الثالثة أو الرابعة، كان يُشاهد كثيرًا جالسًا تحت الرمال في وضعية يوغي، وجسده مخفي تمامًا باستثناء رأسه.

دُمِّرَتْ ضيعة لاهيري في شتاء عام ١٨٣٣، عندما غيَّر نهر جالانجي القريب مجراه واختفى في أعماق نهر الغانج. غرق أحد معابد شيفا التي أسسها لاهيري في النهر مع منزل العائلة. أنقذ أحد المريدين تمثالًا حجريًا للإله شيفا من المياه المتدفقة ووضعه في معبد جديد، يُعرف الآن باسم غورني.

موقع شيفا.

غادر غاور موهان لاهيري وعائلته نادية واستقروا في بنارس، حيث بنى والده معبدًا لشيفا على الفور. أدار شؤون بيته وفقًا للتعاليم الفيدية، مع المواظبة على أداء العبادات الطقسية وأعمال الخير ودراسة الكتب المقدسة. ومع ذلك، وبحكمة منصفته وانفتاحه، لم يتجاهل التيار الواعد للأفكار الحديثة.

تلقى لاهيري، الصبي، دروسًا في الهندية والأردية في مجموعات دراسية بنارس. التحق بمدرسة يديرها جوي نارايان غوشال، وتلقى تعليمًا بالسنسكريتية والبنغالية والفرنسية والإنجليزية. تعمق لاهيري في دراسة الفيدا، فأصغى بشغف إلى مناقشات الكتب المقدسة التي كان يُجريها البراهمة المتعلمون، ومنهم عالم مارهاتا يُدعى ناج بهاتا.

كان شياما شاران شابًا طيبًا، رقيقًا، شجاعًا، محبوبًا من جميع رفاقه. بجسده المتناسق، المشرق، والقوي، برع في السباحة وفي العديد من الأنشطة الماهرة.

في عام ١٨٤٦، تزوجت شياما شاران لاهيري من سريماتي كاشي موني، ابنة سري ديبناريان سانيال. كانت كاشي موني ربة منزل هندية نموذجية، واظبت على أداء واجباتها المنزلية بكل سرور، والتزامها التقليدي بخدمة الضيوف والفقراء. وقد

بارك ابناها الصالحان، تينكوري ودوكوري، هذا الزواج.

في عام ١٨٥١، وهو في الثالثة والعشرين من عمره، تولى لاهيري ماهاسايا منصب محاسب في إدارة الهندسة العسكرية بالحكومة الإنجليزية. وحظي بترقيات عديدة خلال فترة خدمته. وهكذا، لم يكن مُعلمًا بارعًا فحسب، بل حقق نجاحًا باهرًا في الدراما الإنسانية الصغيرة، حيث لعب دوره المُوكل إليه كموظف مكتبي في العالم.

مع انتقال مكاتب الجيش، نُقل لاهيري ماهاسايا إلى غازيبور، وميرجابور، ودانابور، ونايني تال، وبيناريس، ومناطق أخرى. بعد وفاة والده ، اضطُر لاهيري إلى تحمل مسؤولية عائلته بالكامل، حيث اشترى لها منزلًا هادئًا في حي جاروديسوار موهولا في بيناريس.

في عامه الثالث والثلاثين، شهد لاهيري ماهاسيا تحقق الغاية التي من أجلها تجسد على الأرض. أُتيحت للشعلة المخفية في الرماد، والتي ظلت متقدة لفترة طويلة، فرصة الاشتعال. مرسوم إلهي، يسكن بعيدًا عن أنظار البشر، يعمل بغموض ليجلب كل شيء إلى تجلياته الخارجية في الوقت المناسب. التقى بمعلمه العظيم، باباجي، بالقرب من رانيخيت، وتلقّى منه تعليم الكريا يوغا.

لم يكن هذا الحدث الميمون حكرًا عليه، بل كان لحظةً مباركةً للبشرية جمعاء، الذين حظي الكثير منهم لاحقًا بهبة الكريا التي تُنبئ باليقظة الروحية. عاد فن اليوغا الأسمى، المفقود أو المندثر منذ زمن، إلى النور. وجد العديد من الرجال والنساء المتعطشين للروحانية طريقهم في النهاية إلى مياه الكريا يوغا الباردة. وكما في الأسطورة الهندوسية، حيث تُقدم الأم الغانج مشروبها الإلهي للمريد العطشان بهاجيراث، كذلك اندفع فيضان الكريا السماوي من معاقل جبال الهيمالايا السرية إلى أكواخ البشر المُغبرة.

32-1: يوحنا 11: 1-4.

32-2: غالبًا ما يكون ضحية الكوليرا عقلانيًا وواعيًا تمامًا حتى لحظة الموت.

32-3: إله الموت.

32-4: حرفيًا، "الروح العليا".

32-5: تكوين 18: 23-32.

32-6: سري، وهي بادئة تعني "مقدس"، تُلحق (عادةً مرتين أو ثلاث مرات) بأسماء المعلمين الهنود العظماء.

٣٢-٧: أحد ثالوث الألوهية - براهما، فيشنو، شيفا - الذين عملهم الكوني هو، على التوالي، الخلق، والحفظ، والانحلال والاستعادة. شيفا (ويُكتب أحيانًا

سيفا)، المُمثَّل في الأساطير بسيد المُتخلِّصين، يظهر في رؤىً لأتباعه في أشكال مختلفة، مثل ماهاديفا، الزاهد ذو الشعر المُتشابك، وناتاراجا، الراقصة الكونية.

الفصل: 33

باباجي، يوغي المسيح في الهند الحديثة

لا تزال منحدرات جبال الهيمالايا الشمالية قرب بادري نايا تنعم بحضور باباجي، معلم لاهيري ماهاسايا، نابضًا بالحياة. وقد احتفظ المعلم المنعزل بجسده لقرون، وربما لآلاف السنين. باباجي الخالد هو أفاتارا. هذه الكلمة السنسكريتية تعني "النزول"؛ وجذورها من "أفا" (الانحدار) و"تري" (العبور). في الكتب المقدسة الهندوسية، تعني "أفاتارا" نزول الإلهية في الجسد.

أوضح لي سري يوكتسوار: "الحالة الروحية لباباجي تتجاوز الإدراك البشري. لا يمكن لنظرة البشر المحدودة أن تخترق نجمه المتسامي. يحاول المرء عبثًا حتى تصور بلوغ الأفاتار. إنه أمر لا يُصدق".

لقد صنّفت الأوبانيشاد كل مرحلة من مراحل التقدم الروحي بدقة. فالسيده (الكائن الكامل) يتقدم من حالة جيفانموكتا (التحرر أثناء الحياة) إلى حالة باراموكتا (الحرية المطلقة - القدرة الكاملة على الموت)؛ وقد تحرر الأخير تمامًا من عبودية المايا ودورانها التناسخي. لذلك، نادرًا ما يعود الباراموكتا

إلى جسد مادي؛ وإن فعل، فهو تجسيد، وسيط إلهي مُعيّن للبركات السماوية على العالم.

إن الصورة الرمزية غير خاضعة للاقتصاد العالمي؛ فجسدها النقي، الذي يُرى كصورة ضوئية، حر

من أي دين للطبيعة. قد لا ترى النظرة العابرة شيئًا خارقًا في شكل الأفاتار، لكنه لا يُلقي ظلًا ولا يترك أثرًا على الأرض. هذه أدلة رمزية خارجية على انعدام الظلام والعبودية المادية في الداخل. مثل هذا الإنسان الإلهي وحده يعرف الحقيقة وراء نسبية الحياة والموت. عمر الخيام، الذي أُسيء فهمه بشدة، غنى عن هذا الرجل المُحرّر في كتابه الخالد، الرباعيات:

"آه، يا قمر سعادتي الذي لا يعرف الزوال، قمر السماء يرتفع مرة أخرى؛ كم مرة يرتفع بعد ذلك سينظر إلي من خلال هذه الحديقة ذاتها - عبثًا!"

"قمر البهجة" هو الله، نجم الشمال الأبدي، الذي لا يُضاهى. "قمر السماء" هو الكون الخارجي، المُقيّد بقانون التكرار الدوري. حلّ الرائي الفارسي قيوده إلى الأبد بإدراكه لذاته. "كم من مرة ستنظر إليّ بعد أن تشرق - عبثًا!" يا له من إحباطٍ لبحث كونٍ مُضطربٍ عن إغفالٍ مُطلق!

عبّر المسيح عن حريته بطريقة أخرى: "فتقدم إليه كاتب وقال له: يا معلم، أتبعك أينما تذهب. فقال له

يسوع: للثعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه." 33-1

هل يمكن أن نتبع المسيح حقًا، فهو واسع وحاضر في كل مكان، إلا بالروح الشاملة؟

كان كريشنا وراما وبوذا وباتانجالي من بين تجسيدات الأفاتار الهندية القديمة. وقد نشأ أدب شعري كبير باللغة التاميلية حول أغاستيا، وهو تجسيد من جنوب الهند. وقد صنع معجزات عديدة خلال القرون التي سبقت العصر المسيحي وتلت، ويُنسب إليه الحفاظ على هيئته الجسدية حتى يومنا هذا.

كانت مهمة باباجي في الهند مساعدة الأنبياء على تحقيق عطاياهم الخاصة. وبالتالي، فهو مؤهلٌ للتصنيف الكتابي لماهافاتار (الأفاتار الأعظم). وقد صرّح بأنه منح دروس اليوغا لشانكارا، المؤسس القديم لرهبنة سوامي، وكبير، القديس الشهير في العصور الوسطى. وكان تلميذه الرئيسي في القرن التاسع عشر، كما نعلم، لاهيري ماهاسايا، مُحيي فن الكريا المنقرض.

باباجي، معلم المهافاتار لاهيري ماهاسيا

لقد ساعدت فنانًا في رسم صورة حقيقية لليوغي المسيح العظيم في الهند الحديثة.

المهافاتار في تواصل دائم مع المسيح؛ يرسلان معًا ذبذبات الفداء، وقد خططا للتقنية الروحية للخلاص لهذا العصر. عمل هذين المعلمَين المستنيرَيْن تمامًا - أحدهما بجسد والآخر بدونه - هو إلهام الأمم لنبذ الحروب الانتحارية، والكراهية العرقية، والطائفية الدينية، وشرور المادية المرتدة. باباجي مُدرك تمامًا لتوجهات العصر الحديث، وخاصةً تأثير الحضارة الغربية وتعقيداتها، ويُدرك ضرورة نشر التحرر الذاتي لليوغا على قدم المساواة في الغرب والشرق.

لا عجب أن لا نجد أي مرجع تاريخي لباباجي. لم يظهر هذا المعلم العظيم علانيةً في أي قرن؛ ولا مكان لتوهج الدعاية المُضلِّل في خططه الألفية. ومثل الخالق، القوة الوحيدة الصامتة، يعمل باباجي في عتمةٍ متواضعة.

يأتي أنبياء عظماء، مثل المسيح وكريشنا، إلى الأرض لغرض محدد ومذهل؛ ويرحلون حالما يتم ذلك. أما تجسيدات أخرى، مثل باباجي، فتتولى أعمالًا تُعنى بالتطور البطيء للإنسان على مر العصور أكثر من أي حدث تاريخي بارز. هؤلاء الأساتذة يحجبون أنفسهم دائمًا عن أنظار العامة، ولديهم القدرة على الاختفاء متى شاءوا. لهذه الأسباب، ولأنهم عادةً ما يُوصون أتباعهم بالتزام الصمت حيالهم، يظل عدد من الشخصيات الروحية العظيمة مجهولًا عالميًا. أُقدم في هذه الصفحات

عن باباجي لمحةً عن حياته فقط - بعض الحقائق التي يراها مناسبة ومفيدة لمشاركتها علنًا.

لم يتم الكشف مطلقًا عن حقائق محدودة حول عائلة باباجي أو مكان ميلاده، وهي حقائق عزيزة على قلب المؤرخ.

تم اكتشافه. يتحدث عادةً باللغة الهندية، لكنه يجيد التحدث بأي لغة. اتخذ اسم باباجي البسيط (الأب المبجل)؛ ومن ألقاب الاحترام الأخرى التي منحه إياها تلاميذ لاهيري ماهاسايا: ماهاموني باباجي مهراج (القديس الأعظم في النشوة)، وماها يوغي (أعظم اليوغيين)، وترامباك بابا، وشيفا بابا (ألقاب تجسيدات شيفا). هل يهم أننا لا نعرف اسم عائلة معلم مُطلق من الأرض؟

قال لاهيري ماهاسايا: "عندما ينطق أي شخص باسم باباجي باحترام، فإن هذا المريد يجذب نعمة روحية فورية".

لا تظهر على جسد المعلم الخالد أي علامات تقدم في السن؛ يبدو أنه شاب في الخامسة والعشرين من عمره فقط. يتميز باباجي ببشرة بيضاء، وبنية وطول متوسطين، وجسده الجميل القوي يشع بريقًا واضحًا. عيناه داكنتان، هادئتان، ورقيقتان؛ وشعره الطويل اللامع نحاسي اللون. ومن المثير للدهشة أن باباجي يشبه تلميذه لاهيري ماهسايا تشابهًا دقيقًا للغاية. هذا التشابه لافت للنظر لدرجة أنه في

سنواته الأخيرة، ربما كان لاهيري ماهسايا سيُعتبر أبًا لباباجي الشاب.

لقد أمضى سوامي كيبالاناندا، معلمي المقدس في اللغة السنسكريتية، بعض الوقت مع باباجي في جبال الهيمالايا.

أخبرني كيبالاناندا: "يتنقل المعلم الفذ مع مجموعته من مكان إلى آخر في الجبال. تضم مجموعته الصغيرة تلميذين أمريكيين متقدمين للغاية. بعد أن يقضي باباجي بعض الوقت في إحدى المناطق، يقول: "ديرا داندا أوثاو" (لنرفع خيامنا وعصانا). يحمل داندا رمزية (عصا من الخيزران). كلماته هي إشارة للانتقال الفوري مع مجموعته إلى مكان آخر. لا يستخدم دائمًا هذه الطريقة في السفر النجمي؛ أحيانًا يتنقل سيرًا على الأقدام من قمة إلى قمة.

لا يمكن للآخرين رؤية باباجي أو التعرف عليه إلا عند رغبته في ذلك. ومن المعروف أنه ظهر بأشكال مختلفة قليلاً لمختلف المريدين - أحيانًا بدون لحية وشارب، وأحيانًا بهما. ولأن جسده غير المتحلل لا يحتاج إلى طعام، نادرًا ما يأكل المعلم. وكنوع من المجاملة الاجتماعية للتلاميذ الزائرين، يقبل أحيانًا الفاكهة أو الأرز المطبوخ بالحليب والزبدة المصفاة.

أعرف حادثتين مذهلتين في حياة باباجي، تابع كيبالاناندا. كان تلاميذه يجلسون ذات ليلة حول نار هائلة مشتعلة لطقوس فيدية مقدسة. فجأة أمسك

المعلم بجذع شجرة مشتعل وضرب كتف أحد المريديين الذي كان قريبًا من النار ضربًا خفيفًا.

"سيدي، ما أقسى هذا!" هكذا صاح لاهيري ماهاسايا، الذي كان حاضرًا.

"هل كنت تفضل أن تراه يحترق إلى رماد أمام عينيك، وفقًا لمرسوم الكارما الماضي؟"

بهذه الكلمات، وضع باباجي يده الشافية على كتف المرشد المشوه. "لقد حرّرتك الليلة من موتٍ مؤلم. لقد أُرضي قانون الكرمية من خلال معاناتك الطفيفة بالنار."

في مناسبة أخرى، انزعجت دائرة باباجي المقدسة بوصول غريب. كان قد تسلق بمهارة مذهلة إلى الحافة التي يصعب الوصول إليها بالقرب من معسكر المعلم.

«سيدي، لا بد أنك باباجي العظيم». أشرق وجه الرجل بتبجيل لا يُوصف. «لشهور، بحثتُ عنك بلا كلل بين هذه المنحدرات الوعرة. أتوسل إليك أن تقبلني تلميذًا».

"وعندما لم يُجب المعلم العظيم، أشار الرجل إلى الهاوية الصخرية عند قدميه.

"إذا رفضتني، فسأقفز من هذا الجبل. لا قيمة للحياة إذا لم أتمكن من الحصول على هدايتك إلى الإلهي."

"اقفز إذن،" قال باباجي بلا انفعال. "لا أستطيع أن أقبلك في حالتك الحالية من التطور."

ألقى الرجل بنفسه على الفور من فوق الجرف. أمر باباجي تلاميذه المصدومين بإحضار جثة الغريب. وعندما عادوا بجسده المشوه، وضع المعلم يده الإلهية على الرجل الميت. ها هو ذا! فتح عينيه وسجد بتواضع أمام القدير.

"أنت الآن مستعدٌّ للتلمذة." ابتسم باباجي بحبٍّ لتلميذه المُبعث من بين الأموات. "لقد اجتزتَ امتحانًا صعبًا بشجاعة. لن يمسكَ الموتُ بعد الآن؛ الآن أنت واحدٌ من قطيعنا الخالد." ثم نطق بكلمات الرحيل المعتادة: "ديرا داندا أوثاو"؛ واختفت المجموعة بأكملها من الجبل.

يعيش الأفاتار في الروح الحاضرة في كل مكان؛ فلا مسافة عكسية له مع المربع. لذا، لا يوجد سوى سبب واحد يمكن أن يحفز باباجي على الحفاظ على هيئته الجسدية من قرن إلى قرن: الرغبة في تزويد البشرية بمثال ملموس على إمكانياتها الخاصة. لو لم يُمنح الإنسان لمحة من الألوهية في الجسد، لظلّ مثقلًا بوهمٍ ثقيلٍ بأنه لا يستطيع تجاوز فناءه.

عرف يسوع منذ البداية مسار حياته؛ وقد مرّ بكل حدث، لا من أجل نفسه، ولا بدافع كرميّ، بل فقط من أجل رفعة البشر المتأملين. وقد دوّن تلاميذه

الأربعة - متى ومرقس ولوقا ويوحنا - هذه الدراما التي لا تُوصف لنفع الأجيال اللاحقة.

بالنسبة لباباجي أيضًا، لا توجد نسبية بين الماضي والحاضر والمستقبل؛ فمنذ البداية، عرف جميع مراحل حياته. ومع ذلك، مُكيفًا نفسه لفهم البشر المحدود، قام بالعديد من أعمال حياته الإلهية بحضور شاهد واحد أو أكثر. وهكذا، كان أحد تلاميذ لاهيري ماهاسيا حاضرًا عندما رأى باباجي أن الوقت قد حان لإعلان إمكانية الخلود الجسدي. نطق بهذا الوعد أمام رام غوبال موزمدار، ليُعرف أخيرًا لإلهام قلوب أخرى باحثة. يُلقي العظماء كلماتهم ويشاركون في مجرى الأحداث الذي يبدو طبيعيًا، لخير الإنسان فقط، كما قال المسيح: "يا أبتِ... كنتُ أعلم أنك تسمعني دائمًا: ولكن من أجل الناس الذين يقفون بجانبي، قلتُ ذلك، ليؤمنوا أنك أرسلتني". 33-2 خلال

في زيارتي إلى رانباجبور مع رام جوبال، "القديس الذي لا ينام"، 33-3، روى القصة العجيبة عن لقائه الأول مع باباجي.

أخبرني رام غوبال: "كنت أحيانًا أغادر كهفي المنعزل لأجلس عند قدمي لاهيري ماهاسايا في بنارس. وفي منتصف ليلة ما، بينما كنت أتأمل بصمت مع مجموعة من تلاميذه، قدّم لي المعلم طلبًا مفاجئًا.

"قال، "رام جوبال، اذهب على الفور إلى حمام داساساميده".

سرعان ما وصلتُ إلى المكان المنعزل. كان الليل ساطعًا بضوء القمر والنجوم المتلألئة. بعد أن جلستُ في صمتٍ صبرٍ لبعض الوقت، لفت انتباهي لوحٌ حجريٌّ ضخمٌ قرب قدميّ. ارتفع تدريجيًا، كاشفًا عن كهفٍ تحت الأرض. وبينما ظلّ الحجر متوازنًا بطريقةٍ غير معروفة، ارتفع جسد امرأةٍ شابةٍ فاتنةٍ مُغطّاةٍ بطبقةٍ من القماش من الكهف عاليًا في الهواء. مُحاطةً بهالةٍ ناعمة، نزلت ببطءٍ أمامي ووقفت بلا حراك، غارقةً في حالةٍ من النشوة الداخلية. أخيرًا، تحركت، وتحدثت بهدوء.

أنا ماتاجي، 33-4، أخت باباجي. طلبت منه ومن لاهيري ماهاسايا الحضور إلى كهفي الليلة لمناقشة مسألة بالغة الأهمية.

كان ضوءٌ خافتٌ يطفو بسرعةٍ فوق نهر الجانج؛ انعكس بريقه الغريب في المياه المعتمة. اقترب أكثر فأكثر حتى ظهر، بوميضٍ مُبهر، بجانب ماتاجي، وتكثف على الفور في هيئة لاهيري ماهاسايا البشرية. انحنى بتواضعٍ عند قدمي القديسة.

قبل أن أستعيد وعيي، دهشتُ أكثر لرؤية كتلة دائرية من نور غامض تحلق في السماء. هبطت الدوامة المشتعلة بسرعة، واقتربت من مجموعتنا، وتجسدت في جسد شاب وسيم، أدركتُ على الفور

أنه باباجي. كان يشبه لاهيري ماهاسايا، والفرق الوحيد هو أن باباجي بدا أصغر سنًا بكثير، وكان شعره طويلًا ولامعًا.

ركعتُ أنا ولاهيري ماهاسايا وماتاجي عند قدمي المعلم. غمرني شعورٌ أثيريٌّ بالمجدِ البهيِّ حين لمستُ جسده الإلهي.

"قال باباجي، "أختي المباركة، إنني أنوي التخلص من شكلي والغوص في التيار اللانهائي."

لقد اطلعتُ على خطتك يا سيدي الحبيب. أردتُ مناقشتها معك الليلة. لماذا تترك جسدك؟ نظرت إليه المرأة الجليلة متوسلة.

"ما الفرق إذا ارتديت موجة مرئية أو غير مرئية على محيط روحي؟"

ردت ماتاجي بلهفةٍ غريبة: «أيها المعلم الخالد، إن لم يُحدث ذلك فرقًا، فلا تتنازل أبدًا عن هيئتك». ٣٣-٥

"فليكن،" قال باباجي رسميًا. "لن أترك جسدي المادي أبدًا. سيظل مرئيًا دائمًا

لعدد قليل من الناس على هذه الأرض. لقد عبّر الرب عن رغبته من خلال شفتيكم.

"بينما كنت أستمع بدهشة إلى المحادثة بين هذه الكائنات السامية، التفت إلي المعلم العظيم بلفتة حميدة.

"قال: لا تخف يا رام جوبال، أنت محظوظ لأنك ستكون شاهداً على مشهد هذا الوعد الخالد."

مع تلاشي لحن باباجي العذب، ارتفع شكله وشكل لاهيري ماهاسيا ببطء وتراجعا فوق نهر الجانج. أحاطت هالة من الضوء المبهر بجسديهما وهما يختفيان في سماء الليل. طاف شكل ماتاجي إلى الكهف وهبط؛ وانغلق اللوح الحجري من تلقاء نفسه، كما لو كان يعمل على رافعة غير مرئية.

"بإلهامٍ لا حدود له، عدتُ إلى منزل لاهيري ماهاسأيا. وبينما انحنيتُ أمامه في الفجر الباكر، ابتسم لي معلّمي مُتفهمًا.

"أنا سعيد من أجلك يا رام جوبال"، قال. "إن رغبتك في لقاء باباجي وماتاجي، التي عبرت عنها لي مرارًا وتكرارًا، قد وجدت أخيرًا تحقيقًا مقدسًا."

"أبلغني زملائي التلاميذ أن لاهيري ماهاسيا لم يتحرك من منصته منذ وقت مبكر من المساء السابق.

أخبرني أحد المرشدين: «لقد ألقى محاضرة رائعة عن الخلود بعد رحيلك إلى غات داساساميد». ولأول مرة، أدركتُ تمامًا حقيقة الآيات الكتابية التي تنص على أن الإنسان المُدرك لذاته قد يظهر في أماكن مختلفة في جسدين أو أكثر في الوقت نفسه.

اختتم رام غوبال قائلاً: "شرح لي لاهيري ماهاسيا لاحقًا العديد من النقاط الميتافيزيقية المتعلقة بالخطة الإلهية الخفية لهذه الأرض. لقد اختار الله باباجي ليبقى في جسده طوال هذه الدورة العالمية. ستأتي العصور وتمضي - وسيظل المعلم الخالد، 33-6، حاضرًا على هذا المسرح الأرضي، وهو يشاهد دراما القرون".

الفصل 33 الحواشي

33-1: متى 8: 19-20.

33-2: يوحنا 11: 41-42.

33-3: اليوغي الحاضر في كل مكان الذي لاحظ أنني فشلت في الانحناء أمام ضريح تاراكيسوار (الفصل 13).

٣٣-٤: "الأم المقدسة". عاشت ماتاجي أيضًا عبر القرون؛ وهي تكاد تضاهي أخيها روحيًا. لا تزال في حالة نشوة في كهفٍ مخفيٍّ تحت الأرض قرب غات داساساميده.

٣٣-٥: تُذكّرنا هذه الحادثة بطاليس. علّم الفيلسوف اليوناني العظيم أنه لا فرق بين الحياة والموت. سأل أحد النقاد: "لماذا إذن لا تموت؟" أجاب طاليس: "لأنه لا فرق".

33-6: "الحق الحق أقول لكم: إذا حافظ أحد على كلامي (بقي بلا انقطاع في وعي المسيح)، فإنه

"لن ترى الموت أبدًا."-يوحنا 8: 51.

الفصل: 34

تجسيد قصر في جبال الهيمالايا

"إن اللقاء الأول بين باباجي ولاهيري ماهاسيا هو قصة آسرة، وهي واحدة من القصص القليلة التي تمنحنا لمحة مفصلة عن المعلم الخالد."

كانت هذه الكلمات مقدمة سوامي كيبالاناندا لقصة عجيبة. في المرة الأولى التي رواها فيها، دهشتُ تمامًا. في مناسبات أخرى عديدة، حثثتُ مُعلّمي السنسكريتي اللطيف على إعادة القصة، التي رواها لي لاحقًا سري يوكتسوار بنفس الكلمات تقريبًا. كان كلا تلميذي لاهيري ماهاسايا قد سمعا هذه القصة الرائعة مباشرةً من فم مُعلّمهما.

قال لاهيري ماهاسايا: "كان أول لقاء لي مع باباجي في عامي الثالث والثلاثين. في خريف عام ١٨٦١، عُيّنتُ في دانابور محاسبًا حكوميًا في إدارة الهندسة العسكرية. وفي صباح أحد الأيام، استدعاني مدير المكتب.

قال: «لاهيري، لقد وصلتنا للتو برقية من مكتبنا الرئيسي. سيتم نقلك إلى رانيخيت، حيث يتم الآن إنشاء مركز عسكري رقم 34-1».

انطلقتُ مع خادمٍ واحدٍ في رحلةٍ بطول 500 ميل. سافرنا على ظهر حصانٍ وعربةٍ، ووصلنا بعد ثلاثين يومًا إلى موقع رانيخيت في جبال الهيمالايا. 34-2

لم تكن واجباتي المكتبية شاقة؛ فقد كنت أقضي ساعات طويلة أتجول في التلال الرائعة. وصلتني شائعة مفادها أن قديسين عظماء باركوا المنطقة بحضورهم؛ فشعرت برغبة عارمة في رؤيتهم. وفي إحدى جولاتي بعد الظهر، دهشتُ لسماع صوت بعيد ينادي باسمي. واصلتُ صعودي الحثيث على جبل درونجيري. انتابني شعور طفيف بالقلق لفكرة أنني قد لا أتمكن من العودة أدراجي قبل أن يخيم الظلام على الغابة.

وصلتُ أخيرًا إلى فسحة صغيرة تنتشر على جوانبها الكهوف. على إحدى الحواف الصخرية، وقف شاب مبتسم، يمد يده ترحيبًا. لاحظتُ بدهشة أنه، باستثناء شعره النحاسي، كان يشبهني كثيرًا.

"لاهيري، لقد أتيت!" خاطبني القديس بمودة باللغة الهندية. "استرح هنا في هذا الكهف. إنه

أنا الذي اتصلت بك.

"دخلت إلى مغارة صغيرة أنيقة تحتوي على العديد من البطانيات الصوفية وبعض الكاماندولوس (أوعية التسول).

"لاهيري، هل تتذكرين ذلك المقعد؟" أشار اليوغي إلى بطانية مطوية في إحدى الزوايا.

«لا يا سيدي». شعرتُ بشيء من الدهشة من غرابة مغامرتي، فأضفتُ: «يجب أن أغادر الآن، قبل حلول الليل. لديّ عمل في مكتبي هذا الصباح».

"أجاب القديس الغامض باللغة الإنجليزية، "لقد تم إحضار المنصب من أجلك، وليس أنت من أجل المنصب".

"لقد أذهلني أن هذا الزاهد الغابي لا يتكلم الإنجليزية فحسب، بل ويعيد صياغة كلمات المسيح أيضًا. 34-3

«أرى أن برقيتي قد حققت هدفها». كانت ملاحظة اليوغي غير مفهومة بالنسبة لي؛ فسألته عن معناها.

أشير إلى البرقية التي استدعتك إلى هذه المناطق المعزولة. أنا من اقترحتُ سرًا على رئيسك أن تُنقل إلى رانيخيت. عندما يشعر المرء بوحدته مع البشرية، تُصبح جميع العقول محطات إرسال يستطيع من خلالها العمل كما يشاء. وأضاف بهدوء: لاهيري، ألا يبدو لك هذا الكهف مألوفًا؟

بينما كنتُ صامتًا حائرًا، اقترب مني القديس وضربني برفق على جبهتي. بلمسته المغناطيسية،

اجتاح تيارٌ عجيبٌ دماغي، مُطلقًا ذكرياتٍ جميلةً من حياتي السابقة.

«أتذكر!» كان صوتي شبه مختنق ببكاء فرح. «أنت معلمي باباجي، الذي كنتَ لي دائمًا! تتراءى لي مشاهد الماضي بوضوح؛ هنا في هذا الكهف قضيتُ سنواتٍ عديدة من تجسدي الأخير!» وبينما غمرتني ذكرياتٌ لا تُوصف، احتضنتُ قدمي معلمي بدموع.

"لقد انتظرتك هنا لأكثر من ثلاثة عقود - انتظرت عودتك إلي!" رنّ صوت باباجي بحبٍّ سماوي. "انسللتَ واختفيت في أمواج الحياة بعد الموت الهائجة. لمستك عصا كرمتك السحرية، ورحلتَ! مع أنك غاب عن ناظري، لم أغب عنك قط! طاردتك عبر البحر النجمي المضيء حيث تبحر الملائكة المجيدة. عبر الظلام والعواصف والاضطرابات والنور، تبعتك، كطائر أم تحرس صغارها. بينما كنت تعيش مدة حياتك البشرية في الرحم، وتخرج طفلاً، كانت عيني عليك دائمًا. عندما غطيت جسدك الصغير بوضعية اللوتس تحت رمال ناديا في طفولتك، كنت حاضرًا بشكل غير مرئي! بصبر، شهرًا بعد شهر، عامًا بعد عام، راقبتك، منتظرًا هذا اليوم المثالي. الآن أنت معي! انظر، ها هو كهفك، محبوبك منذ الأزل! لقد حافظت عليه دائمًا نظيفًا وجاهزًا لك. ها هو بطانية أسانا المقدسة، حيث كنت تجلس يوميًا لملء اتساعك..." يا قلبًا مع الله! انظر

إلى كأسك الذي شربت منه الرحيق الذي أعددته!
انظر كيف حافظت على تلميع الكأس النحاسية،

لكي تشرب منه مرة أخرى! يا خاصتي، هل فهمت الآن؟

همستُ بصوتٍ مكسور: «يا معلّمي، ماذا عساي أن أقول؟ أين سمع أحدٌ بحبٍّ خالدٍ كهذا؟» حدّقتُ طويلًا بنشوةٍ في كنزي الأبدي، معلّمي في الحياة والموت.

«لاهيري، أنت بحاجة إلى التطهير. اشرب الزيت في هذا الوعاء واستلقِ على ضفة النهر». تأملتُ بابتسامة سريعة تذكرني بذكاء باباجي، فكانت حكمته العملية حاضرة دائمًا.

أطعتُ توجيهاته. ورغم هبوط ليل الهيمالايا الجليدي، بدأ دفءٌ مُريح، إشعاعٌ داخلي، ينبض في كل خلية من جسدي. تساءلتُ. هل كان الزيت المجهول مُفعمًا بحرارة كونية؟

هبت رياحٌ عاتيةٌ حولي في الظلام، تُصدر صرخةً مُتحديةً شرسة. ارتطمت أمواج نهر غوغاش الباردة بجسدي الممدود على ضفافه الصخرية بين الحين والآخر. عوت النمور بالقرب، لكن قلبي كان خاليًا من الخوف؛ فالقوة المُشعّة التي تولدت حديثًا في داخلي نقلت لي ضمانًا بحمايةٍ لا تُقهر. مرت ساعاتٌ سريعة؛ ونسجت ذكرياتٌ باهتةٌ من حياةٍ

أخرى في نمط اللقاء الرائع الحالي مع مُعلّمي الإلهي.

قاطع تأملاتي المنعزلة صوت خطوات تقترب. في الظلام، ساعدتني يد رجل برفق على الوقوف، وأعطتني بعض الملابس الجافة.

"تعال يا أخي"، قال لي رفيقي. "السيد في انتظارك".

"قادنا عبر الغابة. وفجأةً، أضاء الليل الكئيب ضوءٌ ثابتٌ في البعيد.

"هل يمكن أن يكون هذا شروق الشمس؟" سألت. "بالتأكيد لم يمضِ الليل كله؟"

ضحك مرشدي ضحكة خفيفة: "الساعة منتصف الليل. ذاك النور هو وهج قصر ذهبي، تجسد هنا الليلة على يد باباجي الفذ. في الماضي السحيق، عبّرتَ ذات مرة عن رغبتك في الاستمتاع بجمال قصر. سيدنا الآن يُلبي رغبتك، مُحرّرًا إيّاك من قيود الكارما." 34-4 وأضاف: "سيكون القصر الرائع مسرحًا لتلقينك الكريا يوغا الليلة. جميع إخوانك هنا يشاركونك في ترنيمة ترحيب، فرحين بنهاية منفاك الطويل. انظر!"

كان أمامنا قصرٌ فسيحٌ من الذهب الباهر. مُرصّعٌ بجواهر لا تُحصى، مُقامٌ وسط حدائقَ غنّاء، يُقدّم مشهدًا من العظمة لا يُضاهى. وقف قديسون ذوو

ملامح ملائكية عند بواباتٍ باهرة، مُحمرّةٍ جزئيًا ببريق الياقوت. رُصِعَت في الأقواس المزخرفة أحجارٌ من الماس واللؤلؤ والياقوت الأزرق والزمرد، بحجمٍ وبريقٍ هائلين.

تبعتُ رفيقي إلى قاعة استقبال واسعة. انبعثت رائحة البخور والورود في الهواء؛ وألقت مصابيح خافتة توهجًا متعدد الألوان. كانت مجموعات صغيرة من المريدين، بعضهم ذو بشرة فاتحة وبعضهم داكن البشرة، ينشدون الأناشيد الموسيقية، أو يجلسون في وضعية تأملية، غارقين في سلام داخلي. ساد جو من الفرح النابض بالحياة.

«تأمّلوا؛ استمتعوا بروعة هذا القصر الفنية، فقد شُيّد تكريمًا لكم فقط». ابتسم مرشدي بتعاطف وأنا أطلق بعض عبارات الدهشة.

قلت: يا أخي، إن جمال هذا البناء يفوق حدود الخيال البشري. أرجوك أن تخبرني عن سر أصله.

«سأُنير لكَ بكل سرور». تألقت عينا رفيقي الداكنتان بالحكمة. «في الحقيقة، لا يوجد شيءٌ مُبهمٌ في هذا التجسّد. الكون بأكمله هو فكرةٌ مُجسّدةٌ للخالق. هذه الكتلة الأرضية الثقيلة، العائمة في الفضاء، هي حلمٌ لله. خلق كل شيءٍ من وعيه، تمامًا كما يُعيد الإنسان في وعيه الحلمي إنتاجَ الخليقة وإحياءَها بمخلوقاتها.»

خلق الله الأرض أولاً كفكرة. ثم أحيىها؛ فظهرت ذرات الطاقة. نسق الذرات في هذه الكرة الصلبة. جميع جزيئاتها متماسكة بإرادة الله. وعندما يتراجع عن إرادته، ستتحلل الأرض مرة أخرى إلى طاقة. ستذوب الطاقة في الوعي؛ وستختفي فكرة الأرض من الموضوعية.

"إن جوهر الحلم يُحفظ في تجسيده من خلال الفكر الباطن للحالم. وعندما يُسحب هذا الفكر المتماسك في اليقظة، يتلاشى الحلم وعناصره. يُغمض الإنسان عينيه ويُنشئ خلقًا حلميًا، وعند الاستيقاظ، يُزيله بلا عناء. إنه يتبع النمط الإلهي النموذجي. وبالمثل، عندما يستيقظ في وعي كوني، سيُزيل أوهام الحلم الكوني بلا عناء.

بوحدته مع الإرادة الإلهية المطلقة، يستطيع باباجي استدعاء الذرات الأساسية لتتحد وتُظهر نفسها بأي شكل. هذا القصر الذهبي، الذي خُلق في لحظة، حقيقي، تمامًا كما أن هذه الأرض حقيقية. خلق باباجي هذا القصر الفخم بعقله، وهو يُحافظ على ذراته متماسكة بقوة إرادته، تمامًا كما خلق الله هذه الأرض ويحافظ عليها سليمة. وأضاف: "عندما يُنجز هذا البناء غرضه، سيُزيله باباجي من الوجود".

بينما كنتُ صامتًا مندهشًا، أشار مرشدي إيماءةً واسعةً قائلًا: "هذا القصر المتلألئ، المُرصّع بالجواهر ببراعة، لم يُبنَ بجهد بشري أو بذهبٍ وأحجارٍ كريمةٍ مُستخرجةٍ بشقّ الأنفس. إنه يقف

شامخًا، مُشكّلًا تحدّيًا هائلًا للإنسان. 34-5 من يُدرك نفسه ابنًا لله، كما فعل باباجي، يستطيع بلوغ أي هدفٍ بفضل القوى اللانهائية الكامنة في داخله. حجرٌ عاديٌّ يُخفي في داخله سرّ الطاقة الذرية الهائلة؛ 34-6 ومع ذلك، يبقى الإنسانُ قوةً إلهيةً."

التقط الحكيم من طاولة قريبة مزهرية أنيقة، مقبضها يتلألأ بالألماس. وتابع: "لقد بنى معلمنا العظيم هذا القصر بتجميد آلاف الأشعة الكونية الحرة. المس هذه المزهرية وماساتها؛ ستُرضي جميع اختبارات التجربة الحسية".

فحصتُ المزهرية، ومررتُ يدي على جدران الغرفة الملساء، المزينة بالذهب اللامع. كل جوهرة متناثرة ببذخ كانت جديرة بمجموعة ملك. غمرني شعورٌ عميق بالرضا. رغبةٌ كامنة، مختبئة في لاوعيي من حياة...

لقد ذهب الآن، وبدا وكأنه مُرضٍ ومنطفئ في نفس الوقت.

قادني رفيقي الفخم عبر أقواس وممرات مزخرفة إلى سلسلة من الغرف المفروشة بفخامة على طراز قصور الإمبراطور. دخلنا قاعةً ضخمة. في وسطها عرشٌ ذهبي، مُرصّع بالجواهر، يُضفي مزيجًا مبهرًا من الألوان. هناك، في وضعية اللوتس، جلس باباجي العظيم. ركعتُ على الأرضية اللامعة عند قدميه.

«لاهيري، هل ما زلتَ تتلذذ برغباتك الحالمة في قصرٍ ذهبي؟» كانت عينا معلّمي تلمعان كياقوته. «استيقظ! كل عطشك الأرضي على وشك أن يُروى إلى الأبد.» همس بكلماتٍ صوفيةٍ مباركة. «يا بني، انهض. استقبل دخولك إلى ملكوت الله من خلال الكريا يوغا.»

"مد باباجي يده، فظهرت نار هوما (قربانية)، محاطة بالفواكه والزهور. تلقيت تقنية اليوغا المحررة أمام هذا المذبح المشتعل.

انتهت الطقوس مع بزوغ الفجر. لم أشعر بالحاجة للنوم في نشوتي، وتجولت في أرجاء القصر، الممتلئ من كل جانب بالكنوز والتحف الفنية الثمينة. نزلتُ إلى الحدائق الفخمة، فلاحظتُ، على مقربة منها، نفس الكهوف وحواف الجبال القاحلة التي كانت بالأمس لا تقترب من القصر أو الشرفة المزهرة.

عند دخولي القصر، المتلألئ بشكل رائع تحت أشعة الشمس الباردة في جبال الهيمالايا، بحثت عن وجود سيدي. كان لا يزال متربعًا على العرش، محاطًا بالعديد من التلاميذ الهادئين.

"لاهيري، أنت جائع." أضاف باباجي، "أغمض عينيك."

عندما أعدتُ فتحهما، كان القصر الساحر وحدائقه الخلابة قد اختفى. كان جسدي وأجساد باباجي

ومجموعة المرشدين جالسين الآن على الأرض الجرداء في نفس موقع القصر المختفي، ليس بعيدًا عن مداخل الكهوف الصخرية المضاءة بنور الشمس. تذكرتُ أن مرشدي قد أشار إلى أن القصر سيُزال من الوجود، وأن ذراته الأسيرة ستُطلق في جوهر الفكر الذي انبثق منه. ورغم ذهولي، نظرتُ بثقة إلى معلّمي. لم أكن أعرف ماذا أتوقع في يوم المعجزات هذا.

أوضح باباجي قائلاً: «لقد تحقق الغرض الذي بُني القصر من أجله». ورفع إناءً فخاريًا من الأرض. «ضع يدك هناك واحصل على أي طعام ترغب فيه».

ما إن لمستُ الوعاء الواسع الفارغ، حتى امتلأ باللوتشي المقلية بالزبدة الساخنة والكاري والحلويات النادرة. تناولتُ الطعام بنفسي، ملاحظًا أن الوعاء ممتلئٌ دائمًا. في نهاية وجبتي، بحثتُ عن ماء. أشار مُعلّمي إلى الوعاء أمامي. ها هو الطعام قد اختفى؛ وفي مكانه ماءٌ صافيٌ كنبعٍ من جدولٍ جبلي.

لاحظ باباجي أن قلة من البشر يعرفون أن ملكوت الله يشمل مملكة الإنجازات الدنيوية. يمتد العالم الإلهي إلى العالم الأرضي، لكن هذا الأخير، لكونه وهميًا، لا يمكن أن يشمل جوهر الواقع.

"يا معلّمنا الحبيب، لقد أوضحت لي الليلة الماضية العلاقة بين الجمال في السماء والأرض!"

ابتسمتُ لذكريات القصر المندثر؛ من المؤكد أنه لم يتلقَّ أي يوغي بسيط تعليمًا في أسرار الروح الجليلة وسط أجواءٍ أكثر فخامةً وفخامةً من هذه! حدقتُ بهدوءٍ في التناقض الصارخ للمشهد الحالي. الأرض الهزيلة، والسقف السماوي، والكهوف التي تُوفر مأوى بدائيًا - كلها بدت بيئةً طبيعيةً رائعةً للقديسين الملائكيين من حولي.

جلستُ عصر ذلك اليوم على بطانيتي، مُقدّسًا بذكرياتٍ من إدراكاتٍ من الحياة الماضية. اقترب مني معلّمي الإلهي ومرّر يده على رأسي. دخلتُ حالة نيربيكالبا سامادهي، وبقيتُ في نعيمها سبعة أيام. بعبوري طبقاتٍ متتالية من معرفة الذات، توغلتُ في عوالم الحقيقة الخالدة. سقطت كل القيود الوهمية؛ واستقرّت روحي تمامًا على المذبح الأبدي للروح الكونية. في اليوم الثامن، سقطتُ عند قدمي معلّمي وتوسّلتُ إليه أن يُبقيني دائمًا بقربه في هذه البرية المقدسة.

قال باباجي وهو يعانقني: يا بني، يجب أن يكون دورك في هذا التجسد على مسرح خارجي. بعد أن حظيت ببركات ما قبل الولادة من خلال حياة التأمل المنفرد، يجب عليك الآن أن تختلط بعالم البشر.

كان هناك غرض عميق وراء عدم لقائك بي هذه المرة إلا بعد أن أصبحت رجلاً متزوجًا، ومسؤولياتك العملية متواضعة. عليك أن تضع جانبًا أفكارك حول الانضمام إلى فرقتنا السرية في جبال الهيمالايا؛

فحياتك تكمن في الأسواق المزدحمة، لتكون قدوة لرب الأسرة المثالي.

"إن صرخات كثيرـ من الرجال والنساء الحائرين في هذا العالم لم تغب عن أسماع العظماء"، تابع. "لقد اختيرتم لجلب العزاء الروحي من خلال الكريا يوغا للعديد من الباحثين الجادين. إن الملايين المثقلين بروابط عائلية وواجبات دنيوية ثقيلة سيستمدون منك، أنت رب أسرة مثلهم، عزيمة جديدة. يجب أن ترشدهم ليروا أن أعلى مستويات الإنجازات اليوغية ليست حكرًا على رب الأسرة. حتى في الدنيا، فإن اليوغي الذي يؤدي مسؤولياته بإخلاص، دون دافع شخصي أو تعلق، يسلك طريق التنوير الأكيد.

لا تُجبرك الضرورة على مغادرة العالم، لأنك قطعت داخليًا كل روابطه الكرمية. لستَ من هذا العالم، بل يجب أن تكون فيه. لا تزال هناك سنوات عديدة عليك خلالها أن تُؤدّي واجباتك العائلية والتجارية والمدنية والروحية بضمير حي. نَفَسٌ جديدٌ عذبٌ من الأمل الإلهي سيخترق قلوب رجال العالم القاحلة. من حياتك المتوازنة، سيفهمون أن التحرر يعتمد على التخلي الداخلي، لا الخارجي.

كم بدت عائلتي، ومكتبي، والعالم منعزلاً، وأنا أستمع إلى معلّمي في عزلة جبال الهيمالايا الشاهقة. ومع ذلك، رنّت الحقيقة الماسية في كلماته؛ وافقتُ بخضوع على مغادرة ملاذ السلام

هذا. علّمني باباجي القواعد القديمة الصارمة التي تحكم نقل فن اليوغا من المعلّم إلى التلميذ.

قال باباجي: «امنحوا مفتاح الكريا فقط للمتعلمين المؤهلين. من ينذر بالتضحية بكل شيء في سبيل الإلهي، فهو أهل لكشف أسرار الحياة الأخيرة من خلال علم التأمل».

"أيها المعلم الملائكي، بما أنك قد نفعت البشرية بالفعل بإحياء فن الكريا المفقود، ألا يمكنك زيادة هذه الفائدة بتخفيف المتطلبات الصارمة للتلمذة؟" نظرت

أتوسل إلى باباجي قائلاً: "أدعوك أن تسمح لي بإيصال الكريا إلى جميع الساعين، حتى وإن لم يتمكنوا في البداية من النذر على التخلي الداخلي الكامل. إن الرجال والنساء المعذبين في العالم، الذين يلاحقهم العذاب الثلاثي، يحتاجون إلى تشجيع خاص. قد لا يسلكوا طريق الحرية أبدًا إذا مُنعوا من تلقي الكريا".

فليكن. لقد تجلّت الرغبة الإلهية من خلالك. بهذه الكلمات البسيطة، نفى المعلم الرحيم الضمانات الصارمة التي حجبت الكريا عن العالم لعصور. "أعطِ الكريا بسخاء لكل من يطلب المساعدة بتواضع".

"بعد الصمت، أضاف باباجي، "كرر لكل واحد من تلاميذك هذا الوعد المهيب من بهاجافاد جيتا:

"سوالباماسيا دارماسيا، ترايَاتا ماهاتو بهويت" -
"حتى القليل من ممارسة هذا الدين سوف ينقذك من المخاوف الشديدة والمعاناة الهائلة." 34-8

"في صباح اليوم التالي، عندما ركعت عند قدمي معلّمي لتلقي بركاته الوداعية، شعر بترددي الشديد في تركه.

«لا مجال للفراق بيننا يا حبيبتي». لمس كتفي بحنان. «أينما كنتِ، وكلما ناديتني، سأكون معكِ في الحال».

مُعزّيًا بوعده العجيب، ومُغتنيًا بذهب الحكمة الإلهية المُكتشف حديثًا، نزلتُ الجبل. في المكتب، رحّب بي زملائي في العمل، الذين ظنّوا أنني تائهٌ في غابات الهيمالايا لعشرة أيام. وسرعان ما وصلتني رسالة من المكتب الرئيسي.

«ينبغي أن يعود لاهيري إلى مكتب دانابور 34-9»، هذا ما جاء في الرسالة. «تم نقله إلى رانيخيت بالخطأ. كان ينبغي إرسال رجل آخر لتولي مهام رانيخيت».

"ابتسمت، وأنا أفكر في التيارات المتقاطعة الخفية في الأحداث التي قادتني إلى هذه البقعة الأبعد في الهند.

قبل عودتي إلى دانابور، قضيتُ بضعة أيام مع عائلة بنغالية في مراد آباد. اجتمع ستة أصدقاء لاستقبالي.

وبينما كنتُ أتناول الحديث عن المواضيع الروحانية، علّق مضيفِي بحزن:

"أوه، في هذه الأيام أصبحت الهند خالية من القديسين!"

"احتججت بحرارة قائلاً: "بابو، بالطبع لا يزال هناك أساتذة عظماء في هذه الأرض!"

في حالة من الحماس الشديد، شعرتُ برغبة ملحة في سرد تجاربي العجيبة في جبال الهيمالايا. كان الحضور الصغير في حالة من عدم التصديق بأدب.

"قال أحد الرجال بهدوء: "لاهيري، لقد كان عقلك تحت ضغط شديد في تلك الأجواء الجبلية المنعشة. هذا مجرد حلم يقظة رويته."

"مشتعلًا بحماس الحقيقة، تحدثت دون تفكير مناسب. "إذا اتصلت به، فسيقوم معلّمي

"يظهر في هذا البيت."

تألق الاهتمام في كل عين؛ فلا عجب أن المجموعة كانت متشوقة لرؤية قديس يتجسد بهذه الطريقة الغريبة. على مضض، طلبت غرفة هادئة وبطانيتين صوفيتين جديدتين.

«سوف يتجسد السيد من الأثير»، قلت. «ابقَ صامتًا خارج الباب؛ سأناديك قريبًا».

"غرقتُ في حالة تأمل، ودعوتُ معلّمي بتواضع. وسرعان ما امتلأت الغرفة المظلمة بضوء قمر خافت؛ وظهرت صورة باباجي المضيئة.

«لاهيري، هل تطلب مني شيئًا تافهًا؟» كانت نظرة المعلم صارمة. «الحقيقة للباحثين الجادين، لا للفضوليين. من السهل التصديق عندما نرى؛ فلا شيء يُنكر حينها. الحقيقة فوق الحسية يستحقها ويكتشفها من يتغلب على شكوكه المادية الفطرية.» وأضاف بجدية: «دعني أذهب!»

سقطتُ عند قدميه متوسلاً. «أيها المعلم المقدس، أُدرك خطأي الجسيم؛ أطلب العفو بتواضع. لقد تجرأت على دعوتك لزرع الإيمان في هذه العقول المُعماة روحياً. ولأنك حضرتَ صلاتي بكرم، فلا تغادر دون أن تُبارك أصدقائي. وإن كانوا غير مؤمنين، فقد كانوا على الأقل مستعدين للتحقيق في حقيقة ادعاءاتي الغريبة».

حسنًا، سأبقى قليلًا. لا أريد أن يُساء فهم كلامك أمام أصدقائك. خفف باباجي من حدة طبعه، لكنه أضاف بهدوء: من الآن فصاعدًا يا بني، سآتي إليك عندما تحتاجني، وليس دائمًا عندما تناديني. ٣٤-١٠

ساد صمتٌ متوترٌ المجموعة الصغيرة عندما فتحتُ الباب. وكأنّ أصدقائي لا يثقون بحواسهم، حدّقوا في الجسد اللامع على المقعد المُغطّى بالبطانية.

ضحك أحد الرجال ضحكة علنية: «هذا تنويم مغناطيسي جماعي! لا يُمكن لأحد أن يدخل هذه الغرفة دون علمنا!»

تقدم باباجي مبتسمًا وأشار إلى كل واحد منهم أن يلمس لحم جسده الدافئ الصلب. وبعد أن تبددت الشكوك، سجد أصدقائي على الأرض في توبةٍ مُرهبة.

"لتكن الهالوا 34-html.11 جاهزة". طلب باباجي هذا، كما عرفت، ليطمئن المجموعة أكثر على حقيقته المادية. وبينما كانت العصيدة تغلي، كان المعلم الإلهي يتبادل أطراف الحديث بود. كان تحول هؤلاء الشبان المتشككين إلى قديسين متدينين عظيمًا. بعد أن تناولنا الطعام، بارك باباجي كلًا منا بدوره. فجأةً، رأينا وميضًا؛ شهدنا عملية نزع المواد الكيميائية الفورية للعناصر الإلكترونية في جسد باباجي إلى ضوء بخاري منتشر. لقد أرخى إرادة المعلم المتناغمة مع الله قبضته على ذرات الأثير التي كانت متماسكة في جسده؛ وعلى الفور تلاشت تريليونات الشرارات الإلكترونية الحية الصغيرة في الخزان اللانهائي.

"لقد رأيتُ بأم عينيّ غالب الموت". تحدثت مايترا، 34-12، إحدى أفراد المجموعة،

بإجلال. تحوّل وجهه من فرحة استيقاظه الأخير. «لعب المعلم الأعلى بالزمان والمكان، كما يلعب

طفل بالفقاعات. رأيتُ واحدًا يحمل مفاتيح السماء والأرض.»

"عدتُ سريعًا إلى دانابور. مُرسّخًا في الروح، تولّيتُ مجددًا الالتزامات التجارية والأسرية المتعدّدة التي يفرضها عليّ ربّ المنزل."

كما روى لاهيري ماهاسايا لسوامي كيبالاناندا وسري يوكتسوار قصة لقاء آخر مع باباجي، في ظل ظروف تذكرنا بوعد المعلم الروحي: "سوف آتي عندما تحتاجني".

كان المشهد احتفالاً بكومبا ميلا في الله أباد، هكذا قال لاهيري ماهاسايا لأتباعه. "كنتُ قد ذهبتُ إلى هناك خلال إجازة قصيرة من واجباتي المكتبية. وبينما كنتُ أتجول وسط حشد الرهبان والسادوس القادمين من مسافات بعيدة لحضور المهرجان المقدس، لاحظتُ زاهداً ملطخاً بالرماد يحمل وعاءً للتسول. خطرت لي فكرة أن الرجل منافق، يرتدي رموزاً خارجية للزهد دون أن يقابلها نعمة داخلية.

ما إن تجاوزتُ الزاهد حتى وقعت عيناي المذهولة على باباجي. كان راكعًا أمام ناسك ذي شعرٍ مُجعّد.

«جوروجي!» أسرعتُ إلى جانبه. «سيدي، ماذا تفعل هنا؟»

قال باباجي: "سأغسل قدمي هذا الرافض، ثم سأنظف أدوات طبخه". ابتسم لي باباجي ابتسامة

طفل صغير؛ كنت أعلم أنه يُلمّح إلى أنه لا يريدني أن أنتقد أحدًا، بل أن أرى الرب مُقيمًا بالتساوي في جميع معابد الجسد، سواءً كان أعلى شأنًا أم أدنى شأنًا. وأضاف المعلم العظيم: "بخدمة السادهو الحكماء والجهلاء، أتعلم أعظم الفضائل، التي تُرضي الله فوق كل شيء - التواضع".

٣٤-١: أصبحت الآن مصحة عسكرية. بحلول عام ١٨٦١، كانت الحكومة البريطانية قد أنشأت بالفعل بعض الاتصالات التلغرافية.

34-2: تقع مدينة رانيخيت، في منطقة ألمورا في المقاطعات المتحدة، عند سفح ناندا ديفي، أعلى قمة في جبال الهيمالايا (25661 قدمًا) في الهند البريطانية.

34-3: "السبت جعل لأجل الإنسان، ولا الإنسان لأجل السبت" – مرقس 2: 27.

٣٤-٤: يقتضي قانون الكارما أن تتحقق كل رغبة إنسانية. فالرغبة هي السلسلة التي تربط الإنسان بعجلة التناسخ.

34-5:

ما هي المعجزة؟ إنها توبيخ، إنها هجاء ضمني على البشرية. - إدوارد يونج، في خواطر الليل.

٣٤-٦: شُرِحَت نظرية البنية الذرية للمادة في أطروحتي فايسيسيكا ونيايا الهنديتين القديمتين.

«هناك عوالم شاسعة، جميعها مُتَوَضَّعة داخل تجاويف كل ذرة، مُتَعَدِّدَة كذرات شعاع الشمس.» - يوغا فاسيشثا.

34-7: المعاناة الجسدية والعقلية والروحية؛ تتجلى على التوالي في المرض، وفي القصور النفسي أو "العقد"، وفي جهل الروح.

34-8: الفصل الثاني:40.

34-9: مدينة بالقرب من بنارس.

٣٤-١٠: في طريق اللانهائي، حتى الأساتذة المستنيرون، مثل لاهيري ماهاسايا، قد يعانون من حماسة مفرطة، ويخضعون للتأديب. في بهاجافاد جيتا، نقرأ مقاطع عديدة يعاقب فيها المعلم الإلهي كريشنا أمير المريدين، أرجونا.

34-11: عصيدة مصنوعة من كريمة القمح المقلية في الزبدة، والمسلوقة مع الحليب.

٣٤-١٢: الرجل، مايترا، الذي يشير إليه لاهيري ماهاسايا هنا، أصبح فيما بعد متقدمًا جدًا في تحقيق الذات. التقيتُ بمايترا بعد تخرجي من المدرسة الثانوية بفترة وجيزة؛ زار دير ماهاماندال في بنارس عندما كنتُ مقيمًا فيه. أخبرني حينها عن تجسد باباجي أمام المجموعة في مراد آباد. "بفضل هذه المعجزة"، أوضح لي مايترا، "أصبحتُ تلميذًا مدى الحياة للاهيري ماهاسايا".

الفصل: 35

حياة لاهيري ماهاسايا المسيحية

"هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر." 35-1 في هذه الكلمات التي وجهها يسوع إلى يوحنا المعمدان، وعندما طلب من يوحنا أن يعمده، كان يسوع يعترف بالحقوق الإلهية لمعلمه.

من دراسةٍ مُبجَّلةٍ للكتاب المقدس من منظورٍ شرقي، 35-2، ومن إدراكٍ حدسي، أنا مُقتنعٌ بأن يوحنا المعمدان كان، في حيواته الماضية، مُعلِّم المسيح. هناك آياتٌ عديدةٌ في الكتاب المقدس تُشير إلى أن يوحنا ويسوع في تجسديهما الأخيرين كانا، على التوالي، إيليا وتلميذه إليشع. (هذه هي التهجئات في العهد القديم. هجَّأ المُترجمون اليونانيون الاسمين إلياس وإليشع؛ وهما يظهران في العهد الجديد بهذه الأشكال المُغيَّرة).

تُنبئ خاتمة العهد القديم بتناسخ إيليا وإليشع: "ها أنا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والمرعب". 35-3 وهكذا، وُلد يوحنا (إيليا)، المُرسل "قبل مجيء الرب"، قبل ذلك بقليل ليكون مُبشرًا بالمسيح. ظهر ملاك لزكريا الأب ليشهد أن ابنه يوحنا الآتي لن يكون إلا إيليا (إيليا).

"فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا، لأن طلبتك قد سمعت، وامرأتك أليصابات قد عادت إليك."

ستلد لكِ ابنًا وتسميه يوحنا... فيرجع كثيرون من بني إسرائيل إلى الرب إلههم. ويتقدم أمامه 35-4 بروح إيليا وقوته، ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلى حكمة الأبرار، ليهيئ للرب شعبًا مستعدًا. 35-5 حدد يسوع إيليا (إيليا) مرتين بشكل لا لبس فيه بأنه يوحنا: "لقد جاء إيليا بالفعل، ولم يعرفوه... ففهم التلاميذ أنه تكلم إليهم عن يوحنا المعمدان". 35-6 مرة أخرى، يقول المسيح: "لأن جميع الأنبياء والناموس تنبأوا إلى يوحنا. وإن شئتم أن تقبلوه، فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي." 35-7 عندما أنكر يوحنا أنه إيليا (إيليا)، 35-8 كان يعني أنه في ثوب يوحنا المتواضع لم يعد يأتي في السمو الخارجي لإيليا المعلم العظيم. في تجسده السابق، أعطى "عباءة" مجده وثروته الروحية لتلميذه إليشع. "فقال إليشع: أرجوك، فليكن نصيب ضعف روحك عليّ. فقال: لقد سألت أمراً صعباً. ولكن إن رأيتني عندما أُؤخذ من عندك، فسيكون لك كذلك... وأخذ عباءة إيليا التي سقطت عنه." 35-9

لقد انعكست الأدوار، لأنه لم يعد هناك حاجة إلى إيليا يوحنا ليكون المعلم الظاهري لإليشع يسوع، الذي أصبح الآن كاملاً في الإدراك الإلهي.

عندما تجلّى المسيح على الجبل ٣٥-١٠، كان معلمه إيليا، مع موسى، هو من رآه. وفي ساعة حزنه على الصليب، صرخ يسوع بالاسم الإلهي: "إيلي، إيلي، لما شبقتني؟ أي: إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟"

فسمع بعض الواقفين هناك ذلك، فقالوا: "هذا الرجل ينادي إيليا... لنرَ هل يأتي إيليا ليخلصه". ٣٥-١١

كانت الرابطة الأبدية بين المعلم والتلميذ، التي جمعت يوحنا ويسوع، حاضرة أيضًا بين باباجي ولاهيري ماهسايا. باهتمامٍ رقيق، سبح المعلم الخالد في مياه ليثيان التي كانت تدور بين الحياتين الأخيرتين من حياته، ووجه الخطوات المتتالية التي اتخذها لاهيري ماهسايا، الطفل ثم الرجل. لم ير باباجي أن الوقت قد حان لإعادة بناء الرابطة التي لم تنقطع أبدًا إلا بعد أن بلغ التلميذ عامه الثالث والثلاثين. ثم، بعد لقائهما القصير قرب رانيخيت، نفى المعلم المتفاني تلميذه الحبيب من المجموعة الجبلية الصغيرة، وأطلقه لمهمة عالمية. "يا بني، سآتي متى احتجت إليّ." أي عاشق فانٍ يستطيع أن يمنح هذا الوعد اللامتناهي؟

في غفلة عن المجتمع، انطلقت نهضة روحية عظيمة من ركن ناءٍ في بنارس. وكما لا يُقهر عبير الزهور، لم يستطع لاهيري ماهاسيا، الذي عاش بهدوءٍ ربّ أسرةٍ مثالي، إخفاء مجده الفطري. وشيئًا فشيئًا، من كل أنحاء الهند، بحثت النحلات المُخلصة عن رحيق سيدها المُحرّر.

وكان مدير المكتب الإنجليزي من أوائل من لاحظوا التغيير الغريب المتسامي في موظفه، والذي أطلق عليه اسم "بابو النشوة" بشكل محبب.

«سيدي، يبدو أنك حزين. ما المشكلة؟» سأل لاهيري ماهاسايا صاحبه هذا السؤال المتعاطف ذات صباح.

"زوجتي في إنجلترا مريضة بشكل خطير. أنا ممزق من القلق."

سأخبرك عنها. غادر لاهيري ماهاسايا الغرفة وجلس قليلًا في مكان منعزل. وعند عودته، ابتسم ابتسامةً مُعزية.

"زوجتك في تحسن؛ وهي الآن تكتب لك رسالة." اقتبس اليوغي العليم بعض أجزاء الرسالة.

يا بابو المبهج، أعلم أنك لستَ شخصًا عاديًا. ومع ذلك، لا أستطيع تصديق أنك، بإرادتك، قادر على نفي الزمان والمكان!

وصلت الرسالة الموعودة أخيرًا. فوجئ المشرف المذهول بأنها لا تتضمن فقط خبر شفاء زوجته، بل تتضمن أيضًا نفس العبارات التي رددها لاهيري ماهاسايا قبل أسابيع.

بعد بضعة أشهر، وصلت الزوجة إلى الهند. زارت المكتب، حيث كان لاهيري ماهاسايا جالسًا بهدوء على مكتبه. اقتربت منه المرأة باحترام.

قالت: "سيدي، لقد كان جسدك، مُحاطًا بهالة من نورٍ مُجيد، هو ما رأيته قبل أشهر على فراش مرضي في لندن. في تلك اللحظة شُفيت تمامًا!

وبعد ذلك بوقتٍ قصير، تمكنت من القيام برحلة بحرية طويلة إلى الهند".

يومًا بعد يوم، كان واحد أو اثنان من المريدين يتوسلون إلى المعلم السامي لتلقينه الكريا. بالإضافة إلى هذه الواجبات الروحية، وواجباته في العمل والحياة الأسرية، اهتم المعلم العظيم بالتعليم اهتمامًا بالغًا. نظّم العديد من حلقات الدراسة، ولعب دورًا فعالًا في نمو مدرسة ثانوية كبيرة في منطقة بنغاليتولا في بنارس. وأصبحت محاضراته المنتظمة حول الكتب المقدسة تُسمى "جمعية غيتا"، وكان يحضرها بشغف العديد من الباحثين عن الحقيقة.

من خلال هذه الأنشطة المتنوعة، سعى لاهيري ماهاسيا إلى الإجابة على التحدي المشترك: "بعد أداء الواجبات التجارية والاجتماعية، أين وقت التأمل الروحي؟" أصبحت الحياة المتوازنة والمتناغمة لمعلم البيت العظيم مصدر إلهام صامت لآلاف القلوب المتسائلة. بمرتب متواضع، مقتصد، غير متكلف، وفي متناول الجميع، واصل المعلم حياته الدنيوية بعفوية وسعادة.

رغم تربّعه على عرش الإله الأعظم، أظهر لاهيري ماهاسيا احترامًا كبيرًا لجميع البشر، بغض النظر عن تفاوت مناقبهم. وعندما سلّم عليه أتباعه، انحنى لهم بدورهم. وبتواضعٍ طفولي، كان المعلم يلمس أقدام الآخرين كثيرًا، لكنه نادرًا ما كان يسمح لهم

بإظهار الاحترام نفسه له، مع أن هذا التبجيل للمعلم عادة شرقية قديمة.

من السمات البارزة في حياة لاهيري مهاسيا عطائه في تلقين الكريا لكل من ينتمي إلى أي دين. لم يقتصر الأمر على الهندوس فحسب، بل كان المسلمون والمسيحيون من أبرز تلامذته. وقد استقبل المعلم العالمي الموحدين والثنائيين، سواء من جميع الأديان أو من لا ينتمون إلى أي دين راسخ، وتلقوا تعليمهم بنزاهة. وكان عبد الغفور خان، وهو مسلم، أحد تلاميذه المتفوقين. ويُظهر لاهيري مهاسيا شجاعة كبيرة، فرغم كونه براهميًا من طبقة عليا، بذل قصارى جهده لتفكيك التعصب الطبقي الجامد الذي كان سائدًا في عصره. وقد وجد من جميع مناحي الحياة ملاذًا تحت جناحي المعلم الحاضرين في كل مكان. ومثل جميع الأنبياء الملهمين من الله، لاهيري

لقد منحت ماهاسايا أملاً جديداً للمنبوذين والمضطهدين في المجتمع.

تذكروا دائمًا أنكم لا تنتمين لأحد، ولا أحد ينتمي إليكم. فكّروا في أنكم ستضطرون يومًا ما فجأةً إلى ترك كل شيء في هذا العالم، لذا تعرّفوا على الله الآن، هذا ما قاله المعلم العظيم لتلاميذه. "استعدوا لرحلة الموت النجمية القادمة بركوب منطاد إدراك الله يوميًا. من خلال الوهم، تُدركون أنفسكم ككتلة من لحم وعظام، وهي في أحسن

الأحوال عشٌّ من المتاعب. 35-12 تأملوا بلا انقطاع، لتتمكنوا من رؤية أنفسكم سريعًا كجوهر لا نهائي، متحررين من كل شكل من أشكال البؤس. كفوا عن أن تكونوا أسرى الجسد؛ باستخدام مفتاح الكريا السري، تعلّموا الهروب إلى الروح."

شجع المعلم العظيم طلابه على الالتزام بالمنهج التقليدي السليم لإيمانهم. وأكد لاهيري ماهاسايا على شمولية الكريا كأسلوب عملي للتحرر، ثم منح أتباعه حرية التعبير عن حياتهم بما يتوافق مع البيئة والتربية.

أشار المعلم إلى أنه "ينبغي على المسلم أداء صلاة النماج من ٣٥ إلى ١٣ أربع مرات يوميًا". وأضاف: "ينبغي على الهندوسي الجلوس للتأمل أربع مرات يوميًا. أما المسيحي، فيركع أربع مرات يوميًا، داعيًا الله ثم يقرأ الإنجيل".

بفطنة حكيمة، أرشد المعلم أتباعه إلى دروب البهاكتي (التقوى)، والكارما (العمل)، والجنانا (الحكمة)، أو الراجا (الملكية أو الكاملة)، وفقًا لميول كل إنسان. وكان المعلم، الذي تأخر في منح الإذن للمريدين الراغبين في دخول طريق الرهبنة الرسمي، يحذرهم دائمًا من التأمل جيدًا في صعوبات الحياة الرهبانية أولًا.

علّم المعلم الروحي العظيم تلاميذه تجنب النقاش النظري في الكتب المقدسة. قال: "لا يكون حكيمًا

إلا من كرّس نفسه لإدراك الوحي القديم، لا لقراءته فقط". "حلّوا جميع مشاكلكم بالتأمل. 35-14 استبدلوا التكهنات الدينية غير المجدية بالتواصل الحقيقي مع الله. نظّفوا عقولكم من بقايا العقائد اللاهوتية؛ دعوها تتدفق إلى مياه الإدراك المباشر العذبة الشافية. انسجموا مع التوجيه الداخلي النشط؛ فالصوت الإلهي لديه الحل لكل معضلة في الحياة. مع أن براعة الإنسان في إيقاع نفسه في المشاكل تبدو لا حدود لها، إلا أن العون اللامتناهي ليس أقل منها غزارة."

لاهيري ماهاسايا تلميذ باباجي ومعلم سري يوكتسوار

تجلّى حضور المعلم في كل مكان ذات يوم أمام مجموعة من التلاميذ الذين كانوا يستمعون إلى شرحه لبهاجافاد غيتا. وبينما كان يشرح معنى كوتاستا تشايتانيا، أو وعي المسيح، في كل الخليقة الاهتزازية، صرخ لاهيري ماهاسايا فجأةً:

"أنا أغرق في أجساد العديد من النفوس قبالة سواحل اليابان!"

وفي صباح اليوم التالي، قرأ الطلاب تقريراً صحفياً عن وفاة العديد من الأشخاص الذين غرقت سفينتهم في اليوم السابق بالقرب من اليابان.

كان أتباع لاهيري ماهاسايا البعيدون يدركون حضوره الشامل. قال مُعزيًا للمتعلمين الذين لم يتمكنوا من

البقاء بقربه: "أنا دائمًا مع ممارسي الكريا. سأرشدكم إلى الدار الكونية من خلال إدراكاتكم المتوسعة".

أخبر أحد المريدين سوامي ساتياناندا أنه، رغم عدم تمكنه من الذهاب إلى بنارس، تلقى مع ذلك تدريبًا دقيقًا على الكريا في المنام. وظهر له لاهيري ماهاسيا ليُرشد المتدرب استجابةً لدعائه.

إذا أهمل أحد التلميذين أيًا من التزاماته الدنيوية، كان المعلم يصححه ويؤدبه بلطف.

قال لي سري يوكتسوار ذات مرة: "كانت كلمات لاهيري ماهاسايا رقيقةً وشافيةً، حتى عندما أُجبر على التحدث بصراحة عن عيوب المرشد الروحي". وأضاف بحزن: "لم يهرب أي تلميذ من انتقادات معلمنا اللاذعة". لم أستطع منع نفسي من الضحك، لكنني أكدت لسري يوكتسوار بصدق أنه، سواء كان حادًا أم لا،

لا، كل كلمة قالها كانت موسيقى لأذني.

صنف لاهيري ماهاسيا الكريا بعناية إلى أربع مراحل تدريجية. 35-15، ولم يمنح المريدين التقنيات الثلاث العليا إلا بعد أن يُظهروا تقدمًا روحيًا واضحًا. في أحد الأيام، أعرب أحد المرشدين، مقتنعًا بأن قيمته لا تُقيّم كما ينبغي، عن استيائه.

"قال،" يا سيدي، أنا مستعد الآن بالتأكيد للمبادرة الثانية.

في تلك اللحظة، فُتح الباب ليدخل تلميذ متواضع، بريندا باغات. كان ساعي بريد من بنارس.

بريندا، اجلسي بجانبي هنا. ابتسم له المعلم العظيم بحنان. "أخبرني، هل أنت مستعد للتقنية الثانية من الكريا؟"

طوى ساعي البريد الصغير يديه متضرعًا. قال بفزع: "غوروديفا، لا مزيد من الطقوس الروحية، من فضلك! كيف يمكنني استيعاب أي تعاليم عليا؟ لقد جئت اليوم لأطلب بركاتك، لأن الكريا الإلهية الأولى غمرتني بنشوة لا أستطيع معها توصيل رسائلي!"

"برينداً تسبح بالفعل في بحر الروح." عند سماع هذه الكلمات من لاهيري ماهاسايا، أطرق تلميذه الآخر رأسه.

"قال، يا سيدي، أرى أنني كنت عاملًا سيئًا، وأجد عيوبًا في أدواتي."

كان ساعي البريد، وهو رجل غير متعلم، قد طوّر بصيرته لاحقًا من خلال الكريا لدرجة أن العلماء لجأوا إليه أحيانًا في تفسير مسائل دينية معقدة. برينداً الصغيرة، التي كانت بريئة من الخطيئة والنحو، نالت شهرة واسعة بين العلماء المتعلمين.

إلى جانب تلامذة لاهيري ماهاسايا الكثر في بنارس، جاء إليه المئات من أنحاء الهند البعيدة. سافر هو نفسه إلى البنغال في مناسبات عديدة، وزار منازل حميّ ابنيه. وبفضل حضوره، أصبحت البنغال غنية بمجموعات كريّا الصغيرة. ولا سيما في مقاطعتي كريشناغار وبيشنوبور، لا يزال العديد من المريدين الصامتين يحافظون حتى يومنا هذا على استمرار تيار التأمل الروحي الخفي.

من بين العديد من القديسين الذين نالوا الكريا على يد لاهيري ماهسايا، يمكن ذكر سوامي فاسكاراناندا ساراسواتي الشهير من بنارس، وبالاناندا براهماشاري، الزاهد الديوغاري رفيع المقام. لفترة من الزمن، عمل لاهيري ماهسايا معلمًا خاصًا لابن مهراجا إيسواري نارايان سينها بهادور من بنارس. وإدراكًا منه للمستوى الروحي للمعلم، سعى المهراجا، وكذلك ابنه، إلى تلقي الكريا، كما فعل المهراجا جوتيندرا موهان ثاكور.

كان عدد من تلاميذ لاهيري ماهاسايا ذوي النفوذ الدنيوي يرغبون في توسيع دائرة الكريا عن طريق الدعاية. رفض المعلم الروحي إذنه. بدأ أحد المرشدين الروحيين، وهو الطبيب الملكي لسيد بنارس، جهدًا منظمًا لنشر اسم المعلم باسم "كاشي بابا" (المُعلّم من بنارس). 35-16، منع المعلم الروحي ذلك مرة أخرى.

"فليُفوح عبير زهرة الكريا طبيعيًا، دون أي استعراض"، قال. "ستتجذر بذورها في تربة القلوب الخصبة روحيًا".

مع أن المعلم العظيم لم يتبنَّ نظام الوعظ عبر الوسائل الحديثة كالمؤسسات أو المطابع، إلا أنه كان يعلم أن قوة رسالته ستتصاعد كطوفان لا يُقاوَم، تجتاح بقوتها عقول البشر. كانت حياة المريدين المتغيرة والمطهرة الضمانة البسيطة لحيوية الكريا الخالدة.

في عام ١٨٨٦، وبعد خمسة وعشرين عامًا من ترسيمه في رانيخيت، تقاعد لاهيري ماهاسايا على معاش تقاعدي. ٣٥-١٧ ومع تواجده في النهار، تزايد عدد أتباعه الذين يبحثون عنه. أصبح المعلم العظيم الآن يجلس في صمت معظم الوقت، متمسكًا بوضعية اللوتس الهادئة. نادرًا ما كان يغادر صالونه الصغير، حتى للتنزه أو لزيارة أجزاء أخرى من المنزل. توافد سيل هادئ من المريدون، بلا انقطاع تقريبًا، لرؤية المعلم (دارشان).

أمام دهشة كل من رآه، أظهرت الحالة الفسيولوجية المعتادة للاهيري ماهاسايا سمات خارقة للطبيعة، من ضيق في التنفس، وأرق، وتوقف النبض ودقات القلب، وعينين هادئتين لا ترمشان لساعات، وهالة عميقة من السلام. لم يغادر أي زائر دون أن ترتعش روحه؛ فقد أدرك الجميع أنهم نالوا بركة رجل الله الحق.

سمح المعلم لتلميذه، بانشانون باتاتشاريا، بفتح "مؤسسة آريا التبشيرية" في كلكتا. وهناك، نشر التلميذ القديس رسالة الكريا يوغا، وأعدّ بعض الأدوية العشبية اليوغاية للصالح العام.

وفقًا لعرفٍ قديم، كان المعلم يُعطي الناس عمومًا زيت النيم (35-19) لعلاج أمراضٍ مُختلفة. عندما طلب المعلم من أحد تلاميذه تقطير الزيت، كان بإمكانه إنجاز المهمة بسهولة. ولو حاول أي شخص آخر، لواجه صعوباتٍ غريبة، إذ وجد أن الزيت الطبي قد تبخر تقريبًا بعد اجتيازه عمليات التقطير اللازمة. من الواضح أن مباركة المعلم كانت عنصرًا أساسيًا.

يظهر أعلاه خط يد لاهيري ماهاسايا وتوقيعه، بالخط البنغالي. تظهر هذه الأبيات في رسالة إلى أحد المرشدين؛ حيث يُفسر المعلم العظيم بيتًا سنسكريتيًا على النحو التالي: "من بلغ حالة من الهدوء لا يرمش فيها جفناه، فقد بلغ سامبابي مودرا". (توقيع) "سري شياما شاران ديفا شارمان"

تولت مؤسسة آريا للبعثة نشر العديد من الكتب المقدسة التي كتبها المعلم الروحي.

شروح. مثل عيسى وغيره من الأنبياء العظام، لم يكتب لاهيري ماهسايا نفسه كتبًا، لكن تفسيراته الثاقبة دوّنها ورتبها تلاميذه المختلفون. كان بعض هؤلاء الكُتّاب المتطوعين أكثر تميزًا من غيرهم في نقل رؤية المعلم الروحي العميقة بشكل صحيح؛

ومع ذلك، فقد تكللت جهودهم بالنجاح في المجمل. بفضل حماسهم، يمتلك العالم شروحًا لا مثيل لها من لاهيري ماهسايا على ستة وعشرين كتابًا مقدسًا قديمًا.

كتب سري أناندا موهان لاهيري، حفيد المعلم، كتيبًا شيقًا عن الكريا. كتب سري أناندا: "نص البهاجافاد غيتا جزء من الملحمة العظيمة، المهابهاراتا، التي تحتوي على عدة عقد (vyas-kutas)". إذا أبقيت هذه العقد دون نقاش، فلن نجد سوى قصص أسطورية من نوع غريب وسهل سوء الفهم. وإذا أبقيت هذه العقد دون تفسير، فقد فقدنا علمًا حافظ عليه الشرق بصبر خارق بعد آلاف السنين من التجارب. 35-20 كانت شروح لاهيري ماهاسايا هي التي كشفت، خالية من المجازات، علم الدين ذاته الذي أُخفي بذكاء في غموض الحروف والصور الدينية. لم تعد مجرد خدعة من الكلمات غير المفهومة، فقد أثبت المعلم أن صيغ العبادة الفيدية، التي كانت بلا معنى بخلاف ذلك، مليئة بالأهمية العلمية...

نعلم أن الإنسان عادةً ما يكون عاجزًا أمام هيمنة الأهواء الشريرة المتمردة، لكن هذه الأهواء تضعف، ولا يجد الإنسان دافعًا للانغماس فيها عندما يشرق عليه وعيٌ بنعيمٍ أسمى وأبقى من خلال الكريا. هنا، يتزامن الاستسلام، ونفي الأهواء الدنيا، مع الانخراط، وتأكيد النعمة. بدون هذا المسار، تصبح

مئات المبادئ الأخلاقية التي تتجه نحو السلبيات البحتة عديمة الفائدة لنا.

إن شغفنا بالأنشطة الدنيوية يقتل فينا الشعور بالرهبة الروحية. لا نستطيع إدراك الحياة العظيمة الكامنة وراء كل اسم وصورة، لمجرد أن العلم يُظهر لنا كيف يمكننا استخدام قوى الطبيعة؛ وقد ولّد هذا التعلق احتقارًا لأسرارها الخفية. علاقتنا بالطبيعة علاقة عملية. نستدرجها، إن صح التعبير، لنعرف كيف يمكن استخدامها لخدمة أغراضنا؛ ونستغل طاقاتها التي لا يزال مصدرها مجهولًا. في العلم، علاقتنا بالطبيعة هي علاقة بين الإنسان وخادمه، أو بمعنى فلسفي، هي أسير في منصة الشهود. نستجوبها، ونتحداها، ونزن أدلتها بدقة بموازين بشرية لا تقيس قيمها الخفية. من ناحية أخرى، عندما تكون الذات في تواصل مع قوة عليا، تطيع الطبيعة تلقائيًا، دون إجهاد أو توتر، إرادة الإنسان. هذا التحكم السهل على الطبيعة يُطلق عليه الماديون غير المدركين "معجزة".

لقد شكلت حياة لاهيري ماهاسيا مثالاً غيّر المفهوم الخاطئ بأن اليوغا ممارسة غامضة. يستطيع كل إنسان أن يجد سبيلاً من خلال الكريا لفهم علاقته الصحيحة بالطبيعة، والشعور بالإجلال الروحي لجميع الظواهر، سواء أكانت صوفية أم من ظواهر الحياة اليومية، على الرغم من بساطة العلوم الفيزيائية. 35-21 يجب أن نضع في اعتبارنا أن ما

كان صوفياً قبل ألف عام لم يعد كذلك، وأن ما هو غامض الآن قد يصبح مفهوماً بشكل قانوني بعد مئة عام. إنه اللانهائي، محيط القوة، الذي يكمن وراء جميع المظاهر.

قانون الكريا يوغا أبدي. إنه صحيح كالرياضيات؛ ومثل قواعد الجمع والطرح البسيطة، لا يمكن تدمير قانون الكريا أبدًا. احرقوا جميع كتب الرياضيات،

"إن أصحاب التفكير المنطقي سوف يعيدون اكتشاف مثل هذه الحقائق دائمًا؛ وسوف يدمرون جميع الكتب المقدسة عن اليوغا، وسوف تظهر قوانينها الأساسية عندما يظهر يوغي حقيقي يضم في داخله إخلاصًا خالصًا وبالتالي معرفة خالصة."

كما يُعد باباجي من أعظم الأفاتارات، وهو ماهافاتار، وسري يوكتسوار جنانافاتار أو تجسيد الحكمة، فكذلك يُطلق على لاهيري ماهسايا بجدارة لقب يوغافاتار، أو تجسيد اليوغا. فبمقاييس الخير الكمي والنوعي، ارتقى بالمستوى الروحي للمجتمع. وبفضل قدرته على رفع تلاميذه المقربين إلى مقام المسيح، ونشره الواسع للحقيقة بين الجماهير، يُصنف لاهيري ماهسايا بين مُنقذي البشرية.

تكمن تفرده كنبي في تأكيده العملي على منهج محدد، وهو الكريا، فاتحًا أبواب حرية اليوغا لأول مرة لجميع البشر. وبغض النظر عن معجزات حياته،

لا شك أن يوغاڤاتار قد بلغ ذروة العجائب في تقليص تعقيدات اليوغا القديمة إلى بساطة فعّالة لا تتجاوز الفهم العادي.

في معرض حديثه عن المعجزات، كان لاهيري ماهسايا يقول كثيرًا: "لا ينبغي مناقشة أو نشر القوانين الدقيقة التي يجهلها الناس عمومًا علنًا دون تمييز". وإن بدا لي في هذه الصفحات أنني أتجاهل تحذيراته، فذلك لأنه منحني طمأنينة داخلية. كذلك، عند تسجيلي لحياة باباجي ولاهيري ماهسايا وسري يوكتسوار، رأيتُ من المستحسن حذف العديد من القصص المعجزة الحقيقية، والتي ما كان ليُدرجها لولا كتابة كتاب تفسيري للفلسفة الغامضة.

أمل جديد لرجال جدد! أعلن اليوجاڤاتار أن "الاتحاد الإلهي ممكن بالجهد الذاتي، ولا يعتمد على المعتقدات اللاهوتية أو الإرادة التعسفية لديكتاتور كوني".

من خلال استخدام مفتاح الكريا، فإن الأشخاص الذين لا يستطيعون إقناع أنفسهم بالإيمان بألوهية أي رجل سوف يرون في النهاية الألوهية الكاملة لذواتهم.

1-35: متى 3: 15.

٢-٣٥: تكشف العديد من الآيات الكتابية أن قانون التناسخ كان مفهومًا ومقبولًا. تُعدّ دورات التناسخ تفسيرًا أكثر منطقية لاختلاف مراحل التطور التي

تعيشها البشرية، من النظرية الغربية الشائعة التي تفترض أن شيئًا ما (وعي الأنا) انبثق من العدم، وظل موجودًا بدرجات متفاوتة من الشهوة لمدة ثلاثين أو تسعين عامًا، ثم عاد إلى الفراغ الأصلي. إن الطبيعة غير المعقولة لهذا الفراغ تُثير تساؤلاتٍ تُسعد مُدرسي العصور الوسطى.

35-3: ملاخي 4: 5.

35-4: «أمامه»، أي «أمام الرب».

35-5: لوقا 1: 13-17.

35-6: متى 17: 12-13.

35-7: متى 11: 13-14.

35-8: يوحنا 1: 21.

35-9: 2 ملوك 2: 9-14.

35-10: متى 17: 3.

35-11: متى 27: 46-49.

٣٥-١٢: "كم من أنواع الموت في أجسادنا! ليس فيها إلا الموت." - مارتن لوثر، في "حديث المائدة".

35-13: الصلاة الرئيسية للمسلمين، والتي تتكرر عادة أربع أو خمس مرات يوميا.

٣٥-١٤: "ابحث عن الحقيقة في التأمل، لا في الكتب المتعفنة. انظر إلى السماء لتجد القمر، لا في البركة." - مثل فارسي.

35-15: بما أن كريا يوغا قادرة على العديد من التقسيمات الفرعية، فقد قام لاهيري ماهاسيا بحكمة بتمييز أربع خطوات والتي اكتشف أنها تحتوي على النخاع الأساسي، والتي كانت ذات أعلى قيمة في الممارسة الفعلية.

35-16: من الألقاب الأخرى التي أطلقها تلاميذ لاهيري ماهاسايا على تلامذته: يوجيبار (أعظم اليوغيين)، ويوجيراج (ملك اليوغيين)، ومونيبار (أعظم القديسين)، والذي أضفت إليه يوجافاتار (تجسيد اليوغا).

35-17: لقد أمضى في خدمة إحدى إدارات الحكومة ما مجموعه خمسة وثلاثين عامًا.

35-18: توجد معرفة واسعة بالأعشاب في أطروحات السنسكريتية القديمة. استُخدمت أعشاب الهيمالايا في علاج تجديدي أثار اهتمام العالم عام 1938 عندما استُخدمت هذه الطريقة على الბانديت مادان موهان مالافيا، نائب رئيس جامعة بنارس الهندوسية البالغ من العمر 77 عامًا. إلى حد كبير، استعاد العالم الشهير صحته وقوته وذاكرته وبصره الطبيعي في غضون 45 يومًا؛ وظهرت مؤشرات على وجود مجموعة ثالثة من

الأسنان، بينما اختفت جميع التجاعيد. يُعد العلاج العشبي، المعروف باسم كايا كالبا، واحدًا من 80 طريقة تجديدية موضحة في الأيورفيدا الهندوسية أو العلوم الطبية. خضع البانديت مالافيا للعلاج على يد سري كالباتشاريا سوامي بيشونداسجي، الذي يدعي أن عام ميلاده هو 1766. يمتلك البانديت وثائق تثبت أنه يزيد عمره عن 100 عام؛ ولاحظ مراسلو وكالة أسوشيتد برس أنه بدا في الأربعين من عمره تقريبًا.

قسّمت الرسائل الهندوسية القديمة العلوم الطبية إلى ثمانية فروع: ساليا (الجراحة)؛ سالاكيا (أمراض الرقبة)؛ كاياتشيكيتسا (الطب الحقيقي)؛ بوتافيديا (الأمراض العقلية)؛ كومارا (رعاية الأطفال)؛ أغادا (علم السموم)؛ راسايانا (طول العمر)؛ فاجيكارانا (المقويات). استخدم الأطباء الفيديون أدوات جراحية دقيقة، وطبّقوا الجراحة التجميلية، وفهموا الأساليب الطبية لمواجهة آثار الغازات السامة، وأجروا عمليات قيصرية وعمليات دماغية، وكانوا ماهرين في تنشيط الأدوية. استعار أبقراط، الطبيب الشهير في القرن الخامس قبل الميلاد، الكثير من مواده الطبية من مصادر هندوسية.

١٩-٣٥: شجرة النيم الهندية الشرقية. أصبحت قيمتها الطبية معروفة في الغرب، حيث يُستخدم لحاء النيم المر كمنشط، ووُجد أن زيت بذورها

وثمارها ذو قيمة فائقة في علاج الجذام وأمراض أخرى.

٣٥-٢٠: "يُظهر عدد من الأختام التي اكتُشفت مؤخرًا في مواقع أثرية بوادي السند، والتي يعود تاريخها إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، شخصيات جالسة في أوضاع تأملية تُستخدم حاليًا في نظام اليوغا، مما يُبرر الاستنتاج بأن بعض أساسيات اليوغا كانت معروفة بالفعل حتى في ذلك الوقت. ولا يُمكننا الجزم بأن التأمل الذاتي المنهجي بمساعدة أساليب مدروسة قد مورس في الهند منذ خمسة آلاف عام... لقد طورت الهند مواقف دينية ومفاهيم أخلاقية قيّمة فريدة، على الأقل في اتساع نطاق تطبيقها على الحياة. ومن هذه المواقف تسامحها في مسائل المعتقدات الفكرية - العقيدة - وهو أمرٌ مُدهش للغرب، حيث كان مطاردة الهرطقات شائعًا لقرون عديدة، وكانت الحروب الدموية بين الدول بسبب التنافسات الطائفية متكررة." - مقتطفات من مقال للأستاذ دبليو. نورمان براون في عدد مايو ١٩٣٩ من نشرة المجلس الأمريكي للجمعيات العلمية، واشنطن العاصمة.

35-21: هنا نتذكر ملاحظة كارليل في كتابه "سارتور ريسارتوس": "إن الرجل الذي لا يستطيع أن يتساءل، والذي لا يتساءل عادة (ولا يعبد)، لو كان رئيسًا لعدد لا يحصى من الجمعيات الملكية، ويحمل... تجسيدًا لكل المختبرات والمراصد، مع

نتائجها، في رأسه الواحد، ليس إلا نظارة لا عين خلفها".

الفصل: 36

اهتمام باباجي بالغرب

"سيدي، هل سبق لك أن التقيت بباباجي؟"

كانت ليلة صيفية هادئة في سيرامبور؛ كانت النجوم الكبيرة في المناطق الاستوائية تتلألأ فوق رؤوسنا بينما كنت جالسًا بجانب سري يوكتسوار على شرفة الطابق الثاني من الدير.

"نعم." ابتسم المعلم لسؤالي المباشر، وأشرقت عيناه إجلالاً. "لقد حظيتُ ثلاث مرات برؤية المعلم الخالد. كان أول لقاء لنا في الله أباد في مهرجان كومبا ميلا."

تُعرف المهرجانات الدينية التي تُقام في الهند منذ القدم باسم "كومبا ميلاس"، وقد أبقت هذه المهرجانات الأهداف الروحية نصب أعين الجماهير. يجتمع الهندوس المتدينون بالملايين كل ست سنوات للقاء آلاف من السادهو واليوغي والسوامي والزهاد من مختلف المذاهب. كثير منهم نساك لا يغادرون أماكنهم المعزولة إلا لحضور المهرجانات ومنح بركاتهم لرجال ونساء العالم.

لم أكن سواميًا حين التقيت بباباجي، تابع سري يوكتسوار. "لكنني كنت قد تلقيت بالفعل مبادرة

الكريا من لاهيري ماهاسايا. شجعني على حضور الميلا الذي انعقد في يناير ١٨٩٤ في الله أباد. كانت تلك أول تجربة لي في كومبا؛ شعرتُ بدوار طفيف من صخب الحشد واندفاعه. في نظراتي المتفحصة حولي، لم أرَ وجهًا مُشرقًا لمعلم. عند عبوري جسرًا على ضفة نهر الغانج، لاحظتُ أحد معارفي يقف بالقرب، وقد مدّ وعاء التسول الخاص به.

«يا إلهي، هذا المعرض ليس إلا فوضى من الضجيج والمتسولين»، فكرتُ بخيبة أمل. «أتساءل إن كان علماء الغرب، الذين يوسعون آفاق المعرفة بصبر من أجل الخير العملي للبشرية، أكثر إرضاءً لله من هؤلاء المتسكعين الذين يعتنقون الدين لكنهم يركزون على الصدقات».

"لقد قاطع تفكيري المشتعل بشأن الإصلاح الاجتماعي صوت أحد السانياسيين الطويلين الذي توقف أمامي.

"قال، "سيدي، هناك قديس يدعوك."

"'من هو؟'

"تعال وانظر بنفسك."

"بعد اتباع هذه النصيحة الموجزة بتردد، وجدت نفسي قريبًا من شجرة كانت أغصانها

كان المعلم الروحي يأوي مجموعةً جذابةً من التلاميذ. نهض المعلم، ذو البنية غير العادية

المشرقة، بعينين سوداوين لامعتين، عند اقترابي واحتضني.

"مرحبا بك، سواميجي،" قال بحنان.

"سيدي،" أجبته بشكل حاسم، "أنا لست سوامي."

«من أُوجِّه إليهم إلهيًا لمنحهم لقب "سوامي" لا يتخلون عنه أبدًا». خاطبني القديس ببساطة، لكن إيمانًا راسخًا بالحق رن في كلماته؛ غمرتني موجة فورية من البركة الروحية. ابتسمتُ لارتقاءي المفاجئ إلى الرهبانية القديمة، وانحنيتُ عند قدمي الكائن العظيم الملائكي في هيئة بشرية، الذي كرّمني هكذا.

أشار لي باباجي - وهو كذلك بالفعل - إلى مقعد قريب منه تحت الشجرة. كان قويًا وشابًا، يشبه لاهيري ماهاسايا؛ ومع ذلك لم يُلفت انتباهي الشبه، مع أنني سمعت كثيرًا عن التشابه المذهل في مظهر المعلمَين. يمتلك باباجي قوةً تُمكّنه من منع أي فكرة مُحددة من الظهور في ذهن المرء. من الواضح أن المعلم العظيم تمنى لي أن أكون على طبيعتي تمامًا في حضوره، لا أن أخشى معرفة هويته.

"ما رأيك في مهرجان كومبا ميلا؟ "

«لقد خاب أملي كثيرًا يا سيدي.» أضفتُ على عجل، «حتى التقيتُ بك. يبدو أن القديسين وهذه الضجة لا يجتمعان.»

قال المعلم، مع أنني كنتُ في ضعف عمره تقريبًا: «يا بني، لا تحكم على الكل بعيوب الكثيرين. كل شيء على الأرض مختلط، كخليط الرمل والسكر. كن كالنملة الحكيمة التي لا تلتقط إلا السكر، وتترك الرمل سليمًا. مع أن العديد من السادهو هنا لا يزالون يتخبطون في الوهم، إلا أن الميلا ينعم ببركة قلة من رجال الإدراك الإلهي».

"في ضوء اجتماعي مع هذا الأستاذ الجليل، وافقت بسرعة على ملاحظته.

'سيدي،' علّقتُ، 'لقد كنتُ أفكّر في علماء الغرب، الذين يفوقون ذكاءً بكثير معظم الناس المجتمعين هنا، والذين يعيشون في أوروبا وأمريكا البعيدتين، ويعتنقون عقائد مختلفة، ويجهلون القيم الحقيقية لمثل هذه الملتقيات مثل هذا المهرجان. إنهم الرجال الذين يمكن أن يستفيدوا كثيرًا من لقاءات مع أساتذة الهند. ولكن، على الرغم من ارتفاع مستواهم الفكري، فإن العديد من الغربيين متمسكون بالمادية المتعالية. آخرون، مشهورون في العلوم والفلسفة، لا يدركون الوحدة الجوهرية في الدين. تشكل عقائدهم حواجز لا يمكن تجاوزها تهدد بفصلهم عنا إلى الأبد.'

«رأيتُ اهتمامك بالغرب، كما بالشرق». أشرق وجه باباجي موافقةً. «شعرتُ بوخزات قلبك، التي تتسع لكل الرجال، شرقيين كانوا أم غربيين. لهذا السبب استدعيتك إلى هنا.»

"يجب على الشرق والغرب إرساء مسار وسطي ذهبي يجمع بين النشاط والروحانية"، تابع. "للهند الكثير لتتعلمه من الغرب في مجال التطور المادي؛ وفي المقابل، يمكن للهند أن تُعلّمنا الأساليب العالمية التي سيتمكن الغرب من خلالها من بناء معتقداته الدينية على أسس راسخة من علم اليوغا.

أنت، يا سوامي جي، عليك دورٌ في التبادل المتناغم القادم بين الشرق والغرب. بعد بضع سنوات، سأرسل إليك تلميذًا يمكنك تدريبه لنشر اليوغا في الغرب. هناك، تتدفق إليّ ذبذبات العديد من النفوس الباحثة عن الروحانية كالفيضان. أرى قديسين محتملين في أمريكا وأوروبا، ينتظرون اليقظة.

في هذه المرحلة من قصته، حوّل سري يوكتسوار نظره بالكامل إلى نظري.

"قال وهو يبتسم في ضوء القمر، "يا بني، أنت التلميذ الذي وعدني باباجي بإرساله لي منذ سنوات."

لقد سررت عندما علمت أن باباجي قد وجه خطواتي نحو سري يوكتسوار، إلا أنه كان من

الصعب بالنسبة لي أن أتخيل نفسي في الغرب البعيد، بعيدًا عن معلّمي الحبيب وعن السلام البسيط في المنعزل.

ثم تحدث باباجي عن بهاجافاد غيتا، تابع سري يوكتسوار. ولدهشتي، أشار ببضع كلمات مدح إلى علمه بأنني كتبتُ تفسيراتٍ لفصولٍ مختلفة من غيتا.

قال المعلم العظيم: "بناءً على طلبي، يا سوامي جي، أرجو منك أن تتولى مهمة أخرى. ألا تكتب كتابًا موجزًا عن الوحدة الأساسية الكامنة بين الكتب المقدسة المسيحية والهندوسية؟ أظهر من خلال مراجع متوازية أن أبناء الله الملهمين قد نطقوا بالحقائق نفسها، التي أصبحت الآن غامضة بسبب الاختلافات الطائفية بين البشر".

"مهراج،" 36-2 أجبت بخجل، "يا له من أمر! هل سأكون قادرًا على تنفيذه؟"

ضحك باباجي ضحكة خفيفة. قال مطمئنًا: "يا بني، لماذا تشك؟ من فعل كل هذا، ومن هو الفاعل؟ كل ما أوحى به الرب إليّ سيتحقق كحقيقة حتمًا."

اعتبرتُ نفسي مُمكَّنًا ببركات القديس، ووافقتُ على كتابة الكتاب. شعرتُ على مضضٍ أن ساعة الفراق قد حانت، فنهضتُ من مقعدي المُورق.

سأل المعلم: "هل تعرف لاهيري؟" 36-3. "إنه رجل عظيم، أليس كذلك؟ أخبره عن لقائنا". ثم سلمني رسالة إلى لاهيري ماهاسايا.

بعد أن انحنيت وداعًا بتواضع، ابتسم القديس بلطف. ووعدني قائلًا: "عندما تنتهي من كتابك، سأزورك. وداعًا في الوقت الحاضر".

غادرتُ الله أباد في اليوم التالي وركبتُ القطار إلى بنارس. وعند وصولي إلى منزل معلّمي، سردتُ قصة هذا القديس الرائع في مهرجان كومبا ميلا.

«أوه، ألم تتعرف عليه؟» كانت عينا لاهيري ماهاسايا ترقصان ضحكًا. «أرى أنك لم تستطع، لأنه منعك. إنه معلّمي الذي لا يُضاهى، باباجي السماوي!»

كررتُ وأنا في رهبة: باباجي! باباجي، اليوغي المسيح! باباجي، المخلص الخفيّ المرئيّ! يا ليتني أستطيع أن أتذكر الماضي وأكون في حضرته من جديد، لأُظهر إخلاصي عند قدميه اللوتسيتين!

"لا بأس،" قال لاهيري ماهاسايا مواساة. "لقد وعد برؤيتك مرة أخرى."

"طلب مني المعلم الإلهي، جوروديفا، أن أقدم لك رسالة. قال: "أخبر لاهيري أن الطاقة المخزنة لهذه الحياة قد نفدت الآن؛ لقد شارفت على الانتهاء".

عند نطقي بهذه الكلمات الغامضة، ارتجف جسد لاهيري ماهاسايا كما لو أنه مسه تيار برق. في لحظة، ساد الصمت كل شيء حوله؛ وتحولت ملامحه المبتسمة إلى صرامة لا تُصدق. كتمثال خشبي، كئيب جامد في مقعده، أصبح جسده شاحبًا. شعرتُ بالذعر والحيرة. لم أرَ في حياتي هذه الروح المرحة تُظهر مثل هذا القدر من الجاذبية. حدق به التلاميذ الآخرون الحاضرون بقلق.

مرت ثلاث ساعات في صمت مطبق. ثم عاد لاهيري ماهاسيا إلى طبعه المرح، وتحدث بمودة إلى كل من المتدربين. تنهد الجميع بارتياح.

أدركتُ من ردّ فعل مُعلّمي أن رسالة باباجي كانت إشارةً واضحةً فهمَ من خلالها لاهيري ماهاسيا أن جسده سيُصبح خاويًا قريبًا. أثبت صمته المُريع أن مُعلّمي قد تحكّم في كيانه فورًا، وقطع آخر حبل تعلّقه بالعالم المادي، وهرب إلى هويته الخالدة في الروح. كانت ملاحظة باباجي طريقته في قول: "سأكون معك إلى الأبد".

مع أن باباجي ولاهيري ماهاسيا كانا عليمين، ولم يحتاجا للتواصل معي أو مع أي وسيط آخر، إلا أن العظماء غالبًا ما يتنازلون ليلعبوا دورًا في الدراما الإنسانية. أحيانًا ينقلون نبوءاتهم عبر رسل بطريقة عادية، حتى يُغرس تحقق كلماتهم إيمانًا إلهيًا أكبر في دائرة واسعة من الناس الذين سيتعلمون القصة لاحقًا.

غادرتُ بنارس سريعًا، وبدأتُ العمل في سيرامبور على النصوص الدينية التي طلبها باباجي، تابع سري يوكتسوار. وما إن بدأتُ مهمتي حتى تمكنتُ من تأليف قصيدة مُهداة إلى المعلم الخالد. تدفقت الأبيات الشجية من قلمي بسلاسة، مع أنني لم أُجرّب من قبل كتابة الشعر السنسكريتي.

في هدوء الليل، انشغلتُ بمقارنة الكتاب المقدس مع كتب ساناتان دارما. 36-4، مستشهدًا بكلمات الرب يسوع المبارك، أظهرتُ أن تعاليمه كانت في جوهرها واحدة مع وحي الفيدا. ولحسن حظي، انتهيتُ من كتابي في وقت قصير؛ أدركتُ أن هذه البركة السريعة كانت بفضل نعمة بارام-غورو-مهراج. 36-5 ظهرت الفصول لأول مرة في مجلة سادوسامباد؛ ثم طُبعت لاحقًا بشكل خاص ككتاب من قبل أحد تلاميذي في كيدربور.

في صباح اليوم التالي لاختتام جهودي الأدبية، تابع الأستاذ، "ذهبت إلى راي غات هنا للاستحمام في نهر الجانج. كان الغات مهجورًا؛ وقفت ساكنًا لبعض الوقت، مستمتعًا بالسلام المشمس. بعد غطسة في المياه المتلألئة، انطلقت عائدًا إلى المنزل. لم يكن هناك صوت في الصمت سوى صوت قماشي المبلل بنهر الجانج، وهو يتلوى مع كل خطوة. وبينما كنت أمرّ أمام شجرة البانيان الكبيرة قرب ضفة النهر، دفعني دافع قوي إلى النظر إلى الوراء.

هناك، تحت ظل شجرة البانيان، محاطًا ببعض التلاميذ، جلس باباجي العظيم!

«تحياتي، سواميجي!» دوّى صوت المعلم الجميل ليطمئنني أنني لم أكن أحلم. «أرى أنك أكملت كتابك بنجاح. وكما وعدتك، أنا هنا لأشكرك.»

"بقلبٍ ينبض بسرعة، سجدتُ عند قدميه. قلتُ متوسلاً: "بارام-غوروجي، ألا تكرم أنت وتلاميذك منزلي القريب بحضورك؟"

"رفض المعلم الأعلى مبتسمًا. "لا يا بني"، قال، "نحن أناس نحب مأوى الأشجار؛ هذا المكان مريح للغاية."

«أرجوك انتظر قليلاً يا سيدي.» نظرت إليه متوسلاً. «سأعود فوراً مع بعض الحلويات المميزة.»

عندما عدتُ بعد دقائق مع طبقٍ شهي، ها! لم تعد شجرة البانيان الملكية تؤوي الفرقة السماوية. بحثتُ في أرجاء الغات، لكنني كنتُ أعلم في قرارة نفسي أن الفرقة الصغيرة قد هربت بالفعل بأجنحةٍ أثيرية.

لقد تألمتُ بشدة. طمأنتُ نفسي قائلةً: "حتى لو التقينا مجددًا، فلن أرغب في التحدث إليه. لقد كان قاسيًا أن يتركني فجأةً". كان هذا غضبًا من الحب، بالطبع، لا أكثر.

بعد بضعة أشهر، زرتُ لاهيري ماهاسايا في بنارس. وعندما دخلتُ صالونه الصغير، ابتسم لي معلّمي مُرحِّبًا بي.

"مرحبًا، يوكتسوار،" قال. "هل قابلت باباجي للتو على عتبة غرفتي؟"

"لماذا لا؟" أجبت في مفاجأة.

"تعال إلى هنا." لمسني لاهيري ماهاسايا بلطف على جبهتي؛ وفي الحال، رأيت، بالقرب من الباب، شكل باباجي، يزهر مثل زهرة اللوتس الكاملة.

"تذكرت جرحي القديم ولم أنحني. نظر إلي لاهيري ماهاسايا بدهشة.

"حدق بي المعلم الإلهي بعيون لا حدود لها. "أنت منزعج مني."

«سيدي، لماذا لا أكون كذلك؟» أجبت. «خرجتَ من الهواء مع مجموعتك السحرية، وفي الهواء الرقيق اختفيت.»

ضحك باباجي ضحكة خفيفة: «أخبرتك أنني سأراك، لكنني لم أقل لك كم سأبقى. كنتَ في قمة الإثارة. أؤكد لك أنني كنتُ في حالة ذهول تام بسبب هبوب قلقك».

"لقد اقتنعت على الفور بهذا التفسير غير الملائم. ركعت عند قدميه؛ فربت المعلم الروحي الأعلى على كتفي بلطف.

قال: «يا بني، عليك أن تتأمل أكثر. نظرتك ليست نقية بعد، لم تستطع أن تراني مختبئًا خلف ضوء الشمس». بهذه الكلمات، بصوت ناي سماوي، اختفى باباجي في إشعاع خفي.

كانت تلك إحدى زياراتي الأخيرة إلى بنارس لرؤية معلّمي، اختتم سري يوكتسوار حديثه. "وكما تنبأ باباجي في كومبا ميلا، كان تجسيد لاهيري ماهاسايا ربّ البيت يقترب من نهايته. خلال صيف عام ١٨٩٥، ظهر على جسده القويّ دمل صغير في ظهره. احتجّ على الطعن؛ كان يُعالج في جسده الكارما الشريرة لبعض تلامذته. أخيرًا، أصرّ بعض المُرشدين بشدة؛ فأجاب المعلّم بغموض:

"يجب على الجسد أن يجد سببًا للذهاب؛ وسوف أوافق على أي شيء تريد القيام به."

بعد فترة وجيزة، رحل المعلم الروحي الفذ عن عالمنا في بنارس. لم أعد بحاجة للبحث عنه في غرفته الصغيرة؛ فأنا أجد كل يوم من أيام حياتي مباركًا بفضل إرشاده الدائم.

وبعد سنوات، سمعت من شفاه سوامي كيشاباناندا، 36-6، وهو تلميذ متقدم، العديد من التفاصيل الرائعة حول رحيل لاهيري ماهاسايا.

"قبل أيام قليلة من تخلي معلّمي عن جسده،" أخبرني كيشاباناندا، "ظهر أمامي وأنا جالس في ديري في هاردوار.

«تعالوا إلى بنارس فورًا». بهذه الكلمات اختفى لاهيري ماهاسايا.

سافرتُ بالقطار فورًا إلى بنارس. في منزل معلّمي، وجدتُ العديد من التلاميذ مجتمعين. في ذلك اليوم، شرح المعلم الجيتا لساعات طويلة، ثم خاطبنا ببساطة.

"أنا ذاهب إلى المنزل."

"انفجرت صرخات الألم مثل سيل لا يقاوم.

"تعزوا، سأنهض من جديد". بعد هذا النطق، أدار لاهيري ماهاسيا جسده ثلاث مرات في دائرة، وواجه الشمال في وضعية اللوتس، ودخل الماهاسامادهي الأخير بفخر. 36-8

حُرق جثمان لاهيري ماهسايا الجميل، العزيز على قلوب المريدين، في مراسم دينية مهيبة في مانيكارنيكا غات على ضفاف نهر الغانج المقدس، تابع كيشاباناندا. "في اليوم التالي، في تمام الساعة العاشرة صباحًا، بينما كنت لا أزال في بنارس، غمرت غرفتي نورٌ ساطع. ها هو ذا! أمامي يقف جسد لاهيري ماهسايا بلحمه ودمه! كان يشبه جسده القديم تمامًا، إلا أنه بدا أصغر سنًا وأكثر إشراقًا. خاطبني معلّمي الإلهي.

"قال: "كيشاباناندا، أنا هو. من ذرات جسدي المحروق المتحللة، أحييت شكلاً جديداً. انتهى عملي

كرب بيت في العالم؛ لكنني لن أغادر الأرض تمامًا. من الآن فصاعدًا سأقضي بعض الوقت مع باباجي في جبال الهيمالايا، ومع باباجي في الكون."

بكلمات مباركة قليلة، اختفى المعلم المتسامي. ملأ إلهام عجيب قلبي؛ ارتقيت روحيًا كما ارتقى تلاميذ المسيح وكبير 36-9 عندما نظروا إلى معلميهم الأحياء بعد الموت الجسدي.

عندما عدتُ إلى دير هاردوار المنعزل، تابع كيشاباناندا، "حملتُ معي رماد معلّمي المقدس. أعلم أنه هرب من القفص المكاني الزماني؛ لقد تحرر طائر الحضور الدائم. ومع ذلك، فقد غمرني العزاء بدفن رفاته المقدسة."

كان هناك تلميذ آخر حظي بالبركة عند رؤية معلمه القائم من بين الأموات وهو القديس بانشانون باتاتشاريا، مؤسس مؤسسة كلكتا آريا للبعثة. 36-10

زرتُ بانشانون في منزله بكلكتا، واستمعتُ بشغفٍ إلى قصة سنواته الطويلة مع أستاذه. وفي الختام، أخبرني عن أروع حدث في حياته.

"هنا في كالكوتا"، قال بانشانون، "في الساعة العاشرة صباحًا التي تلت حرق جثته، ظهر لاهيري ماهاسايا أمامي في مجد حي".

كما أخبرني سوامي براناباناندا، "القديس ذو الجسدين"، بتفاصيل تجربته السماوية.

أخبرني براناباناندا، حين زار مدرستي في رانشي، قبل أيام قليلة من رحيل لاهيري ماهاسيا، "تلقيت منه رسالة يطلب مني الحضور فورًا إلى بنارس. لكنني تأخرت، ولم أستطع المغادرة فورًا. وبينما كنتُ منهمكًا في تحضيرات سفري، حوالي الساعة العاشرة صباحًا، غمرني الفرح فجأةً لرؤية معلّمي المتألق.

"لماذا الإسراع إلى بنارس؟" قال لاهيري ماهاسايا مبتسمًا. "لن تجدني هناك بعد الآن."

"عندما أدركت أهمية كلماته، بكيت بشدة، معتقدة أنني كنت أراه فقط في الرؤية.

اقترب مني المعلم مُعزيًا. قال: «تفضل، المس جسدي. أنا حيّ كما كنت دائمًا. لا تحزن، ألست معك إلى الأبد؟»

من شفاه هؤلاء التلاميذ الثلاثة العظماء، ظهرت قصة حقيقة عجيبة: في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي لإحراق جسد لاهيري ماهاسيا، ظهر المعلم القائم من بين الأموات، في جسد حقيقي ولكنه متحوّل، أمام ثلاثة تلاميذ، كل واحد منهم في مدينة مختلفة.

"فعندما يلبس هذا الفاسد عدم الفساد، ويلبس هذا المائت عدم الفساد،

الخلود، حينئذٍ يتحقق القول المكتوب: "قد ابتلع الموت نصرًا. أين شوكتك يا موت؟ أين نصرتك يا هاوية؟" 36-11

36-1: تم قبول سري يوكتسوار رسميًا في نظام سوامي في وقت لاحق من قبل المهانت (رئيس الدير) لبوذا جايا.

36-2: "الملك العظيم" - لقب الاحترام.

٣٦-٣: عادةً ما يُشير المعلم الروحي إلى تلميذه باسمه فقط، دون أي لقب. ولذلك، قال باباجي "لاهيري" وليس "لاهيري ماهاسايا".

٣٦-٤: حرفيًا، "الدين الأبدي"، وهو الاسم الذي يُطلق على مجموعة التعاليم الفيدية. سُميت ساناتان دارما بالهندوسية منذ عهد الإغريق الذين أطلقوا على سكان ضفاف نهر السند اسم إندوس، أو الهندوس. كلمة هندوسي، بالمعنى الدقيق للكلمة، لا تشير إلا إلى أتباع ساناتان دارما أو الهندوسية. أما مصطلح "هندي" فيُطلق بالتساوي على الهندوس والمسلمين وغيرهم من سكان الهند (وأيضًا، من خلال خطأ كولومبوس الجغرافي المُربك، على السكان الأصليين المنغوليين الأمريكيين).

الاسم القديم للهند هو أريافارتا، ويعني حرفيًا "موطن الآريين". أما الجذر السنسكريتي لكلمة آريا فيعني "جدير، مقدس، نبيل". وقد أدى سوء استخدام كلمة آري في علم الإثنولوجيا لاحقًا للدلالة على الخصائص الجسدية، لا الروحية، إلى قول المستشرق الكبير ماكس مولر بسخرية: "في رأيي، فإن عالم الإثنولوجيا الذي يتحدث عن عرق آري، ودم آري، وعيون وشعر آريين، لا يقل إثمًا عن عالم لغوي يتحدث عن قاموس طويل الرأس أو قواعد نحوية قصيرة الرأس".

٣٦-٥: كلمة "بارام-غورو" تعني حرفيًا "المعلم الأسمى" أو "المعلم الأعلى"، وهي تشير إلى سلسلة أو سلسلة من المعلمين. باباجي، معلم لاهيري ماهاسايا، كان المعلم البارام لسري يوكتسوار.

36-6: تم وصف زيارتي لآشرم كيشابانندا في الصفحات 405-408.

٣٦-٧: ٢٦ سبتمبر ١٨٩٥ هو تاريخ رحيل لاهيري ماهاسايا. بعد أيام قليلة، كان سيبلغ الثامنة والستين من عمره.

٣٦-٨: مواجهة الشمال، ودوران الجسم ثلاث مرات، هما جزءان من طقوس فيدية يستخدمها المعلمون الذين يعرفون مسبقًا موعد حلول الساعة الأخيرة للجسد المادي. يُطلق على التأمل الأخير، الذي

يندمج فيه المعلم في أوم الكوني، اسم المها، أو السمادهي العظيم.

٣٦-٩: كان كبير قديسًا عظيمًا من القرن السادس عشر، وكان له أتباع كثر من الهندوس والمسلمين. عند وفاته، اختلف أتباعه حول كيفية إقامة مراسم الجنازة. فاستيقظ المعلم من نومه الأخير غاضبًا، وأصدر تعليماته: "سيُدفن نصف رفاتي وفقًا للطقوس الإسلامية، وليُحرق النصف الآخر وفقًا لسر هندوسي". ثم اختفى. وعندما فتح أتباعه التابوت الذي كان يحوي جثمانه، لم يجدوا شيئًا سوى مجموعة رائعة من أزهار الشامباك الذهبية. وقد دفن المسلمون نصف هذه الأزهار بطاعة، وهم يُجلّون ضريحه حتى يومنا هذا.

في شبابه، تقدّم إليه تلميذان يطلبان منه توجيهًا فكريًا دقيقًا على درب التصوف. فأجابه المعلم ببساطة:

"الطريق يتطلب المسافة؛ إذا كان قريبًا، فلن يحتاج إليك أي طريق على الإطلاق. حقًا يجعلني أبتسم عندما أسمع عن سمكة في الماء عطشانة!"

٣٦-١٠: أنشأ بانشانون، في حديقة مساحتها سبعة عشر فدانًا في ديوغاره بولاية بيهار، معبدًا يضم تمثالًا حجريًا للاهيري ماهاسايا. كما نصب تلاميذه تمثالًا آخر للمعلم العظيم في صالون منزله الصغير في بنارس.

36-11: 1 كورنثوس 15: 54-55.

الفصل: 37

سأذهب إلى أمريكا

أمريكا! هؤلاء الناس أمريكيون بلا شك! هذا ما خطر ببالي وأنا أرى في داخلي مشهدًا بانوراميًا لوجوه غريبة.

كنتُ منغمسًا في التأمل، جالسًا خلف صناديق مُغبرة في مخزن مدرسة رانشي. كان من الصعب إيجاد مكان خاص خلال تلك السنوات الحافلة بالنشاط مع الصغار!

استمرت الرؤية؛ حشد كبير، 37-1 ينظر إلي باهتمام، اجتاح مثل الممثل عبر مسرح الوعي.

انفتح باب المخزن، وكما جرت العادة، اكتشف أحد الشباب مكان اختبائي.

"تعال يا بيمال"، صرختُ بفرح. "لديّ خبرٌ لك: الرب يدعوني إلى أمريكا!"

"إلى أمريكا؟" ردد الصبي كلماتي بنبرة توحي بأنني قلت "إلى القمر".

نعم! سأذهب لاكتشاف أمريكا، مثل كولومبوس. ظن أنه وجد الهند؛ لا شك أن هناك رابطًا كرميًا بين هاتين الأرضين!

هرب بيمال بعيدًا؛ وسرعان ما تم إخبار المدرسة بأكملها بواسطة الصحيفة ذات الرجلين. 37-2 استدعيت هيئة التدريس المرتبكة وسلمت المدرسة إلى مسؤوليتها.

«أعلم أنك ستحافظ على مبادئ لاهيري ماهاسايا التعليمية في اليوغا دائمًا»، قلتُ. «سأكتب إليك باستمرار؛ إن شاء الله، سأعود يومًا ما».

انهمرت الدموع من عينيّ وأنا أُلقي نظرة أخيرة على الصبية الصغار وحدائق رانشي المشمسة. أدركتُ أن مرحلةً حاسمةً في حياتي قد انقضت الآن؛ ومن الآن فصاعدًا سأُقيم في بلادٍ بعيدة. سافرتُ بالقطار إلى كلكتا بعد ساعاتٍ قليلة من رؤيتي. في اليوم التالي، تلقيتُ دعوةً للعمل كمندوبٍ من الهند في مؤتمرٍ دوليٍّ لليبراليين الدينيين في أمريكا. كان من المقرر أن يُعقد ذلك العام في بوسطن، برعاية الجمعية الأمريكية الوحدوية.

كان رأسي يدور، فبحثت عن سري يوكتسوار في سيرامبور.

"يا جورو جي، لقد دُعيتُ للتو لإلقاء كلمة في مؤتمر ديني في أمريكا. هل أذهب؟".

أجاب المعلم ببساطة: "كل الأبواب مفتوحة لك. الآن أو أبدًا".

"لكن يا سيدي،" قلت في ذهول، "ما الذي أعرفه عن الخطابة العامة؟ نادرًا ما ألقيت محاضرة،

"ولم يكن باللغة الإنجليزية أبدًا."

"سواء كنت تتحدث الإنجليزية أو لا تتحدث الإنجليزية، فإن كلماتك عن اليوغا سوف تُسمع في الغرب."

ضحكتُ. "حسنًا، يا عزيزي المعلم، لا أظن أن الأمريكيين سيتعلمون البنغالية! أرجوك أن تُرزقني بدفعةٍ لتخطي عقبات اللغة الإنجليزية." ٣٧-٣

عندما أخبرت والدي بخطتي، صُدم تمامًا. بدت له أمريكا بعيدةً جدًا، وخشي ألا يراني مجددًا.

"كيف ستذهب؟" سأل بصرامة. "من سيمولك؟" ولأنه تحمّل نفقات تعليمي وحياتي كلها بحب، فقد أمل بلا شك أن سؤاله سيُعيق مشروعي بشكل مُحرج.

"سيُموِّلني الربُّ حتمًا". وبينما كنتُ أُجيب، تذكَّرتُ الهديةَ المشابهةَ التي أهديتها لأخي أنانتا في أغرا منذ زمن. وبدون حيلةٍ تُذكر، أضفتُ: "يا أبي، لعلَّ الله يُقدِّرُ لكَ مساعدتي".

"لا، أبدا!" نظر إليّ بشفقة.

ولذلك شعرت بالدهشة عندما أعطاني والدي في اليوم التالي شيكًا بمبلغ كبير.

"أعطيك هذه الأموال"، قال، "ليس بصفتي أبًا، بل بصفتي تلميذًا مخلصًا للاهيري ماهاسايا. اذهب إذن إلى تلك الأرض الغربية البعيدة؛ ونشر هناك تعاليم كرييا يوغا التي لا تؤمن بأي عقيدة."

لقد تأثرتُ بشدة بروح التفاني التي تمكّن بها والدي من التخلي سريعًا عن رغباته الشخصية. لقد أدرك في الليلة السابقة أن رغبتي في السفر إلى الخارج لم تكن الدافع وراء رحلتي.

"لعلّنا لا نلتقي مجددًا في هذه الحياة." قال أبي، الذي كان في السابعة والستين من عمره آنذاك، بحزن.

دفعني اقتناع بديهي إلى الرد: "من المؤكد أن الرب سيجمعنا معًا مرة أخرى".

بينما كنتُ أستعد لمغادرة سيدي ومسقط رأسي إلى شواطئ أمريكا المجهولة، انتابني قلقٌ لا يُوصف. سمعتُ قصصًا كثيرة عن الأجواء الغربية المادية، وهي أجواءٌ تختلف تمامًا عن الخلفية الروحية للهند، مُشبعةً بهالةٍ من القديسين تمتدُّ إلى قرون. فكرتُ: "المعلم الشرقي الذي يتحدى الأجواء الغربية، يجب أن يكون صبورًا في مواجهة برد جبال الهيمالايا!"

في صباح باكر، بدأتُ بالصلاة، مُصمّمًا على الاستمرار، بل حتى الموت وأنا أدعو، حتى أسمع صوت الله. تمنيتُ بركته وطمأنينته بأنني لن أضيع

في غياهب النفعية الحديثة. كان قلبي مُصمّمًا على الذهاب إلى أمريكا، لكنّني كنتُ مُصمّمًا أكثر على سماع عزاء الإذن الإلهي.

صليتُ وصليتُ، كتمتُ شهقاتي. لم يُجب. ازدادت توسلاتي الصامتة في تصاعدٍ مُبرح حتى بلغتُ ذروتها عند الظهر؛ لم يعد عقلي يحتمل ضغط آلامي. إذا بكيتُ مرةً أخرى بعمقٍ متزايدٍ من شغفي الداخلي، شعرتُ وكأن عقلي سينقسم. في تلك اللحظة، سُمع طرقٌ خارج الدهليز المجاور لغرفة طريق غوربار التي كنتُ أجلس فيها. فتحتُ الباب، فرأيتُ شابًا يرتدي زيّ رجلٍ زنديقٍ خفيف. دخل، وأغلق الباب خلفه، رافضًا طلبي بالجلوس، وأشار إليّ بإشارةٍ أنه يريد التحدث معي وهو واقف.

"لا بد أنه باباجي!" فكرت في ذهول، لأن الرجل الذي أمامي كان يحمل ملامح لاهيري ماهاسايا الأصغر.

أجاب على فكرتي. "نعم، أنا باباجي." تكلم بلحنٍ هندي. "لقد سمع أبانا السماوي صلاتك. يأمرني أن أقول لك: اتبع أوامر معلمك واذهب إلى أمريكا. لا تخف؛ ستكون في مأمن."

بعد صمتٍ عميق، خاطبني باباجي مجددًا: "أنت من اخترته لنشر رسالة الكريا يوغا في الغرب. التقيتُ بمعلمك يوكتسوار منذ زمنٍ بعيد في كومبا ميلا؛ وقلتُ له حينها إني سأرسلك إليه للتدريب."

كنتُ عاجزًا عن الكلام، مغمورًا برهبةٍ تعبديةٍ بحضوره، ومتأثرًا بعمقٍ لسماعه من شفتيه أنه أرشدني إلى سري يوكتسوار. تمددتُ ساجدًا أمام المعلم الخالد. رفعني بلطفٍ من على الأرض. أخبرني بأشياء كثيرة عن حياتي، ثم أعطاني بعض التوجيهات الشخصية، ونطق ببعض النبوءات السرية.

"كريا يوغا، التقنية العلمية لإدراك الله"، قال في النهاية بكل جدية، "سوف تنتشر في نهاية المطاف في جميع الأراضي، وتساعد في تحقيق الانسجام بين الأمم من خلال الإدراك الشخصي المتسامي للإنسان للأب اللانهائي".

بنظرةٍ جليلةٍ، أبهرني المعلم بلمحةٍ من وعيه الكوني. بعد برهةٍ، انطلق نحو الباب.

«لا تحاول أن تتبعني»، قال. «لن تستطيع ذلك».

"أرجوك يا باباجي، لا تذهب!" صرختُ مرارًا. "خذني معك!"

وعندما نظر إلى الوراء أجاب: "ليس الآن، في وقت آخر".

غلبتني العاطفة، فتجاهلت تحذيره. وبينما كنت أحاول مطاردته، اكتشفت أن قدميّ كانتا ثابتتين على الأرض. من الباب، ألقى عليّ باباجي نظرة

حنان أخيرة. رفع يده مُباركًا وانصرف، وعيناي مُحدّقتان فيه بشوق.

بعد دقائق قليلة، تحررت قدماي. جلستُ وانغمستُ في تأمل عميق، شاكرًا الله بلا انقطاع، ليس فقط على استجابة دعائي، بل على نعمته بلقاء باباجي. بدا جسدي كله مقدسًا بلمسة المعلم القديم، الشاب دائمًا. لطالما تمنيتُ رؤيته.

حتى الآن، لم أروي لأحدٍ قصة لقائي بباباجي. فقد اعتبرتها أقدس تجاربي الإنسانية، فخبأتها في قلبي. لكن خطرت لي فكرةٌ مفادها أن قراء هذه السيرة الذاتية قد يميلون أكثر إلى تصديق حقيقة باباجي المنعزل واهتماماته الدنيوية إذا رويت أنني رأيته بعيني. لقد ساعدتُ فنانًا على رسم صورة حقيقية للمسيح اليوغي العظيم في الهند الحديثة؛ ويظهر ذلك في هذا الكتاب.

وفي عشية سفري إلى الولايات المتحدة وجدتني في حضرة سري يوكتسوار المقدسة.

انسَ أنك وُلدت هندوسيًا، ولا تكن أمريكيًا. خذ أفضل ما فيهما، قال المعلم بهدوء وحكمة. كن ذاتك الحقيقية، ابنًا لله. ابحث عن أفضل صفات جميع إخوتك المنتشرين في جميع أنحاء الأرض، وادمجها في كيانك.

ثم باركني: "كل من يأتي إليك بإيمان، طالبًا الله، سينال العون. فبينما تنظر إليهم، سيتسرب التيار

الروحي المنبعث من عينيك إلى عقولهم، ويغير عاداتهم المادية، ويجعلهم أكثر وعيًا بالله".

وتابع قائلاً: "إن حظك في جذب النفوس الصادقة عظيم. أينما ذهبت، حتى في البرية، ستجد أصدقاء".

لقد تجلّت نعمتاه جليّاً. جئتُ وحدي إلى أمريكا، إلى بريّة بلا صديق واحد، ولكنني وجدتُ هناك آلافاً مستعدّين لتلقّي تعاليم الروح التي أثبتتها الأيام.

غادرت الهند في أغسطس/آب 1920 على متن سفينة "مدينة سبارتا"، أول سفينة ركاب تبحر إلى أميركا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. ولم أتمكن من حجز الرحلة إلا بعد إزالة العديد من الصعوبات "البيروقراطية" المتعلقة بمنح جواز سفري، على نحو معجزي إلى حد ما.

خلال الرحلة التي استغرقت شهرين، اكتشف أحد المسافرين أنني كنت المندوب الهندي في مؤتمر بوسطن.

قال: "سوامي يوغاناندا"، بأولى عباراته الغريبة التي سمعتُ اسمي يُنادى بها لاحقًا من قِبل الأمريكيين، "من فضلك، تفضل بإلقاء محاضرة على الركاب مساء الخميس القادم. أعتقد أننا سنستفيد جميعًا من محاضرة عن "معركة الحياة وكيفية مواجهتها"."

يا للأسف! اكتشفتُ يوم الأربعاء أنني اضطررتُ لخوض معركة حياتي. حاولتُ جاهدًا تنظيم أفكاري في محاضرة باللغة الإنجليزية، فتوقفتُ أخيرًا عن كل استعداداتي؛ فأفكاري، كمهرٍ بريّ يُحدّق في سرجه، رفضت أي تعاون مع قواعد اللغة الإنجليزية. مع ذلك، واثقًا تمامًا بتأكيدات الأستاذ السابقة، ظهرتُ أمام جمهوري يوم الخميس في صالون الباخرة. لم أتمكن من التعبيرِ عن أي بلاغة؛ وقفتُ أمام الجمهور صامتًا. بعد مسابقة تحمّل استمرت عشر دقائق، أدرك الجمهور مأزقي وانفجروا ضاحكين.

أقف على المنصة أمام إحدى حصصي في أمريكا. عُقدت هذه الحصة التي ضمت ألف طالب يوغا في واشنطن العاصمة.

لم يكن الوضع مضحكا بالنسبة لي في تلك اللحظة، فأرسلت بسخط صلاة صامتة إلى المعلم.

"يمكنك! تكلم!" وصل صوته إلى ذهني على الفور.

انغمست أفكاري فورًا في علاقة ودية مع اللغة الإنجليزية. بعد خمس وأربعين دقيقة، كان الجمهور لا يزال منتبهًا. وقد أكسبتني المحاضرة عددًا من الدعوات لإلقاء محاضرات لاحقًا أمام مجموعات مختلفة في أمريكا.

لم أستطع تذكر كلمة واحدة مما قلته بعد ذلك. وبسؤالٍ دقيق، علمتُ من عددٍ من الركاب: "لقد

ألقيتَ محاضرةً مُلهمةً بلغة إنجليزيةٍ مُلهمةٍ وصحيحة". عند هذا الخبر السار، شكرتُ مُعلّمي بتواضعٍ على مساعدته المُقدّمة في الوقت المُناسب، مُدركًا من جديد أنه كان دائمًا معي، مُزيلًا كل حواجز الزمان والمكان.

من حين لآخر، خلال ما تبقى من الرحلة عبر المحيط، شعرت ببعض النوبات المقلقة بشأن محنة المحاضرة الإنجليزية القادمة في مؤتمر بوسطن.

"يا رب،" صليت، "من فضلك اجعل إلهامي يكون منك أنت، وليس مرة أخرى قنابل الضحك من الجمهور!"

رست مدينة سبارتا قرب بوسطن في أواخر سبتمبر. في السادس من أكتوبر، ألقيتُ خطابي الأول في أمريكا أمام المؤتمر. وقد لاقى استحسانًا كبيرًا، فتنفستُ الصعداء. كتب السكرتير الكريم للجمعية الوحدوية الأمريكية التعليق التالي في تقرير منشور (37-4) عن أعمال المؤتمر:

نقل سوامي يوغاناندا، مندوب آشرام براهماشاريا في رانشي، الهند، تحيات جمعيته إلى المؤتمر. ألقى خطابًا ذا طابع فلسفي، بلغة إنجليزية فصيحة وأسلوب مؤثر، بعنوان "علم الدين"، وقد طُبع في كتيب لتوزيعه على نطاق أوسع. وأكد أن الدين عالمي وواحد. نحن

"لا يمكننا بأي حال من الأحوال تعميم العادات والمعتقدات الخاصة، ولكن العنصر المشترك في الدين يمكن تعميمه، ويمكننا أن نطلب من الجميع على حد سواء أن يتبعوه ويطيعواه."

بفضل تبرع والدي الكريم، تمكنتُ من البقاء في أمريكا بعد انتهاء الكونغرس. قضيتُ أربع سنوات سعيدة في ظروف متواضعة في بوسطن. ألقيتُ محاضرات عامة، ودرّستُ دروسًا، وكتبتُ ديوانًا شعريًا بعنوان "أغاني الروح"، بمقدمة للدكتور فريدريك ب. روبنسون، رئيس كلية مدينة نيويورك.

في صيف عام 1924، بدأت جولتي عبر القارات، وتحدثت أمام الآلاف في المدن الرئيسية، وأنهيت رحلتي الغربية بإجازة في شمال ألاسكا الجميل.

بمساعدة طلابٍ ذوي قلوبٍ رحبة، أنشأتُ بحلول نهاية عام ١٩٢٥ مقرًا أمريكيًا في مجمعات ماونت واشنطن في لوس أنجلوس. هذا المبنى هو نفسه الذي رأيته قبل سنوات في رؤيتي في كشمير. سارعتُ بإرسال صورٍ لهذه الأنشطة الأمريكية البعيدة إلى سري يوكتسوار. فأجابني ببطاقة بريدية باللغة البنغالية، أترجمها هنا:

11 أغسطس 1926

يا طفل قلبي، يا يوغاناندا!

عندما أرى صور مدرستك وطلابك، لا أستطيع وصف فرحتي التي تغمرني. أذوب فرحًا لرؤية طلاب اليوغا لديك من مختلف المدن. عندما أرى أساليبك في تأكيدات الترانيم، وذبذبات الشفاء، وصلوات الشفاء الإلهي، لا يسعني إلا أن أشكرك من كل قلبي. عندما أرى البوابة، والطريق الجبلي المتعرج إلى الأعلى، والمناظر الطبيعية الخلابة الممتدة أسفل مجمعات جبل واشنطن، أتوق إلى رؤية كل ذلك بأم عيني.

كل شيء يسير على ما يرام هنا. بفضل الله، أتمنى لك السعادة الدائمة.

سري يوكتسوار جيري

مرّت السنوات. ألقيتُ محاضراتٍ في كل أنحاء أرضي الجديدة، وخاطبتُ مئات النوادي والجامعات والكنائس والجماعات من مختلف الطوائف. تلقّى عشرات الآلاف من الأمريكيين دروس اليوغا.
أهديتُ لهم جميعًا كتابًا جديدًا لخواطر الصلاة عام ١٩٢٩ بعنوان "همسات من الأبدية"، بمقدمة من أميليتا غالي-كورسي. ٣٧-٦ أقدم هنا، من الكتاب، قصيدة بعنوان "يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي!"، ألّفتها ذات ليلة وأنا أقف على منصة محاضرات:

من أعماق نومي، وأنا أصعد سلم اليقظة الحلزوني،
أهمس: يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي! أنت طعامي،

وحين أفطر من فراقك ليلاً، أتذوقك، وأقول في نفسي:

يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي! أينما ذهبت، يظل ضوء ذهني مسلطًا عليك دائمًا؛ وفي ضجيج معركة النشاط، تكون صرختي الصامتة دائمًا: يا إلهي! يا إلهي! عندما تصرخ العواصف العاتية من التجارب، وعندما تعوي المخاوف في وجهي، أغرق ضجيجها، وأهتف بصوت عالٍ: يا إلهي! يا إلهي! عندما ينسج ذهني الأحلام بخيوط من الذكريات، ثم أجد على تلك القماشة السحرية منقوشة: يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي! كل ليلة، في وقت النوم العميق، يحلم سلامي وينادي، فرح! فرح! فرح! وفرحتي تأتي مرددة إلى الأبد: يا إلهي! يا إلهي! في الاستيقاظ، والأكل، والعمل، والحلم، والنوم، والخدمة، والتأمل، والترانيم، والحب الإلهي، تدندن روحي باستمرار، دون أن يسمعها أحد: يا إلهي! يا إلهي!

أحيانًا - عادةً في أول الشهر عند ورود فواتير صيانة جبل واشنطن ومراكز زمالة تحقيق الذات الأخرى! - كنتُ أتأمل بشوقٍ في هدوء الهند البسيط. لكنني كنتُ أرى يوميًا تفاهمًا متزايدًا بين الغرب والشرق؛ فتبتهج روحي.

لقد وجدت القلب العظيم لأمريكا متجسدًا في الخطوط الرائعة التي كتبتها إيما لازاروس، المنحوتة على قاعدة تمثال الحرية، "أم المنفيين":

من يدها المنارة تشرق ترحيبًا عالميًا؛ عيناها الرقيقتان تطلان على الميناء الممتد على جسر جوي، والذي تُحيط به المدينتان التوأم. "حافظي على عظمتكِ أيتها الأراضي العتيقة!" تصرخ بشفتين صامتتين. "أعطني متعبيكِ، فقراءكِ، جماهيركِ المتلهفة للتنفس بحرية، نفايات شاطئكِ المزدحم البائسة. أرسلي هؤلاء المشردين، الذين هبت عليهم العاصفة، إليّ، أرفع مصباحي بجانب الباب الذهبي.

37-1: لقد رأيت العديد من تلك الوجوه منذ ذلك الحين في الغرب، وتعرفت عليها على الفور.

٣٧-٢: كان سوامي بريماناندا، زعيم كنيسة تحقيق الذات لجميع الأديان في واشنطن العاصمة، أحد طلاب مدرسة رانشي عندما غادرتُها إلى أمريكا. (كان آنذاك براهماشاري جوتين).

37-3: عادةً ما كنا نتحدث مع سري يوكتسوار باللغة البنغالية.

37-4: رحلات روحية جديدة (بوسطن: بيكون برس، 1921).

37-5: زار الدكتور والسيدة روبنسون الهند في عام 1939، وكانا ضيفين شرف في مدرسة رانشي.

٣٧-٦: السيدة غالي-كورسي وزوجها، هومر ساموليز، عازف البيانو، يدرسان الكريا يوغا منذ عشرين عامًا. نُشرت مؤخرًا القصة الملهمة

لسنوات المغنية الرئيسية الشهيرة (حياة غالي-كورسي الغنائية، بقلم سي إي ليماسينا، مقاطعة بايبار، نيويورك، ١٩٤٥).

الفصل: 38

لوثر بوربانك - قديس وسط الورود

سرّ تحسين تربية النباتات، إلى جانب المعرفة العلمية، هو الحب. هكذا نطق لوثر بوربانك بهذه الحكمة وأنا أسير بجانبه في حديقته في سانتا روزا. توقفنا قرب فراش من الصبار الصالح للأكل.

أثناء تجاربي لصنع صبار "خالٍ من الأشواك"، تابع، "كنتُ أُخاطب النباتات كثيرًا لأُثير فيها ذبذبات الحب. كنتُ أقول لها: "لا تخافي، لستِ بحاجة لأشواككِ الدفاعية. سأحميكِ". تدريجيًا، ظهر نبات الصحراء المفيد في صنفٍ خالٍ من الأشواك".

لقد سُحِرتُ بهذه المعجزة. "من فضلك يا عزيزي لوثر، أعطني بعض أوراق الصبار لأزرعها في حديقتي بجبل واشنطن."

بدأ أحد العمال الواقفين في مكان قريب في نزع بعض الأوراق؛ لكن بوربانك منعه.

سأقطفها بنفسي للسوامي. ناولني ثلاث أوراق، زرعتها لاحقًا، فرحًا وهي تنمو وتنمو لتصبح قطعة أرض ضخمة.

أخبرني البستاني العظيم أن أول انتصاراته البارزة كان البطاطس الكبيرة، المعروفة الآن باسمه. بعبقريته التي لا تعرف الكلل، واصل تقديم مئات من...

تحسينات متقاطعة على الطبيعة - أصناف بوربانك الجديدة من الطماطم والذرة والكوسا والكرز والخوخ والنكتارين والتوت والخشخاش والزنابق والورود.

ركزت كاميرتي بينما كان لوثر يقودني أمام شجرة الجوز الشهيرة التي أثبت من خلالها أن التطور الطبيعي يمكن أن يتم تسريعه بشكل تلسكوبي.

"في ستة عشر عامًا فقط"، كما قال، "وصلت شجرة الجوز هذه إلى حالة من الإنتاج الوفير من الجوز، وهو ما كان من الممكن أن تصل إليه الشجرة في ضعف هذه المدة لولا مساعدة الطبيعة."

لوثر بوربانك، صديقي العزيز، يقف معي في حديقته في سانتا روزا.

جاءت ابنة بوربانك الصغيرة بالتبني وهي تلعب مع كلبها إلى الحديقة.

"إنها نبتتي البشرية." لوّح لها لوثر بحنان. "أرى البشرية الآن نبتة واحدة ضخمة، لا تحتاج لتحقيق أقصى غاياتها إلا إلى الحب، وبركات الطبيعة في

الهواء الطلق، والتهجين والاصطفاء الذكي. لقد لاحظتُ خلال حياتي تقدمًا مذهلاً في تطور النبات، لدرجة أنني أتطلع بتفاؤل إلى عالم سليم وسعيد حالما يتعلم أطفاله مبادئ الحياة البسيطة والعقلانية. يجب أن نعود إلى الطبيعة وإلهها."

"لوثر، سوف تستمتع كثيرًا بمدرستي في رانشي، مع فصولها الدراسية في الهواء الطلق، وأجواء الفرح والبساطة."

لقد لامس كلامي وترًا أقرب إلى قلب بوربانك في تربية الأطفال. أمطرني بأسئلة، واهتمامٌ يتلألأ من عينيه العميقتين الهادئتين.

"سواميجي"، قال أخيرًا، "المدارس مثل مدرستك هي الأمل الوحيد للألفية القادمة. أنا في ثورة ضد الأنظمة التعليمية في عصرنا، المنفصلة عن الطبيعة والتي تخنق كل شيء.

"أنا معك قلبًا وقالبًا في مبادئك العملية في التعليم."

بينما كنت أودع الحكيم اللطيف، وقّع على مجلد صغير وقدمه لي. 38-1 قال: "هذا كتابي عن تدريب النبات البشري". 38-2 "نحن بحاجة إلى أنواع جديدة من التدريب - تجارب جريئة. في بعض الأحيان، نجحت أكثر التجارب جرأة في إخراج أفضل ما في الفاكهة والزهور. وبالمثل، ينبغي أن

تتزايد الابتكارات التعليمية للأطفال، وأن تكون أكثر جرأة".

قرأت كتابه الصغير تلك الليلة باهتمام شديد. بنظرته التي تتخيل مستقبلاً باهراً للجنس البشري، كتب: "إن أشد الكائنات الحية عناداً في هذا العالم، وأصعبها تحريفاً، هو نباتٌ رسّخ عاداتٍ معينة... تذكروا أن هذا النبات حافظ على فرديته عبر العصور؛ ربما هو نباتٌ يمكن تتبعه عبر عصورٍ ماضية في الصخور نفسها، ولم يتغير كثيراً خلال كل هذه الفترات الزمنية الشاسعة. أتظنون، بعد كل هذه العصور من التكرار، ألا يمتلك النبات إرادةً، إن شئتم تسميتها، ذات عنادٍ لا مثيل له؟ في الواقع، هناك نباتات، مثل بعض أشجار النخيل، مثابرةٌ لدرجة أن أي قوة بشرية لم تستطع تغييرها بعد. إن الإرادة البشرية ضعيفةٌ مقارنةً بإرادة النبات. لكن انظروا كيف يُكسر عناد هذا النبات طوال حياته بمجرد مزج حياة جديدة به، مما يُحدث، عن طريق التهجين، تغييراً كاملاً وقوياً في حياته. ثم عندما يأتي الكسر، أصلحوه بهذه الأجيال من الإشراف والاختيار الصبور، والجديد..." يبدأ النبات طريقه الجديد ولن يعود أبدًا إلى القديم، وإرادته العنيدة تنكسر وتتغير في النهاية.

"عندما يتعلق الأمر بشيء حساس ومرن مثل طبيعة الطفل، تصبح المشكلة أسهل بكثير."

انجذبتُ لهذا الأمريكي العظيم، فزرته مرارًا وتكرارًا. في صباح أحد الأيام، وصلتُ في نفس وقت وصول ساعي البريد، الذي أودع في مكتب بوربانك حوالي ألف رسالة. راسله البستانيون من جميع أنحاء العالم.

"سواميجي، وجودك هو العذر الذي أحتاجه للخروج إلى الحديقة،" قال لوثر بمرح. فتح درجًا كبيرًا في مكتبه يحتوي على مئات من ملفات السفر.

"انظر"، قال، "هذه هي طريقتي في السفر. مرتبطًا بنباتاتي ومراسلاتي، أشبع رغبتي في الأراضي الأجنبية بنظرة بين الحين والآخر على هذه الصور."

كانت سيارتي متوقفة أمام بوابته؛ كنت أقودها أنا ولوثر على طول شوارع البلدة الصغيرة، وحدائقها المضيئة بأصنافه الخاصة من الورود من نوع سانتا روزا، وبيتش بلو، وبوربانك.

قال لي لوثر: "أنا وصديقي هنري فورد نؤمن بنظرية التناسخ القديمة. إنها تُلقي الضوء على جوانب من الحياة يصعب تفسيرها. الذاكرة ليست مقياسًا للصدق؛ فمجرد أن ينسى الإنسان حياته الماضية لا يُثبت أنه لم يعشها قط. ذاكرته فارغة أيضًا فيما يتعلق بحياته في الرحم وطفولته؛ لكنه ربما مرّ بها!" ضحك ضحكة خفيفة.

كان العالم العظيم قد تلقى تدريب الكريا خلال إحدى زياراتي السابقة. قال: "أمارس هذه التقنية بتقوى يا سوامي جي". بعد العديد من الأسئلة المدروسة التي وجهها لي حول مختلف

وفيما يتعلق بجوانب اليوغا، لاحظ لوثر ببطء:

"إن الشرق يمتلك في الواقع كميات هائلة من المعرفة التي لم يبدأ الغرب بعد في استكشافها."

لقد كان التواصل الوثيق مع الطبيعة، التي كشفت له العديد من أسرارها التي كانت تحرسها بغيرة، سبباً في منح بوربانك احتراماً روحياً لا حدود له.

"أحيانًا أشعر بقربٍ شديد من القوة اللانهائية"، اعترف بخجل. وجهه الحساس، المُصمم بجمال، أضاءته ذكرياته. "ثم تمكنتُ من شفاء المرضى من حولي، بالإضافة إلى العديد من النباتات المريضة."

أخبرني عن والدته، المسيحية المخلصة. قال لوثر: "بعد وفاتها، غمرتني نعمة رؤيتها في رؤى، فقد تحدثت إليّ".

عدنا على مضض إلى منزله ونحو آلاف الرسائل المنتظرة.

«لوثر»، قلتُ، «في الشهر القادم سأبدأ مجلةً لعرض عروض الحقيقة من الشرق والغرب. أرجو مساعدتي في اختيار اسمٍ مناسبٍ للمجلة».

ناقشنا العناوين لفترة، واتفقنا أخيرًا على "شرق-غرب". بعد أن عدنا إلى مكتبه، أهداني بوربانك مقالًا كتبه عن "العلم والحضارة".

"سوف يظهر هذا في العدد الأول من مجلة East-West" قلت بامتنان.

مع توطد صداقتنا، أطلقتُ على بوربانك لقب "القديس الأمريكي". واقتبستُ: "يا له من رجل لا غش فيه!". كان قلبه عميقًا لا يُسبر غوره، مُلِمًّا بالتواضع والصبر والتضحية. كان منزله الصغير بين الورود بسيطًا للغاية؛ كان يُدرك عبث الترف، وبهجة قلة الممتلكات. ذكّرني التواضع الذي كان يُظهر به شهرته العلمية مرارًا وتكرارًا بالأشجار التي تنحني تحت وطأة ثمارها الناضجة؛ إنها الشجرة القاحلة التي ترفع رأسها عاليًا في تباهي فارغ.

كنت في نيويورك عندما توفي صديقي العزيز عام ١٩٢٦. وفكرتُ وأنا أبكي: "يا إلهي، سأمشي بكل سرور من هنا إلى سانتا روزا لألقي عليه نظرةً أخرى!". انعزلتُ عن السكرتيرات والزوار، وقضيتُ الأربع والعشرين ساعة التالية في عزلة.

في اليوم التالي، أقمت طقوسًا تذكارية فيدية حول صورة كبيرة للوثر. قامت مجموعة من طلابي الأمريكيين، مرتدين ملابس احتفالية هندوسية، بترديد الترانيم القديمة، بينما قُدّمت قرابين من

الزهور والماء والنار، رموزًا للعناصر الجسدية وانطلاقها في المصدر اللامتناهي.

مع أن صورة بوربانك تتجلى في سانتا روزا تحت أرز لبناني غرسه قبل سنوات في حديقته، إلا أن روحه محفورة في وجداني في كل زهرة زاهية تتفتح على جانب الطريق. أليس لوثر، المنعزل مؤقتًا في رحاب الطبيعة، يهمس في رياحها، سائرًا في فجرها؟

أصبح اسمه الآن جزءًا من تراث الكلام العام. يُدرج قاموس ويبستر الدولي الجديد كلمة "بوربانك" كفعل متعدٍّ، ويُعرّفها على النحو التالي: "تهجين أو تطعيم (نبات). وبالتالي، مجازيًا، تحسين (أي شيء، كعملية أو مؤسسة) باختيار سمات جيدة ورفض سمات سيئة، أو بإضافة سمات جيدة".

"عزيزتي بوربانك"، صرخت بعد قراءة التعريف، "اسمك الآن مرادف للخير!"

لوثر بوربانك

سانتا روزا، كاليفورنيا

الولايات المتحدة الأمريكية

22 ديسمبر 1924

لقد درستُ نظام يوغودا لسوامي يوغاناندا، وأعتقد أنه مثالي لتدريب وتنسيق الطبائع الجسدية والعقلية والروحية للإنسان. يهدف سوامي إلى إنشاء

مدارس "كيف تعيش" في جميع أنحاء العالم، حيث لا يقتصر التعليم على التنمية الفكرية فحسب، بل يشمل أيضًا تدريب الجسد والإرادة والمشاعر.

من خلال نظام يوغودا للتطور الجسدي والعقلي والروحي، من خلال أساليب بسيطة وعلمية للتركيز والتأمل، يُمكن حل معظم مشاكل الحياة المعقدة، ويعم السلام وحسن النية على الأرض. إن فكرة السوامي عن التعليم الصحيح هي فكرة بديهية، خالية من أي تصوف أو غموض؛ وإلا لما نالت استحساني.

يسعدني أن أتيحت لي هذه الفرصة للانضمام بحرارة إلى سوامي في دعوته لإنشاء مدارس دولية لفن العيش، والتي إذا أنشئت، سوف تقترب من تحقيق الألفية أكثر من أي شيء آخر أعرفه.

٣٨-١: أهداني بوربانك أيضًا صورةً موقعةً لنفسه. أعتز بها كما اعتزّ تاجرٌ هندوسيٌّ ذات مرةٍ بصورةٍ للينكولن. كان الهندوسي، الذي كان في أمريكا خلال سنوات الحرب الأهلية، يُكنّ إعجابًا كبيرًا للينكولن.

أنه لم يكن راغبًا في العودة إلى الهند حتى يحصل على صورة للمحرر العظيم. تمسك التاجر بعناد على عتبة منزل لينكولن، ورفض المغادرة حتى سمح له الرئيس المذهول بالاستعانة بخدمات دانيال

هنتنغتون، الفنان النيويوركي الشهير. وعندما انتهى من الصورة، حملها الهندوسي منتصرًا إلى كلكتا.

2-38: نيويورك: شركة سينشري، 1922.

الفصل: 39

تيريز نيومان، وصمة العار الكاثوليكية

عد إلى الهند. لقد انتظرتك بصبر خمسة عشر عامًا. قريبًا سأسبح خارج الجسد إلى المسكن المضيء. يوغاناندا، تعال!

رنّ صوت سري يوكتسوار فجأةً في أذني الداخلية وأنا جالسٌ في تأملٍ بمقري في جبل واشنطن. قطعتُ عشرة آلاف ميلٍ في لمح البصر، وتسللت رسالته إلى كياني كبرقٍ ساطع.

خمسة عشر عامًا! نعم، أدركتُ ذلك، والآن نحن في عام ١٩٣٥؛ قضيتُ خمسة عشر عامًا في نشر تعاليم معلّمي في أمريكا. والآن يذكرني.

في عصر ذلك اليوم، رويت تجربتي لتلميذ زائر. كان تطوره الروحي تحت مظلة الكريا يوغا ملحوظًا لدرجة أنني كنت أُطلق عليه لقب "القديس"، متذكرًا نبوءة باباجي بأن أمريكا أيضًا ستنتج رجالًا ونساءً ذوي إدراك إلهي من خلال المسار اليوغي القديم.

أصر هذا التلميذ وعدد من الآخرين بسخاء على التبرع لتغطية نفقات سفري. بعد أن حُلّت المشكلة

المالية، رتبتُ للإبحار عبر أوروبا إلى الهند. أسابيع حافلة بالتحضيرات في جبل واشنطن! في مارس ١٩٣٥، حصلتُ على ترخيص "زمالة تحقيق الذات" بموجب قوانين ولاية كاليفورنيا كمؤسسة غير ربحية. تُخصّص لهذه المؤسسة التعليمية جميع التبرعات العامة، بالإضافة إلى عائدات بيع كتبي ومجلاتي ودوراتي الكتابية ورسوم الدروس، وجميع مصادر الدخل الأخرى.

"سأعود"، قلتُ لطلابي. "لن أنسى أمريكا أبدًا".

في مأدبة وداعية أقامها لي أصدقاء محبون في لوس أنجلوس، نظرت إلى وجوههم طويلاً وفكرت بامتنان: "يا رب، من يتذكرك كالواهب الوحيد لن يفتقر أبدًا إلى الحلاوة".

"من الصداقة بين البشر."

أبحرتُ من نيويورك في 9 يونيو 1935، الساعة 39-1، على متن سفينة أوروبا. رافقني طالبان: سكرتيري، السيد سي. ريتشارد رايت، وسيدة مسنة من سينسيناتي، الآنسة إيتي بليتش. استمتعنا بأيام من الهدوء والسكينة في المحيط، في تناقضٍ مُرضٍ مع الأسابيع الماضية المزدحمة. كانت فترة راحتناً قصيرة؛ فسرعة القوارب الحديثة لها بعض السمات المؤسفة!

كأي مجموعة أخرى من السياح الفضوليين، تجولنا في مدينة لندن العريقة. في اليوم التالي، دُعيتُ

لإلقاء كلمة في اجتماع كبير في قاعة كاكستون، حيث قدّمني السير فرانسيس يونغهسباند إلى جمهور لندن. قضينا يومًا ممتعًا كضيوف على السير هاري لودر في منزله باسكتلندا. سرعان ما عبرنا القناة الإنجليزية إلى القارة، لأنني أردتُ القيام برحلة حجّ خاصة إلى بافاريا. شعرتُ أن هذه ستكون فرصتي الوحيدة لزيارة المتصوفة الكاثوليكية العظيمة، تيريز نيومان من كونرزرويت.

قبل سنوات، قرأتُ قصةً رائعةً عن تيريز. المعلومات الواردة في المقال كانت كما يلي:

(1) تيريز، المولودة عام 1898، أصيبت في حادث عندما كانت في العشرين من عمرها؛ فأصبحت عمياء ومشلولة.

(2) استعادت بصرها بأعجوبة عام ١٩٢٣ بفضل صلواتها للقديسة تريزا "الزهرة الصغيرة". لاحقًا، شُفيت أطراف تريزا نيومان على الفور.

(3) منذ عام 1923 فصاعدًا، امتنعت تيريز تمامًا عن الطعام والشراب، باستثناء ابتلاع رقاقة مقدسة صغيرة يوميًا.

(٤) ظهرت جروح المسيح المقدسة، أو وصمة العار، عام ١٩٢٦ على رأس تريزا وصدرها ويديها وقدميها. وفي كل جمعة من كل أسبوع بعد ذلك، كانت تمر بآلام المسيح، متألمة في جسدها كل عذاباته التاريخية.

(٥) لا تعرف تيريز عادةً سوى لغة قريتها الألمانية البسيطة، وخلال غيبوبة الجمعة، تنطق بعبارات حددها العلماء بأنها آرامية قديمة. وفي أوقات مناسبة من رؤياها، تتحدث العبرية أو اليونانية.

(6) بإذنٍ من الكنيسة، خضعت تيريز لمراقبةٍ علميةٍ دقيقةٍ عدة مرات. ذهب الدكتور فريتز جيرليك، محرر صحيفةٍ بروتستانتيةٍ ألمانية، إلى كونرزرويت "لفضح الاحتيال الكاثوليكي"، لكنه انتهى به الأمر إلى كتابة سيرتها الذاتية بكلِّ احترام. 39-2

كالعادة، سواءً في الشرق أو الغرب، كنتُ متشوقًا للقاء قديس. فرحتُ كثيرًا عندما دخلت مجموعتنا الصغيرة، في السادس عشر من يوليو، قرية كونرزرويت الخلابة. أبدى الفلاحون البافاريون اهتمامًا كبيرًا بسيارتنا فورد (التي أحضرناها معنا من أمريكا) ومجموعتها المتنوعة - شاب أمريكي، وسيدة مسنة، ورجل شرقي زيتوني اللون، شعره طويل مدسوس تحت ياقة معطفه.

كان كوخ تيريز الصغير، النظيف والمرتب، مع زهور إبرة الراعي المزهرة بجانب بئر بدائي، للأسف!

أُغلقت الأبواب بصمت. لم يستطع الجيران، ولا حتى ساعي بريد القرية الذي مرّ، إعطائنا أي معلومات. بدأ المطر يهطل؛ فاقترح عليّ رفاقي المغادرة.

"لا،" قلت بعناد، "سأبقى هنا حتى أجد بعض الأدلة التي تقود إلى تيريز."

بعد ساعتين، كنا لا نزال جالسين في سيارتنا وسط المطر الغزير. تنهدت متذمرًا: "يا رب، لماذا أوصلتني إلى هنا إذا كانت قد اختفت؟"

توقف رجل يتحدث الإنجليزية بجانبنا، وعرض علينا المساعدة بكل أدب.

"أنا لا أعرف على وجه اليقين أين توجد تيريز"، قال، "لكنها غالبًا ما تزور منزل البروفيسور فورتز، وهو أستاذ في أحد المعاهد اللاهوتية في آيشتات، على بعد ثمانين ميلاً من هنا."

في صباح اليوم التالي، توجهت مجموعتنا بالسيارة إلى قرية آيشتات الهادئة، ذات الشوارع الضيقة المرصوفة بالحصى. استقبلنا الدكتور فورتز بحرارة في منزله قائلًا: "أجل، تيريز هنا". وأبلغها بأخبار الزوار. وسرعان ما وصل رسولٌ يحمل ردها.

"على الرغم من أن الأسقف طلب مني ألا أرى أحدًا دون إذنه، فسوف أستقبل رجل الله من الهند."

تأثرتُ بهذه الكلمات، فتبعتُ الدكتور وورز إلى غرفة الجلوس في الطابق العلوي. دخلت تيريز على الفور، تشعّ بهالة من السلام والفرح. كانت ترتدي ثوبًا أسود وغطاء رأس أبيض ناصع. مع أن عمرها كان سبعة وثلاثين عامًا آنذاك، إلا أنها بدت أصغر بكثير، تتمتع بنضارة وسحر طفوليين. بصحة

جيدة، وقوام ممشوق، وخدود وردية، ومبهجة، هذه هي القديسة التي لا تأكل!

استقبلتني تيريز بمصافحة رقيقة. تبادلنا أطراف الحديث في صمت، كلٌّ منا يعلم أن الآخر يحب الله.

عرض الدكتور فورتز بلطف أن يكون مترجمًا. وبينما كنا نجلس، لاحظتُ أن تيريز كانت تنظر إليّ بفضول ساذج؛ فمن الواضح أن الهندوس كانوا نادرين في بافاريا.

"ألا تأكلين شيئًا؟" أردت أن أسمع الإجابة من شفتيها.

"لا، باستثناء رقاقة دقيق الأرز المقدسة، مرة واحدة كل صباح في الساعة السادسة."

ما هو حجم الرقاقة؟

«إنه رقيقٌ كالورقة، بحجم قطعة نقود صغيرة». وأضافت: «أتناوله لأسبابٍ مقدسة؛ فإذا لم يكن مُقدّسًا، لا أستطيع ابتلاعه».

"بالتأكيد لم يكن بإمكانك العيش على هذا لمدة اثني عشر عامًا كاملة؟"

"أعيش بنور الله". ما أبسط جوابها، وما أشبهه بأينشتاين!

"أرى أنك تدرك أن الطاقة تتدفق إلى جسدك من الأثير والشمس والهواء."

ارتسمت ابتسامة سريعة على وجهها. "أنا سعيدة جدًا بمعرفة أنك تفهمين كيف أعيش."

"إن حياتكم المقدسة هي برهان يومي على الحقيقة التي نطق بها المسيح: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله". 39-3

أبدت فرحها مجددًا بتفسيري. "هذا صحيح. أحد أسباب وجودي هنا اليوم هو إثبات أن الإنسان يستطيع أن يعيش بنور الله الخفي، وليس بالطعام فقط."

هل تستطيع تعليم الآخرين كيفية العيش بدون طعام؟

بدت مصدومة بعض الشيء. "لا أستطيع فعل ذلك؛ الله لا يريده."

بينما وقعت عيناي على يديها القويتين الرشيقتين، أرتني تيريز جرحًا صغيرًا مربعًا ملتئمًا حديثًا في كلٍّ من راحتيها. على ظهر كل يد، أشارت إلى جرح أصغر هلالي الشكل ملتئم حديثًا. يمر كل جرح مباشرة عبر اليد. أعادني هذا المشهد إلى ذكرياتي الواضحة عن المسامير الحديدية المربعة الكبيرة ذات الأطراف الهلالية، والتي لا تزال تُستخدم في الشرق، لكنني لا أذكر أنني رأيتها في الغرب.

أخبرتني القديسة شيئًا عن غيبتها الأسبوعية. "كمشاهدة عاجزة، ألاحظ آلام المسيح كاملةً". كل

أسبوع، من منتصف ليل الخميس حتى الواحدة ظهر الجمعة، تنفتح جروحها وتنزف؛ فتفقد عشرة أرطال من وزنها المعتاد الذي يبلغ ١٢١ رطلاً. ومع معاناتها الشديدة في حبها المتعاطف، تتطلع تيريز بفرح إلى هذه الرؤى الأسبوعية لربها.

لقد أدركت على الفور أن حياتها الغريبة كانت مقصودة من الله لطمأنة جميع المسيحيين بشأن الأصالة التاريخية لحياة يسوع وصلبه كما هو مسجل في العهد الجديد، ولإظهار الرابطة الحية الدائمة بين المعلم الجليلي وأتباعه.

وقد روى البروفيسور فورتز بعض تجاربه مع القديس.

قال لي: "كثيرٌ منا، بمن فيهم تيريز، يسافرون لأيامٍ في رحلاتٍ سياحيةٍ عبر ألمانيا. إنه لتناقضٌ صارخ، فبينما نتناول ثلاث وجباتٍ يوميًا، لا تأكل تيريز شيئًا. تبقى نضرةً كالوردة، غير متأثرةٍ بالتعب الذي تُسببه لنا الرحلات. وبينما نجوع ونبحث عن نُزُلٍ على جانب الطريق، تضحك بمرح."

أضاف الأستاذ بعض التفاصيل الفسيولوجية المثيرة للاهتمام: "لأن تيريز لا تتناول أي طعام، فقد تقلصت معدتها. ليس لديها إفرازات، لكن غدد التعرق لديها تعمل؛ وبشرتها ناعمة ومشدودة دائمًا."

في لحظة الفراق، أعربت لثيريز عن رغبتي في أن أكون حاضرا في غيبوبتها.

"نعم، تفضل بزيارة كونرزرويت الجمعة القادمة"، قالت بلطف. "سيمنحك الأسقف تصريحًا. أنا سعيدة جدًا لأنك التقيت بي في آيشتات".

صافحت تيريز بلطف، مرات عديدة، وسارت مع مجموعتنا إلى البوابة. شغّل السيد رايت راديو السيارة؛ ففحصه القديس بضحكات حماسية خفيفة. تجمع حشد كبير من الشباب، فتراجعت تيريز إلى داخل المنزل. رأيناها من النافذة، حيث كانت تُحدّق بنا بنظرة طفولية، وهي تُلوّح بيدها.

من محادثةٍ في اليوم التالي مع اثنين من إخوة تريزا، وهما في غاية اللطف والود، علمنا أن القديسة لا تنام إلا ساعةً أو ساعتين ليلاً. ورغم كثرة الجروح في جسدها، فهي نشيطةٌ ومليئةٌ بالطاقة. تُحب الطيور، وتعتني بحوض أسماك، وتعمل كثيرًا في حديقتها. مراسلاتها كثيرة؛ إذ يكتب لها المؤمنون الكاثوليك طلبًا للدعاء وبركات الشفاء. وقد شُفي على يدها العديد من المرضى من أمراضٍ خطيرة.

أوضح شقيقها فرديناند، البالغ من العمر حوالي ثلاثة وعشرين عامًا، أن تيريز لديها القدرة، من خلال الصلاة، على معالجة أمراض الآخرين بجسدها. ويعود امتناع القديسة عن الطعام إلى وقتٍ صلّت

فيه أن ينتقل مرض حلق شاب من رعيتها، كان يستعد آنذاك لدخول الكهنوت، إلى حلقها.

بعد ظهر يوم الخميس، توجهت مجموعتنا إلى منزل الأسقف، الذي نظر إلى شعري المنساب بدهشة. حرر لي التصريح اللازم على الفور. لم تكن هناك رسوم؛ فالقانون الذي وضعته الكنيسة يهدف ببساطة إلى حماية تيريز من تدفق السياح العابرين، الذين كانوا يتوافدون بالآلاف أيام الجمعة في السنوات السابقة.

وصلنا صباح الجمعة حوالي التاسعة والنصف إلى كونرزرويت. لاحظتُ أن كوخ تيريز الصغير يتميز بسقف زجاجي خاص يُتيح لها إضاءةً غامرة. سررنا برؤية الأبواب مفتوحةً على مصراعيها بحفاوة. كان هناك صفٌّ من حوالي عشرين زائرًا، يحملون تصاريحهم. جاء الكثير منهم من مسافات بعيدة لمشاهدة هذه النشوة الروحانية.

لقد نجحت تيريز في اجتياز اختباري الأول في منزل الأستاذ بفضل معرفتها الحدسية بأنني أريد رؤيتها لأسباب روحية، وليس فقط لإشباع فضول عابر.

كان اختباري الثاني مرتبطًا بحقيقة أنني، قبل صعودي إلى غرفتها مباشرةً، دخلتُ في حالة نشوة يوغا لأكون معها في تواصل تخاطري وتلفازي. دخلتُ غرفتها، المكتظة بالزوار؛ كانت مستلقية على السرير بثوب أبيض. وبينما كان السيد رايت

يتبعني عن كثب، توقفتُ عند عتبة الغرفة، مندهشًا من مشهد غريب ومرعب للغاية.

تيريز نيومان

عالم كاثوليكي مشهور ألهمني في رحلة الحج إلى كونرسرويت، بافاريا عام 1935

تدفق الدم بغزارة وغزارة من جفنَيْ تريزا السفليين، في سيلٍ عرضه بوصة واحدة. ركزت نظرها على العين الروحية في وسط جبهتها. كان القماش الملفوف حول رأسها غارقًا في دم جروح وصمة إكليل الشوك. كان الثوب الأبيض ملطخًا بالحمرة على قلبها من جرح جنبها في الموضع الذي عانى فيه جسد المسيح، منذ عصور بعيدة، من الإهانة الأخيرة لطعنة رمح الجندي.

كانت يدا تيريز ممدودتين بحركة أمومة متوسلة؛ وكان وجهها يحمل تعبيرًا من العذاب والإلهية. بدت أنحف، وقد تغيرت في نواحٍ عديدة، خفيةً وظاهريةً. همست بكلماتٍ بلغةٍ أجنبية، وتحدثت بشفتين مرتعشتين قليلاً إلى أشخاصٍ ظاهرين أمام بصرها.

بينما كنتُ على وفاق معها، بدأتُ أرى مشاهد رؤيتها. كانت تراقب يسوع وهو يحمل الصليب وسط حشدٍ ساخر. ٣٩-٤ فجأةً رفعت رأسها في ذهول: لقد سقط الرب تحت وطأةٍ قاسية. اختفت الرؤية. في غمرة شفقتها الشديدة، غرقت تيريز في وسادتها.

في تلك اللحظة، سمعتُ دويًا قويًا خلفي. التفتُّ للحظة، فرأيتُ رجلين يحملان جسدًا مُسجى. لكن لأنني كنتُ خارجًا من حالة اللاوعي العميق، لم أتعرف على الشخص الساقط فورًا. ثبّتُ نظري مجددًا على وجه تيريز، شاحبًا كالمُوت تحت جداول الدماء، لكنه الآن هادئ، يشعّ نقاءً وقداسة. نظرتُ خلفي لاحقًا، فرأيتُ السيد رايت واقفًا ويده على خده، الذي كان الدم يسيل منه.

"ديك،" سألت بقلق، "هل كنت أنت الذي سقط؟"

"نعم، لقد أغمي علي من هذا المشهد المرعب."

"حسنًا،" قلت مواساة، "أنت شجاع لأنك عدت ونظرت إلى هذا المنظر مرة أخرى."

تذكرنا أنا والسيد رايت صف الحجاج المنتظر بصبر، وودعنا تيريز بصمت وتركنا حضورها المقدس. 39-5

في اليوم التالي، انطلقت مجموعتنا الصغيرة جنوبًا، شاكرين أننا لم نكن نعتمد على القطارات، بل تمكنا من التوقف في فورد أينما أردنا في الريف.
استمتعنا بكل لحظة من جولتنا عبر ألمانيا وهولندا وفرنسا وجبال الألب السويسرية. في إيطاليا، قمنا برحلة خاصة إلى أسيزي تكريمًا لرسول التواضع، القديس فرنسيس. انتهت الجولة الأوروبية في اليونان، حيث شاهدنا المعابد الأثينية، ورأينا السجن الذي شرب فيه سقراط اللطيف (39-6) جرعة

الموت. يمتلئ المرء بالإعجاب بالبراعة التي أبدعها اليونانيون في كل مكان في المرمر.

ركبنا السفينة فوق البحر الأبيض المتوسط المشمس، ونزلنا في فلسطين. تجولتُ يومًا بعد يوم في أنحاء الأرض المقدسة، وكنتُ أكثر اقتناعًا بقيمة الحج. روح المسيح حاضرة في كل مكان في فلسطين؛ مشيتُ إلى جانبه باحترام في بيت لحم، وجثسيماني، والجلجثة، وجبل الزيتون المقدس، وعلى ضفاف نهر الأردن وبحر الجليل.

زارت مجموعتنا الصغيرة مذود الميلاد، وورشة نجارة يوسف، وقبر لعازر، وبيت مريم ومرثا، وقاعة العشاء الأخير. وتكشفت لنا العصور القديمة؛ مشهدًا تلو الآخر، رأيتُ الدراما الإلهية التي جسّدها المسيح عبر العصور.

إلى مصر، بقاهرة الحديثة وأهراماتها القديمة. ثم قاربٌ في البحر الأحمر الضيق، فوق بحر العرب الشاسع؛ ها هي الهند!

39-1: إن الإدراج الملحوظ هنا للتاريخ الكامل يرجع إلى حقيقة أن سكرتيري، السيد رايت، كان يحتفظ بمذكرات سفر.

39-2: من الكتب الأخرى عن حياتها تيريز نيومان: وصمة عار في عصرنا، وسجلات أخرى لتيريز نيومان، كلاهما من تأليف فريدريش ريتر فون لاما (ميلووكي: بروس للنشر).

٣٩-٣: متى ٤: ٤. لا تُغذّى بطارية جسد الإنسان بالطعام الخام (الخبز) وحده، بل بالطاقة الكونية الاهتزازية (الكلمة، أو AUM). تتدفق الطاقة الخفية إلى جسم الإنسان عبر بوابة النخاع المستطيل. يقع هذا المركز الجسدي السادس في مؤخرة الرقبة، أعلى شاكرات العمود الفقري الخمس (كلمة سنسكريتية تعني "العجلات" أو مراكز إشعاع القوة). يُعدّ النخاع المدخل الرئيسي لإمداد الجسم بقوة الحياة الكونية (AUM)، ويرتبط ارتباطًا مباشرًا بقوة إرادة الإنسان، المتركزة في المركز السابع، أو مركز وعي المسيح (كوتاستا)، في العين الثالثة بين الحاجبين. ثم تُخزّن الطاقة الكونية في الدماغ كمخزونٍ لإمكاناتٍ لا متناهية، تُذكر شعريًا في الفيدا باسم "زهرة اللوتس النورانية ذات الألف بتلة". ويشير الكتاب المقدس دائمًا إلى AUM باسم "الروح القدس" أو قوة الحياة الخفية التي تُسند الخلق إلهيًا. "أما تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم؟"-1 كورنثوس 6: 19.

٣٩-٤: خلال الساعات التي سبقت وصولي، كانت تيريز قد شهدت رؤى عديدة عن الأيام الأخيرة من حياة المسيح. يبدأ انبهارها عادةً بمشاهد الأحداث التي تلت العشاء الأخير. وتنتهي رؤاها بموت يسوع على الصليب، أو أحيانًا بدفنه.

39-5: لقد نجت تيريز من الاضطهاد النازي، ولا تزال موجودة في كونرسرويت، وفقًا للتقارير الإخبارية الأمريكية الصادرة من ألمانيا عام 1945.

٣٩-٦: يروي مقطع في يوسابيوس لقاءً شيقًا بين سقراط وحكيم هندوسي. يقول المقطع: "يروي أريستوكسينوس، الموسيقي، القصة التالية عن الهنود. التقى أحد هؤلاء الرجال بسقراط في أثينا، وسأله عن نطاق فلسفته. فأجاب سقراط: "البحث في الظواهر البشرية". عندها انفجر الهندي ضاحكًا. وقال: "كيف يمكن لإنسان أن يبحث في الظواهر البشرية وهو يجهل الظواهر الإلهية؟". كان أريستوكسينوس المذكور تلميذًا لأرسطو، وكاتبًا بارزًا في علم التوافقيات. تاريخه هو ٣٣٠ قبل الميلاد.

الفصل: 40

أعود إلى الهند

كنتُ أستنشق هواء الهند العليل بحمد الله. رست سفينتنا "راجبوتانا" في 22 أغسطس/آب 1935 في ميناء بومباي الضخم. حتى هذا اليوم، أول يوم لي خارج السفينة، كان بمثابة مقدمة للعام القادم - اثنا عشر شهرًا من النشاط المتواصل. اجتمع الأصدقاء على الرصيف حاملين أكاليل الزهور والتحيات؛ وسرعان ما توافد علينا في جناحنا بفندق تاج محل سيل من المراسلين والمصورين.

كانت بومباي مدينة جديدة بالنسبة لي؛ وجدتها عصريةً مفعمةً بالحيوية، مليئةً بالابتكارات الغربية. تصطف أشجار النخيل على جانبي الشوارع الواسعة، وتتنافس مباني الدولة الفخمة مع المعابد القديمة في جذب الانتباه. مع ذلك، لم يُخصص لي سوى وقتٍ قليل لمشاهدة المعالم السياحية؛ كنتُ متلهفًا لرؤية معلّمي الحبيب وأحبائي. بعد أن وضعنا سيارة فورد في عربة الأمتعة، انطلقت مجموعتنا مسرعةً شرقًا بالقطار نحو كلكتا.

عند وصولنا إلى محطة هاورا، وجدنا حشدًا غفيرًا من الناس متجمعين لاستقبالنا، لدرجة أننا لم نتمكن من النزول من القطار لفترة. ترأس مهراجا كاسيمبازار الشاب وشقيقي بيشنو لجنة الاستقبال؛ ولم أكن مستعدًا لحفاوة الاستقبال وعظمته.

سبقتنا مجموعة من السيارات والدراجات النارية، وفي وسط صوت الطبول المبهج وأصداف المحار، توجهت أنا والسيدة بليتش والسيد رايت، ونحن مزينون بالورود من الرأس إلى القدمين، بالسيارة ببطء إلى منزل والدي.

احتضنني والديّ المُسنّ كعائدٍ من بين الأموات؛ تبادلنا النظرات طويلاً، فرحاً لا يُوصف. تجمّع حولي الإخوة والأخوات، الأعمام والعمات وأبناء العمّ، الطلاب والأصدقاء من سنواتٍ مضت، ولم تجفّ عينٌ بيننا. وبعد أن رحل الآن إلى أرشيف الذاكرة، يبقى مشهد اللقاء المُحبّ حيّاً في قلبي، لا يُنسى.

أما بالنسبة لاجتماعي مع سري يوكتسوار، فإن الكلمات تعجزني؛ دعوني أقدم الوصف التالي من لقائي مع سري يوكتسوار.

يكفي سكرتير.

اليوم، وقد غمرتني تطلعاتٌ عارمة، قدتُ يوغانانداجي من كلكتا إلى سيرامبور،" دوّن السيد رايت في مذكراته عن رحلته. "مررنا بمتاجرَ عتيقة، كان أحدها المكان المفضل ليوغانانداجي لتناول الطعام خلال أيام دراسته الجامعية، ودخلنا أخيرًا زقاقًا ضيقًا مُسوّرًا. انعطفنا يسارًا فجأةً، وهناك أمامنا شامخٌ أشرمٌ بسيطٌ لكن مُلهمٌ من طابقين، بشرفته الإسبانية الطراز التي تبرز من الطابق العلوي. كان الانطباع السائد هو العزلة الهادئة.

بتواضعٍ شديد، مشيت خلف يوغانانداجي إلى الفناء داخل أسوار المحبسة. وقلوبنا تخفق بسرعة، صعدنا درجاتٍ إسمنتية قديمة، داسها، بلا شك، حشدٌ لا يُحصى من الباحثين عن الحقيقة. ازداد التوتر حدةً كلما تقدمنا. أمامنا، قرب رأس الدرج، ظهر لنا بهدوءٍ العظيم، سوامي سري يوكتسوارجي، واقفًا في وضعية حكيمٍ نبيل.

خفق قلبي بشدة حين شعرتُ بنعمة التواجد في حضرته الجليلة. غمرتني الدموع بنظري المتلهف عندما سقط يوغانانداجي على ركبتيه، ورأسه المنحني يُقدِّم امتنان روحه وتحياته، ولمس بيده

قدمي معلمه، ثم، في انحناءة متواضعة، رأسه. ثم نهض واحتضنه سري يوكتسوارجي من كلا جانبي صدره.

لم تكن هناك كلمات في البداية، لكن الشعور الأشدّ تجلى في عبارات الروح الصامتة. كيف تألّقت عيونهم واشتعلت بدفء اتحاد الروح المتجدد! تسللت ذبذبة رقيقة عبر الفناء الهادئ، حتى أن الشمس أفلتت من الغيوم لتضيف بريقًا مفاجئًا من المجد.

ركعتُ أمام المعلم، وقدّمتُ له حبي وشكري الضمني، ولمستُ قدميه، المتصلبتين بفعل الزمن والخدمة، فتلقيتُ بركاته. ثم وقفتُ، وواجهتُ عينين عميقتين جميلتين تتوهجان بالتأمل، لكنهما تشعّان بالفرح. دخلنا غرفة جلوسه، التي كان جانبها مفتوحًا على شرفة خارجية تُرى لأول مرة من الشارع. استند المعلم إلى سرير دافنبورت بالٍ، جالسًا على مرتبة مغطاة على أرضية إسمنتية. جلستُ أنا ويوغانانداجي قرب قدمي المعلم، مع وسائد برتقالية اللون لنستند إليها ونُسهّل وضعيتنا على حصيرة القش.

حاولتُ جاهدةً أن أتعمق في الحديث البنغالي بين السواميجيَّين - فقد اكتشفتُ أن اللغة الإنجليزية لا معنى لها عندما يكونان معًا، مع أن سواميجي مهراج، كما يُطلق عليه الآخرون اسم المعلم الروحي العظيم، يستطيع التحدث بها، وكثيرًا ما

يفعل. لكنني لمست قداسة العظيم من خلال ابتسامته الدافئة وعينيه البراقتين. إحدى الصفات التي تُلاحظ بسهولة في حديثه المرح والجاد هي الإيجابية الواضحة في كلامه - علامة الرجل الحكيم، الذي يعرف أنه يعرف، لأنه يعرف الله. حكمته العظيمة، وقوة عزيمته، وعزيمته واضحة في كل شيء.

"أثناء دراستي له بتوقير من حين لآخر، لاحظتُ أنه ذو قامة رياضية ضخمة، وقد صقلته تجارب وتضحيات الزهد. وقاره مهيب. جبهته منحدرة بشكل واضح، كما لو كان يبحث عن السماء، تهيمن على ملامحه الإلهية. أنفه كبير وبسيط نوعًا ما،

يستمتع به في لحظات فراغه، يقلبها ويحركها بأصابعه كطفل. عيناه السوداوان القويتان تُحيط بهما هالة زرقاء رقيقة. شعره، المفروق من المنتصف، يبدأ فضيًا ثم يتحول إلى خصلات من الذهب الفضي والأسود الفضي، وينتهي بتجعيدات عند كتفيه. لحيته وشاربه خفيفان أو خفيفان، لكنهما يُبرزان ملامحه، ومثل شخصيته، عميقان وخفيفان في آن واحد.

لديه ضحكة مرحة ومبهجة تنبع من أعماق صدره، تجعله يرتجف ويرتجف في جميع أنحاء جسده - مرحة وصادقة للغاية. وجهه وقامته ملفتان في قوتهما، وكذلك أصابعه العضلية. يتحرك بخطوات مهيبة ووقفة منتصبة.

"كان يرتدي ببساطة الدوتي والقميص العاديين، وكلاهما مصبوغ بلون مغرة قوي، ولكن الآن باللون البرتقالي الباهت.

ألقيتُ نظرةً سريعةً حولي، فلاحظتُ أن هذه الغرفة المتهالكة تُشير إلى عدم تعلق صاحبها بالوسائل المادية. كانت جدران الغرفة الطويلة البيضاء الملطخة بعوامل الطقس مُلطخةً بجص أزرق باهت. في أحد أطراف الغرفة، عُلّقت صورة للاهيري ماهاسايا، مُزينةً بعبادةٍ بسيطة. وكانت هناك أيضًا صورةٌ قديمة تُظهر يوغاناداجي عند وصوله إلى بوسطن، واقفًا مع المندوبين الآخرين إلى مؤتمر الأديان.

لاحظتُ تناغمًا بديعًا بين الحداثة والعراقة. ثريا ضخمة من الزجاج المقطوع، مضاءة بالشموع، مغطاة بأنسجة العنكبوت نتيجةً للإهمال، وعلى الحائط تقويمٌ مُشرقٌ وحديث. كانت الغرفة بأكملها تفوح برائحة السلام والهدوء. من خلف الشرفة، رأيتُ أشجار جوز الهند شامخةً فوق الدير في صمتٍ ورعاية.

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن المعلم لا يكتفي بالتصفيق، وقبل أن ينهي كلامه، يخدمه أو يرعاه تلميذ صغير. بالمناسبة، أنا منجذبٌ بشدة لأحدهم - شاب نحيف، يُدعى برافولا، طوله 40-2 بوصة، بشعر أسود طويل يصل إلى كتفيه، وعينين سوداوين لامعتين وواضحتين، وابتسامة ساحرة؛

تتلألأ عيناه، بينما ترتفع زوايا فمه، كنجوم وهلال يظهران عند الغسق.

من الواضح أن فرح سوامي سري يوكتسوارجي شديدٌ بعودة "نتاجه" (ويبدو أنه فضوليٌّ بعض الشيء بشأن "نتاج المنتج"). ومع ذلك، فإن غلبة جانب الحكمة في طبيعة العظيم تعيق تعبيره الخارجي عن مشاعره.

قدّم له يوغاناناداجي بعض الهدايا، كما جرت العادة عندما يعود التلميذ إلى معلمه. جلسنا لاحقًا لتناول وجبة بسيطة ولكنها مطبوخة جيدًا. كانت جميع الأطباق مزيجًا من الخضار والأرز. سُرّ سري يوكتسوارجي باستخدامي لعدد من العادات الهندية، مثل "الأكل بالأصابع".

بعد ساعات من تبادل العبارات البنغالية الخفيفة والابتسامات الدافئة والنظرات البهيجة، سجدنا عند قدميه، وودّعناه بتحية "برونام" (40-3)، ثم انطلقنا إلى كلكتا بذكرى خالدة للقاءٍ وتحيةٍ مقدسة. مع أنني أكتب بشكل رئيسي عن انطباعاتي الخارجية عنه، إلا أنني كنت دائمًا مدركًا للأساس الحقيقي للقديس - مجده الروحي. شعرتُ بقوته، وسأحمل هذا الشعور كبركة إلهية لي.

من أمريكا وأوروبا وفلسطين، أحضرتُ هدايا كثيرة لسري يوكتسوار. استقبلها بابتسامة، دون أن يُبدي أي ملاحظة. اشتريتُ من ألمانيا، لاستخدامي

الشخصي، عصا مظلة. وفي الهند، قررتُ إهداء العصا لمعلمي.

"أُقدّر هذه الهدية حقًا!" وجّه معلّمي نظره إليّ بتفهمٍ مُحبّ وهو يُدلي بهذا التعليق غير المُعتاد. من بين جميع الهدايا، اختار العصا لعرضها على الزوار.

"سيدي، من فضلك اسمح لي أن أحصل على سجادة جديدة لغرفة الجلوس." لقد لاحظت أن جلد النمر الخاص بسري يوكتسوار كان موضوعًا على سجادة ممزقة.

"افعل ذلك إن شئت." لم يكن صوت معلّمي مُتحمسًا. "انظر، سجادة النمر خاصتي جميلة ونظيفة؛ أنا ملكٌ في مملكتي الصغيرة. خلفها يكمن العالم الواسع، لا يهتم إلا بالظواهر."

عندما نطق بهذه الكلمات شعرت أن الأعوام تتراجع إلى الوراء؛ ومرة أخرى أنا تلميذ شاب، تطهر في نيران العقاب اليومية!

حالما استطعتُ الابتعاد عن سيرامبور وكلكتا، انطلقتُ مع السيد رايت إلى رانشي. يا له من ترحيبٍ حار هناك، يا له من تصفيق حار! انهمرت الدموع من عينيّ وأنا أعانق المعلمين المتفانين الذين رفعوا راية المدرسة عالياً طوال غيابي الذي دام خمسة عشر عاماً. كانت الوجوه المشرقة والابتسامات البهية لطلاب السكن الداخلي والنهاري

خير دليل على قيمة تدريبهم المدرسي واليوغا متعدد الجوانب.

مع ذلك، للأسف! كانت مؤسسة رانشي تعاني من ضائقة مالية خانقة. توفي السير مانيندرا تشاندرا نوندي، المهراجا القديم الذي حُوِّل قصره كاسيمبازار إلى مبنى المدرسة الرئيسي، والذي قدّم تبرعاتٍ أميريةً كثيرة. أصبحت العديد من معالم المدرسة الخيرية والمجانية مُعرَّضةً لخطرٍ شديدٍ بسبب نقص الدعم العام الكافي.

لم أقضِ سنوات في أمريكا دون أن أتعلم بعضًا من حكمتها العملية، وروحها الشجاعة في مواجهة العقبات. مكثتُ في رانشي أسبوعًا أصارع مشاكل حرجة. ثم جاءت مقابلات في كلكتا مع قادة ومعلمين بارزين، وحديث مطول مع مهراجا كاسيمبازار الشاب، ونداء مالي لوالدي، وها هي ذي الأسس المهتزة لرانشي تتعافى. وصلتني تبرعات كثيرة، منها شيك ضخم، في اللحظة الأخيرة من طلابي الأمريكيين.

بعد بضعة أشهر من وصولي إلى الهند، غمرتني السعادة برؤية مدرسة رانشي تُصبح مؤسسة قانونية. وتحقق حلمي الذي لطالما راودني بإنشاء مركز تعليمي لليوغا مُمَوَّل بشكل دائم. كانت هذه الرؤية هي التي قادتني في بداياتي المتواضعة عام ١٩١٧ مع مجموعة من سبعة فتيان.

منذ عام ١٩٣٥، اتسع نطاق رانشي ليتجاوز مجرد مدرسة للبنين. تُقام هناك الآن أنشطة إنسانية واسعة النطاق ضمن بعثة شياما شاران لاهيري ماهاسايا.

تُقدم المدرسة، أو يوغودا سات سانغا براهماشاريا فيديالايا، دروسًا خارجية في مواد النحو واللغة الإنجليزية والثانوية. كما يتلقى الطلاب المقيمون والطلاب النهاريون تدريبًا مهنيًا.

تدريبٌ من نوعٍ ما. يُنظّم الأولاد أنفسهم مُعظم أنشطتهم من خلال لجانٍ مُستقلة. في مُبكرٍ جدًا من مسيرتي المهنية كمُعلّم، اكتشفتُ أن الأولاد الذين يتلذّذون بخداع مُعلّمهم، سيقبلون بصدر رحب قواعد الانضباط التي يضعها زملاؤهم. لم أكن يومًا تلميذًا مثاليًا، وكنتُ أتعاطفُ دائمًا مع جميع المقالب والمشاكل الصبيانية.

تُشجَّع الرياضة والألعاب؛ وتضجّ الملاعب بتدريبات الهوكي وكرة القدم. وكثيرًا ما يفوز طلاب رانشي بالكأس في المسابقات. صالة الألعاب الرياضية الخارجية معروفة على نطاق واسع. ومن سمات يوغودا إعادة شحن العضلات من خلال قوة الإرادة: التوجيه الذهني لطاقة الحياة إلى أي جزء من الجسم. كما يُعلّم الأولاد وضعيات الأسانا (وضعيات الجسم)، ولعب السيف واللاتي (العصا)، والجوجيتسو. وقد حضر معارض يوغودا الصحية في رانشي فيديالايا الآلاف.

يُدرَّس التعليم الابتدائي باللغة الهندية لقبائل كولس وسانتالس وموندا، وهي قبائل أصلية في المقاطعة. كما تُنظَّم صفوفٌ للفتيات فقط في القرى المجاورة.

الميزة الفريدة في رانشي هي بدء الكريا يوغا. يمارس الأولاد يوميًا تمارينهم الروحية، ويرددون ترانيم الجيتا، ويتعلمون من خلال التعاليم والأمثلة فضائل البساطة والتضحية بالنفس والشرف والصدق. يُشار إليهم بالشر على أنه مصدر البؤس، بينما الخير هو الأفعال التي تُفضي إلى السعادة الحقيقية. يمكن تشبيه الشر بالعسل المسموم، مُغرٍ ولكنه مُحمّل بالموت.

لقد حقق التغلب على قلق الجسد والعقل بتقنيات التركيز نتائج مذهلة: فليس من الغريب في رانشي أن ترى شخصية صغيرة جذابة، في التاسعة أو العاشرة من عمرها، تجلس لساعة أو أكثر في هدوء تام، ونظرتها التي لا ترف لها جفن موجهة نحو العين الروحية. كثيرًا ما عادت صورة طلاب رانشي هؤلاء إلى ذهني، وأنا أراقب طلاب الجامعات حول العالم الذين بالكاد يستطيعون الجلوس ساكنين طوال حصة دراسية واحدة.

تقع رانشي على ارتفاع 2000 قدم فوق مستوى سطح البحر، وتتميز بمناخ معتدل. تبلغ مساحة الموقع 25 فدانًا، بجوار بركة سباحة كبيرة، ويضم أحد أروع بساتين الهند - خمسمائة شجرة فاكهة -

مانجو، جوافة، ليتشي، جاك فروت، وتمر. يزرع الأولاد خضرواتهم بأنفسهم، ويدورون على آلاتهم الخاصة.

دار ضيافة مفتوحة بحفاوة للزوار الغربيين. تحتوي مكتبة رانشي على العديد من المجلات، وحوالي ألف مجلد باللغتين الإنجليزية والبنغالية، تبرعات من الغرب والشرق. كما تضم مجموعة من كتب العالم المقدسة. ويعرض متحف مصنف بعناية معروضات أثرية وجيولوجية وأنثروبولوجية؛ وهي، إلى حد كبير، غنائم من رحلاتي في أرض الرب المتنوعة.

لقد قدّم المستشفى الخيري وصيدلية بعثة لاهيري ماهاسايا، بفروعها الخارجية العديدة في القرى النائية، خدماتٍ طبيةً لـ 150 ألفًا من فقراء الهند. ويتلقى طلاب رانشي تدريبًا على الإسعافات الأولية، وقد قدّموا خدماتٍ جليلةً لمقاطعتهم خلال أوقات الفيضانات أو المجاعة المأساوية.

في البستان، يقف معبد شيفا، وفيه تمثال للمعلم المبارك، لاهيري ماهاسايا. تُقام الصلوات اليومية ودروس الكتاب المقدس في الحديقة تحت أكواخ المانجو.

افتُتحت مدارس ثانوية فرعية، تتميز بطابع رانشي السكني وممارسة اليوغا، وهي الآن مزدهرة. هذه المدارس هي: مدرسة يوغودا سات-سانغا فيديابيث للبنين في لاكشمانبور، بيهار؛ ومدرسة يوغودا

سات-سانغا الثانوية وديرها في إجماليتشاك، ميدنابور.

افتُتح معبد يوغودا ماث الفخم عام ١٩٣٩ في داكشينيسوار، على ضفاف نهر الغانج مباشرةً. يقع هذا المعبد الجديد على بُعد أميال قليلة شمال كلكتا، ويوفر ملاذًا هادئًا لسكان المدينة. تتوفر أماكن إقامة مناسبة للضيوف الغربيين، وخاصةً للباحثين الذين يكرّسون حياتهم للإدراك الروحي. تشمل أنشطة معبد يوغودا ماث إرسال تعاليم زمالة تحقيق الذات بالبريد كل أسبوعين إلى الطلاب في مختلف أنحاء الهند.

لا شك أن هذه الأنشطة التربوية والإنسانية تطلبت تضحياتٍ وتفانيًا من العديد من المعلمين والعاملين. لا أذكر أسماءهم هنا لكثرتهم، ولكن لكلٍّ منهم في قلبي مكانةٌ مرموقة. مستلهمين مُثُل لاهيري ماهاسايا، تخلّى هؤلاء المعلمون عن طموحاتهم الدنيوية الواعدة ليخدموا بتواضعٍ وعطاءٍ كبير.

كون السيد رايت صداقات سريعة مع شباب رانشي؛ مرتديًا دوتي بسيطًا، عاش بينهم لفترة. في رانشي، وكلكتا، وسيرامبور، وفي كل مكان ذهب إليه، كان سكرتيري، الذي يتمتع بموهبة وصفية نابضة بالحياة، يُخرج مذكرات سفره لتسجيل مغامراته. في إحدى الأمسيات، سألته سؤالًا.

"ديك، ما هو انطباعك عن الهند؟"

"السلام"، قال بتفكير. "الهالة العرقية هي السلام".

٤٠-١: توقفنا في المقاطعات الوسطى، في منتصف القارة، لرؤية المهاتما غاندي في وردهة. تلك الأيام موصوفة في الفصل ٤٤.

40-2: كان برافولا هو الصبي الذي كان حاضراً مع المعلم عندما اقترب الكوبرا (انظر الصفحة 116).

٤٠-٣: حرفيًا، "الاسم المقدس"، وهي كلمة تحية عند الهندوس، مصحوبة برفع اليدين المطويتين من القلب إلى الجبهة تحيةً. ويحل "الاسم المقدس" في الهند محل التحية الغربية بالمصافحة.

٤٠-٤: لقد أنتج التدريب الذهني من خلال تقنيات تركيز معينة في كل جيل هندي رجالاً يتمتعون بذاكرة فائقة. وصف السير ت. فيجاياراغافاشاري، في صحيفة هندوستان تايمز، الاختبارات التي وُضعت على "رجال الذاكرة" المحترفين المعاصرين في مدراس. وكتب: "كان هؤلاء الرجال على دراية غير عادية بالأدب السنسكريتي. يجلسون وسط جمهور كبير، وكانوا على نفس مستوى الاختبارات التي يخضعون لها من قبل عدة أفراد من الجمهور في وقت واحد. يكون الاختبار كالتالي: يبدأ شخص واحد بقرع جرس، ويحسب "رجل الذاكرة" عدد الرنينات. كان شخص ثانٍ يُملي من ورقةٍ تمرينًا طويلًا في الحساب، يتضمن الجمع والطرح والضرب والقسمة. وكان ثالثٌ يُواصل تلاوة سلسلةٍ طويلةٍ

من القصائد من رامايانا أو ماهابهاراتا، والتي كان لا بد من إعادة إنتاجها؛ وكان رابعٌ يضع مسائلَ في نظم الشعر تتطلب تأليف أبياتٍ بوزنٍ مناسبٍ حول موضوعٍ مُعين، بحيث ينتهي كل سطرٍ بكلمةٍ مُحددة. وكان خامسٌ يُجري مع سادسٍ مناظرةً لاهوتيةً، وكان لا بد من اقتباس لغتها الدقيقة بالترتيب الدقيق الذي أدارها به المُناظرون، وكان سابعٌ يُدير عجلةً طوال الوقت، وكان لا بد من حساب عدد دوراتها. كان على خبير الذاكرة أن يقوم بكل هذه الأعمال الفذة في الوقت نفسه من خلال العمليات العقلية البحتة، حيث لم يُسمح له باستخدام ورقةٍ وقلم. لا بد أن الضغط على القدرات كان هائلاً. عادةً ما يميل الرجال الذين يُغلب عليهم الحسد اللاواعي إلى التقليل من شأن هذه الجهود مُتظاهرين بأنها لا تنطوي إلا على تمرينٍ للوظائف الدنيا للدماغ. إنه... ومع ذلك، فالمسألة ليست مسألة ذاكرة فحسب، بل العامل الأهم هو التركيز الذهني الهائل.

الفصل: 41

ريف في جنوب الهند

"أنت أول غربي، ديك، يدخل هذا الضريح. حاول الكثيرون غيرك دون جدوى."

عند سماع كلماتي، بدا السيد رايت مذهولاً، ثم مسروراً. كنا قد غادرنا لتونا معبد شاموندي الجميل

في التلال المطلة على ميسور جنوب الهند. هناك، انحنينا أمام مذابح الإلهة شاموندي الذهبية والفضية، راعية عائلة المهراجا الحاكم.

"كتذكار لهذا الشرف الفريد،" قال السيد رايت، وهو يخبئ بعناية بعض بتلات الورد المباركة، "سوف أحافظ دائمًا على هذه الزهرة، التي يرشها الكاهن بماء الورد."

قضيتُ أنا ورفيقي شهر نوفمبر ١٩٣٥، ضيفين على ولاية ميسور. المهراجا، صاحب السمو سري كريشناراجا واديار الرابع، أميرٌ مثاليٌّ يتمتع بإخلاصٍ كبيرٍ لشعبه. وهو هندوسيٌّ متدين، عيّن المهراجا رجلاً مسلماً، هو ميرزا إسماعيل القدير، رئيساً للوزراء. يُمنح سكان ميسور، البالغ عددهم سبعة ملايين نسمة، تمثيلاً شعبياً في كلٍّ من الجمعية التشريعية والمجلس التشريعي.

كان وريث المهراجا، صاحب السمو يوفاراجا، السير سري كريشنا ناراسينغاراج واديار، قد دعاني أنا وسكرتيرتي لزيارة مملكته المُستنيرة والتقدمية. وخلال الأسبوعين الماضيين، خاطبتُ آلافًا من مواطني ميسور وطلابها، في قاعة المدينة، وكلية المهراجا، وكلية الطب الجامعية؛ وفي ثلاثة اجتماعات حاشدة في بنغالور، في المدرسة الثانوية الوطنية، والكلية المتوسطة، وقاعة مدينة تشيتي، حيث تجمع أكثر من ثلاثة آلاف شخص. لا أعلم إن كان المستمعون المتحمسون قد أدركوا الصورة

المشرقة التي رسمتها لأمريكا؛ لكن التصفيق كان دائمًا في أوجه عندما تحدثتُ عن المنافع المتبادلة التي يمكن أن تنجم عن تبادل أفضل الميزات في الشرق والغرب.

كنتُ أنا والسيد رايت نسترخي في هدوء المناطق الاستوائية. يروي السيد رايت في مذكراته انطباعاته عن ميسور في ما يلي:

"تقع حقول الأرز الخضراء الرائعة، المتنوعة بين قطع من قصب السكر المزخرفة، عند سفح التلال الصخرية الواقية - التلال التي تنقط المناظر الطبيعية الزمردية مثل نتوءات من الحجر الأسود - ويتم تعزيز لعبة الألوان من خلال الاختفاء المفاجئ والدرامي للشمس وهي تبحث عن الراحة خلف التلال المهيبة.

"لقد قضيت العديد من اللحظات المبهجة في التحديق، بذهول تقريبًا، في-

قماش متغير لله ممتد عبر السماء، لأن لمسته وحدها قادرة على إنتاج ألوان تهتز بنضارة الحياة. يضيع شباب الألوان عندما يحاول الإنسان التقليد باستخدام مجرد أصباغ، لأن الرب يلجأ إلى وسيلة أكثر بساطة وفعالية - زيوت ليست زيوتًا ولا أصباغًا، بل مجرد أشعة ضوء. يلقي برذاذ من الضوء هنا، وينعكس اللون الأحمر؛ يلوح بالفرشاة مرة أخرى ويمتزج تدريجيًا إلى البرتقالي والذهبي؛ ثم بدفعة

ثاقبة يطعن السحب بخط من اللون الأرجواني يترك خصلة أو هامشًا من اللون الأحمر ينضح من الجرح في السحب؛ وهكذا، ويستمر في اللعب، ليلًا وصباحًا على حد سواء، متغيرًا دائمًا، جديدًا دائمًا، طازجًا دائمًا؛ لا أنماط، لا تكرارات، لا ألوان متطابقة تمامًا. جمال التغيير الهندي من النهار إلى الليل لا يقارن في أي مكان آخر؛ في كثير من الأحيان تبدو السماء كما لو أن الله أخذ كل الألوان في مجموعته وألقى بها في رمية واحدة ضخمة إلى السماء.

لا بد لي من وصف روعة زيارة عند الغسق لسد كريشناراجا ساجار الضخم، الذي بُني على بُعد اثني عشر ميلاً خارج ميسور. صعدتُ أنا ويوغاناناداجي إلى حافلة صغيرة، ومع صبي صغير كمساعد رسمي أو بديل للبطارية، انطلقنا على طريق ترابي سلس، مع غروب الشمس في الأفق وسحقها كطماطم ناضجة.

"مرت رحلتنا بحقول الأرز المربعة المنتشرة في كل مكان، وعبر صف من أشجار البانيان المريحة، وبين بستان من أشجار جوز الهند الشاهقة، مع نباتات كثيفة تقريبًا كما هو الحال في الغابة، وأخيرًا، اقتربنا من قمة التل، وواجهنا وجهاً لوجه بحيرة اصطناعية هائلة، تعكس النجوم وحواف النخيل والأشجار الأخرى، محاطة بحدائق متدرجة جميلة وصف من الأضواء الكهربائية على حافة السد - وأسفلها التقت أعيننا بمشهد مبهر من أشعة ملونة

تلعب على نوافير تشبه السخانات، مثل العديد من تيارات الحبر اللامع المتدفقة - شلالات زرقاء رائعة، وشلالات حمراء آسرة، وبخاخات خضراء وصفراء، وفيلة تنفث الماء، ونموذج مصغر لمعرض شيكاغو العالمي، ومع ذلك فهي بارزة بشكل عصري في هذه الأرض القديمة من حقول الأرز والناس البسطاء، الذين قدموا لنا مثل هذا الترحيب المحبب الذي أخشى أن يستغرق الأمر أكثر من قوتي لإعادة يوغانانداجي إلى أمريكا.

امتيازٌ نادرٌ آخر - أول رحلةٍ لي على ظهر فيل. دعانا اليوفاراجا بالأمس إلى قصره الصيفي للاستمتاع بركوب أحد فيله، وهو حيوانٌ ضخم. صعدتُ سلمًا مُجهزًا للصعود إلى الهاود أو السرج، وهو مُبطّنٌ بالحرير وصندوقي الشكل؛ ثم للتدحرج والتأرجح والهبوط في وادٍ، من شدة الإثارة التي لا تُطاق، لكنني تمسكتُ بالحياة!

جنوب الهند، الغني بالآثار التاريخية والأثرية، أرضٌ ذات سحرٍ آسرٍ لا يُوصف. شمال ميسور، تقع حيدر آباد، أكبر ولاية هندية، وهي هضبة خلابة يشقها نهر جودافاري العظيم. سهولها الخصبة الواسعة، وجبال نيلجيري الجميلة، أو "الجبال الزرقاء"، ومناطق أخرى ذات تلال قاحلة من الحجر الجيري أو الجرانيت. تاريخ حيدر آباد قصةٌ طويلةٌ حافلةٌ بالأحداث، بدأت قبل ثلاثة آلاف عام في عهد ملوك أندرا، واستمرت في عهد السلالات الهندوسية حتى

عام 1294 ميلادي، حين انتقلت إلى سلالةٍ من الحكام المسلمين الذين يحكمون حتى يومنا هذا.

يُوجد أروع عرض للعمارة والنحت والرسم في الهند كلها في حيدر آباد، وتحديدًا في كهوف إلورا وأجانتا القديمة المنحوتة على الصخور. يضم معبد كايلاسا في إلورا، وهو معبد ضخم، منحوتات لآلهة وبشر ووحوش بأبعاد مذهلة تُضاهي أعمال مايكل أنجلو. وتضم أجانتا خمس كاتدرائيات وخمسة وعشرين ديرًا.

جميع الحفريات الصخرية مدعومة بأعمدة جدارية ضخمة خلد عليها الفنانون والنحاتون عبقريتهم.

تتميز مدينة حيدر أباد بوجود جامعة عثمانية ومسجد مكة المهيب، حيث يجتمع عشرة آلاف من المسلمين للصلاة.

ولاية ميسور أيضًا أرضٌ خلابة، ترتفع ثلاثة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر، وتزخر بالغابات الاستوائية الكثيفة، وهي موطنٌ للأفيال البرية والبيسون والدببة والفهود والنمور. مدينتاها الرئيسيتان، بنغالور ومايسور، نظيفتان وجذابتان، وتضمان العديد من المتنزهات والحدائق العامة.

بلغت العمارة والنحت الهندوسيان ذروة كمالهما في ميسور تحت رعاية الملوك الهندوس من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر. ويُعدّ معبد بيلور، وهو تحفة فنية من القرن الحادي عشر،

أُنجزت في عهد الملك فيشنوفاردانا، تحفة فنية لا مثيل لها في العالم بفضل دقة تفاصيله وصوره النابضة بالحياة.

تعود الأعمدة الصخرية التي عُثر عليها في شمال ميسور إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وهي تُخلّد ذكرى الملك أشوكا. تولى أشوكا عرش سلالة موريا السائدة آنذاك، وشملت إمبراطوريته معظم الهند الحديثة وأفغانستان وبلوشستان. وقد ترك هذا الإمبراطور العظيم، الذي يعتبره حتى المؤرخون الغربيون حاكمًا لا يُضاهى، الحكمة التالية على نصب تذكاري صخري:

نُقش هذا النقش الديني لئلا يعتقد أبناؤنا وأحفادنا بضرورة فتح جديد؛ لئلا يظنوا أن الفتح بالسيف يستحق اسم الفتح؛ لئلا يروا فيه إلا الدمار والعنف؛ لئلا يعتبروا الفتح الحقيقي سوى فتح الدين. لهذه الفتوحات قيمة في الدنيا والآخرة.

أنا ورفاقي نقف أمام "الحلم الرخامي"، تاج محل في أغرا.

كان أشوكا حفيدًا لتشاندراجوبتا موريا الجبار (المعروف لدى الإغريق باسم ساندروكوتوس)، الذي التقى الإسكندر الأكبر في شبابه. لاحقًا، دمّر تشاندراجوبتا الحاميات المقدونية المتبقية في الهند، وهزم جيش سلوقس اليوناني الغازي في البنجاب،

ثم استقبل في بلاطه في باتنا السفير اليوناني ميغاستينس.

دوّن المؤرخون اليونانيون وغيرهم ممن رافقوا الإسكندر أو تبعوه في رحلته إلى الهند قصصًا شيقة للغاية بدقة. وقد ترجم الدكتور جيه دبليو مكريندل روايات أريان وديودوروس وبلوتارخ والجغرافي سترابو 41-3 لإلقاء الضوء على الهند القديمة. كان أبرز ما ميّز غزو الإسكندر الفاشل هو اهتمامه العميق بالفلسفة الهندوسية وباليوغيين والعلماء الذين التقى بهم من حين لآخر، والذين سعى جاهدًا للتواصل معهم. بعد وصول المحارب اليوناني إلى تاكسيلا في شمال الهند بفترة وجيزة، أرسل رسولًا، أونيسكريتوس، تلميذًا للمدرسة الهيلينية لديوجين، ليحضر معلمًا هنديًا، دانداميس، أحد كبار السنّاسيين في تاكسيلا.

"أهلًا بك يا معلم البراهمة!" قال أونيسكريتوس بعد أن بحث عن دانداميس في معتكفه بالغابة. "ابن الإله العظيم زيوس، الإسكندر، سيد البشر أجمعين، يطلب منك الذهاب إليه، فإن استجبت، سيكافئك بهدايا سخية، وإن رفضت، سيقطع رأسك!"

لقد تلقى اليوغي هذه الدعوة الإجبارية بهدوء، و"لم يرفع رأسه من فراشه المليء بالأوراق".

أنا أيضًا ابن زيوس، إن كان الإسكندر كذلك، علق قائلًا: "لا أريد شيئًا مما يملكه الإسكندر، فأنا راضٍ

بما لديّ، بينما أراه يجوب البحر والبر مع رجاله بلا فائدة، ولن ينتهي تجواله أبدًا.

اذهب وأخبر الإسكندر أن الله الملك الأعظم ليس خالقًا للظلم السافر، بل هو خالق النور والسلام والحياة والماء وجسد الإنسان والأرواح؛ وهو يتقبل جميع البشر عندما يحررهم الموت، دون أن يكون عرضة للأمراض الشريرة. هو وحده إله عبادتي، الذي يبغض القتل ولا يحرض على الحروب.

«الإسكندر ليس إلهًا، إذ لا بد أن يذوق الموت»، تابع الحكيم بازدراء هادئ. «كيف يُمكن لشخصٍ مثله أن يكون سيد العالم، وهو لم يتربع بعد على عرش السيادة الكونية الداخلية؟ ولم يدخل بعدُ إلى الجحيم حيًا، ولا يعرف مسار الشمس في أرجاء الأرض، بينما لم تسمع الأمم على حدودها اسمه قط!»

وبعد هذا العقاب، الذي كان بلا شك أشد العقاب الذي أُرسل على الإطلاق لمهاجمة آذان "سيد العالم"، أضاف الحكيم ساخراً: "إذا لم تكن ممتلكات الإسكندر الحالية كافية لتلبية رغباته، فليعبر نهر الجانج؛ هناك سيجد منطقة قادرة على إعالة جميع رجاله، إذا كانت البلاد على هذا الجانب ضيقة للغاية بحيث لا تتسع له".

"لكن اعلم أن ما يقدمه الإسكندر والهدايا التي يعد بها هي أشياء عديمة الفائدة بالنسبة لي على

الإطلاق؛ الأشياء التي أقدرها وأجدها ذات فائدة وقيمة حقيقية هي هذه الأوراق التي هي ملكي.

بيتي، هذه النباتات المزهرة التي تُغذيني يوميًا، والماء الذي أشربه؛ أما باقي الممتلكات التي تُجمع بحرص شديد، فعادةً ما تُفسد من يجمعها، ولا تُسبب سوى الحزن والضيق، اللذين يُثقلان كاهل كل إنسان فقير. أما أنا، فأستلقي على أوراق الغابة، لا أملك ما يُحميني، فأغمض عينيّ في نوم هادئ؛ أما لو كان لديّ ما أحميه، لطردتُ النوم. تُغذيني الأرض بكل شيء، كما تُغذي الأم طفلها بالحليب. أذهب حيثما أشاء، ولا أضطر إلى تحمل هموم تُثقل كاهلي.

لو قطع الإسكندر رأسي، فلن يستطيع أن يُهلك روحي أيضًا. سيبقى رأسي وحده، صامتًا آنذاك، تاركًا الجسد كثوب ممزق على الأرض، من حيث أُخذ. ثم، وأنا أصير روحًا، سأصعد إلى إلهي، الذي غلفنا جميعًا بالجسد وتركنا على الأرض لتُثبت ما إذا كنا، عندما نكون هنا على الأرض، سنعيش طائعين لأوامره، والذي سيطلب منا جميعًا، عندما نغادر من هنا إلى حضرته، حسابًا عن حياتنا، لأنه هو القاضي على كل خطأ متكبر؛ لأن أنين المظلومين يصبح عقابًا للظالم.

فليُرهب الإسكندر بهذه التهديدات أولئك الذين يرغبون في الثروة ويخشون الموت، لأن هذه الأسلحة عاجزة ضدنا؛ فالبراهمة لا يحبون الذهب

ولا يخشون الموت. اذهب إذن وقل للإسكندر: داندامیس ليس بحاجة إلى أي شيء مما تملكه، ولذلك لن يذهب إليك، وإذا أردت شيئًا من داندامیس، فتعال إليه.

تلقى الإسكندر رسالة اليوغي من خلال أونيسكريتوس باهتمام شديد، و"شعر برغبة أقوى من أي وقت مضى في رؤية داندامیس الذي، على الرغم من كبر سنه وعريه، كان الخصم الوحيد الذي التقى به هو، الفاتح للعديد من الأمم، أكثر من ند له".

دعا الإسكندر إلى تاكسيلا عددًا من الزاهدين البراهمة، المعروفين ببراعتهم في الإجابة على الأسئلة الفلسفية بحكمةٍ مُوجزة. ويروي بلوتارخ تفاصيل هذه المناوشة الكلامية؛ وقد صاغ الإسكندر بنفسه جميع الأسئلة.

"أيهما أكثر الأحياء أم الأموات؟"

"الأحياء، لأن الأموات ليسوا كذلك."

"أيهما يولد الحيوانات الأكبر حجماً، البحر أم الأرض؟"

"الأرض، فالبحر جزء من الأرض فقط."

"ما هو أذكى الحيوانات؟"

"ذلك الذي لم يعرفه الإنسان بعد." (الإنسان يخاف المجهول).

"أيهما كان موجودًا أولًا، النهار أم الليل؟"

كان اليوم الأول بيوم واحد. أثار هذا الرد دهشة الإسكندر؛ وأضاف البراهمي: "الأسئلة المستحيلة تتطلب إجابات مستحيلة".

"كيف يمكن للرجل أن يجعل نفسه محبوبًا؟"

"سيكون الرجل محبوبًا إذا كان يمتلك قوة عظيمة، ولكنه لا يجعل نفسه مخيفًا."

"كيف يمكن للإنسان أن يصبح إلهًا؟" 41-5

"من خلال القيام بما لا يستطيع الإنسان أن يفعله."

"أيهما أقوى الحياة أم الموت؟"

"الحياة، لأنها تحمل الكثير من الشرور."

نجح الإسكندر في إخراج يوغي حقيقي من الهند، مُعلّمًا له. كان هذا الرجل سوامي سفينيس، الذي يُطلق عليه اليونانيون اسم "كالانوس" لأن القديس، وهو مُتعبدٌ لله في صورة كالي، كان يُحيي الجميع بنطق اسمها الميمون.

رافق كالانوس الإسكندر إلى بلاد فارس. وفي يومٍ مُحدد، في مدينة سوسة بفارس، سلّم كالانوس جثمانه المُسنّ إلى محرقة جنازة على مرأى من الجيش المقدوني بأكمله. ويسجل المؤرخون دهشة الجنود الذين لاحظوا أن اليوغي لم يخشَ الألم أو الموت، ولم يتحرك من مكانه قط وهو يحترق في

النيران. وقبل أن يغادر لحرق جثته، عانق كالانوس جميع رفاقه المقربين، لكنه امتنع عن توديع الإسكندر، الذي اكتفى الحكيم الهندوسي بملاحظة:

"سوف أراك قريبا في بابل."

غادر الإسكندر بلاد فارس، وتوفي بعد عام في بابل. كانت كلمات معلمه الهندي بمثابة وعدٍ منه بأنه سيرافق الإسكندر في حياته ومماته.

ترك لنا المؤرخون اليونانيون صورًا حيةً وملهمةً للمجتمع الهندي. يخبرنا أريان أن القانون الهندوسي يحمي الشعب، و"ينص على ألا يكون أيٌّ منهم عبدًا تحت أي ظرف من الظروف، بل عليهم، وهم يتمتعون بالحرية، أن يحترموا الحق المتساوي للجميع فيها. ورأوا أن من لم يتعلموا التسلط على الآخرين أو الخضوع لهم سيبلغون الحياة الأنسب لمواجهة جميع تقلبات المصير". 41-6

يقول نص آخر: "الهنود لا يقرضون أموالهم بالربا، ولا يعرفون كيف يقترضون. ومن المخالف للعرف السائد أن يرتكب الهندي ظلمًا أو يُصاب به، ولذلك لا يُبرمون عقودًا ولا يطلبون ضمانات". ويُقال إن الشفاء كان بوسائل بسيطة وطبيعية. "تُجرى العلاجات بتنظيم النظام الغذائي بدلًا من استخدام الأدوية. العلاجات الأكثر تقديرًا هي المراهم واللصقات. أما غيرها، فتُعتبر ضارة إلى حد كبير". اقتصرت المشاركة في الحرب على طبقة

الكشاتريا أو المحاربين. "ولن يُلحق عدوٌّ بمزارعٍ في أرضه أي ضرر، لأن رجال هذه الطبقة يُعتبرون مُحسنين، وهم محميون من أي ضرر. وهكذا، فإن بقاء الأرض سليمةً ومُنتجةً محاصيل وفيرة، يُوفر للسكان مُتطلبات الحياة المُمتعة". 41-7

قرر الإمبراطور شاندرا جوبتا، الذي هزم سلوقس، قائد الإسكندر عام 305 قبل الميلاد، بعد سبع سنوات تسليم مقاليد الحكم في الهند لابنه. سافر شاندرا جوبتا إلى جنوب الهند، وقضى السنوات الاثنتي عشرة الأخيرة من حياته زاهدًا مُفلسًا، ساعيًا إلى تحقيق ذاته في كهف صخري في سرافانابيلاجولا، الذي يُعتبر الآن مزارًا في ميسور. وبالقرب منه، يقف أكبر تمثال في العالم، نحته الجينيون من صخرة ضخمة عام 983 ميلاديًا تكريمًا للقديس كوماتيسوارا.

تُعدّ الأضرحة الدينية المنتشرة في ميسور تذكيرًا دائمًا بالعديد من الأولياء العظام في جنوب الهند. وقد ترك لنا أحد هؤلاء الأساتذة، ثايومانافار، القصيدة التالية المليئة بالتحديات:

يمكنك التحكم في فيل مجنون؛ يمكنك إغلاق فم الدب والنمر؛ يمكنك ركوب الأسد؛ يمكنك اللعب مع الكوبرا؛ باستخدام الكيمياء يمكنك كسب عيشك؛ يمكنك التجول في الكون متخفيًا؛ يمكنك جعل أتباع الآلهة؛ يمكنك أن تكون شابًا إلى الأبد؛ يمكنك

المشي على الماء والعيش في النار؛ لكن السيطرة على العقل أفضل وأصعب.

في ولاية تراڤنكور الجميلة والخصبة في أقصى جنوب الهند، حيث تنتقل حركة المرور عبر الأنهار والقنوات، يتولى المهراجا كل عام واجبًا وراثيًا بالتكفير عن خطايا الحروب وضمّ عدة ولايات صغيرة إلى تراڤنكور في الماضي البعيد. يزور المهراجا المعبد ثلاث مرات يوميًا لمدة ستة وخمسين يومًا سنويًا لسماع الترانيم والتراتيل الفيدية؛ وينتهي مراسم التكفير بإضاءة المعبد بمئة ألف مصباح.

حدد المشرع الهندوسي العظيم مانو ٤١-٨ واجبات الملك. "عليه أن يُغدق النعم كإندرا (إله الآلهة)؛ وأن يجمع الضرائب بهدوء ويسر كما تتبخر الشمس من الماء؛ وأن يتدخل في حياة رعيته كما تهب الرياح؛ وأن يُنصف الجميع كياما (إله الموت)؛ وأن يُقيد المخالفين في حبل المشنقة كفارونا (إله السماء والريح الفيدية)؛ وأن يُرضي الجميع كقمر، وأن يُحرق الأعداء الأشرار كإله النار؛ وأن يُنصر الجميع كإلهة الأرض".

في الحرب، لا يجوز للملك أن يقاتل بأسلحة سامة أو نارية، ولا أن يقتل أعداءً ضعفاء أو غير مستعدين أو عُزّلًا، أو رجالًا خائفين أو يطلبون الحماية أو هاربين. لا يُلجأ إلى الحرب إلا كملاذ أخير. فالنتائج دائمًا ما تكون مشكوكًا فيها في الحرب.

تحتوي رئاسة مدراس على الساحل الجنوبي الشرقي للهند على مدينة مدراس المسطحة والواسعة والمحاطة بالبحر، وكونجيفيرام، المدينة الذهبية، موقع عاصمة سلالة بالافا التي حكم ملوكها

خلال القرون الأولى من العصر المسيحي. في رئاسة مدراس الحديثة، حققت مُثُل المهاتما غاندي اللاعنفية تقدمًا كبيرًا؛ حيث تُرى قبعات غاندي البيضاء المميزة في كل مكان. في الجنوب، أجرى المهاتما عمومًا العديد من إصلاحات المعابد المهمة للمنبوذين، بالإضافة إلى إصلاحات في نظام الطبقات.

كان أصل نظام الطبقات، الذي صاغه المشرع العظيم مانو، مثيرًا للإعجاب. فقد رأى بوضوح أن البشر يتميزون بالتطور الطبيعي إلى أربع طبقات رئيسية: القادرون على خدمة المجتمع من خلال عملهم البدني (السودرا)؛ والذين يخدمون من خلال العقلية والمهارة والزراعة والتجارة والتبادل التجاري والحياة التجارية بشكل عام (الفايسياس)؛ والذين يتمتعون بمواهب إدارية وتنفيذية وحامية - حكام ومحاربون (كشاتريا)؛ وأولئك ذوو الطبيعة التأملية، الملهمون روحيًا والمُلهمون (البراهمة). "لا يمكن للميلاد ولا الأسرار ولا الدراسة ولا النسب أن يحدد ما إذا كان الشخص مولودًا مرتين (أي براهميًا)؛" كما تنص المهابهاراتا، "الشخصية والسلوك فقط هما اللذان يحددان ذلك". 41-9.

وجّه مانو المجتمع إلى احترام أعضائه بقدر ما يمتلكون من حكمة وفضيلة وعمر وقرابة، وأخيرًا، ثروة. لطالما كانت الثروات في الهند الفيدية موضع احتقار إذا ما كُدّست أو لم تكن متاحة للأغراض الخيرية. وكان أصحاب الثروات الطائلة يُمنحون مكانة اجتماعية متدنية.

نشأت شرورٌ جسيمة عندما ترسّخ نظام الطبقات عبر القرون ليتحول إلى قيدٍ وراثي. يُحرز مصلحون اجتماعيون، أمثال غاندي، وأفرادٌ من مجتمعاتٍ عديدةٍ في الهند اليوم تقدمًا بطيئًا، وإن كان ثابتًا، في استعادة القيم القديمة للنظام الطبقي، القائمة على المؤهلات الطبيعية فقط لا على المولد. لكل أمةٍ على وجه الأرض كارماها الخاصة المُسببة للبؤس التي يجب التعامل معها والتخلص منها؛ والهند أيضًا، بروحها المرنة والحصينة، ستُثبت جدارتها في مهمة إصلاح نظام الطبقات.

جنوب الهند ساحرٌ لدرجة أنني والسيد رايت تمنينا إطالة أمد غنائنا. لكن الزمن، بقسوته السحيقة، لم يُوفِّر لنا أيَّ تمديداتٍ لائقة. كان من المقرر قريبًا أن أُلقي كلمةً في الجلسة الختامية للمؤتمر الفلسفي الهندي في جامعة كلكتا. وفي ختام زيارتي إلى ميسور، استمتعتُ بحديثٍ مع السير سي. في. رامان، رئيس الأكاديمية الهندية للعلوم. مُنح هذا الفيزيائي الهندوسي اللامع جائزة نوبل عام ١٩٣٠

لاكتشافه المهم في انتشار الضوء - "تأثير رامان" المعروف الآن لكلِّ تلميذ.

لوّحنا أنا والسيد رايت بوداعٍ مُتردد لحشدٍ من طلاب مدراس وأصدقائهم، ثم انطلقنا شمالًا. في طريقنا، توقفنا أمام ضريح صغير مُقدّس لذكرى ساداسيفا براهمان، الذي تكثر في سيرته الذاتية في القرن الثامن عشر المعجزات. أما ضريح ساداسيفا الأكبر في نيرور، الذي أقامه راجا بودوكوتاي، فهو مزارٌ شهد العديد من الشفاءات الإلهية.

لا تزال قصص ساداسيفا، المعلم المحبوب والمستنير، تتردد بين قرويي جنوب الهند. في أحد الأيام، بينما كان ساداسيفا غارقًا في حالة صمت على ضفة نهر كافيري، شوهد وقد جرفه فيضان مفاجئ. بعد أسابيع، عُثر عليه مدفونًا تحت كومة من التراب. وبينما كانت مجارف القرويين تضرب جسده، نهض القديس ومشى مبتعدًا بخطى سريعة.

لم ينطق ساداسيفا بكلمة ولم يرتدِ ثوبًا. في صباح أحد الأيام، دخل يوغي عاريًا خيمة زعيم مسلم دون مراسم رسمية. صرخت سيداته بفزع؛ فوجّه المحارب ضربة سيف وحشية إلى ساداسيفا، فبترت ذراعه. غادر المعلم دون اكتراث.

غلب الندم المسلم، فرفع ذراعه من الأرض وتبع ساداسيفا. أدخل اليوغي ذراعه بهدوء في الجذع النازف. وعندما طلب المحارب بتواضع بعض

الإرشاد الروحي، كتب ساداسيفا بإصبعه على الرمال:

"لا تفعل ما تريد، وبعد ذلك يمكنك أن تفعل ما تريد."

لقد ارتفع المسلم إلى حالة ذهنية راقية، وفهم نصيحة القديس المتناقضة بأنها دليل على حرية الروح من خلال السيطرة على الأنا.

عبّر أطفال القرية ذات مرة عن رغبتهم في حضور ساداسيفا لرؤية مهرجان مادورا الديني، على بُعد 150 ميلاً. أشار اليوغي إلى الصغار بأن يلمسوا جسده. وفجأة، نُقلت المجموعة بأكملها إلى مادورا. تجول الأطفال بسعادة بين آلاف الحجاج. وفي غضون ساعات قليلة، أعاد اليوغي أطفاله الصغار إلى منازلهم بسيارة بسيطة. سمع الوالدان المذهولان قصص موكب الصور المفعمة بالحيوية، ولاحظا أن العديد من الأطفال كانوا يحملون أكياسًا من حلوى مادورا.

سخر شابٌّ من القديس ومن قصته في دهشة. وفي صباح اليوم التالي، توجه إلى ساداسيفا.

"قال بازدراء، يا سيدي، لماذا لا تأخذني إلى المهرجان، كما فعلت بالأمس مع الأطفال الآخرين؟"

امتثل ساداسيفا؛ فوجد الصبي نفسه على الفور بين حشد المدينة البعيدة. ولكن يا للأسف! أين كان القديس عندما أراد الشاب المغادرة؟ وصل الصبي المنهك إلى منزله بالطريقة القديمة والمملة للمشي على الأقدام.

41-1: لم تتمكن السيدة بليتش من الحفاظ على الوتيرة النشطة التي حددها السيد رايت وأنا، وبقيت سعيدة مع أقاربي في كلكتا.

41-2: هذا السد، وهو منشأة كهرومائية ضخمة، يُنير مدينة ميسور ويزود مصانع الحرير والصابون وزيت خشب الصندل بالطاقة. تتميز تذكارات خشب الصندل من ميسور برائحة زكية لا ينضبها الزمن؛ وخزة خفيفة تُنعش الرائحة. تفتخر ميسور ببعض أكبر المشاريع الصناعية الرائدة في الهند، بما في ذلك مناجم كولار للذهب، ومصنع ميسور للسكر، ومصانع الحديد والصلب الضخمة في بهادرافاتي، وخط سكة حديد ولاية ميسور الاقتصادي والفعال الذي يغطي مساحة كبيرة من الولاية البالغة 30,000 ميل مربع.

توفي مؤخرًا المهراجا ويوفاراجا اللذان استضافاني في ميسور عام ١٩٣٥. ابن يوفاراجا، المهراجا الحالي، حاكمٌ مغامر، وقد أضاف إلى صناعات ميسور مصنعًا كبيرًا للطائرات.

41-3: ستة مجلدات عن الهند القديمة (كلكتا، 1879).

٤١-٥: لم يعبر الإسكندر ولا أيٌّ من قادته نهر الجانج قط. ولما واجه الجيش المقدوني مقاومةً شديدةً في الشمال الغربي، رفض التوغل أكثر؛ فاضطر الإسكندر إلى مغادرة الهند والسعي وراء فتوحاته في بلاد فارس.

41-5: من هذا السؤال يمكننا أن نستنتج أن "ابن زيوس" كان لديه شك عرضي في أنه قد بلغ الكمال بالفعل.

41-6: يعلق جميع المراقبين اليونانيين على غياب العبودية في الهند، وهي سمة تتعارض تمامًا مع بنية المجتمع اليوناني.

41-7: يقدم كتاب الهند الإبداعية للبروفيسور بينوي كومار ساركار صورة شاملة للهند القديمة والحديثة

إنجازاته وقيمه المتميزة في الاقتصاد والعلوم السياسية والأدب والفن والفلسفة الاجتماعية. (لاهور: موتيلال بنارسي داس، الناشرون، ١٩٣٧، ٧١٤ صفحة، ٥ دولارات).

ومن بين المجلدات الموصى بها كتاب "الثقافة الهندية عبر العصور" للكاتب إس. في. فيناتيسفارا (نيويورك: لونجمانز، جرين وشركاه، 5.00 دولار).

٤١-٨: مانو هو المُشرِّع العالمي؛ ليس للمجتمع الهندوسي فحسب، بل للعالم أجمع. جميع أنظمة اللوائح الاجتماعية الحكيمة، بل وحتى العدالة، مُستوحاة من مانو. وقد أشاد نيتشه به قائلاً: "لا أعرف كتابًا يُقال فيه هذا القدر من الرقة واللطف للمرأة كما في كتاب مانو؛ فهؤلاء الشيوخ ذوو اللحى البيضاء والقديسون لديهم كرمٌ تجاه النساء ربما لا يُضاهى... عملٌ فكريٌّ فائق الرقي... زاخرٌ بالقيم النبيلة، مليءٌ بشعورٍ بالكمال، بقولٍ مُباركٍ للحياة، وإحساسٍ مُنتصرٍ بالرفاهية فيما يتعلق بذاته وبالحياة؛ تُشرق الشمس على الكتاب بأكمله".

٤١-٩: "كان الانضمام إلى إحدى هذه الطبقات الأربع يعتمد في الأصل على قدرات الإنسان الفطرية، لا على ميلاده، كما يتضح من هدفه في الحياة الذي اختار تحقيقه"، هذا ما جاء في مقال نُشر في مجلة إيست-ويست في يناير ١٩٣٥. "قد يكون هذا الهدف (١) الكاما، الرغبة، نشاط الحياة الحسية (مرحلة سودرا)، (٢) أرثا، الكسب، إشباع الرغبات والتحكم فيها (مرحلة فايسيا)، (٣) دارما، ضبط النفس، حياة المسؤولية والعمل الصالح (مرحلة كشاتريا)، (٤) موكشا، التحرر، حياة الروحانية والتعاليم الدينية (مرحلة براهمين). تخدم هذه الطبقات الأربع البشرية من خلال (١) الجسد، (٢) العقل، (٣) قوة الإرادة، (٤) الروح.

هذه المراحل الأربع تتطابق في الغونات الأبدية أو صفات الطبيعة، التاماس، والراجاس، والساتفا: العائق، والنشاط، والتوسع؛ أو الكتلة، والطاقة، والذكاء. تُحدد الغونات الطبقات الطبيعية الأربع على النحو التالي: (1) التاماس (الجهل)، (2) التاماس-راجاس (مزيج من الجهل والنشاط)، (3) الراجاس-ساتفا (مزيج من النشاط الصحيح والتنوير)، (4) الساتفا (التنوير). وهكذا، ميّزت الطبيعة كل إنسان بطبقته، بهيمنة واحدة أو مزيج من اثنتين من الغونات عليه. وبالطبع، يمتلك كل إنسان الغونات الثلاث بنسب متفاوتة. وسيكون المعلم قادرًا على تحديد طبقة الإنسان أو حالته التطورية بدقة.

إلى حدٍّ ما، تُراعي جميع الأعراق والأمم، عمليًا، إن لم يكن نظريًا، سمات النظام الطبقي. فحيثما وُجدت حريةٌ واسعة، وخاصةً في التزاوج بين أطيافٍ متطرفة في الطبقات الطبيعية، يتضاءل الجنس البشري وينقرض. تُشبّه "بورانا سامهيتا" ذرية هذه الزيجات بالهجينات العقيمة، كالبغل العاجز عن تكاثر نوعه. فالأنواع الاصطناعية تُباد في النهاية. ويُقدّم التاريخ أدلةً وافرة على وجود أعراق عظيمة عديدة لم يعد لها ممثلون أحياء. ويُنسب إلى نظام الطبقات في الهند، من قِبل أعمق مفكريها، الفضل في كونه المانع أو المانع من الانحلال الذي حافظ على نقاء الجنس البشري وأوصله بأمان عبر آلاف

السنين من التقلبات، بينما اندثرت أعراق أخرى في غياهب النسيان.

41-10: لقبه الكامل كان سري ساداسيفيندرا ساراسواتي سوامي. كتب الوريث اللامع في خط شانكارا الرسمي، Jagadguru Sri Shankaracharya من Sringeri Math، قصيدة ملهمة مخصصة لساداسيفا. نشرت مجلة الشرق والغرب لشهر يوليو 1942 مقالًا عن حياة ساداسيفا.

الفصل: 42

الأيام الأخيرة مع معلّمي

يا غوروجي، سررتُ برؤيتكَ وحدكَ هذا الصباح. كنتُ قد وصلتُ لتوي إلى دير سيرامبور، حاملاً حمولةً عطرةً من الفاكهة والورود. نظر إليّ سري يوكتسوار بنظرةٍ خجولة.

"ما هو سؤالك؟" نظر المعلم حول الغرفة كما لو كان يبحث عن مخرج.

يا غورو جي، جئتُ إليكَ في سنّ المراهقة، والآن أنا رجلٌ ناضج، حتى مع شعرةٍ رمادية. مع أنك أغدقت عليّ عاطفةً خفيةً منذ الساعة الأولى وحتى الآن، هل تدرك أنك قلتَ لي يومًا: "أحبك" مرةً واحدةً فقط، يوم لقائنا؟ نظرتُ إليه متوسلًا.

خفض المعلم بصره. "يوغاناندا، هل عليّ أن أُخرج إلى عوالم الكلام الباردة تلك المشاعر الدافئة التي يحفظها القلب الصامت؟"

"جورو جي، أنا أعلم أنك تحبني، ولكن أذني البشرية تتألم لسماعك تقول ذلك."

ليكن ما شئت. خلال حياتي الزوجية، لطالما تمنيتُ ابنًا لأُدرّبه على نهج اليوغا. لكن عندما دخلتَ حياتي، شعرتُ بالرضا؛ ففيكَ وجدتُ ابني. ارتسمت دمعتان صافيتان في عيني سري يوكتسوار. "يوغاناندا، أحبك دائمًا."

"إجابتك هي جواز سفري إلى الجنة." شعرتُ بثقلٍ ينزاح عن قلبي، يذوب للأبد عند كلماته. لطالما تساءلتُ عن صمته. أدركتُ أنه كان بلا مشاعر ومنطويًا على ذاته، لكنني خشيت أحيانًا أنني لم أنجح في إرضائه تمامًا. كانت طبيعته غريبة، لم تُكتشف تمامًا؛ طبيعة عميقة وساكنة، لا يُسبر غورها العالم الخارجي، الذي تجاوز قيمه طويلًا.

بعد بضعة أيام، عندما ألقيتُ كلمةً أمام جمهورٍ غفير في قاعة ألبرت في كلكتا، وافق سري يوكتسوار على الجلوس بجانبي على المنصة، مع مهراجا سانتوش وعمدة كلكتا. مع أن المعلم لم يُبدِ أيَّ ملاحظةٍ لي، إلا أنني كنتُ أُلقي عليه نظرةً خاطفةً من حينٍ لآخر أثناء خطابي، وظننتُ أنني لمستُ بريقًا من السرور في عينيه.

ثم جاءت محاضرة أمام خريجي كلية سيرامبور. وبينما كنتُ أتأمل زملائي القدامى، وهم ينظرون إلى "راهبهم المجنون"، انهمرت دموع الفرح دون خجل. تقدم أستاذي الفصيح، الدكتور غوشال، ليُحييني، وقد بدد الزمن الكيميائي جميع سوء الفهم الذي جمعنا في الماضي.

احتُفل بمهرجان الانقلاب الشتوي في نهاية ديسمبر في صومعة سيرامبور. وكما جرت العادة، اجتمع تلاميذ سري يوكتسوار من كل حدب وصوب. صلوات سانكيرتانية، وعزف منفرد بصوت كريستو-دا العذب، ووليمة أقامها التلاميذ الشباب، وخطاب المعلم المؤثر تحت النجوم في فناء الأشرم المزدحم - ذكريات، ذكريات! مهرجانات بهيجة من سنوات مضت! لكن الليلة، مع ذلك، ستكون هناك ميزة جديدة.

يوغاناندا، من فضلك خاطب الجمع باللغة الإنجليزية. لمعت عينا المعلم وهو يقدم هذا الطلب الغريب؛ هل كان يفكر في المأزق الذي واجهته على متن السفينة قبل محاضرتي الأولى باللغة الإنجليزية؟ رويت القصة لجمهوري من الإخوة التلاميذ، واختتمت بإشادة حارة بمعلمنا.

"لقد كانت إرشاداته الدائمة معي ليس فقط على متن الباخرة البحرية،" استنتجت، "ولكن يوميًا طوال الخمسة عشر عامًا التي قضيتها في أرض أمريكا الشاسعة والمضيافة."

بعد مغادرة الضيوف، دعاني سري يوكتسوار إلى الغرفة نفسها التي سُمح لي فيها - لمرة واحدة فقط، بعد احتفالٍ في طفولتي - بالنوم على سريره الخشبي. الليلة، كان معلّمي جالسًا هناك بهدوء، وتلاميذه نصف دائرة عند قدميه. ابتسم لي وأنا أدخل الغرفة بسرعة.

يوغاناندا، هل ستغادر الآن إلى كلكتا؟ تفضل بالعودة غدًا. لديّ بعض الأمور لأخبرك بها.

وفي عصر اليوم التالي، وبعد بضع كلمات بسيطة من البركة، منحني سري يوكتسوار اللقب الرهباني الإضافي باراماهانسا.

قال وأنا أركع أمامه: "إنه الآن يحل رسميًا محل لقبك السابق سوامي". ضحكتُ ضحكة مكتومة، وفكرتُ في المعاناة التي سيخوضها طلابي الأمريكيون في نطق كلمة باراماهانساجي.

"انتهت مهمتي على الأرض؛ عليك أن تُكمل." قال المعلم بهدوء، وعيناه هادئتان ولطيفتان. كان قلبي يخفق خوفًا.

"أرجوكم، أرسلوا شخصًا ليتولى مسؤولية أشرمنا في بوري"، تابع سري يوكتسوار. "أترك كل شيء بين أيديكم. ستتمكنون من الإبحار بنجاح في سفينة حياتكم وسفن منظمتكم إلى بر الأمان."

كنت أحتضن قدميه وأنا أبكي، فقام وباركني بحنان.

"في اليوم التالي استدعيت من رانشي تلميذاً، سوامي سيباناندا، وأرسلته إلى بوري لتولي واجبات الصومعة. 42-3 وفي وقت لاحق ناقش معلّمي معي التفاصيل القانونية لتسوية تركته؛ كان حريصًا على منع إمكانية التقاضي من قبل الأقارب، بعد وفاته، للحصول على حيازة صومعته وممتلكاته الأخرى، التي كان يرغب في التنازل عنها لأغراض خيرية فقط.

اتُّخذت ترتيباتٌ مؤخرًا لزيارة المعلم كيدربور، 42-4، لكنه لم يذهب. قال لي أمولايا بابو، أحد تلاميذه، هذه الملاحظة في ظهيرة أحد الأيام؛ فشعرتُ بموجةٍ من الترقب. وعلى استفساراتي المُلِحّة، أجاب سري يوكتسوار: "لن أذهب إلى كيدربور بعد الآن". ارتجف المعلم للحظةٍ كطفلٍ خائف.

(كتب باتانجالي، 42-5، "إن التعلق بالإقامة الجسدية، الناشئ من طبيعته الخاصة [أي الناشئ عن جذور سحيقة، وتجارب سابقة مع الموت]، موجود بدرجة طفيفة حتى في القديسين العظماء". في بعض خطاباته عن الموت، كان معلّمي معتادًا على الإضافة: "كما يتردد الطائر الذي ظل في قفص طويل في مغادرة منزله المعتاد عندما يُفتح الباب.")

"جوروجي،" توسلت إليه مع شهقة بكاء، "لا تقل هذا! لا تقل لي هذه الكلمات أبدًا!"

ارتسمت على وجه سري يوكتسوار ابتسامة هادئة. ورغم اقترابه من الحادية والثمانين، بدا بصحة جيدة وقوة.

بينما كنت أستمتع يومًا بعد يوم بأشعة شمس حب معلّمي، الذي لم يُنطق به ولكن شعرت به بشدة، طردت من عقلي الواعي التلميحات المختلفة التي أعطاني إياها حول رحيله الوشيك.

سيدي، يُعقد مهرجان كومبا ميلا هذا الشهر في الله أباد. أريتُ سيدي مواعيد المهرجان في تقويم بنغالي. ٤٢-٦

"هل تريد الذهاب حقًا؟"

ولما لم أشعر بتردد سري يوكتسوار في أن أتركه، تابعت: "لقد رأيت ذات مرة المنظر المبارك لباباجي في احتفال كومبا بالله أباد. ولعلني سأكون محظوظًا هذه المرة لأراه".

لا أظن أنك ستلتقي به هناك. ثم صمت معلّمي، خشية أن يعرقل خططي.

عندما انطلقتُ إلى الله آباد في اليوم التالي مع مجموعة صغيرة، باركني المعلم بهدوء كعادته. يبدو أنني كنتُ غافلاً عن دلالات موقف سري يوكتسوار، لأن الله أراد أن يجنبني تجربة الاضطرار، عاجزاً، لحضور رحيل معلّمي. لطالما حدث في حياتي أنه

عند وفاة أحبائي، رتّب الله برحمته أن أكون بعيداً عن المشهد. 42-7

وصلت مجموعتنا إلى مهرجان كومبا ميلا في 23 يناير 1936. كان الحشد الهائل الذي يقارب مليوني شخص مشهدًا مهيبًا، بل ساحقًا. تكمن عبقرية الشعب الهندي الفريدة في التبجيل الفطري حتى لدى أبسط الفلاحين لقيمة الروح، وللرهبان والسادوس الذين هجروا الدنيا سعيًا وراء ملاذٍ روحاني. صحيح أن هناك دجالين ومنافقين، لكن الهند تحترم الجميع من أجل القلة التي تُنير الأرض ببركات سماوية. حظي الغربيون الذين شاهدوا هذا المشهد الهائل بفرصة فريدة لجس نبض الأرض، والحماسة الروحية التي تدين لها الهند بحيويتها التي لا تنطفئ أمام عواصف الزمن.

المرأة اليوغية، شانكاري ماي جيو، هي التلميذة الوحيدة الباقية لسوامي تريلانجا العظيم.

الشخص ذو العمامة الجالس بجانبها مباشرةً هو سوامي بينوياناندا، مدير مدرسة رانشي لليوغا للبنين في بيهار. التُقطت الصورة في مهرجان هاردوار كومبا ميلا عام ١٩٣٨، وكانت القديسة آنذاك تبلغ من العمر ١١٢ عامًا.

كريشناناندا، في مهرجان كومبا ميلا في الله أباد عام 1936، مع لبؤته النباتية الأليفة.

فناء تناول الطعام في الطابق الثاني من صومعة سري يوكتسوار في سيرامبور. أجلس (في المنتصف) عند قدمي معلّمي.

قضت مجموعتنا اليوم الأول في التحديق المحض. هنا كان هناك عدد لا يُحصى من المستحمين، يغطسون في النهر المقدس لمغفرة الخطايا؛ وهناك رأينا طقوس عبادة مهيبة؛ وهناك كانت القرابين التعبدية تُنثر عند أقدام القديسين المتربة؛ وبدورنا، رأينا صفًا من الأفيال والخيول المُجهزة وجمال راجبوتانا البطيئة، أو موكبًا دينيًا غريبًا من...

السادهو العراة، الذين يلوحون بالصولجانات الذهبية والفضية، أو الأعلام واللافتات من المخمل الحريري.

جلس النساك، مرتدون مآزر فقط، في مجموعات صغيرة، بهدوء، وقد لطخت أجسادهم بالرماد الذي يحميهم من الحر والبرد. وظهرت العين الروحية بوضوح على جباههم ببقعة واحدة من معجون خشب الصندل. وظهر السوامي حليقو الرؤوس بالآلاف، مرتدين ثيابًا صفراء، حاملين عصي الخيزران ووعاء التسول. أشرقت وجوههم بسلام الزاهدين وهم يتجولون أو يجرون نقاشات فلسفية مع أتباعهم.

هنا وهناك تحت الأشجار، وحول أكوام ضخمة من جذوع الأشجار المشتعلة، كان هناك سادهو رائعو

الجمال، شعرهم مضفر ومكدس على شكل لفائف فوق رؤوسهم. بعضهم كان يرتدي لحى طولها عدة أقدام، ملفوفة ومربوطة في عقدة. كانوا يتأملون بهدوء، أو يمدون أيديهم مباركين للحشود المارة - متسولون، مهراجا على فيلة، نساء يرتدين الساري متعدد الألوان - أساورهن وخلاخيلهن ترن، فقراء بأذرع نحيلة مرفوعة بشكل غريب، براهماشاريون يحملون دعامات مرفق للتأمل، حكماء متواضعون أخفى وقارهم نعيمًا داخليًا. عالياً فوق الضجيج، سمعنا نداءات أجراس المعبد المتواصلة.

في يومنا الثاني من الميلا، دخلتُ أنا ورفاقي إلى أشرمات وأكواخ مؤقتة مختلفة، نقدّم فيها البرونامات لشخصيات قديسة. تلقينا بركة زعيم فرع جيري من نظام سوامي، وهو راهب نحيل زاهد ذو عينين تشعّان بالنور. في زيارتنا التالية، زرنا ديرًا كان معلمه الروحي يلتزم على مدى السنوات التسع الماضية بنذور الصمت واتباع نظام غذائي صارم قائم على الفاكهة. على المنصة المركزية في قاعة الأشرم، جلس سادهو أعمى، يُدعى براغلا تشاكشو، عارفًا عميقًا بالشاسترا، ويحظى بتبجيل كبير من جميع الطوائف.

بعد أن ألقيتُ محاضرةً قصيرةً باللغة الهندية عن الفيدانتا، غادرت مجموعتنا الدير الهادئ لنُحيي سواميًا قريبًا، كريشناناندا، راهبًا وسيمًا ذا وجنتينورديتين ومنكبين بارزين. كانت تتكئ بقربه لبؤةٌ

أليفة. مستسلمةً لسحر الراهب الروحي - لا، على ما أعتقد، لقوته الجسدية! - يرفض هذا الحيوان البري جميع أنواع اللحوم مُفضّلًا الأرز والحليب. علّم السوامي هذا الوحش ذو الشعر الأسمر أن ينطق بكلمة "أوم" بصوتٍ عميقٍ وجذاب - مُحبٌّ للقطط!

لقاءنا التالي، وهو مقابلة مع شاب مثقف، موصوف بشكل جيد في مذكرات السفر الرائعة للسيد رايت.

ركبنا في فورد عبر نهر الجانج المنخفض جدًا على جسر عائم صرير، زحفنا كالأفعى بين الحشود وعبر أزقة ضيقة متعرجة، مارِّين بالموقع على ضفة النهر الذي أشار إليه يوغاناداجي كمكان التقاء باباجي وسري يوكتسوارجي. ترجَّلنا من السيارة بعد قليل، وسرنا مسافةً عبر الدخان الكثيف المتصاعد من نيران السادهو، وفوق الرمال الزلقة، لنصل إلى مجموعة من الأكواخ الصغيرة المتواضعة جدًا المصنوعة من الطين والقش. توقفنا أمام أحد هذه المساكن المؤقتة البسيطة، بمدخل قزم بلا أبواب، كان مأوى كارا باتري، وهو سادهو شاب متجول معروف بذكائه الاستثنائي. جلس هناك، متربعًا على كومة من القش، غطاؤه الوحيد - وبالمناسبة، كل ما يملكه - قطعة قماش مغرة ملفوفة على كتفيه.

"لقد ابتسم لنا وجه إلهي حقًا بعد أن زحفنا على أربع إلى الكوخ ووقفنا عند أقدام هذه الروح المستنيرة، بينما كان فانوس الكيروسين عند المدخل يومض بشكل غريب،

ظلال راقصة على الجدران القشية. وجهه، وخاصة عيناه وأسنانه الناصعة، كان يشعّ بريقًا وإشراقًا. مع أنني حيّرتني اللغة الهندية، إلا أن تعابير وجهه كانت كاشفة للغاية؛ كان مليئًا بالحماس والحب والمجد الروحي. لا يمكن لأحد أن يخطئ في تقدير عظمته.

"تخيل الحياة السعيدة لشخص غير مرتبط بالعالم المادي؛ خالي من مشكلة الملابس؛ خالي من الرغبة الشديدة في الطعام، لا يتسوّل أبدًا، لا يلمس الطعام المطبوخ إلا في أيام متبادلة، لا يحمل وعاءً للتسول أبدًا؛ خالي من كل التشابكات المالية، لا يتعامل مع المال أبدًا، لا يخزن الأشياء بعيدًا، دائمًا واثقًا من الله؛ خالي من هموم النقل، لا يركب المركبات أبدًا، بل يمشي دائمًا على ضفاف الأنهار المقدسة؛ لا يبقى في مكان واحد لأكثر من أسبوع من أجل تجنب أي نمو في التعلق.

يا له من روح متواضعة! مُلِمٌّ بالفيدا على نحوٍ غير عادي، وحاصل على درجة الماجستير ولقب شاستري (أستاذ في الكتب المقدسة) من جامعة بنارس. غمرني شعورٌ سامٍ وأنا أجلس عند قدميه؛ بدا لي كل ذلك استجابةً لرغبتي في رؤية الهند الحقيقية، الهند القديمة، فهو ممثلٌ حقيقيٌّ لهذه الأرض المليئة بالعمالقة الروحيين.

سألتُ كارا باتري عن ترحاله: "أليس لديك ملابس إضافية للشتاء؟"

"لا، هذا يكفي."

هل تحمل أي كتب؟

"لا، أنا أعلم من الذاكرة هؤلاء الأشخاص الذين يرغبون في الاستماع إلي."

ماذا تفعل أيضًا؟

"أنا أتجول على طول نهر الجانج."

عند سماع هذه الكلمات الهادئة، غمرني شوقٌ لبساطة حياته. تذكرت أمريكا، وكل المسؤوليات الملقاة على عاتقي.

"لا، يوغاناندا،" فكرت بحزن للحظة، "في هذه الحياة، التجوال على ضفاف نهر الجانج ليس من أجلك."

بعد أن أخبرني السادهو ببعض إدراكاته الروحية، طرحت سؤالاً مفاجئًا.

"هل أنت تعطي هذه الأوصاف من التراث الكتابي، أم من الخبرة الداخلية؟"

"نصفها من خلال التعلم من الكتب"، أجاب بابتسامة واضحة، "والنصف الآخر من خلال الخبرة".

جلسنا بسعادةٍ في صمتٍ مُتأمل. بعد أن غادرنا حضرته المقدسة، قلتُ للسيد رايت: "إنه ملكٌ جالسٌ على عرشٍ من قشٍّ ذهبي".

تناولنا عشاءنا تلك الليلة في ساحة الميلا تحت النجوم، وتناولنا الطعام من أطباق مصنوعة من أوراق الشجر مثبتة ببعضها بالعصي. غسل الأطباق في الهند مُخفّض إلى أدنى حد!

يومان آخران من احتفالات الكومبا الآسرة؛ ثم اتجهتُ شمالًا غربًا على طول ضفاف جومنا إلى أغرا. تأملتُ تاج محل مجددًا؛ وفي ذاكرتي وقف جيتندرا بجانبي، منبهرًا بالحلم الرخامي. ثم توجهتُ إلى أشرم بريندابان التابع لسوامي كيشاباناندا.

كان هدفي من البحث عن كيشاباناندا مرتبطًا بهذا الكتاب. لم أنسَ قط طلب سري يوكتسوار مني كتابة سيرة حياة لاهيري ماهسايا. خلال إقامتي في الهند، كنتُ أغتنم كل فرصة للتواصل مع تلامذة وأقارب يوغافاراتا المباشرين. سجّلتُ محادثاتهم في ملاحظات مطوّلة، وتحققتُ من الحقائق والتواريخ، وجمعتُ الصور والرسائل القديمة والوثائق. بدأت مجموعة أعمال لاهيري ماهسايا الخاصة بي تتضخم؛ أدركتُ بفزع أن أمامي أعمالًا شاقة في التأليف. دعوتُ الله أن أكون على قدر دوري ككاتب سيرة هذا المعلم العظيم. خشي العديد من تلامذته أن يُقلّل من شأن معلمهم أو يُساء تفسيره في سيرة مكتوبة.

"من الصعب أن نستطيع أن ننصف حياة التجسد الإلهي بكلمات باردة"، هذا ما قاله لي بانشانون باتاتشاريا ذات مرة.

ارتضى أتباع آخرون مُقرَّبون أيضًا إبقاء يوغاڤاتار مُخبَّأً في قلوبهم باعتباره المُعلِّم الخالد. ومع ذلك، وإدراكًا مني لنبوءة لاهيري ماهاسايا عن سيرته الذاتية، لم أدَّخِر جهدًا في ترسيخ حقائق حياته الظاهرة وإثباتها.

استقبل سوامي كيشابانادا مجموعتنا بحفاوة في بريندابان في كاتاياني بيث آشرم، وهو مبنى فخم من الطوب ذي أعمدة سوداء ضخمة، يقع في حديقة خلابة. أدخلنا فورًا إلى غرفة جلوس مزينة بصورة مكبرة للاهيري ماهاسايا. كان السوامي على مشارف التسعين من عمره، لكن جسده العضلي كان يشعّ قوةً وعافية. بشعره الطويل ولحيته البيضاء، وعينيه المتألقتين فرحًا، كان تجسيدًا حقيقيًا للسلطة الأبوية. أخبرته أنني أريد ذكر اسمه في كتابي عن أساتذة الهند.

"أرجوك أن تخبرني عن حياتك السابقة." ابتسمت متوسلة؛ فاليوغيون العظماء غالبًا ما يكونون غير متواصلين.

أبدى كيشابانادا تواضعه قائلاً: "لا أهمية للأحداث الخارجية. قضيتُ حياتي كلها تقريبًا في عزلة جبال الهيمالايا، أتنقل سيرًا على الأقدام من كهف هادئ إلى آخر. لفترة من الوقت، كنتُ أدير أشرمًا صغيرًا خارج هاردوار، محاطًا من جميع الجوانب ببستان من الأشجار العالية. كان مكانًا هادئًا نادرًا ما يزوره المسافرون، نظرًا لانتشار أفاعي الكوبرا في كل

مكان." ضحك كيشاباناندا ضحكة مكتومة. "لاحقًا، جرف فيضان نهر الغانج الصومعة وأفاعي الكوبرا على حد سواء. ثم ساعدني تلاميذي في بناء أشرم بريندابان هذا."

سأل أحد أفراد مجموعتنا السوامي كيف حمى نفسه من النمور الهيمالايا. 42-9

هز كيشاباناندا رأسه وقال: "في تلك المرتفعات الروحية الشاهقة، نادرًا ما تتحرش الوحوش البرية باليوغيين. ذات مرة، في الغابة، صادفتُ نمرًا وجهًا لوجه. عند قذفي المفاجئ، تجمد الحيوان في مكانه كما لو أنه تحوّل إلى حجر." ضحك السوامي مجددًا على ذكرياته.

"في بعض الأحيان كنت أغادر عزلتي لزيارة معلّمي في بنارس. كان يمزح معي بشأن

رحلات متواصلة في البرية في جبال الهيمالايا.

قال لي ذات مرة: «إنك تحمل علامة شغف الترحال على قدميك. أنا سعيد لأن جبال الهيمالايا المقدسة واسعة بما يكفي لتأسرك».

"في كثير من الأحيان،" تابع كيشاباناندا، "قبل وبعد رحيله، ظهر لاهيري ماهاسيا جسديًا أمامي. بالنسبة له، لا يوجد ارتفاع في الهيمالايا لا يمكن الوصول إليه!"

بعد ساعتين، قادنا إلى فناء المطعم. تنهدتُ في ذهول صامت. وجبة أخرى من خمسة عشر طبقًا! أقل من عام من الضيافة الهندية، وقد زاد وزني خمسين رطلاً! ومع ذلك، كان من الوقاحة رفض أيٍّ من الأطباق المُعدّة بعناية للولائم التي لا تنتهي على شرفي. في الهند (وليس في أي مكان آخر، للأسف!) يُعتبر سوامي أنيق المظهر مشهدًا رائعًا.

السيد رايت، وأنا، والآنسة بليتش - في مصر

رابندراناث طاغور، الشاعر الملهم من البنغال والحائز على جائزة نوبل في الأدب

السيد رايت وأنا نلتقط صورة مع المبجل سوامي كيشاباناندا وتلميذه في الدير الفخم في بريندابان

بعد العشاء، أخذني كيشاباناندا إلى مكان منعزل.

قال: «وصولك ليس مفاجئًا، لديّ رسالة لك».

لقد فوجئت؛ لم يكن أحد على علم بخطتي لزيارة كيشاباناندا.

أثناء تجوالي العام الماضي في شمال جبال الهيمالايا قرب بادري نايا، تابع السوامي، "ضللت طريقي. ظهر لي مأوى في كهف واسع، كان خاليًا، رغم أن جمر نار كان يتوهج في حفرة في الأرض الصخرية. جلست قرب النار، متسائلًا عن ساكن هذا الملاذ المنعزل، ونظري ثابت على مدخل الكهف المضاء بنور الشمس.

«كيشابانانداً، أنا سعيدٌ بوجودك هنا». جاءت هذه الكلمات من خلفي. التفتُّ مذهولاً، وانبهرتُ برؤية باباجي! تجسد المعلم العظيم في ركنٍ من أركان الكهف. فرحتُ برؤيته مجددًا بعد سنواتٍ طويلة، فسجدتُ عند قدميه المقدستين.

«لقد دعوتك إلى هنا»، تابع باباجي. «لهذا السبب ضللتَ طريقك وقُدْتَ إلى مسكني المؤقت في هذا الكهف. لقد مرّ وقت طويل منذ آخر لقاء لنا؛ يسعدني أن أحييك مرة أخرى».

باركني المعلم الخالد بكلماتٍ روحية، ثم أضاف: "أُرسل إليك رسالةً ليوغاناندا. سيزورك عند عودته إلى الهند. ستشغله أمورٌ كثيرةٌ تتعلق بمعلمه وتلاميذ لاهيري الباقين على قيد الحياة. أخبره إذًا أنني لن أراه هذه المرة، كما يأمل بشغف؛ لكنني سأراه في مناسبةٍ أخرى".

لقد تأثرت بشدة عندما تلقيت هذا الوعد المعزّي من باباجي على لسان كيشابانانداً.

لقد اختفى الألم الذي كان في قلبي؛ ولم أعد أحزن لأن باباجي لم يظهر في كومبا ميلا، حتى كما ألمح سري يوكتسوار.

بعد أن قضينا ليلةً كضيوف في الأشرم، انطلقت مجموعتنا عصر اليوم التالي إلى كلكتا. ركبنا فوق جسر نهر جومنا، واستمتعنا بمنظرٍ خلاب لأفق بريندابان لحظةَ إشعال الشمس للنار في السماء -

كان لونها أشبه بفرن فولكان، ينعكس أسفلنا في المياه الهادئة.

شاطئ جومنا مُقدّس بذكريات الطفل سري كريشنا. هنا، انغمس برقةٍ بريئةٍ في مسرحياته مع الغوبيات، مُجسّدًا الحبّ السماويّ الذي يسكن بين تجسيدٍ إلهيّ وأتباعه. لقد أساء العديد من المفسرين الغربيين فهم حياة اللورد كريشنا. فالمجاز الكتابيّ مُحيّرٌ للعقول الحرفيّة. وسيُوضّح خطأٌ فادحٌ ارتكبه أحد المترجمين هذه النقطة. تدور القصة حول قديسٍ مُلهمٍ من العصور الوسطى، وهو الإسكافي رافيداس، الذي غنّى بعباراتٍ بسيطةٍ من صنعته عن المجد الروحيّ الكامن في البشرية جمعاء:

تحت القبو الواسع من اللون الأزرق تعيش الإلهة مرتدية الإخفاء.

يتجه المرء جانباً ليخفي ابتسامة عندما يسمع التفسير العادي الذي قدمه كاتب غربي لقصيدة رافيداس:

"ثم بنى كوخًا، ووضع فيه صنمًا صنعه من جلد، وبدأ في عبادته."

كان رافيداس تلميذًا لكبير العظيم. كانت راني تشيتور، إحدى تلاميذ رافيداس المرموقين، إحدى راهبات تشيتور. دعت عددًا كبيرًا من البراهمة إلى وليمة تكريمًا لمعلمها، لكنهم رفضوا تناول الطعام

مع إسكافي متواضع. وبينما كانوا يجلسون في عزلةٍ كريمةٍ لتناول طعامهم غير الملوث، ها هو ذا! يجد كل براهمي إلى جانبه صورة رافيداس. وقد أحدثت هذه الرؤية الجماعية نهضةً روحيةً واسعة النطاق في تشيتور.

بعد أيام قليلة، وصلت مجموعتنا الصغيرة إلى كلكتا. كنتُ متشوقًا لرؤية سري يوكتسوار، لكن خاب أملي عندما علمتُ أنه غادر سيرامبور ووصل الآن إلى بوري، على بُعد حوالي ثلاثمائة ميل جنوبًا.

"تعالَ إلى أشرم بوري فورًا". أُرسلت هذه البرقية في 8 مارس من تلميذٍ أخٍ إلى أتول تشاندرا روي شودري، أحد مُرشدي المُعلِّمين في كلكتا. وصلتني الرسالة، فشعرتُ بالحزن الشديد لتداعياتها، فركعتُ وتوسلتُ إلى الله أن يُنقذ حياة مُعلِّمي. وبينما كنتُ على وشك مغادرة منزل والدي مُتجهًا إلى القطار، تكلّم صوتٌ إلهيٌّ في داخلي.

"لا تذهب إلى بوري الليلة. لن يُستجاب دعائك."

"يا رب،" قلت، حزينًا، "أنت لا تريد أن تدخل معي في "شد الحبل" في بوري، حيث ستضطر إلى رفض صلواتي المتواصلة من أجل حياة السيد. فهل يجب عليه إذن أن يغادر إلى واجبات أعلى بناءً على أمرك؟"

امتثالاً لأمر داخلي، لم أغادر تلك الليلة إلى بوري. في المساء التالي، انطلقتُ إلى القطار؛ وفي

الطريق، في الساعة السابعة، غطّت سحابة نجمية سوداء السماء فجأة. 42-11 لاحقًا، بينما كان القطار ينطلق مسرعًا نحو بوري، ظهرت أمامي رؤية لسري يوكتسوار. كان جالسًا، بوجهٍ جادٍّ للغاية، وعلى جانبيه ضوء.

"هل انتهى كل شيء؟" رفعت ذراعي متوسلة.

أومأ برأسه، ثم اختفى ببطء.

في صباح اليوم التالي، بينما كنت أقف على رصيف قطار بوري، وما زلت آمل رغم كل شيء، اقترب مني رجل مجهول.

هل سمعت أن سيدك قد رحل؟ تركني دون أن ينبس ببنت شفة؛ لم أعرف من هو ولا كيف عرف أين يجدني.

ذهلت، وتأرجحت على جدار المنصة، مدركًا أن معلّمي كان يحاول، بطرق مختلفة، أن ينقل لي الخبر المدمر. كانت روحي تغلي ثوريًا كالبركان. عندما وصلتُ إلى صومعة بوري، كنتُ على وشك الانهيار. كان الصوت الداخلي يردد بحنان: "استجمع قواك. اهدأ".

دخلتُ غرفة الأشرم حيث كان جسد المعلم، الذي يبدو حيًا بشكلٍ لا يُصدق، جالسًا في وضعية اللوتس - صورةٌ للصحة والجمال. قبل وفاته بفترة وجيزة، كان معلّمي مريضًا قليلًا بالحمى، ولكن قبل يوم

صعوده إلى اللانهائي، كان جسده قد شُفي تمامًا. مهما نظرتُ إلى جسده العزيز، لم أُدرك أن حياته قد فارقته. كان جلده ناعمًا وليِّنًا؛ وعلى وجهه تعبيرٌ جميلٌ عن السكينة. لقد تخلى عن جسده بوعيٍ في ساعة الاستدعاء الصوفي.

"لقد رحل أسد البنغال!" صرخت في ذهول.

أقمت الطقوس المهيبة في العاشر من مارس. دُفن سري يوكتسوار في حديقة أشرم بوري، وفقًا للطقوس التقليدية للسوامي. لاحقًا، وصل تلاميذه من كل حدب وصوب لتكريم معلمهم الروحي في حفل تأبين بمناسبة الاعتدال الربيعي. نشرت صحيفة أمريتا بازار باتريكا، الصحيفة الرائدة في كلكتا، صورته والتقرير التالي:

أقيمت مراسم وفاة بهاندارا لسريمات سوامي سري يوكتسوار جيري ماهاراج، البالغ من العمر 81 عامًا، في بوري في 21 مارس. ونزل العديد من التلاميذ إلى بوري لحضور الطقوس.

كان سوامي مهراج، أحد أعظم شارحي بهاجافاد غيتا، تلميذًا عظيمًا ليوجيراج سري شياما شاران لاهيري ماهاسايا من بنارس. أسس سوامي مهراج العديد من مراكز يوغودا سات-سانغا (زمالة تحقيق الذات) في الهند، وكان مصدر الإلهام الكبير لحركة اليوغا التي نقلها سوامي يوغاناندا إلى الغرب.

كان سري يوكتسوارجي تلميذًا رئيسيًا. لقد كانت قدراته النبوية وإدراكه العميق هما ما ألهم سوامي يوغاناندا لعبور المحيطات ونشر رسالة أسياد الهند في أمريكا.

تشهد تفسيراته لبهاجافاد غيتا وغيرها من الكتب المقدسة على عمق إتقان سري يوكتسوارجي للفلسفة، الشرقية والغربية على حد سواء، ولا تزال تُنير درب الوحدة بين الشرق والغرب. إيمانًا منه بوحدة جميع المعتقدات الدينية، أسس سري يوكتسوار مهراج جمعية القديسين (سادو سابها) بالتعاون مع قادة مختلف الطوائف والأديان، لغرس روح العلم في الدين. عند وفاته، رشّح سوامي يوغاناندا خليفته رئيسًا لجمعية القديسين.

الهند اليوم أفقر بكثير برحيل هذا الرجل العظيم. عسى أن يغرس كل من حالفه الحظ في الاقتراب منه الروح الحقيقية لثقافة الهند وسادانا التي تجسدت فيه.

عدتُ إلى كلكتا. ولأنني لم أكن واثقًا بعد من الذهاب إلى دير سيرامبور بذكرياته المقدسة، استدعيتُ برافولا، تلميذ سري يوكتسوار الصغير في سيرامبور، ورتبتُ له دخول مدرسة رانشي.

"في الصباح الذي غادرت فيه إلى مهرجان الله أباد،" أخبرني برافولا، "ألقى سيدي وزناً ثقيلاً على الأريكة.

صرخ قائلًا: «رحل يوغاناندا!». وأضاف بغموض: «سأخبره بطريقة أخرى». ثم جلس لساعات في صمت.

كانت أيامي مليئة بالمحاضرات والدروس والمقابلات واللقاءات مع الأصدقاء القدامى. وتحت ابتسامة خاوية وحياة من النشاط المتواصل، كان تيار من الكآبة السوداء يلوث نهر النعيم الداخلي الذي ظل لسنوات طويلة يتخبط تحت رمال كل إدراكاتي.

"أين ذهب ذلك الحكيم الإلهي؟" صرخت بصمت من أعماق روح معذبة.

لم يأتي أي جواب.

"من الأفضل أن يكون السيد قد أكمل اتحاده مع الحبيب الكوني"، طمأنني عقلي. "إنه يتلألأ أبديًا في سلطان الخلود".

"لن تراه مجددًا في قصر سيرامبور القديم"، رثى قلبي. "لن تحضر أصدقاءك لمقابلته بعد الآن، أو تقول بفخر: ها هو ذا جنانافاتار الهند يجلس!"

رتّب السيد رايت إبحار مجموعتنا من بومباي غربًا في أوائل يونيو. بعد أسبوعين من مايو من حفلات الوداع والخطابات في كلكتا، غادرتُ أنا والآنسة بليتش والسيد رايت في فورد متجهين إلى بومباي. عند وصولنا، طلبت منا سلطات السفينة إلغاء

رحلتنا لعدم وجود مكان في فورد، والتي سنحتاجها مجددًا في أوروبا.

"لا بأس"، قلتُ للسيد رايت بكآبة. "أريد العودة إلى بوري مرة أخرى". قلتُ في صمت

وأضاف "دع دموعي تسقي قبر معلّمي مرة أخرى".

٤٢-١: حرفيًا، بارام، أي الأعلى؛ هانسا، أي البجعة. يُصوَّر الهانسا في التراث الديني على أنه حامل براهما، الروح العليا؛ وباعتباره رمزًا للتمييز، يُعتقد أن بجعة هانسا البيضاء قادرة على فصل رحيق السوما الحقيقي عن خليط الحليب والماء. هام-سا (تُنطق هونغ-ساو) كلمتان سنسكريتيتان مقدستان تُرتَّلان بترانيم، لهما ارتباط اهتزازي بالنفس الداخل والخارج. أهام-سا تعني حرفيًا "أنا هو".

42-2: لقد تجنبوا عمومًا الصعوبة من خلال مخاطبتي بلقب "سيدي".

٤٢-٣: في أشرم بوري، لا يزال سوامي سيباناندا يُدير مدرسة يوغا صغيرة ومزدهرة للأولاد، ومجموعات تأمل للكبار. تُعقد هناك اجتماعات للقديسين والعلماء بشكل دوري.

42-4: قسم من كلكتا.

42-5: الأمثال: 2: 9.

٤٢-٦: ذُكرت المَلالات الدينية في المهابهاراتا القديمة. وقد روى الرحالة الصيني هيوين تسيانغ قصةَ كومبا ميلا ضخمة أُقيمت عام ٦٤٤ ميلاديًا في الله أباد. يُقام أكبرُها كل اثني عشر عامًا؛ ويُقام ثاني أكبرها (أردها أو نصفُها) كل ستة أعوام. وتُعقد المَلالات الأصغر كل ثلاثة أعوام، وتجذب حوالي مليون مُريد. مدنُ المَلا المقدسة الأربع هي الله أباد، وهاردوار، وناسيك، وأوجاين.

ترك لنا الرحالة الصينيون الأوائل صورًا رائعة للمجتمع الهندي. كتب الكاهن الصيني، فا-هسيان، سردًا لسنواته الأحد عشر في الهند خلال عهد شاندراغوبتا الثاني (أوائل القرن الرابع). يروي الكاتب الصيني: "في جميع أنحاء البلاد، لا أحد يقتل كائنًا حيًا، ولا يشرب الخمر... لا يربون الخنازير أو الدواجن؛ ولا توجد تجارة للماشية، ولا محلات جزارة أو معامل تقطير. تُوفر غرف مزودة بأسرّة ومراتب وطعام وملابس للكهنة المقيمين والمسافرين دون انقطاع، وهذا هو الحال في جميع الأماكن. ينشغل الكهنة بالخدمات الخيرية وترانيم الطقوس الدينية؛ أو يجلسون للتأمل". يخبرنا فا-هسيان أن الشعب الهندي كان سعيدًا وصادقًا؛ ولم تكن عقوبة الإعدام معروفة.

42-7: لم أكن حاضراً عند وفاة والدتي، أو أخي الأكبر أنانتا، أو أختي الكبرى روما، أو المعلم، أو الأب، أو أي من التلاميذ المقربين.

(توفي الأب في كلكتا عام 1942، عن عمر يناهز التاسعة والثمانين.)

٤٢-٨: تُدار مئات الآلاف من السادهو الهنود من قِبل لجنة تنفيذية مؤلفة من سبعة قادة، يمثلون سبعة قطاعات رئيسية من الهند. الماهَماندااليسوار أو الرئيس الحالي هو جوييندرا بوري. هذا الرجل الفاضل شديد التحفظ، وغالبًا ما يقتصر حديثه على ثلاث كلمات: الحقيقة، والحب، والعمل. حديث وافٍ!

٤٢-٩: يبدو أن هناك طرقًا عديدة للتفوق على النمر. روى المستكشف الأسترالي فرانسيس بيرتلز أنه وجد أدغال الهند "متنوعة وجميلة وآمنة". كان سحره الآمن هو ورق الذباب. أوضح قائلًا: "كنت أنشر كمية من الملاءات حول مخيمي كل ليلة ولم يزعجني أحد". "السبب نفسي. النمر حيوان يتمتع بكرامة واعية عظيمة. يتجول ويتحدى الإنسان حتى يصل إلى ورق الذباب؛ ثم ينسل بعيدًا. لا يجرؤ أي نمر وسيم على مواجهة إنسان بعد أن يقرفص على ورق ذباب لاصق!"

42-10: بعد عودتي إلى أمريكا فقدت خمسة وستين رطلاً.

42-11: توفى سري يوكتسوار في هذه الساعة- 7:00 مساءً، 9 مارس 1936.

٤٢-١٢: تشترط عادات الجنازة في الهند حرق جثث أصحاب المنازل؛ ولا تُحرق جثث السوامي والرهبان من الطوائف الأخرى، بل يُدفنون. (مع استثناءات نادرة). ويُعتبر رمزيًا أن جثث الرهبان قد خضعت للحرق في نار الحكمة عند أداء النذر الرهباني.

الفصل: 43

قيامة سري يوكتسوار

"يا رب كريشنا!" ظهر الشكل البهي للتجسد في وهجٍ متلألئ وأنا جالس في غرفتي بفندق ريجنت في بومباي. تألقت الصورة فوق سطح مبنى شاهق في الجهة المقابلة من الشارع، وفجأةً انبثقت في ناظري رؤيةٌ لا تُوصف وأنا أُحدّق من نافذتي الطويلة المفتوحة في الطابق الثالث.

لوّح لي الإله، مبتسمًا ومُومئًا برأسه مُرحِّبًا. عندما لم أفهم رسالة الرب كريشنا بدقة، غادر مُباركًا. ارتحتُ فرحًا عظيمًا، وشعرتُ أن حدثًا روحيًا مُبشِّرًا.

أُلغيت رحلتي الغربية مؤقتًا. كان من المقرر أن ألقي عدة خطابات عامة في بومباي قبل أن أعود إلى البنغال.

بينما كنتُ جالسًا على سريري في فندق بومباي في الساعة الثالثة عصرًا من يوم 19 يونيو/حزيران 1936، بعد أسبوع واحد من رؤية كريشنا، أيقظني

نورٌ ساحرٌ من تأملي. أمام عينيّ المفتوحتين المذهولتين، تحوّلت الغرفة بأكملها إلى عالمٍ غريب، وتحول ضوء الشمس إلى بهاءٍ سماوي.

لقد غمرتني موجات من النشوة عندما رأيت شكل لحم ودم سري يوكتسوار!

"يا ابني!" تحدث المعلم بلطف، وعلى وجهه ابتسامة ساحرة كالملائكة.

لأول مرة في حياتي، لم أركع عند قدميه مُحيّيًا، بل تقدمتُ على الفور لأضمّه بشغف بين ذراعيّ. لحظةً خاطفة! كان ألم الأشهر الماضية ثمنًا كنتُ أحسبه ضئيلًا أمام النعيم الغزير الذي يغمرني الآن.

يا سيدي، يا حبيب قلبي، لماذا تركتني؟ كنتُ في غمرة فرحي. لماذا سمحتَ لي بالذهاب إلى كومبا ميلا؟ كم عاتبتُ نفسي على تركك!

- بقلم بي كيه ميترا في "كاليانا-كالباتور"

كريشنا، نبي الهند القديم

تصور فنان معاصر للمعلم الإلهي الذي أصبحت نصيحته الروحية في بهاجافاد غيتا بمثابة الكتاب المقدس الهندوسي. يُصوَّر كريشنا في الفن الهندوسي بريشة طاووس في شعره (رمزًا لـ"ليلا" الرب، أو اللعب أو الرياضة الإبداعية)، حاملًا مزمارًا، تُوقظ نغماته الآسرة أتباعه، واحدًا تلو الآخر، من نومهم في "مايا" أو الوهم الكوني.

لم أُرِد أن أُعيق تطلعك السعيد لرؤية مكان الحج الذي التقيت فيه بباباجي لأول مرة. لقد تركتك لفترة قصيرة فقط؛ ألن أكون معك مرة أخرى؟

"لكن هل أنت يا سيدي، أسد الله نفسه؟ هل ترتدي جسدًا مثل الذي دفنته تحت رمال بوري القاسية؟"

نعم يا بني، أنا كذلك. هذا جسد من لحم ودم. وإن كنت أراه أثيريًا، فهو في نظرك مادي. من الذرات الكونية، خلقتُ جسدًا جديدًا كليًا، تمامًا مثل ذلك الجسد المادي الذي كنتَ قد وضعته تحت رمال الأحلام في بوري في عالم أحلامك. أنا في الحقيقة بُعثتُ من الموت - ليس على الأرض، بل على كوكب نجمي. سكانه أقدر من البشر على تلبية معاييري السامية. هناك، ستأتي أنت وأحباؤك الأعزاء يومًا ما لتكونوا معي.

"المعلم الخالد، أخبرني المزيد!"

ضحك السيد ضحكة سريعة ومرح. قال: "أرجوك يا عزيزتي، هلّا أرخيت قبضتك قليلًا؟"

"قليلًا فقط!" كنتُ أعانقه بقبضة أخطبوط. استطعتُ أن أشم نفس الرائحة الطبيعية العطرة والخفيفة التي كانت تُميز جسده سابقًا. لمسةُ رائحته المثيرة

لا يزال اللحم الإلهي موجودًا حول الجوانب الداخلية لذراعي وفي راحة يدي كلما تذكرت تلك الساعات المجيدة.

كما يُرسل الأنبياء إلى الأرض لمساعدة البشر على حساب كارماهم الجسدية، فقد أوكلني الله للخدمة على كوكب نجمي كمخلص، كما أوضح سري يوكتسوار. "يُسمى هذا الكوكب هيرانيالوكا أو "الكوكب النجمي المُنير". هناك أساعد الكائنات المتقدمة على التخلص من الكارما النجمية، وبالتالي بلوغ التحرر من الولادات النجمية. سكان هيرانيالوكا متطورون روحيًا للغاية؛ فقد اكتسبوا جميعًا، في تجسدهم الأرضي الأخير، القدرة على مغادرة أجسادهم المادية بوعي عند الموت، وهي القدرة التي منحها لهم التأمل. لا يمكن لأحد دخول هيرانيالوكا إلا إذا تجاوز على الأرض حالة سابيكالبا سامادهي إلى حالة نيربيكالبا سامادهي العليا. 43-1

لقد مرّ سكان هيرانيالوكا بالفعل عبر الأجرام السماوية العادية، حيثُ يجب أن يذهب جميع الكائنات الأرضية تقريبًا عند الموت؛ وهناك استنبطوا العديد من بذرة أفعالهم السابقة في العوالم النجمية. لا أحد سوى الكائنات المتقدمة يستطيع القيام بهذا العمل الخلاصي بفعالية في العوالم النجمية. ثم، لتحرير أرواحهم بشكل أكمل من شرنقة الآثار الكرمية العالقة في أجسادهم النجمية، جُذبت هذه الكائنات العليا بقانون كوني

لتولد من جديد بأجساد نجمية جديدة على هيرانيالوكا، الشمس النجمية أو السماء، حيثُ بعثتُ لمساعدتهم. وهناك أيضًا كائنات متقدمة للغاية على هيرانيالوكا أتت من العالم العلوي، الأكثر دقة، والسببي.

كان عقلي الآن في انسجام تام مع معلّمي، لدرجة أنه كان ينقل إليّ صوره اللفظية، جزئيًا بالكلام وجزئيًا بنقل الأفكار. وهكذا كنت أتلقى بسرعة صحف أفكاره.

«لقد قرأتَ في الكتب المقدسة»، تابع المعلم، «أن الله غلّف الروح البشرية على التوالي بثلاثة أجساد: الجسد الفكري أو السببي؛ والجسد النجمي الرقيق، مقرّ الطبيعة العقلية والعاطفية للإنسان؛ والجسد المادي الخام. على الأرض، الإنسان مُجهّز بحواسه المادية. الكائن النجمي يعمل بوعيه ومشاعره، وجسدٌ مصنوع من أجسام حية. 43-2 يبقى الكائن ذو الجسد السببي في عالم الأفكار السعيد. عملي مع الكائنات النجمية التي تستعد لدخول عالم السببية».

يا سيدي الفاضل، أرجو أن تخبرني المزيد عن الكون النجمي. مع أنني خففتُ قليلاً من عناقي بناءً على طلب سري يوكتسوار، إلا أن ذراعيّ لا تزالان تحتضنانه. كنزٌ يفوق كل كنز، يا معلّمي الذي ضحك على الموت ليصل إليّ!

بدأ المعلم حديثه قائلاً: "هناك كواكب نجمية عديدة، تعجّ بالكائنات النجمية. يستخدم سكانها مستويات نجمية، أو كتل ضوئية، للانتقال من كوكب إلى آخر، أسرع من الكهرباء والطاقات المشعة.

الكون النجمي، المكوّن من اهتزازات ضوئية وألوان دقيقة متنوعة، أكبر بمئات المرات من الكون المادي. الخلق المادي بأكمله معلق كسلة صلبة صغيرة تحت بالون مضيء ضخم للكرة النجمية. وكما تجوب العديد من الشموس والنجوم المادية الفضاء، فهناك أيضًا عدد لا يحصى من الأنظمة الشمسية والنجمية النجمية. كواكبها لها شموس وأقمار نجمية، أجمل من تلك المادية. تشبه النجوم المضيئة الشفق القطبي.

الشفق القطبي الشمالي - الشفق النجمي المشمس أكثر بريقًا من الشفق القمري ذي الأشعة الخفيفة. الليل والنهار النجميان أطول من الليل والنهار على الأرض.

العالم النجمي جميلٌ ونظيفٌ ونقيّ ومنظمٌ بلا حدود. لا توجد فيه كواكب ميتة أو أراضٍ قاحلة. لا توجد فيه أيُّ شوائب أرضية - أعشابٌ ضارة، بكتيريا، حشرات، ثعابين. بخلاف مناخات الأرض وفصولها المتغيرة، تحافظ الكواكب النجمية على درجة حرارة ربيع أبديّ منتظمة، مع تساقط ثلوج بيضاء لامعة وأمطار من أضواء متعددة الألوان. تكثر

الكواكب النجمية في بحيرات الأوبال والبحار الساطعة والأنهار قوس قزح.

الكون النجمي العادي - وليس جنة هيرانيالوكا النجمية الأكثر دقة - يعج بملايين الكائنات النجمية التي أتت، مؤخرًا أو قريبًا، من الأرض، بالإضافة إلى أعداد لا تُحصى من الجنيات وحوريات البحر والأسماك والحيوانات والعفاريت والأقزام وأنصاف الآلهة والأرواح، جميعهم يقيمون على كواكب نجمية مختلفة وفقًا لمؤهلات كرمية. تُهيأ منازل كروية أو مناطق اهتزازية مختلفة للأرواح الطيبة والشريرة. يمكن للأرواح الطيبة السفر بحرية، بينما تقتصر الأرواح الشريرة على مناطق محدودة. وكما يعيش البشر على سطح الأرض، والديدان في التربة، والأسماك في الماء، والطيور في الهواء، كذلك تُخصص للكائنات النجمية من مختلف الدرجات أماكن اهتزازية مناسبة.

بين ملائكة الظلام الساقطين المطرودين من عوالم أخرى، تدور احتكاكات وحروب بقنابل إلكترونية حية أو أشعة اهتزازية مانترية عقلية 43-3. تعيش هذه الكائنات في مناطق مظلمة من الكون النجمي السفلي، تُنفّذ كارماها الشريرة.

في العوالم الشاسعة فوق السجن النجمي المظلم، كل شيء متألق وجميل. الكون النجمي أكثر انسجامًا طبيعيًا من الأرض مع الإرادة الإلهية وخطة الكمال. كل كائن نجمي يتجلى في المقام الأول

بإرادة الله، وجزئيًا بإرادة الكائنات النجمية. يمتلكون القدرة على تعديل أو تحسين نعمة وشكل أي شيء خلقه الرب. لقد منح أبنائه النجميين حرية وامتياز تغيير الكون النجمي أو تحسينه بإرادتهم. على الأرض، يجب تحويل المادة الصلبة إلى سائل أو أي شكل آخر من خلال عمليات طبيعية أو كيميائية، لكن الأجسام النجمية الصلبة تتحول إلى سوائل أو غازات أو طاقة نجمية فورًا وبإرادة سكانها فقط.

الأرض مظلمة بالحرب والقتل في البحر والبر والجو، تابع معلّمي، "لكن العوالم النجمية تعرف انسجامًا ومساواة سعيدين. الكائنات النجمية تتجسد أو تتجسد بإرادتها. يمكن للزهور أو الأسماك أو الحيوانات أن تتحول، لفترة من الوقت، إلى بشر نجميين. جميع الكائنات النجمية حرة في اتخاذ أي شكل، ويمكنها التواصل بسهولة. لا يوجد قانون طبيعي ثابت ومحدد يقيدها - على سبيل المثال، يمكن أن يُطلب من أي شجرة نجمية أن تنتج بنجاح مانجو نجمي أو أي فاكهة أو زهرة مرغوبة أخرى، أو أي شيء آخر. توجد بعض القيود الكرمية، ولكن لا توجد فروق في العالم النجمي حول مدى استحسان الأشكال المختلفة. كل شيء ينبض بنور الله الخلاق.

لا أحد يولد من امرأة؛ بل تُجسّد الكائنات النجمية ذريتها بمساعدة إرادتها الكونية في أشكال نجمية مُصمّمة خصيصًا ومُكثّفة. يصل الكائن الذي انفصل

عن جسده مؤخرًا إلى عائلة نجمية بدعوة، مدفوعةً بميول عقلية وروحية مماثلة.

لا يخضع الجسم النجمي للبرد أو الحرارة أو أي ظروف طبيعية أخرى. يتضمن تشريحه دماغًا نجميًا، أو زهرة لوتس النور ذات الألف بتلة، وستة مراكز مستيقظة في السوشومنا، أو المحور الدماغي الشوكي النجمي. يسحب القلب الطاقة الكونية والضوء من الدماغ النجمي، ويضخها إلى الأعصاب النجمية وخلايا الجسم، أو ما يُعرف بـ "ليفترونات". يمكن للكائنات النجمية التأثير على أجسادها بواسطة قوة لايفترونات أو اهتزازات مانترية.

الجسد النجمي هو نظيرٌ دقيقٌ للشكل المادي السابق. تحتفظ الكائنات النجمية بنفس المظهر الذي كانت عليه في شبابها خلال رحلتها الأرضية السابقة؛ أحيانًا يختار كائن نجمي، مثلي، الاحتفاظ بمظهره القديم. ضحك المعلم، وهو يفيض بجوهر الشباب، ضحكةً مرحة.

على عكس العالم المادي المكاني ثلاثي الأبعاد الذي لا تُدركه إلا الحواس الخمس، فإنّ الأجرام السماوية مرئيةٌ للحاسة السادسة الشاملة - الحدس - كما تابع سري يوكتسوار. "بمجرد الشعور الحدسي، ترى جميع الكائنات النجمية وتسمع وتشم وتتذوق وتلمس. لديها ثلاث عيون، اثنتان منها مغلقتان جزئيًا. أما العين النجمية الثالثة والرئيسية، الموضوعة عموديًا على الجبهة، فهي مفتوحة.

تمتلك الكائنات النجمية جميع أعضاء الحس الخارجية - الأذنين والعينين والأنف واللسان والجلد - لكنها تستخدم حاسة الحدس لتجربة الأحاسيس من خلال أي جزء من الجسم؛ فهي تستطيع الرؤية من خلال الأذن أو الأنف أو الجلد. كما أنها قادرة على السمع من خلال العينين أو اللسان، والتذوق من خلال الأذنين أو الجلد، وهكذا دواليك." 43-4

"إن جسد الإنسان المادي معرض لمخاطر لا حصر لها، ويتعرض للأذى أو التشويه بسهولة؛ أما الجسد النجمي الأثيري فقد يتعرض للقطع أو الكدمات أحيانًا، ولكنه يشفى على الفور بمجرد الإرادة."

"جوروديفا، هل كل الأشخاص النجميين جميلون؟"

أجاب سري يوكتسوار: "من المعروف أن الجمال في العالم النجمي صفة روحية، وليس مظهرًا خارجيًا. ولذلك، لا تُولي الكائنات النجمية أهمية تُذكر لملامح الوجه. ومع ذلك، فلديها امتياز ارتداء أجساد جديدة، ملونة، ومتجسدة في عالم النجوم، كما تشاء. وكما يرتدي رجال الدنيا أزياءً جديدةً في المناسبات الاحتفالية، كذلك تجد الكائنات النجمية فرصًا لتزين نفسها بأشكال مصممة خصيصًا.

تُقام احتفالاتٌ نجميةٌ بهيجةٌ على الكواكب النجمية العليا، مثل هيرانيالوكا، عندما يتحرر كائنٌ ما من العالم النجمي من خلال التقدم الروحي، فيصبح بذلك مستعدًا لدخول جنة العالم السببي. في مثل

هذه المناسبات، يتجسد الآب السماوي غير المرئي، والقديسون المندمجون فيه، في أجسادٍ من اختيارهم، وينضمون إلى الاحتفال النجمي. ولإرضاء مُريده الحبيب، يتخذ الرب أي شكلٍ يرغبه. فإذا عُبد المُريد بخشوع، فإنه يرى الله الأم الإلهية. بالنسبة ليسوع، كان جانب الأب في الواحد اللانهائي جذابًا يفوق كل تصور. إن الفردية التي وهبها الخالق لكل مخلوق من مخلوقاته تجعل كل ما يمكن تصوره وما لا يمكن تصوره من تعدد قدرات الرب! ضحكتُ أنا ومعلّمي معًا بسعادة.

«يتعرف أصدقاء الحياة الأخرى بعضهم على بعض بسهولة في العالم النجمي»، تابع سري يوكتسوار بصوته الجميل الشبيه بالناي. «يفرحون بخلود الصداقة، ويدركون أن الحب لا يُقهر، وهو أمرٌ غالبًا ما يُشكك فيه عند فراق الحياة الأرضية الحزين والوهمي.

حدس الكائنات النجمية يخترق الحجاب ويرصد الأنشطة البشرية على الأرض، لكن الإنسان لا يستطيع رؤية العالم النجمي إلا إذا تطورت حاسته السادسة إلى حد ما. آلاف من سكان الأرض لمحوا ولو للحظة كائنًا نجميًا أو عالمًا نجميًا.

تبقى الكائنات المتقدمة على هيرانيالوكا مستيقظة في الغالب في نشوة خلال النهار والليل النجميين الطويلين، مما يساعد على حل المشكلات المعقدة المتعلقة بالحكم الكوني وخلاص الأبناء الضالين،

النفوس الأرضية. عندما تنام كائنات هيرانيالوكا، ترى أحيانًا رؤى نجمية أشبه بالأحلام. عادةً ما تكون عقولهم منغمسة في حالة وعي من أعلى درجات نعيم نيربيكالبا.

لا يزال سكان جميع أنحاء العوالم النجمية يعانون من آلام نفسية. أما العقول الحساسة للكائنات العليا على كواكب مثل هيرانيالوكا، فتشعر بألم شديد إذا ما ارتُكب أي خطأ في السلوك أو إدراك الحقيقة. وتسعى هذه الكائنات المتقدمة جاهدةً لمواءمة كل فعل وفكر مع كمال القانون الروحي.

يتم التواصل بين سكان النجوم بالكامل عن طريق التخاطر النجمي والتلفزيون؛ فلا يوجد أي لبس أو سوء فهم في الكلمة المكتوبة والمسموعة التي يتحملها سكان الأرض. وكما يبدو الأشخاص على شاشة السينما وكأنهم يتحركون ويتصرفون من خلال سلسلة من الصور الضوئية، ولا يتنفسون في الواقع، كذلك تسير الكائنات النجمية وتعمل كصور ضوئية موجهة ومنسقة بذكاء، دون الحاجة إلى استخلاص الطاقة من الأكسجين. يعتمد الإنسان على المواد الصلبة والسائلة والغازية والطاقة في غذائه؛ أما الكائنات النجمية فتعيش أساسًا بالضوء الكوني.

يا سيدي، هل تأكل الكائنات النجمية شيئًا؟ كنتُ أستمتع بتفسيراته الرائعة بكل قواي العقلية والقلبية والروحية. إدراكات الحقيقة فوق الوعي

حقيقيةٌ دائمًا ولا تتغير، بينما التجارب والانطباعات الحسية العابرة لا تزيد عن كونها حقيقيةً مؤقتةً أو نسبيةً، وسرعان ما تفقد حيويتها في الذاكرة. كانت كلمات معلّمي مطبوعةً ببراعةٍ على رقّ كياني، لدرجة أنني أستطيع، في أي وقت، بنقل عقلي إلى حالة الوعي الفائق، أن أعيش التجربة الإلهية بوضوح.

أجاب: "تكثر الخضراوات المضيئة الشبيهة بالشعاع في التربة النجمية. تتغذى الكائنات النجمية على الخضراوات، وتشرب رحيقًا يتدفق من ينابيع نورانية بديعة ومن جداول وأنهار نجمية. وكما يمكن استخراج صور غير مرئية لأشخاص على الأرض من الأثير وجعلها مرئية بواسطة جهاز تلفزيون، ثم تُطلق مجددًا في الفضاء، كذلك تُرسَب المخططات النجمية غير المرئية، التي خلقها الله، للخضراوات والنباتات العائمة في الأثير، على كوكب نجمي بإرادة سكانه. وبالمثل، من خيال هذه الكائنات الجامح، تتجسد حدائق كاملة من الزهور العطرة، لتعود لاحقًا إلى الاختفاء الأثيري. ومع أن سكان الكواكب السماوية مثل هيرانيالوكا يكاد يكونون متحررين من أي ضرورة للأكل، فإن الوجود غير المشروط لأرواح شبه متحررة تمامًا في العالم السببي، لا يأكلون شيئًا سوى منّ النعيم.

"يلتقي الكائن النجمي المتحرر من الأرض بجموع من الأقارب والآباء والأمهات والزوجات والأزواج

والأصدقاء، الذين اكتسبهم خلال تجسيدات مختلفة على الأرض، 43-5 كما يظهرون من وقت لآخر في أجزاء مختلفة من العوالم النجمية. لذلك فهو في حيرة من أمره لفهم من يحب بشكل خاص؛ فيتعلم بهذه الطريقة أن يمنح حبًا إلهيًا ومتساويًا للجميع، كأطفال و

تعبيرات فردية عن الله. مع أن المظهر الخارجي للأحباء قد يتغير، تبعًا لتطور صفات جديدة في آخر حياة أي روح، إلا أن الكائن النجمي يستخدم حدسه السليم للتعرف على كل من كانوا أعزاء عليه في عوالم أخرى من الوجود، والترحيب بهم في موطنهم النجمي الجديد. ولأن كل ذرة في الخليقة موهوبة بشخصية فريدة لا تنضب، فإن الصديق النجمي سيُعرف مهما كان زيه، كما أن هوية الممثل على الأرض قابلة للاكتشاف بالملاحظة الدقيقة مهما كان التنكر.

عمر الحياة في العالم النجمي أطول بكثير من عمر الحياة على الأرض. يتراوح متوسط عمر الكائن النجمي المتقدم الطبيعي بين خمسمائة وألف عام، محسوبًا وفقًا لمعايير الزمن الأرضية. وكما أن بعض أشجار الخشب الأحمر تعيش أكثر من معظم الأشجار بآلاف السنين، أو كما يعيش بعض اليوغيين مئات السنين، مع أن معظم الرجال يموتون قبل سن الستين، فإن بعض الكائنات النجمية تعيش أطول بكثير من العمر المعتاد للوجود النجمي.

يمكث زوار العالم النجمي هناك لفترات أطول أو أقصر وفقًا لثقل الكارما الجسدية التي تجذبهم إلى الأرض خلال فترة زمنية محددة.

لا يضطر الكائن النجمي إلى مواجهة الموت بصعوبة عند انفصاله عن جسده المضيء. ومع ذلك، يشعر العديد من هؤلاء بتوتر طفيف عند التفكير في التخلي عن شكلهم النجمي من أجل الشكل السببي الأكثر دقة. فالعالم النجمي خالٍ من الموت القسري والمرض والشيخوخة. هذه المخاوف الثلاثة هي لعنة الأرض، حيث سمح الإنسان لوعيه بالتماهي بشكل شبه كامل مع جسد مادي هشّ يحتاج إلى مساعدة مستمرة من الهواء والطعام والنوم ليبقى على قيد الحياة.

يصاحب الموت الجسدي اختفاء النفس وتحلل الخلايا الجسدية. أما الموت النجمي، فيتمثل في تبدد الإلكترونات الحية، تلك الوحدات الطاقية الظاهرة التي تُشكل حياة الكائنات النجمية. عند الموت الجسدي، يفقد الكائن وعيه بالجسد ويُدرك جسده الرقيق في العالم النجمي. وبتجربة الموت النجمي في الوقت المناسب، ينتقل الكائن من وعي الولادة والموت النجميين إلى وعي الولادة والموت الجسديين. هذه الدورات المتكررة من التغليف النجمي والجسدي هي المصير الحتمي لجميع الكائنات غير المُستنيرة. تُثير التعريفات الكتابية للجنة والجحيم أحيانًا ذكريات الإنسان

العميقة عن سلسلة تجاربه الطويلة في العوالم النجمية المُبهجة والأرضية المُخيبة للآمال.

"سيدي الحبيب،" سألت، "هل من الممكن أن تصف بمزيد من التفصيل الفرق بين الولادة الجديدة على الأرض وفي المجالات النجمية والسببية؟"

أوضح لي معلّمي: "الإنسان، كروحٍ مُنفردة، هو في جوهره جسدٌ سببي. هذا الجسد هو مصفوفةٌ من الأفكار الخمس والثلاثين التي فرضها الله كقوى فكرية أساسية أو سببية، والتي منها شكّل لاحقًا الجسد النجمي الرقيق المُكوَّن من تسعة عشر عنصرًا والجسد المادي الخام المُكوَّن من ستة عشر عنصرًا".

"العناصر التسعة عشر للجسم النجمي هي عقلية، وعاطفية، وحيوية. المكونات التسعة عشر هي الذكاء، والأنا، والشعور، والعقل (الوعي الحسي)، وخمس أدوات للمعرفة، وهي النظيرات الدقيقة لحواس البصر والسمع والشم والتذوق واللمس؛ وخمس أدوات للعمل، وهي المراسلات العقلية للقدرات التنفيذية للإنجاب، والإخراج،

الكلام، والمشي، وممارسة المهارات اليدوية؛ وخمس أدوات لقوة الحياة، تلك المخولة بأداء وظائف الجسم التبلورية، والاستيعاب، والإخراج، والاستقلاب، والدوران. هذا الغلاف النجمي الدقيق المكون من تسعة عشر عنصرًا يبقى على قيد

الحياة بعد موت الجسد المادي، المكون من ستة عشر عنصرًا معدنيًا وغير معدني.

"فكّر الله في أفكار مختلفة داخله، وأسقطها في الأحلام. وهكذا، برزت سيدة الحلم الكوني مزينةً بكل زخارفها النسبية الهائلة التي لا نهاية لها.

في خمس وثلاثين فئة فكرية من الجسد السببي، فصّل الله جميع تعقيدات نظرائه النجميين التسعة عشر والستة عشر. وبتكثيف قوى اهتزازية، دقيقة أولًا، ثم جسيمة، أنتج الجسد النجمي للإنسان، وأخيرًا شكله المادي. ووفقًا لقانون النسبية، الذي بموجبه أصبحت البساطة الأولية مُتعددة الجوانب مُحيّرة، يختلف الكون السببي والجسد السببي عن الكون النجمي والجسد النجمي؛ كما يختلف الكون المادي والجسد المادي اختلافًا جوهريًا عن أشكال الخلق الأخرى.

الجسد المادي مصنوع من أحلام الخالق الثابتة والمتجسدة. الثنائيات حاضرة دائمًا على الأرض: المرض والصحة، الألم واللذة، الخسارة والربح. يجد البشر حدودًا ومقاومة في المادة ثلاثية الأبعاد. عندما تهتز رغبة الإنسان في الحياة بشدة بسبب المرض أو غيره من الأسباب، يأتي الموت؛ ويتساقط الغطاء الثقيل للجسد مؤقتًا. أما الروح، فتبقى مغلفة بالجسدين النجمي والسببي. 43-7 إن القوة اللاصقة التي تربط الأجساد الثلاثة معًا هي

الرغبة. إن قوة الرغبات غير المحققة هي أساس عبودية الإنسان.

الرغبات الجسدية متجذرة في الأنانية والملذات الحسية. إن إكراه أو إغراء التجربة الحسية أقوى من قوة الرغبة المرتبطة بالارتباطات النجمية أو الإدراكات السببية.

تتمحور الرغبات النجمية حول المتعة من حيث الاهتزاز. تستمتع الكائنات النجمية بالموسيقى الأثيرية للكواكب، وتنبهر برؤية الخلق كله كتعبيرات لا تنضب عن نور متغير. كما تشم الكائنات النجمية النور وتتذوقه وتلمسه. وهكذا، ترتبط الرغبات النجمية بقدرة الكائن النجمي على تحويل جميع الأشياء والتجارب إلى أشكال من النور أو أفكار أو أحلام مكثفة.

لا تُشبع الرغبات السببية إلا بالإدراك. أما الكائنات شبه الحرة، المحصورة في الجسد السببي فقط، فترى الكون كله تجسيدًا لأفكار الله الحلمية؛ فهي قادرة على تجسيد أي شيء وكل شيء في مجرد التفكير. لذا، تعتبر الكائنات السببية الاستمتاع بالأحاسيس الجسدية أو الملذات النجمية أمرًا مقززًا وخانقًا لحساسيات الروح الرقيقة. تُحقق الكائنات السببية رغباتها بتجسيدها فورًا. 43-8 أولئك الذين يجدون أنفسهم مغطَّين فقط بالحجاب الرقيق للجسد السببي، يستطيعون تجسيد الأكوان حتى كخالق. ولأن كل الخلق مصنوع من نسيج

الأحلام الكونية، فإن الروح، المغطاة بطبقة رقيقة من الجسد السببي، تمتلك إدراكات هائلة للقوة.

"الروح، كونها غير مرئية بطبيعتها، لا يمكن تمييزها إلا بوجود جسدها أو أجسادها. إن مجرد وجود الجسد يعني أن وجوده ممكن من خلال رغبات لم تتحقق. 43-

9

ما دامت روح الإنسان محصورة في وعاء جسدي واحد أو اثنين أو ثلاثة، مغلقة بإحكام بسدادات الجهل والرغبات، فلن تتمكن من الاندماج مع بحر الروح. وعندما يُدمر الوعاء الجسدي الغليظ بمطرقة الموت، يبقى الغطاءان الآخران - النجمي والسببي - ليمنعا الروح من الانضمام بوعي إلى الحياة الحاضرة في كل مكان. وعندما تُكتسب اللارغبة بالحكمة، تُذيب قوتها الوعاءين المتبقيين. فتخرج الروح البشرية الضئيلة، حرةً أخيرًا؛ إنها واحدة مع السعة اللامحدودة.

لقد طلبت من معلّمي الإلهي أن يلقي المزيد من الضوء على العالم السببي العالي والغامض.

أجاب: "العالم السببي دقيقٌ لا يُوصف. لفهمه، يجب أن يمتلك المرء قدرات تركيز هائلة تُمكّنه من إغماض عينيه وتصوّر الكون النجمي والكون المادي بكل اتساعهما - البالون المضيء ذو السلة الصلبة - على أنهما موجودان في الأفكار فقط. إذا نجح

المرء، بهذا التركيز الخارق، في تحويل أو تحليل الكونين بكل تعقيداتهما إلى أفكار محضة، فسيصل حينئذٍ إلى العالم السببي ويقف على حدود الاندماج بين العقل والمادة. هناك يُدرك المرء جميع المخلوقات - الصلبة والسائلة والغازية والكهربائية والطاقة، وجميع الكائنات، والآلهة والبشر والحيوانات والنباتات والبكتيريا - كأشكال من الوعي، تمامًا كما يُغمض الإنسان عينيه ويُدرك وجوده، حتى لو كان جسده غير مرئي لعينيه الماديتين، ولا يوجد إلا كفكرة.

كل ما يستطيع الإنسان فعله في خياله، يستطيع الكائن السببي فعله في الواقع. إن أضخم ذكاء بشري قادر، في عقله وحده، على الانتقال من طرف فكري إلى آخر، والقفز ذهنيًا من كوكب إلى آخر، أو التدحرج بلا نهاية في هاوية الأبدية، أو التحليق كالصاروخ في قبة المجرات، أو التألق ككشاف ضوئي فوق درب التبانة والفضاءات المرصعة بالنجوم. لكن الكائنات في العالم السببي تتمتع بحرية أكبر بكثير، ويمكنها أن تُجسّد أفكارها بموضوعية فورية، دون أي عائق مادي أو نجمي أو قيود كارمية.

"تدرك الكائنات السببية أن الكون المادي لا يتكون في المقام الأول من الإلكترونات، كما أن الكون النجمي لا يتكون في الأساس من لايفترونات - فكلاهما في الواقع مخلوق من أدق جزيئات الله -

التي تم تقطيعها وتقسيمها بواسطة مايا، قانون النسبية الذي يتدخل لفصل النومينون عن ظواهره على ما يبدو.

تتعرف الأرواح في العالم السببي على بعضها البعض كنقطٍ مُنفصلة من روحٍ مُبهجة؛ أفكارها هي الأشياء الوحيدة التي تُحيط بها. ترى الكائنات السببية الفرق بين أجسادها وأفكارها على أنه مجرد أفكار. وكما يستطيع الإنسان، وهو يُغمض عينيه، أن يتخيل ضوءًا أبيضًا ساطعًا أو ضبابًا أزرق خافتًا، كذلك تستطيع الكائنات السببية، بالفكر وحده، أن ترى وتسمع وتشعر وتتذوق وتلمس؛ فهي تخلق أي شيء، أو تُذيبه، بقوة العقل الكوني.

الموت والبعث في العالم السببي هما في الفكر. الكائنات ذات الأجساد السببية لا تتغذى إلا على رحيق المعرفة الأبدية الجديدة. ترتوي من ينابيع السلام، وتجوب تربة الإدراكات التي لا تُدرّ، وتسبح في محيط النعيم الأبدي. انظر! انظر إلى أجسادها الفكرية المشرقة وهي تنطلق بسرعة فائقة عبر تريليونات الكواكب التي خلقها الروح، فقاعات الأكوان الجديدة، ونجوم الحكمة، وأحلام السدم الذهبية الطيفية، في كل مكان فوق صدر اللانهاية السماوي الأزرق!

تبقى كائنات كثيرة لآلاف السنين في الكون السببي. بنشوة أعمق، تنسحب الروح المتحررة من الجسد السببي الصغير وترتدي اتساع الكون

السببي. تذوب جميع دوامات الأفكار المنفصلة، وموجات القوة والحب والإرادة والفرح والسلام والحدس والهدوء وضبط النفس والتركيز، في بحر النعيم الأبدي . لم تعد الروح مضطرة لتجربة فرحها كموجة وعي فردية، بل تندمج في المحيط الكوني الواحد، بكل أمواجه - ضحكًا أبديًا، وإثارة، ونبضات.

عندما تخرج الروح من شرنقة الأجساد الثلاثة، فإنها تفلت إلى الأبد من قانون النسبية، وتصبح الوجود الأبدي الذي لا يُوصف. 43-10 انظر إلى فراشة الوجود الكلي، أجنحتها محفورة بالنجوم والأقمار والشمس! الروح، المتمددة في الروح، تبقى وحيدة في دائرة النور البهي، والظلام البهي، والفكر الطائش، ثملة بنشوة فرحها في حلم الله بخلق الكون.

"روح حرة!" صرخت في رهبة.

عندما تخرج الروح أخيرًا من أوعية الأوهام الجسدية الثلاثة، تابع المعلم، "تتحد مع اللانهائي دون أي فقدان لشخصيتها. لقد نال المسيح هذه الحرية النهائية حتى قبل ولادته يسوع. في ثلاث مراحل من ماضيه، تُرمز في حياته الأرضية إلى الأيام الثلاثة من تجربته للموت والقيامة، اكتسب القدرة على النهوض الروحي الكامل.

على الإنسان غير المتطور أن يخضع لتجسيدات أرضية ونجمية وسببية لا تُحصى ليخرج من أجساده

الثلاثة. قد يختار المعلم الذي يحقق هذه الحرية النهائية العودة إلى الأرض نبيًا ليعيد البشر إلى الله، أو قد يختار، مثلي، الإقامة في الكون النجمي. هناك، يتحمل المخلص بعضًا من عبء كارما السكان ٤٣-١١، ويساعدهم بذلك على إنهاء دورة تناسخهم في الكون النجمي والانتقال إلى الأبد إلى العوالم السببية. أو قد تدخل روحٌ مُحرّرة العالم السببي لمساعدة كائناتها على تقصير مدتها في الجسد السببي، وبالتالي بلوغ الحرية المطلقة.

أيها المبعوث، أريد أن أعرف المزيد عن الكارما التي تُجبر الأرواح على العودة إلى العوالم الثلاثة. فكرتُ: يُمكنني أن أستمع إلى الأبد لمعلّمي العليم. لم يسبق لي في حياته على الأرض أن استوعبتُ هذا القدر من حكمته. الآن، ولأول مرة، أتلقى رؤية واضحة ومحددة للتداخلات الغامضة على رقعة شطرنج الحياة والموت.

أوضح لي معلّمي بصوته المؤثر: "يجب أن تُحسم الكارما الجسدية أو رغبات الإنسان تمامًا قبل أن تُصبح إقامته الدائمة في العوالم النجمية ممكنة. يعيش نوعان من الكائنات في العوالم النجمية. أولئك الذين لا يزال لديهم كارما أرضية للتخلص منها، والذين يتعين عليهم بالتالي العودة إلى سكنى جسد مادي خام لسداد ديونهم الكرمية، يُمكن تصنيفهم، بعد الموت الجسدي، كزوار مؤقتين للعالم النجمي بدلًا من كونهم مقيمين دائمين.

لا يُسمح للكائنات التي لم تُعوَّض عن كارماها الأرضية بعد الموت النجمي بالذهاب إلى المجال السببي العالي للأفكار الكونية، بل يجب أن تتنقل ذهابًا وإيابًا بين العالمين المادي والنجمي فقط، مدركةً على التوالي لجسدها المادي المكون من ستة عشر عنصرًا خامًا، وجسدها النجمي المكون من تسعة عشر عنصرًا دقيقًا. ومع ذلك، بعد كل خسارة لجسده المادي،

يبقى الكائن الأرضي في معظمه في سبات عميق من نوم الموت، ولا يكاد يدرك جمال المجال النجمي. بعد الراحة النجمية، يعود هذا الإنسان إلى المستوى المادي لتلقي دروس إضافية، فيعتاد تدريجيًا، من خلال رحلات متكررة، على عوالم النسيج النجمي الرقيق.

من ناحية أخرى، فإن سكان الكون النجمي العاديين أو المقيمين منذ زمن طويل هم أولئك الذين، بعد أن تحرروا إلى الأبد من جميع الرغبات المادية، لا يحتاجون للعودة إلى اهتزازات الأرض القاسية. هؤلاء الكائنات ليس لديهم سوى الكارما النجمية والسببية ليُنجزوها. عند الموت النجمي، تنتقل هذه الكائنات إلى عالم السببية الأدق والأكثر دقة. بعد أن يتخلصوا من شكل الفكر للجسد السببي في نهاية فترة زمنية محددة، يحددها القانون الكوني، تعود هذه الكائنات المتقدمة إلى هيرانيالوكا أو إلى كوكب نجمي عالٍ مماثل، وتولد من جديد في جسد

نجمي جديد لتنجز الكارما النجمية التي لم تُخلّص منها.

يا بني، لعلّك الآن تدرك تمامًا أنني أُبعث بقضاء إلهي،" تابع سري يوكتسوار، "كمُخلّصٍ للأرواح المُتقمصة نجميًا العائدة من المجال السببي، تحديدًا، وليس للكائنات النجمية الصاعدة من الأرض. أما أولئك الصاعدون من الأرض، إن كانوا لا يزالون يحتفظون بآثار الكارما المادية، فلا يرتقون إلى الكواكب النجمية العليا جدًا مثل هيرانيالوكا.

كما لم يتعلم معظم الناس على الأرض، من خلال التأمل البصري المكتسب، تقدير متع الحياة النجمية ومزاياها الفائقة، وبالتالي، بعد الموت، يرغبون في العودة إلى ملذات الأرض المحدودة وغير الكاملة، فإن العديد من الكائنات النجمية، خلال تحلل أجسادهم النجمية الطبيعي، يفشلون في تصور حالة السعادة الروحية المتقدمة في العالم السببي، ويتأملون في أفكار السعادة النجمية الأكثر فخامةً وفخامة، ويتوقون إلى زيارة الجنة النجمية مرة أخرى. يجب على هذه الكائنات أن تتخلص من الكارما النجمية الثقيلة قبل أن تتمكن من تحقيق إقامة دائمة في عالم الفكر السببي، بعد الموت النجمي، معزولةً تمامًا عن الخالق.

فقط عندما لا تكون لدى الكائن رغبة أخرى في تجارب الكون النجمي المُبهج، ولا يُمكن إغراؤه بالعودة إليه، يبقى في العالم السببي. بإكمال عمل

فداء جميع الكارما السببية أو بذور الرغبات الماضية، تُخرج الروح المُقيدة آخر سدادة من سدادات الجهل الثلاثة، وتخرج من الجرة الأخيرة للجسد السببي، وتمتزج بالخلود.

"الآن هل فهمت؟" ابتسم المعلم بشكل ساحر!

"نعم، بفضل نعمتك. أنا عاجز عن التعبير من الفرح والامتنان."

لم أتلقَّ قطُّ من أغنية أو قصةٍ مثل هذه المعرفة المُلهمة. مع أن الكتب الهندوسية المقدسة تُشير إلى العوالم السببية والنجمية وإلى أجساد الإنسان الثلاثة، إلا أن تلك الصفحات تبدو بعيدةً وبلا معنى مقارنةً بصدق سيدي المُبعث! لم يكن لديه في الواقع "بلدٌ مجهولٌ لا يعود منه مسافر"!

«يتجلى تداخل أجساد الإنسان الثلاثة بطرق عديدة من خلال طبيعته الثلاثية»، تابع معلّمي العظيم. «في حالة اليقظة على الأرض، يكون الإنسان واعيًا إلى حد ما بمركباته الثلاث. عندما يكون منشغلًا حسيًا بالتذوق والشم واللمس والاستماع،

سواءٌ أكان بصرًا أم إرادةً، فهو يعمل أساسًا من خلال جسده المادي. أم كان إدراكًا أم إرادةً، فهو يعمل أساسًا من خلال جسده النجمي. يجد وسيطه السببي تعبيرًا له عندما يفكر الإنسان أو يغوص في تأملاته الداخلية؛ فتأتي الأفكار الكونية العبقرية إلى الإنسان الذي يلامس جسده السببي باستمرار.

وبهذا المعنى، يمكن تصنيف الفرد على نطاق واسع إلى "إنسان مادي"، أو "إنسان نشيط"، أو "إنسان مثقف".

يُعرّف الإنسان نفسه حوالي ست عشرة ساعة يوميًا بجسده المادي. ثم ينام؛ فإذا حلم، يبقى في جسده النجمي، يُبدع أي شيء دون عناء، تمامًا كما تفعل الكائنات النجمية. إذا كان نوم الإنسان عميقًا بلا أحلام، فإنه يستطيع لعدة ساعات نقل وعيه، أو إحساسه بالأنا، إلى الجسد السببي؛ هذا النوم مُنعش. الحالم يتصل بجسده النجمي لا الجسد السببي؛ نومه ليس مُنعشًا تمامًا.

لقد كنت أراقب سري يوكتسوار بحب بينما كان يقدم عرضه الرائع.

"يا معلم ملائكي،" قلت، "جسدك يبدو بالضبط كما كان عندما بكيت عليه آخر مرة في أشرم بوري."

أجل، جسدي الجديد نسخةٌ مثالية من جسدي القديم. أتجسد أو أتلاشى هذا الشكل في أي وقتٍ أشاء، بوتيرةٍ أكبر بكثير مما كنت أفعله على الأرض. بفضل التجسد السريع، أسافر الآن على الفور عبر الضوء من كوكبٍ إلى آخر، أو حتى من الكون النجمي إلى الكون السببي أو إلى الكون المادي. ابتسم معلّمي الإلهي. "مع أنك تتحرك بسرعةٍ كبيرة هذه الأيام، لم أجد صعوبةً في العثور عليك في بومباي!"

"يا سيدي، لقد حزنت بشدة على وفاتك!"

آه، أين متُّ؟ أليس في ذلك تناقض؟ كانت عينا سري يوكتسوار تلمعان حبًا وبهجةً.

كنتَ تحلم على الأرض فحسب، وعلى تلك الأرض رأيتَ جسدي الحلمي، تابع. ثم دفنتَ صورة الحلم تلك لاحقًا. والآن، جسدي اللحمي الأرقى - الذي تراه وتحتضنه الآن عن كثب! - يُبعث على كوكب أحلامٍ أرقى آخر، كوكب الله. يومًا ما، سيزول ذلك الجسد الحلمي الأرقى وكوكب الأحلام الأرقى؛ فهما أيضًا ليسا للأبد. لا بد أن تنفجر فقاعات الأحلام في النهاية عند لمسة يقظة أخيرة. فرّق يا بني يوغاناندا بين الأحلام والواقع!

أثارتني فكرة البعث الفيدانتي ٤٣-١٢ دهشةً بالغة. خجلتُ من شفقتي على المعلم عندما رأيتُ جثته هامدةً في بوري. وأدركتُ أخيرًا أن معلّمي كان دائمًا في حالة وعيٍ تامٍّ بالله، مُدركًا حياته ورحيله على الأرض، وقيامته الحالية، ليست سوى نسبيةٍ للأفكار الإلهية في الحلم الكوني.

لقد أخبرتك الآن يا يوغاناندا بحقائق حياتي وموتي وقيامتي. لا تحزن عليّ؛ بل أنشر في كل مكان قصة قيامتي من الأرض التي يحلم بها الله للبشر إلى كوكب آخر يحلم به الله للأرواح الملبسة بالنجوم! سيُغرس أمل جديد في قلوب الحالمين المتلهفين للموت في العالم.

"نعم يا سيدي!" كم أتمنى أن أشارك الآخرين فرحتي بقيامته!

على الأرض، كانت معاييري عاليةً بشكلٍ مُقلق، لا تُناسب طبائع معظم البشر. كثيرًا ما وبَّخْتُكِ أكثر مما ينبغي. لقد نجحتِ في اختباري؛ وأشرق حبكِ وسط غيوم التوبيخ. وأضاف بحنان: "لقد جئتُ اليوم لأقول لكِ أيضًا: لن أُلقي نظرة اللوم القاسية عليّ مجددًا. لن أوبِّخكِ بعد الآن."

كم افتقدتُ تأديبات معلّمي العظيم! كان كلٌّ منها بمثابة ملاكٍ حارسٍ يحميني.

"يا سيدي العزيز! وبخني مليون مرة - وبخني الآن!"

"لن أوبخك بعد الآن." كان صوته الإلهي جادًا، وإن كان يحمل في طياته ضحكة مكتومة. "سنبتسم أنا وأنت معًا، ما دامت هيئتانا مختلفتين في حلم الله المايا. أخيرًا سنندمج كواحد في الحبيب الكوني؛ ستكون ابتساماتنا ابتسامته، أنشودة فرحنا الموحدة، تنبض عبر الأبدية لتبثها إلى النفوس المنسجمة مع الله!"

لقد أضاء لي سري يوكتسوار بعض الأمور التي لا يسعني البوح بها هنا. خلال الساعتين اللتين قضاهما معي في غرفة فندق بومباي، أجاب على جميع أسئلتي. وقد تحققت بالفعل نبوءات عالمية عديدة نطق بها في ذلك اليوم من شهر يونيو عام ١٩٣٦.

"أتركك الآن يا حبيبتي!" عند هذه الكلمات، شعرت أن سيدي يذوب بين ذراعي.

"يا بني،" رن صوته، متردداً في سماء روحي، "كلما دخلت باب نيربيكالبا سامادهي ودعوتني، سوف آتي إليك بالجسد والدم، كما هو الحال اليوم."

بهذا الوعد السماوي، اختفى سري يوكتسوار عن ناظري. وتردد صوتٌ سحابيٌّ موسيقيٌّ: "أخبرني بكل شيء! من يعلم بإدراك نيربيكالبا أن أرضك حلمٌ من الله، يمكنه أن يأتي إلى كوكب هيرانيالوكا، ذلك الكوكب الحلمي الرائع، وهناك يجدني مُبعثًا في جسدٍ يُشبه جسدي الأرضي تمامًا. يوغاناندا، أخبرني بكل شيء!"

لقد زال حزن الفراق. تلاشى الآن حزني وشفقتي على موته، الذي سلب سلامي طويلًا، في عارٍ مُطبق. تدفقت النعيم كنبعٍ من خلال مسام روحي التي لا نهاية لها، والتي انفتحت حديثًا. كانت مسدودةً قديمًا بالإهمال، لكنها الآن اتسعت نقاءً مع فيضان النشوة الجارفة. تخلصت أفكاري ومشاعري اللاواعية من تجسيداتي السابقة من شوائبها الكارمية، وتجددت ببريقٍ بفضل زيارة سري يوكتسوار الإلهية.

في هذا الفصل من سيرتي الذاتية، أطعتُ وصية معلّمي ونشرتُ البشارة، وإن أربكت جيلًا غير فضولي. الإنسان يعرف جيدًا التذلل؛ واليأس نادرًا

ما يكون غريبًا؛ ومع ذلك، فهذه انحرافات، ليست من نصيب الإنسان الحقيقي. في اليوم الذي يشاء، يُشرع في طريق الحرية. لقد أصغى طويلًا إلى تشاؤم مستشاريه الكئيب، غافلًا عن روحه التي لا تُقهر.

لم أكن الوحيد الذي حظي بشرف رؤية المعلم الروحي القائم من بين الأموات.

كانت إحدى مُرَشِّحات سري يوكتسوار امرأةً مُسنّة، تُعرف بمودة باسم "ما" (الأم)، وكان منزلها قريبًا من مُزار بوري. كان مُعلِّمها يتوقف كثيرًا للدردشة معها خلال نزهته الصباحية. في مساء 16 مارس/آذار 1936، وصلت "ما" إلى الأشرم وطلبت مقابلة مُعلِّمها الروحي.

"لماذا، لقد توفي المعلم منذ أسبوع!" نظر إليها سوامي سيباناندا، المسؤول الآن عن دير بوري، بحزن.

«هذا مستحيل!» ابتسمت ابتسامة خفيفة. «ربما تحاول فقط حماية المعلم من الزوار المُلحّين؟»

"لا." روى سيباناندا تفاصيل الدفن. قال: "تعالوا، سآخذكم إلى الحديقة الأمامية لقبر سري يوكتسوارجي."

هزت أمي رأسها. "لا قبر له! هذا الصباح، في الساعة العاشرة، مرّ في طريقه المعتاد أمام بابي! تحدثتُ إليه لبضع دقائق في الهواء الطلق المُشرق.

"تعالي إلى الأشرم هذا المساء"، قال.

أنا هنا! تتدفق البركات على هذا الرأس الرمادي القديم! أرادني المعلم الخالد أن أفهم في أي جسدٍ سامٍ زارني هذا الصباح!

ركع سيباناندا أمامها مذهولاً.

"أماه"، قال، "ما هذا القدر الهائل من الحزن الذي رفعته عن قلبي! لقد قام!"

٤٣-١: في حالة سابيكالبا سامادهي، يتقدم المريد روحيًا إلى حالة من الاتحاد الإلهي الداخلي، لكنه لا يستطيع الحفاظ على وعيه الكوني إلا في حالة الغيبوبة الثابتة. بالتأمل المستمر، يصل إلى حالة نيربيكالبا سامادهي العليا، حيث يتحرك بحرية في العالم ويؤدي واجباته الخارجية دون أي فقدان للإدراك الإلهي.

٤٣-٢: استخدم سري يوكتسوار كلمة برانا؛ وقد ترجمتها إلى لايفترونات. لا تشير الكتب الهندوسية المقدسة إلى الأنو (الذرة) والبارامانو (ما وراء الذرة)، وهما طاقات إلكترونية أدق فحسب؛ بل تشير أيضًا إلى برانا (القوة الحية الإلكترونية الخلاقة). الذرات والإلكترونات قوى عمياء؛ أما برانا

فهي بطبيعتها ذكية. على سبيل المثال، تُوجِّه لايفترونات البرانا في الحيوانات المنوية والبويضات النمو الجنيني وفقًا لتصميم كرمي.

٤٣-٣: صفة المانترا، أصواتٌ تُرتّل وتُطلق من مدفع التركيز الذهني. تصف البورانا (الشاسترا القديمة أو الأطروحات) هذه الحروب المانتراوية بين الديفا والأسورا (الآلهة والشياطين). حاول أحد الأسورا ذات مرة قتل ديفا بترنيمة قوية. ولكن بسبب خطأ في النطق، عادت القنبلة الذهنية كبومرانغ وقتلت الشيطان.

43-4: إن أمثلة هذه القدرات ليست نادرة حتى على الأرض، كما هو الحال مع هيلين كيلر وغيرها من الكائنات النادرة.

٤٣-٥: سُئل اللورد بوذا ذات مرة: لماذا يجب على الإنسان أن يُحب جميع الناس بالتساوي؟ فأجاب المعلم العظيم: «لأنه في مختلف مراحل حياة كل إنسان، كان كل كائن آخر عزيزًا عليه في وقت من الأوقات».

٤٣-٦: الصفات الأساسية الثمانية التي تدخل في كل كائن حي، من الذرة إلى الإنسان، هي: الأرض، والماء، والنار، والهواء، والأثير، والحركة، والعقل، والفردية. (بهاجافاد جيتا: ٧:٤).

٤٣-٧: الجسد يُشير إلى أي تغليف للروح، سواءً كان ظاهرًا أم خفيًا. الأجساد الثلاثة أقفاصٌ لطائر الجنة.

43-8: كما ساعد باباجي لاهيري ماهاسايا في التخلص من رغبة لا شعورية من حياة سابقة في الحصول على قصر، كما هو موضح في الفصل 34.

٤٣-٩: "فقال لهم: حيثما يكون الجسد، هناك تجتمع النسور." - لوقا ١٧: ٣٧. أينما تكون الروح محصورة في الجسد المادي أو في الجسد النجمي أو في الجسد السببي، هناك تتجمع نسور الرغبات - التي تستغل ضعف الحواس البشرية، أو التعلقات النجمية والسببية - لتبقي الروح أسيرة.

٤٣-١٠: "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأَجْعَلُهُ عَمْدًا فِي هَيْكَلِ إِلهِي، وَلَا يَخْرُجُ إِلَى خَارِجٍ (أيْ لَنْ يَتَنَاسَخَ مِنْ بَعْدِهِ)... مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًا وَجَلِسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ." - رؤيا ٣: ١٢، ٢١.

43-11: كان سري يوكتسوار يشير إلى أنه، كما كان في تجسده الأرضي يتحمل أحيانًا ثقل المرض لتخفيف كارما تلاميذه، فإن مهمته في العالم النجمي كمخلص مكنته من تحمل كارما نجمية معينة لسكان هيرانالوكا، وبالتالي تسريع تطورهم إلى العالم السببي الأعلى.

٤٣-١٢: الحياة والموت نسبيتان فكريتان فقط. يُشير الفيدانتا إلى أن الله هو الحقيقة الوحيدة؛ وأن كل خلق أو وجود منفصل هو وهم. وقد وجدت

فلسفة الواحدية هذه أسمى تعبير لها في شروح الأوبانيشاد لشانكارا.

الفصل: 44

مع المهاتما غاندي في وردها

"أهلًا بكم في وردها!" رحب مهاديف ديساي، سكرتير المهاتما غاندي، بي وبآنسة بليتش والسيد رايت بهذه الكلمات الودية، مهديًا إيانا أكاليل من الخدار (قطن منسوج يدويًا). نزلت مجموعتنا الصغيرة لتوها من محطة وردها في صباح باكر من شهر أغسطس، مسرورين بمغادرة غبار القطار وحرارته. وضعنا أمتعتنا في عربة تجرها الثيران، ودخلنا سيارة مكشوفة مع السيد ديساي ورفيقيه، باباصاحب ديشموخ والدكتور بينغالي. بعد رحلة قصيرة عبر الطرق الريفية الموحلة، وصلنا إلى ماجانفادي، أشرم القديس السياسي الهندي.

قادنا السيد ديساي فورًا إلى غرفة الكتابة حيث جلس المهاتما غاندي متربعًا، يحمل قلمًا في يده وقطعة ورق في الأخرى، وعلى وجهه ابتسامة عريضة ساحرة دافئة القلب!

"مرحبا!" كتب باللغة الهندية؛ كان يوم الاثنين، يوم الصمت الأسبوعي بالنسبة له.

مع أن هذا كان أول لقاء لنا، إلا أننا تبادلنا الود. في عام ١٩٢٥، كرّم المهاتما غاندي مدرسة رانشي بزيارة، ودوّن في سجلّ زوارها تحيةً كريمة.

كان هذا القديس الصغير، الذي يزن 100 رطل، يشعّ بصحة بدنية وعقلية وروحية. أشرقت عيناه البنيتان الناعمتان بالذكاء والإخلاص والتمييز؛ لقد تفوق هذا الرجل السياسي ذكاءً وانتصر في آلاف المعارك القانونية والاجتماعية والسياسية. لم يحقق أي قائد آخر في العالم المكانة المستقرة في قلوب شعبه التي يحتلّها غاندي لملايين الأميين في الهند. تكريمهم العفوي هو لقبه الشهير - المهاتما، "الروح العظيمة". 44-1 لهؤلاء وحدهم، يحصر غاندي لباسه في مئزره الذي يصوره الكثيرون في الرسوم المتحركة، رمزًا لوحدته مع الجماهير المظلومة التي لا تستطيع تحمل المزيد.

المهاتما غاندي

استمتعت بغداء هادئ مع القديس السياسي الهندي في مقره في ورده، في أغسطس 1935.

سكان الأشرم في خدمتكم تمامًا؛ يُرجى الاتصال بهم لأي خدمة. بكل لطف، سلمني المهاتما هذه الرسالة المكتوبة على عجل، بينما كان السيد ديساي يقود مجموعتنا من غرفة الكتابة إلى دار الضيافة.

قادنا مرشدنا عبر بساتين وحقول مزهرة إلى مبنى مسقوف بالبلاط ونوافذه شبكية. قال السيد ديساي إن بئرًا في الفناء الأمامي، عرضه خمسة وعشرون قدمًا، استُخدم لسقي الماشية؛ وبالقرب منه كانت توجد عجلة إسمنتية دوارة لدرس الأرز. لم تكن غرف نومنا الصغيرة تحتوي إلا على الحد الأدنى الضروري - سرير مصنوع يدويًا من الحبال. كان المطبخ المطلي باللون الأبيض يضم صنبورًا في إحدى زواياه وحفرة نار للطهي في زاوية أخرى. وصلت إلى آذاننا أصوات أركادية بسيطة - صيحات الغربان والعصافير، وخوار الماشية، ودقات الأزاميل المستخدمة في تقطيع الحجارة.

بعد أن لاحظ السيد ديساي مذكرات سفر السيد رايت، فتح صفحة وكتب عليها قائمة بساتياجراها

44-2 النذور التي اتخذها جميع أتباع المهاتما الصارمين (ساتياجراهي):

اللاعنف؛ الصدق؛ عدم السرقة؛ العزوبة؛ عدم التملك؛ العمل الجسدي؛ التحكم في الحنك؛ الشجاعة؛ الاحترام المتساوي لجميع الأديان؛ السواديشي (استخدام المنتجات المنزلية)؛ التحرر من التمييز. يجب مراعاة هذه المبادئ الأحد عشر كنذور بروح التواضع.

(وقع غاندي نفسه على هذه الصفحة في اليوم التالي، وأعطى التاريخ أيضًا - 27 أغسطس 1935.)

بعد ساعتين من وصولنا، دُعيتُ أنا ورفاقي لتناول الغداء. كان المهاتما جالسًا بالفعل تحت رواق مدخل الأشرم، قبالة فناء مكتبه. كان حوالي خمسة وعشرين من أتباع الساتياغراه حفاة الأقدام يجلسون القرفصاء أمام أكواب وأطباق نحاسية. بدأت صلاة جماعية؛ ثم قُدّمت وجبة في أوانٍ نحاسية كبيرة تحتوي على خبز الشباتي (خبز قمح كامل غير مخمر) مرشوش بالسمن؛ وتالساري (خضراوات مسلوقة ومقطعة مكعبات)، ومربى ليمون.

تناول المهاتما خبز الشباتي، والشمندر المسلوق، وبعض الخضراوات النيئة، والبرتقال. على جانب طبقه، كانت هناك قطعة كبيرة من أوراق النيم شديدة المرارة، وهي مُنقية للدم. بملعقته، فصل جزءًا ووضعه في طبقي. شربته بالماء، متذكرًا أيام طفولتي عندما أجبرتني أمي على ابتلاع تلك الجرعة غير المرغوبة. أما غاندي، فقد كان يأكل معجون النيم شيئًا فشيئًا بلذة كما لو كان حلوى لذيذة.

في هذه الحادثة البسيطة، لاحظتُ قدرة المهاتما على فصل عقله عن حواسه متى شاء. تذكرتُ عملية استئصال الزائدة الدودية الشهيرة التي أُجريت له قبل بضع سنوات. رفض القديس التخدير،

وكان يتبادل أطراف الحديث مع تلاميذه بمرح طوال العملية، كاشفةً عن ابتسامته المبهجة عن جهله بالألم.

كانت فترة ما بعد الظهر فرصة للدردشة مع تلميذة غاندي الشهيرة، ابنة أميرال إنجليزي، الآنسة مادلين سليد، والتي تسمى الآن ميراباي. 44-3 أضاء وجهها القوي والهادئ بالحماس بينما كانت تحكي لي، باللغة الهندية السليمة، عن أنشطتها اليومية.

أعمال إعادة إعمار الريف مُجزية! تذهب مجموعة منا كل صباح في الخامسة مساءً لخدمة سكان القرى المجاورة وتعليمهم أساسيات النظافة. نحرص على تنظيف مراحيضهم وأكواخهم الطينية. سكان القرى أميون، ولا سبيل لتعليمهم إلا بالقدوة! ضحكت بمرح.

لقد نظرت بإعجاب إلى هذه المرأة الإنجليزية النبيلة التي مكنها تواضعها المسيحي الحقيقي من القيام بأعمال النظافة التي يؤديها عادة "المنبوذون" فقط.

قالت لي: "جئتُ إلى الهند عام ١٩٢٥. في هذه الأرض، أشعر وكأنني عدتُ إلى وطني. الآن، لن أرغب أبدًا في العودة إلى حياتي واهتماماتي القديمة".

ناقشنا أمريكا لفترة. قالت: "أشعر دائمًا بالسعادة والدهشة لرؤية الاهتمام العميق بالمواضيع الروحية لدى العديد من الأمريكيين الذين يزورون الهند".

وسرعان ما انشغلت يدا ميراباي بالتشاركا (عجلة الغزل)، التي كانت موجودة في كل غرف الأشرم، بل وبفضل المهاتما، كانت موجودة في كل مكان في الريف الهندي.

لدى غاندي أسباب اقتصادية وثقافية وجيهة لتشجيع إحياء الصناعات المنزلية، لكنه لا ينصح برفضٍ مُتعصبٍ لكل أشكال التقدم الحديث. لقد لعبت الآلات والقطارات والسيارات والتلغراف أدوارًا مهمة في حياته العظيمة! خمسون عامًا من الخدمة العامة، في السجن وخارجه، مُصارعًا يوميًا التفاصيل العملية والواقع السياسي القاسي، لم تُعزز إلا اتزانه وانفتاحه وعقلانيته وتقديره المرح لهذا المشهد الإنساني العجيب.

استمتع ثلاثينا بعشاء الساعة السادسة مساءً كضيوف على باباصاحب ديشموك. وفي السابعة مساءً، عدنا إلى أشرم ماجانفادي، صاعدين إلى السطح حيث تجمع ثلاثون من أتباع الساتياغرا في نصف دائرة حول غاندي. كان غاندي يجلس القرفصاء على حصيرة من القش، وساعة جيب قديمة أمامه. ألقت الشمس الخافتة بريقها الأخير على أشجار النخيل والبانيان؛ وبدأ هدير الليل

وصوت الصراصير. كان الجو هادئًا بذاته؛ كنتُ في غاية البهجة.

ترنيمةٌ مهيبةٌ قادها السيد ديساي، مع ردودٍ من المجموعة؛ ثم قراءةٌ من الجيتا. أشار لي المهاتما لأُلقي الصلاة الختامية. يا له من انسجامٍ إلهيٍّ بين الفكر والطموح! ذكرى خالدة: تأمل واردًا على سطح المبنى تحت النجوم الأولى.

في تمام الساعة الثامنة، أنهى غاندي صمته. فمشاق حياته الجسام تتطلب منه أن يقسم وقته بدقة.

أهلاً بك يا سواميجي! لم تكن تحية المهاتما هذه المرة عبر الورق. كنا قد نزلنا للتو من السطح إلى غرفة كتابته، المفروشة ببساطة بسجادات مربعة (بدون كراسي)، ومكتب منخفض عليه كتب وأوراق وبعض الأقلام العادية (ليست أقلام حبر)؛ وساعة عادية تدق في زاوية. هالة من السلام والتفاني تغمر المكان. كان غاندي يبتسم ابتسامة آسرة، واسعة، تكاد تكون بلا أسنان.

"قبل سنوات،" أوضح، "بدأتُ أسبوعيًا بيوم صمت كوسيلة لكسب الوقت للاهتمام بمراسلاتي. لكن الآن، أصبحت تلك الساعات الأربع والعشرون حاجة روحية حيوية. إن مرسوم الصمت الدوري ليس عذابًا، بل نعمة."

وافقت على ذلك بكل إخلاص. 44-5 سألني المهاتما عن أمريكا وأوروبا؛ وناقشنا الهند والظروف العالمية.

قال غاندي عندما دخل السيد ديساي الغرفة: "ماهاديف، يرجى اتخاذ الترتيبات في قاعة المدينة لكي يتحدث سوامي هناك عن اليوغا غدًا في المساء".

بينما كنت أقول للمهاتما ليلة سعيدة، سلم لي بكل احترام زجاجة من زيت السترونيلا.

"إن بعوض واردها لا يعرف شيئًا عن الأهيمسا، 44-6 سواميجي!" قال ضاحكًا.

في صباح اليوم التالي، تناولت مجموعتنا الصغيرة فطورًا مبكرًا من عصيدة قمح شهية مع دبس السكر والحليب. وفي العاشرة والنصف، دُعينا إلى شرفة الأشرم لتناول الغداء مع غاندي وأنصار الساتياغرا. تضمنت قائمة الطعام اليوم أرزًا بنيًا، ومجموعة جديدة من الخضراوات، وبذور الهيل.

في الظهيرة، كنت أتجول في أرجاء الأشرم، متجهًا نحو مراعي بعض الأبقار الهادئة. حماية الأبقار شغفٌ كبيرٌ لدى غاندي.

أوضح المهاتما غاندي قائلاً: "البقرة بالنسبة لي تعني العالم دون البشري بأكمله، وتمتد تعاطف الإنسان إلى ما يتجاوز جنسه". "يُفرض على

الإنسان من خلال البقرة أن يُدرك هويته مع كل الكائنات الحية. لماذا اختار الحكماء القدماء البقرة لتأليههم؟ كانت البقرة في الهند خير تشبيه؛ فقد كانت مصدر الرزق الوفير. لم تُعطِ الحليب فحسب، بل جعلت الزراعة ممكنة أيضًا. البقرة قصيدة شفقة؛ يقرأ المرء الشفقة في هذا الحيوان اللطيف. إنها الأم الثانية لملايين البشر. حماية البقرة تعني حماية خلق الله الصامت بأكمله. إن جاذبية المخلوقات الدنيا أقوى لأنها لا تُوصف."

يُفرض على الهندوس الأرثوذكس ثلاثة طقوس يومية. إحداها هي بهوتا ياجنا، وهي تقديم الطعام لمملكة الحيوان. ترمز هذه المراسم إلى إدراك الإنسان لالتزاماته تجاه الكائنات الأقل تطورًا، المرتبطة غريزيًا بهويات جسدية تُفسد الحياة البشرية، لكنها تفتقر إلى صفة العقل المُحرر التي تُميز البشرية. وهكذا، تُعزز بهوتا ياجنا استعداد الإنسان لمساعدة الضعفاء، إذ يجد في المقابل عزاءً لا يُحصى من رعايات الكائنات العليا غير المرئية. كما أن الإنسان مُقيدٌ بعطايا الطبيعة المُجددة، المُبذّرة في الأرض والبحر والسماء. وهكذا، يُتغلب على الحاجز التطوري المتمثل في عدم القدرة على التواصل بين الطبيعة والحيوانات والإنسان والملائكة النجمية بمهام الحب الصامت.

الياجنا اليومية الأخرى هما بيتري ونري. ياجنا بيتري هي قربانٌ للأسلاف، رمزٌ لاعتراف الإنسان بديونه

للماضي، الذي يُنير جوهر حكمته البشرية اليوم. ياجنا نري هي قربانٌ للطعام للغرباء أو الفقراء، رمزٌ لمسؤوليات الإنسان الحالية، وواجباته تجاه معاصريه.

في وقت مبكر من بعد الظهر، حققتُ نري ياجنا (أو نري ياجنا) الودود بزيارةٍ إلى أشرم غاندي للفتيات الصغيرات. رافقني السيد رايت في رحلةٍ بالسيارة استغرقت عشر دقائق. وجوهٌ صغيرةٌ كأزهارٍ صغيرةٍ فوق ساريٍّ طويلٍ ملون! في نهاية حديثٍ قصيرٍ باللغة الهندية 44-7 كنتُ ألقيه في الهواء الطلق، أمطرت السماءُ فجأةً بغزارة. ضحكتُ، وصعدتُ أنا والسيد رايت إلى السيارة وانطلقنا عائدين إلى ماجانفادي وسط سماءٍ فضيةٍ ناصعة. يا لها من كثافةٍ استوائيةٍ ورذاذ!

عند عودتي إلى دار الضيافة، دهشتُ من جديد من بساطة المكان ودلائل التضحية بالنفس التي تتجلى في كل مكان. نذر غاندي عدم التملك في بداية حياته الزوجية. بعد أن تخلى عن ممارسة قانونية واسعة النطاق كانت تدر عليه دخلاً سنوياً يزيد عن 20 ألف دولار، وزّع المهاتما كل ثروته على الفقراء.

كان سري يوكتسوار يسخر بلطف من المفاهيم غير الكافية الشائعة للتخلي.

يقول المعلم: "لا يمكن للمتسوّل أن يتخلى عن الثروة. إذا رثى رجلٌ نفسه قائلاً: "فشلت أعمالي؛

تركتني زوجتي؛ سأتخلى عن كل شيء وأدخل ديرًا"، فأي تضحية دنيوية يشير إليها؟ لم يتخلى عن الثروة والحب؛ بل هما من تخليا عنه!"

ومن ناحية أخرى، لم يقدم القديسون مثل غاندي تضحيات مادية ملموسة فحسب، بل قدموا أيضًا التخلي الأكثر صعوبة عن الدافع الأناني والهدف الخاص، ودمجوا كيانهم الداخلي في

تيار الإنسانية ككل.

لم تعترض زوجة المهاتما الرائعة، كاستوراباي، عندما لم يُخصِّص أي جزء من ثروته لإعالة نفسها وأطفالهما. تزوج غاندي وزوجته في شبابهما المبكر، ونذرا العزوبة بعد ولادة عدد من الأبناء. 44-8 كاستوراباي، بطلة هادئة في الدراما المُكثَّفة التي شكّلت حياتهما معًا، لحقت بزوجها إلى السجن، وشاركته صيامه الذي استمر ثلاثة أسابيع، وتحمَّلت مسؤولياته التي لا تنتهي. وقد أشادت بغاندي بالآتي:

أشكرك لأنك حظيتَ بشرف أن أكون رفيقك ومساعدك الدائم. أشكرك على الزواج الأمثل في العالم، القائم على ضبط النفس لا على الجنس. أشكرك لأنك اعتبرتني ندًا لك في عملك الدؤوب من أجل الهند. أشكرك لأنك لم تكن من أولئك الأزواج الذين يقضون وقتهم في المقامرة والسباقات والنساء والخمر والغناء، يملّون من زوجاتهم وأطفالهم كما يملّ الصبي الصغير من

ألعاب طفولته. كم أنا ممتن لأنك لم تكن من أولئك الأزواج الذين يكرّسون وقتهم للثراء على حساب استغلال عمل الآخرين.

كم أنا ممتنة لأنكِ وضعتِ الله والوطن فوق الرشوة، ولأنكِ تحليتِ بشجاعة قناعاتكِ وإيمانٍ كاملٍ وضمني بالله. كم أنا ممتنة لزوجٍ وضع الله والوطن فوقي. أنا ممتنة لتسامحكِ معي ومع عيوب شبابي، عندما كنتُ أتذمر وأتمرد على التغيير الذي أحدثتِهِ في أسلوب حياتنا، من الكثرة إلى القلة.

في صغري، عشتُ في بيت والديك؛ كانت والدتك امرأةً عظيمةً وصالحةً؛ فقد ربّتني وعلمتني كيف أكون زوجةً شجاعةً مقدامةً، وكيف أحافظ على حبّ واحترام ابنها، زوجي المستقبلي. ومع مرور السنين، وبعد أن أصبحتَ الزعيمَ المحبوبَ في الهند، لم أعد أشعرُ بأيّ من المخاوف التي تُراود الزوجة التي قد تُهمَل بعد أن يصعد زوجها سلم النجاح، كما يحدث غالبًا في بلدانٍ أخرى. كنتُ أعلم أن الموت سيُصيبنا جميعًا.

لسنوات، تولّت كاستورباي مهام أمينة صندوق الأموال العامة التي جمعها المهاتما المعبود بالملايين. هناك قصص فكاهية كثيرة في البيوت الهندية تُفيد بأن الأزواج يخشون ارتداء زوجاتهم أي مجوهرات في اجتماع غاندي؛ لكن لسان المهاتما السحري، الذي يتوسل من أجل المظلومين، يُسحر

أساور الذهب والقلائد الماسية من أذرع وأعناق الأثرياء ويضعها في سلة التبرعات!

في أحد الأيام، لم يستطع أمين الخزانة العامة، كاستوراباي، تفسير صرف أربع روبيات. فنشر غاندي تقريرًا تدقيقيًا أشار فيه بلا هوادة إلى فارق الأربع روبيات الذي ورثته زوجته.

كنتُ أروي هذه القصة كثيرًا أمام طلابي الأمريكيين. في إحدى الأمسيات، أطلقت امرأة في القاعة شهقةً غاضبة.

"مهاتما أو لا مهاتما"، صرخت، "لو كان زوجي لأعطيته سوادًا في عينه بسبب هذه الإهانة العامة غير الضرورية!"

بعد أن دار بيننا بعض المزاح اللطيف حول موضوع الزوجات الأمريكيات والزوجات الهندوسيات، انتقلت إلى شرح أكثر تفصيلاً.

«السيدة غاندي لا تعتبر المهاتما زوجها، بل مُعلِّمها الروحي، الذي يحق له تأديبها حتى على أخطائها البسيطة»، كما أشرتُ. «بعد فترة من توبيخ كاستوراباي علنًا، حُكم على غاندي بالسجن بتهمة سياسية. وبينما كان يودع زوجته بهدوء، سقطت عند قدميه. قالت بتواضع: «سيدي، إن كنتُ قد أسأت إليك يومًا، فأرجوك سامحني». 44-9

في الساعة الثالثة من عصر ذلك اليوم في واردها، ذهبتُ، بناءً على موعد مسبق، إلى غرفة الكتابة الخاصة بالقديس الذي استطاع أن يجعل من زوجته تلميذةً لا تلين - معجزة نادرة! رفع غاندي رأسه بابتسامة لا تُنسى.

"مهاتما جي"، قلت وأنا أجلس بجانبه على الحصيرة غير المبطنة، "من فضلك أخبرني بتعريفك للأهيمسا".

"تجنب إيذاء أي كائن حي بالفكر أو الفعل."

فكرة رائعة! لكن العالم سيظل يسأل: ألا يجوز قتل كوبرا لحماية طفل أو لحماية نفسه؟

لا أستطيع قتل أفعى كوبرا دون أن أخالف نذرين من نذوري: الشجاعة وعدم القتل. أفضل أن أحاول تهدئة الأفعى داخليًا بذبذبات الحب. لا أستطيع أبدًا أن أخفض معاييري لتناسب ظروفي. وبصراحة مذهلة، أضاف غاندي: "أعترف أنني لا أستطيع مواصلة هذه المحادثة لو واجهت أفعى كوبرا!"

لقد علقت على العديد من الكتب الغربية الحديثة جدًا حول النظام الغذائي والتي كانت موجودة على مكتبه.

نعم، النظام الغذائي مهم في حركة الساتياغراها، كما في كل مكان آخر، قال ضاحكًا. "لأنني أدعو إلى الامتناع التام عن ممارسة الجنس لدى أتباع

الساتياغراها، فأنا دائمًا أبحث عن أفضل نظام غذائي للعازبين. يجب على المرء أن يتغلب على ذوقه قبل أن يتمكن من التحكم في غريزة الإنجاب. ليس الجوع الجزئي أو اتباع نظام غذائي غير متوازن هو الحل. بعد التغلب على الجشع الداخلي للطعام، يجب على الساتياغراها الاستمرار في اتباع نظام غذائي نباتي عقلاني يحتوي على جميع الفيتامينات والمعادن والسعرات الحرارية الضرورية، وما إلى ذلك. بفضل الحكمة الداخلية والخارجية في تناول الطعام، يتحول السائل الجنسي لدى الساتياغراها بسهولة إلى طاقة حيوية للجسم كله."

قارنتُ أنا والمهاتما معرفتنا ببدائل اللحوم الجيدة. قلتُ: "الأفوكادو ممتاز. هناك العديد من بساتين الأفوكادو بالقرب من مركزي في كاليفورنيا".

أشرق وجه غاندي باهتمام. "أتساءل إن كانت ستنمو في واردها؟ سيُقدّر أتباع الساتياغرا طعامًا جديدًا."

"سأحرص على إرسال بعض نباتات الأفوكادو من لوس أنجلوس إلى واردها." 44-10 أضفت، "البيض غذاء غني بالبروتين؛ فهل هو ممنوع على الساتياجراهيين؟"

"ليس بيضًا غير مخصب." ضحك المهاتما متذكرًا. "لسنوات، لم أكن أؤيد استخدامه؛ وحتى الآن، لا

أتناوله شخصيًا. كانت إحدى كنّاتي تموت ذات مرة من سوء التغذية؛ أصر طبيبها على تناول البيض. لم أوافق، ونصحته بإعطائها بديلًا للبيض.

"قال الطبيب: "غاندي جي، إن البيض غير المخصب لا يحتوي على حيوانات منوية حية؛ ولا يتضمن أي قتل".

"ثم سمحت بسرور لزوجة ابني بتناول البيض، وسرعان ما استعادت صحتها."

في الليلة السابقة، أعرب غاندي عن رغبته في تلقي كرييا يوغا من لاهيري ماهاسايا. تأثرتُ بانفتاح المهاتما وروحه الاستقصائية. إنه طفولي في سعيه الإلهي، كاشفًا عن ذلك التقبل النقي الذي أشاد به يسوع في الأطفال، "... لمثل هؤلاء ملكوت السموات".

حان وقتُ تعليمي الموعود؛ دخل الغرفةَ الآن عددٌ من مُمارسي الساتياغرا - السيد ديساي، والدكتور بينجال، وعددٌ قليلٌ ممن رغبوا في تقنية الكريا.

درّستُ في البداية تمارين اليوغودا الجسدية للصف الصغير. يُصوَّر الجسم مُقسَّمًا إلى عشرين جزءًا؛ تُوجِّه الإرادة الطاقة بدورها إلى كل جزء. وسرعان ما بدأ الجميع يهتزّون أمامي كمحرك بشري. كان من السهل ملاحظة التأثير المتموّج على أجزاء جسد غاندي العشرين، المكشوفة تمامًا في جميع الأوقات! على الرغم من نحافته الشديدة، إلا أنه

ليس نحيفًا بشكلٍ مُزعج؛ فبشرة جسده ناعمة وخالية من التجاعيد.

وفي وقت لاحق قمت بتدريب المجموعة على تقنية كريا يوغا التحريرية.

لقد درس المهاتما جميع الأديان العالمية بتبجيل. تُعدّ الكتب الجينية، والعهد الجديد من الكتاب المقدس، وكتابات تولستوي الاجتماعية (ص 44-11) المصادر الرئيسية الثلاثة لقناعات غاندي اللاعنفية. وقد عبّر عن عقيدته على النحو التالي:

أعتقد أن الكتاب المقدس والقرآن الكريم والزند-أفيستا ٤٤-١٢ مُلهَمون إلهيًا بقدر الفيدا. أؤمن بمؤسسة الغورو، ولكن في هذا العصر، لا بد أن يعيش الملايين بدون غورو، لأنه من النادر أن نجد مزيجًا من النقاء التام والعلم الكامل. لكن لا داعي لليأس من معرفة حقيقة دينك، لأن أساسيات الهندوسية، كأي دين عظيم، ثابتة وسهلة الفهم.

أؤمن، كأي هندوسي، بالله ووحدانيته، وبالبعث والخلاص... لا أستطيع وصف شعوري تجاه الهندوسية أكثر مما أستطيع وصف شعوري تجاه زوجتي. إنها تُؤثر فيّ أكثر مما تُؤثر به أي امرأة أخرى في العالم. ليس لأنها بلا عيوب؛ بل لأجرؤ على القول إن لديها عيوبًا أكثر بكثير مما أرى نفسي. لكن الشعور برباط لا ينفصم موجود. ومع ذلك، أشعر تجاه الهندوسية بكل عيوبها وحدودها. لا

شيء يُسعدني بقدر موسيقى الجيتا، أو رامايانا لتولسيداس. عندما ظننت أنني ألفظ أنفاسي الأخيرة، كانت الجيتا سلوتي.

الهندوسية ليست ديانة حصرية، بل فيها مجال لعبادة جميع أنبياء العالم. 44-13 إنها ليست ديانة تبشيرية بالمعنى التقليدي للكلمة، ولا شك أنها...

استوعبت الهندوسية قبائل عديدة في صفوفها، لكن هذا الاستيعاب كان ذا طابع تطوري غير محسوس. تُلزم الهندوسية كل إنسان بعبادة الله وفقًا لعقيدته أو دارما، 44-14، وبذلك تعيش بسلام مع جميع الأديان.

كتب غاندي عن المسيح: "أنا متأكد أنه لو كان يعيش بين الناس الآن، لبارك حياة كثيرين ربما لم يسمعوا باسمه قط... كما هو مكتوب: "ليس كل من يقول لي: يا رب، يا رب... بل من يفعل مشيئة أبي". 44-15. في درس حياته، منح يسوع البشرية الغاية العظيمة والهدف الوحيد الذي ينبغي لنا جميعًا أن نطمح إليه. أؤمن أنه لا ينتمي إلى المسيحية فحسب، بل إلى العالم أجمع، إلى جميع البلدان والأعراق".

في آخر أمسية لي في واردا، ألقيتُ كلمةً في الاجتماع الذي دعا إليه السيد ديساي في قاعة المدينة. كانت القاعة تعجّ حتى عتبات النوافذ بحوالي 400 شخص مجتمعين لسماع محاضرة

اليوغا. تحدثتُ أولًا باللغة الهندية، ثم بالإنجليزية. عادت مجموعتنا الصغيرة إلى الأشرم في الوقت المناسب لإلقاء نظرة خاطفة على غاندي قبل النوم، غارقين في هدوء وتواصل.

كان الليل لا يزال يخيم على المكان عندما استيقظتُ الساعة الخامسة صباحًا. كانت حياة القرية تنبض بالحياة؛ أولًا عربة يجرها ثور عند بوابة الأشرم، ثم فلاح يحمل حمولته الثقيلة على رأسه. بعد الإفطار، توجه ثلاثتنا إلى غاندي لتلاوة آيات الوداع. يستيقظ القديس الساعة الرابعة عصرًا لصلاة الفجر.

"مهاتماجي، وداعًا!" ركعتُ لألمس قدميه. "الهند في أمانٍ بين يديك!"

مرّت سنواتٌ منذ أنشودة وردها الرعوية؛ أظلمت الأرض والمحيطات والسماوات في ظلامٍ دامسٍ على العالم. غاندي، وحده بين القادة العظماء، قدّم بديلاً عملياً سلمياً للقوة المسلحة. ولإنصاف المظالم ورفع الظلم، استخدم المهاتما غاندي وسائل سلمية أثبتت فعاليتها مراراً وتكراراً. يُعلن عن عقيدته بهذه الكلمات:

لقد وجدتُ أن الحياة تستمر في خضم الدمار. لذا، لا بد من وجود قانون أسمى من قانون الدمار. ففي ظل هذا القانون فقط، يُمكن فهم المجتمع المُنظّم جيدًا، وتكون الحياة جديرة بالعيش.

إذا كان هذا هو قانون الحياة، فعلينا تطبيقه في حياتنا اليومية. أينما وُجدت حروب، أينما واجهنا خصمًا، انتصرنا بالحب. لقد وجدتُ أن قانون الحب الأكيد قد انطبق عليّ في حياتي، كما لم يفعل قانون الدمار قط.

في الهند، شهدنا عرضًا مرئيًا لتطبيق هذا القانون على أوسع نطاق ممكن. لا أزعم أن اللاعنف قد تغلغل في قلوب 360 مليون شخص في الهند، لكنني أزعم أنه تغلغل بشكل أعمق من أي مبدأ آخر في وقت قصير جدًا.

يتطلب الوصول إلى حالة ذهنية من اللاعنف تدريبًا شاقًا. إنها حياة منضبطة، كحياة الجندي. لا تُبلغ هذه الحالة المثالية إلا عندما يكون العقل والجسد والكلام في تناغم تام. كل مشكلة تُحل بسهولة إذا عزمنا على جعل قانون الحقيقة واللاعنف قانون الحياة.

كما يُبدع العالم في تطبيقات قوانين الطبيعة المختلفة، فإن الإنسان الذي يُطبق قوانين الحب بدقة علمية يُمكنه أن يُبدع في عجائب أعظم. اللاعنف أروع وأدق بكثير من قوى الطبيعة، كالكهرباء مثلاً. قانون الحب علمٌ أعظم بكثير من أي علم حديث.

بالرجوع إلى التاريخ، يُمكن القول إن مشاكل البشرية لم تُحل باستخدام القوة الغاشمة. أنتجت

الحرب العالمية الأولى كرة ثلجية مُرعبة من كارما الحرب، والتي تضخمت لتتحول إلى الحرب العالمية الثانية. وحده دفء الأخوة قادر على إذابة كرة الثلج الهائلة الحالية من كارما الحرب، والتي قد تتفاقم لولا ذلك لتتحول إلى الحرب العالمية الثالثة. هذا الثالوث الشرير سيُبدد إلى الأبد احتمال نشوب حرب عالمية رابعة بنهاية القنابل الذرية. إن استخدام منطق الغابة بدلًا من العقل البشري في حل النزاعات سيُعيد الأرض إلى غابة. إن لم يكن هناك إخوة في الحياة، فإخوة في الموت العنيف.

الحرب والجريمة لا تُجدي نفعًا. مليارات الدولارات التي تبخرت في دخان العدم المتفجر كانت كافية لبناء عالم جديد، عالم يكاد يكون خاليًا من الأمراض وخالٍ تمامًا من الفقر. ليست أرضًا يسودها الخوف والفوضى والمجاعة والأوبئة ورقص الموت، بل أرض واسعة يسودها السلام والرخاء والمعرفة المتنامية.

صوت غاندي اللاعنفي يناشد ضمير الإنسان الأسمى. فلتتحالف الأمم لا مع الموت، بل مع الحياة؛ لا مع الدمار، بل مع البناء؛ لا مع المُبيد، بل مع الخالق.

تقول المهابهاراتا: "يجب على المرء أن يسامح مهما كان الضرر الذي لحق به". "لقد قيل إن استمرار النوع البشري يعود إلى تسامح الإنسان. التسامح هو القداسة؛ وبالتسامح يُحفظ الكون. التسامح هو

قوة الأقوياء؛ التسامح هو التضحية؛ التسامح هو هدوء البال. التسامح واللطف صفتان من صفات أصحاب الضمائر الحية. إنهما يمثلان الفضيلة الأبدية".

اللاعنف ثمرة طبيعية لقانون التسامح والمحبة. يقول غاندي: "إذا استلزمت معركة عادلة إزهاق الأرواح، فعلينا أن نكون مستعدين، كما فعل يسوع، لإراقة دمائنا، لا دم الآخرين. في النهاية، سيقل سفك الدماء في العالم".

ستُكتب الملاحم يومًا ما عن الساتياغراهيين الهنود الذين قاوموا الكراهية بالحب، والعنف باللاعنف، وسمحوا لأنفسهم بأن يُذبحوا بلا رحمة بدلًا من الرد. وكانت النتيجة في بعض المناسبات التاريخية أن ألقى المعارضون المسلحون أسلحتهم وفرّوا، وقد غمرهم الخجل والهلع من رؤية رجالٍ يُقدّرون حياة الآخرين على حياتهم.

يقول غاندي: "سأنتظر، إن لزم الأمر، لعصور، بدلًا من السعي وراء حرية بلدي بوسائل دموية". ولا ينسى المهاتما أبدًا تحذيره الجليل: "كل من يأخذ السيف سيهلك بالسيف". 44-16 كتب غاندي:

أُسمّي نفسي قوميًا، لكن قوميتي واسعةٌ كسعة الكون. فهي تشمل في شمولها جميع أمم الأرض. 44-17 قوميتي تشمل رفاهية العالم أجمع. أنا لا...

لا أريد أن تنهض الهند على أنقاض أمم أخرى. لا أريد أن تستغل الهند إنسانًا واحدًا. أريد أن تكون الهند قويةً حتى تنقل عدوى قوتها إلى الأمم الأخرى أيضًا. ليس الأمر كذلك مع أمة واحدة في أوروبا اليوم؛ فهي لا تمنح القوة للآخرين.

ذكر الرئيس ويلسون نقاطه الأربع عشرة الجميلة، لكنه قال: "في النهاية، إذا فشل مسعانا لتحقيق السلام، فلدينا أسلحتنا التي نعتمد عليها". أريد أن أعكس هذا الموقف، وأقول: "لقد فشلت أسلحتنا بالفعل. فلنبحث الآن عن شيء جديد؛ فلنجرب قوة المحبة والله التي هي الحق". عندما نحصل على ذلك، لن نحتاج إلى أي شيء آخر.

ومن خلال تدريب المهاتما غاندي لآلاف من الساتياجراهيين الحقيقيين (أولئك الذين أخذوا العهود الصارمة الأحد عشر المذكورة في الجزء الأول من هذا الفصل)، والذين بدورهم نشروا الرسالة؛ ومن خلال تثقيف الجماهير الهندية بصبر لفهم الفوائد الروحية والمادية في نهاية المطاف للاعنف؛ ومن خلال تسليح شعبه بأسلحة غير عنيفة ـــ عدم التعاون مع الظلم، والاستعداد لتحمل الإهانات والسجن والموت نفسه بدلاً من اللجوء إلى السلاح؛ ومن خلال حشد تعاطف العالم من خلال أمثلة لا حصر لها من الاستشهاد البطولي بين الساتياجراهيين، صور غاندي بشكل درامي الطبيعة

العملية للاعنف، وقوته الجليلة في تسوية النزاعات دون حرب.

لقد حقق غاندي، بوسائل سلمية، عددًا من التنازلات السياسية لأرضه يفوق ما حققه أي زعيم في أي بلد إلا بالرصاص. وقد طُبقت أساليب السلمية للقضاء على جميع المظالم والشرور بشكل ملحوظ، ليس فقط في الساحة السياسية، بل في مجال الإصلاح الاجتماعي الهندي الدقيق والمعقد. وقد أزال غاندي وأتباعه العديد من الخلافات القديمة بين الهندوس والمسلمين؛ وينظر مئات الآلاف من المسلمين إلى المهاتما كزعيم لهم. وقد وجد فيه المنبوذون بطلهم الشجاع والمنتصر. كتب غاندي: "لو كان في انتظاري ميلاد جديد، لأتمنى أن أولد منبوذًا وسط المنبوذين، لأتمكن بذلك من تقديم خدمة أكثر فعالية لهم".

المهاتما هو بالفعل "روح عظيمة"، لكن ملايين الأميين هم من امتلكوا الفطنة لمنحه هذا اللقب. هذا النبي اللطيف مُكرّم في وطنه. وقد تمكّن الفلاح البسيط من مواجهة تحدي غاندي العظيم. يؤمن المهاتما إيمانًا راسخًا بنبل الإنسان الأصيل. لم تُخيبه الإخفاقات الحتمية قط. يكتب: "حتى لو خدعه الخصم عشرين مرة، فإن الساتياغراهي مستعد للثقة به في المرة الحادية والعشرين، لأن الثقة الضمنية بالطبيعة البشرية هي جوهر العقيدة". 44-18

«مهاتماجي، أنت رجل استثنائي. لا تتوقع من العالم أن يتصرف مثلك». هذا ما قاله أحد النقاد ذات مرة.

أجاب غاندي: "من الغريب كيف نخدع أنفسنا، متوهمين أن الجسد يمكن تحسينه، بينما يستحيل استحضار القوى الخفية للروح". "أنا منهمك في محاولة إثبات أنه إذا كنت أمتلك أيًا من هذه القوى، فأنا بشر ضعيف كأي منا، وأنني لم أكن يومًا ما أمتلك أي شيء خارق للعادة، ولا أملكه الآن. أنا إنسان بسيط معرض للخطأ كأي إنسان فانٍ آخر. ومع ذلك، أقر بأن لديّ من التواضع ما يكفي للاعتراف بأخطائي والعودة إلى الوراء. أقر بأن لديّ إيمانًا راسخًا بالله وخيره، و..."

شغفٌ لا يُقهر بالحقيقة والحب. ولكن أليس هذا ما يختبئ في كل إنسان؟ إذا أردنا التقدم، فعلينا ألا نكرر التاريخ، بل أن نصنع تاريخًا جديدًا. علينا أن نضيف إلى الإرث الذي تركه لنا أسلافنا. إذا كان بإمكاننا تحقيق اكتشافات واختراعات جديدة في عالم الظواهر، فهل يجب أن نعلن إفلاسنا في المجال الروحي؟ هل من المستحيل مضاعفة الاستثناءات لجعلها القاعدة؟ هل يجب على الإنسان أن يكون دائمًا وحشيًا أولًا، ثم إنسانيًا بعد ذلك، إن كان يجب عليه ذلك أصلًا؟ 44-19

قد يتذكر الأمريكيون بفخر التجربة السلمية الناجحة التي قادها ويليام بن في تأسيس مستعمرته في

بنسلفانيا في القرن السابع عشر. لم تكن هناك "حصون، ولا جنود، ولا ميليشيات، ولا حتى أسلحة". في خضم حروب الحدود الشرسة والمجازر التي دارت بين المستوطنين الجدد والهنود الحمر، ظلّ الكويكرز في بنسلفانيا وحدهم سالمين. "قُتل آخرون، وذُبِحَ آخرون، لكنهم كانوا سالمين. لم تتعرض امرأة كويكر للاعتداء، ولم يُقتل طفل كويكر، ولم يُعذَّب رجل كويكر". عندما أُجبر الكويكرز أخيرًا على التخلي عن حكم الولاية، "اندلعت الحرب، وقُتل بعض البنسلفانيين. لكن ثلاثة كويكرز فقط قُتلوا، ثلاثة منهم ارتدّوا عن دينهم إلى حدّ حمل السلاح للدفاع عن أنفسهم".

أشار فرانكلين د. روزفلت إلى أن "اللجوء إلى القوة في الحرب العالمية الأولى لم يُحقق الهدوء. كان النصر والهزيمة عقيمين على حد سواء. هذا درس كان ينبغي على العالم أن يتعلمه".

علّم لاو تزو: "كلما زادت أسلحة العنف، ازداد بؤس البشرية. وينتهي انتصار العنف بمهرجان حزن".

أعلن غاندي: "أناضل من أجل السلام العالمي لا غير. إذا نجحت الحركة الهندية على أساس الساتياغراها السلمية، فسيُضفي ذلك معنى جديدًا على الوطنية، وإذا جاز لي أن أقول ذلك بكل تواضع، فسيُضفي معنى جديدًا على الحياة نفسها".

قبل أن يرفض الغرب برنامج غاندي باعتباره برنامجاً حالماً غير عملي، فعليه أولاً أن يتأمل في تعريف الساتياجراها الذي وضعه سيد الجليل:

"سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن. وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر. 44-20 بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا."

امتد عصر غاندي، بدقةٍ فائقةٍ للتوقيت الكوني، إلى قرنٍ مُقفرٍ ومُدمرٍ بفعل حربين عالميتين. وظهرتْ بصمةٌ إلهيةٌ على جدار حياته الجرانيتي: تحذيرٌ من مزيدٍ من سفك الدماء بين الإخوة.

خط يد المهاتما غاندي باللغة الهندية

زار المهاتما غاندي مدرستي الثانوية التي أتدرب فيها على اليوغا في رانشي. وقد دوّن بكل لطف هذه السطور في سجل زوار رانشي. وترجمتها: "لقد أثّرت هذه المؤسسة فيّ تأثيرًا عميقًا. يحدوني أمل كبير في أن تشجع هذه المدرسة على الاستخدام العملي لعجلة الغزل."

(توقيع) موهانداس غاندي 17 سبتمبر 1925

صمم غاندي علمًا وطنيًا للهند عام ١٩٢١. خطوطه هي الزعفراني والأبيض والأخضر؛ أما عجلة الغزل (التشاركا) في المنتصف فهي زرقاء داكنة. وكتب: "ترمز عجلة الغزل إلى الطاقة، وتذكرنا بأنه خلال

عصور الازدهار الماضية في تاريخ الهند، كان الغزل اليدوي والحرف اليدوية الأخرى بارزة".

٤٤-١: اسم عائلته هو موهانداس كارامشاند غاندي. لم يُسمِّ نفسه قطّ "مهاتما".

44-2: الترجمة الحرفية من السنسكريتية هي "التمسك بالحقيقة". الساتياجراها هي حركة اللاعنف الشهيرة التي قادها غاندي.

٤٤-٣: يا للأسف! انتشرت مؤخرًا تقارير كاذبة ومغرضة تفيد بأن الآنسة سليد قد قطعت كل علاقاتها مع غاندي ونكثت عهودها. أصدرت الآنسة سليد، تلميذة المهاتما في الساتياغراها لمدة عشرين عامًا، بيانًا موقعًا لوكالة يونايتد برس، بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٤٥، أوضحت فيه أن سلسلة من الشائعات الواهية قد انتشرت بعد مغادرتها، بمباركة غاندي، إلى موقع صغير في شمال شرق الهند بالقرب من جبال الهيمالايا، بهدف تأسيس "كيسان آشرم" (مركز للمساعدات الطبية والزراعية للمزارعين) المزدهر هناك. ويعتزم المهاتما غاندي زيارة الأشرم الجديد خلال عام ١٩٤٦.

44-4: ذكّرتني الآنسة سليد بامرأة غربية مرموقة أخرى، هي الآنسة مارغريت وودرو ويلسون، الابنة الكبرى للرئيس الأمريكي العظيم. التقيتُ بها في نيويورك؛ كانت شغوفةً بالهند. لاحقًا، انتقلت إلى بونديشيري، حيث قضت السنوات الخمس الأخيرة

من حياتها، تسلك بسعادةٍ طريق الانضباط على نهج سري أوروبيندو غوش. هذا الحكيم لا يتكلم أبدًا؛ يُحيي أتباعه في صمتٍ ثلاث مراتٍ سنويًا فقط.

44-5: لقد كنت ألتزم بفترات من الصمت لسنوات عديدة في أمريكا، مما أثار استياء المتصلين والسكرتيرات.

٤٤-٦: عدم الإضرار؛ اللاعنف؛ أساس عقيدة غاندي. وُلد في عائلة من الجاينيين المتشددين، الذين يُبجّلون مبدأ الأهيمسا باعتباره أساس الفضيلة. تأسست الجاينية، وهي طائفة هندوسية، في القرن السادس قبل الميلاد على يد مهافيرا، وهو

معاصر لبوذا. ماهافيرا يعني "البطل العظيم"؛ فلينظر عبر القرون إلى ابنه البطل غاندي!

٤٤-٧: الهندية هي اللغة المشتركة في جميع أنحاء الهند. وهي لغة هندو-آرية، ذات جذور سنسكريتية إلى حد كبير، وهي اللغة العامية الرئيسية في شمال الهند. اللهجة الرئيسية للهند الغربية هي الهندوستانية، المكتوبة بالحروف الديفاناغارية (السنسكريتية) والحروف العربية. أما لهجتها الفرعية، وهي الأردية، فيتحدثها المسلمون.

44-8: وصف غاندي حياته بصراحة مدمرة في كتاب "قصة تجاربي مع الحقيقة" (أحمد آباد: دار نشر نافاجيفان، 1927-29، مجلدان). وقد تم تلخيص هذه السيرة الذاتية في كتاب "مهاتما

غاندي، قصته الخاصة"، الذي حرره سي إف أندروز، مع مقدمة بقلم جون هاينز هولمز (نيويورك: شركة ماكميلان، 1930).

العديد من السير الذاتية الزاخرة بأسماء شهيرة وأحداث نابضة بالحياة تكاد تغفل أي مرحلة من مراحل التحليل أو التطور الداخلي. يُسلّم المرء كل كتاب من هذه الكتب بشيء من عدم الرضا، كما لو كان يقول: "هذا رجل عرف شخصيات مرموقة كثيرة، لكنه لم يعرف نفسه قط". هذا الانفعال مستحيل مع سيرة غاندي الذاتية؛ فهو يكشف عن عيوبه وخدعه بتفانٍ غير شخصي للحقيقة، نادرًا ما نجده في أي تاريخ تاريخي من أي عصر.

9-44: توفيت كاستورباي غاندي في سجن بونا في 22 فبراير 1944. بكى غاندي، الذي اعتاد على الهدوء والسكينة، في صمت. بعد وقت قصير من اقتراح معجبيها إنشاء صندوق تذكاري لها، تدفقت 125 لاك روبية (ما يقارب أربعة ملايين دولار) من جميع أنحاء الهند. رتّب غاندي استخدام الصندوق لدعم النساء والأطفال في القرى. وينشر غاندي أنشطته في صحيفته الأسبوعية الصادرة باللغة الإنجليزية، هاريجان.

٤٤-١٠: أرسلتُ شحنةً إلى واردا، بعد عودتي إلى أمريكا بفترة وجيزة. وللأسف، ذبلت النباتات في الطريق، إذ لم تستطع تحمّل مشاقّ النقل البحري الطويل.

44-11: ثورو، ورسكين، ومازيني هم ثلاثة كتاب غربيين آخرين درس غاندي آراءهم الاجتماعية بعناية.

44-12: الكتاب المقدس الذي أعطي لبلاد فارس حوالي عام 1000 قبل الميلاد من قبل زرادشت.

٤٤-١٣: السمة الفريدة للهندوسية بين أديان العالم هي أنها لا تستمد أصولها من مؤسس عظيم واحد، بل من النصوص الفيدية غير الشخصية. وهكذا، تتيح الهندوسية مجالاً للدمج التعبدي في جماعتها من أنبياء جميع العصور وفي جميع الأقطار. لا تنظم النصوص الفيدية الممارسات التعبدية فحسب، بل تنظم أيضاً جميع العادات الاجتماعية المهمة، سعياً إلى مواءمة كل فعل من أفعال الإنسان مع الشريعة الإلهية.

٤٤-١٤: كلمة سنسكريتية شاملة تعني القانون؛ الامتثال للقانون أو الاستقامة الطبيعية؛ الواجب متأصل في الظروف التي يجد الإنسان نفسه فيها في أي وقت. تُعرّف الكتب المقدسة الدارما بأنها "القوانين الكونية الطبيعية التي يُمكّن الالتزام بها الإنسان من إنقاذ نفسه من الانحطاط والمعاناة".

44-15: متى 7: 21.

44-16: متى 26: 52.

44-17: "لا يفتخر أحد بحبه لوطنه، بل يفتخر بحبه لنوعه". - مثل فارسي.

44-18: "فتقدم إليه بطرس وقال: يا رب، كم مرة يخطئ إلي أخي فأغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟ فقال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات." - متى 18: 21-22.

44-19: سأل السيد روجر دبليو بابسون، المهندس الكهربائي العظيم تشارلز ب. شتاينميتز، ذات مرة: "ما هو مجال البحث الذي سيشهد أكبر تطور خلال الخمسين عامًا القادمة؟" أجاب شتاينميتز: "أعتقد أن أعظم اكتشاف سيكون في المجالات الروحية. هناك قوة يُعلّمنا التاريخ بوضوح أنها كانت أعظم قوة في تطور البشر. ومع ذلك، كنا نستغلها فقط ولم ندرسها بجدية كما درسنا القوى الفيزيائية. سيتعلم الناس يومًا ما أن الأشياء المادية لا تجلب السعادة، وأنها قليلة الفائدة في جعل الرجال والنساء مبدعين وأقوياء. حينها سيُحوّل علماء العالم مختبراتهم إلى دراسة الله والصلاة والقوى الروحية التي لم تُكتشف بعد. عندما يأتي هذا اليوم، سيشهد العالم تقدمًا في جيل واحد أكثر مما شهده في الأربعة أعوام الماضية."

٤٤-٢٠: أي لا تُقاوِموا الشرَّ بالشرِّ. (متى ٥: ٣٨-٣٩)

الفصل: 45

الأم البنغالية "المفعمة بالفرح"

سيدي، أرجو ألا تغادر الهند دون أن تلقي نظرة على نيرمالا ديفي. قداستها عظيمة؛ فهي معروفة في كل مكان باسم أناندا مويي ما (الأم الممتلئة بالفرح). حدقت بي ابنة أخي، أميو بوس، باهتمام.

"بالتأكيد! أتوق بشدة لرؤية هذه القديسة." أضفتُ، "لقد قرأتُ عن حالتها المتقدمة في إدراك الله. نُشر مقالٌ قصيرٌ عنها قبل سنوات في مجلة إيست-ويست."

«لقد التقيتُ بها»، تابع أميو. «زارت مؤخرًا بلدتي الصغيرة جمشيدبور. بناءً على طلب أحد تلاميذها، ذهبت أناندا مويي ما إلى منزل رجل يحتضر. وقفت بجانب سريره؛ وما إن لامست يدها جبهته حتى هدأت صرخة الموت. اختفى المرض على الفور؛ ولدهشة الرجل السعيدة، كان بصحة جيدة».

بعد بضعة أيام، سمعتُ أن السيدة العذراء تقيم في منزل أحد تلاميذها في منطقة بهوانيبور بكلكتا. انطلقتُ أنا والسيد رايت فورًا من منزل والدي في كلكتا. وبينما اقتربت سيارة فورد من منزل بهوانيبور، لاحظتُ أنا ورفيقي مشهدًا غير عادي في الشارع.

كانت أناندا مويي ما تقف في سيارة مكشوفة، تُبارك حشدًا من حوالي مئة تلميذ. كان من الواضح أنها على وشك الانطلاق. أوقف السيد رايت سيارته على بُعد مسافة، ورافقني سيرًا على الأقدام نحو

الحشد الهادئ. نظرت القديسة إلينا، ثم ترجلت من سيارتها وسارت نحونا.

"يا أبتِ، لقد أتيت!" بهذه الكلمات الحارة، وضعت ذراعها حول رقبتي ورأسها على كتفي. كان السيد رايت، الذي كنتُ قد أخبرته للتو أنني لا أعرف القديس، يستمتع كثيرًا بهذا الترحيب الاستثنائي. كما اندهشت عيون المرشدين المئة من هذا المشهد المليء بالود.

رأيتُ على الفور أن القديسة كانت في حالة سامادهي عالية. غافلةً تمامًا عن مظهرها الخارجي كامرأة، عرفت نفسها كروحٍ ثابتة؛ ومن تلك اللحظة كانت تُحيي بفرحٍ أحد أتباع الله. قادتني بيدي إلى سيارتها.

"آناندا مويي ما، أنا أؤخر رحلتك!" احتججت.

يا أبي، ألتقي بك لأول مرة في هذه الحياة، بعد طول غياب! قالت: "أرجوك لا تغادر الآن."

جلسنا معًا في المقاعد الخلفية للسيارة. وسرعان ما دخلت الأم السعيدة في حالة من النشوة الساكنة. رمقت عيناها الجميلتان السماء، ثم سكتتا، نصف مفتوحتين، ناظرتين إلى الجنة الداخلية القريبة البعيدة. هتف التلاميذ بهدوء: "النصر للأم الإلهية!"

لقد وجدتُ في الهند رجالاً كثيرين يدركون الله، لكنني لم أقابل قط قديسة بهذه العظمة. كان وجهها الرقيق يشعّ بفرحٍ لا يُوصف، وهو ما منحها لقب "الأم السعيدة". خصلات شعرها السوداء الطويلة مُنسدلة خلف رأسها المكشوف. نقطة حمراء من معجون خشب الصندل على جبينها ترمز إلى العين الروحية المفتوحة في داخلها. وجه صغير، أيادٍ صغيرة، قدمين صغيرتين - تناقضٌ صارخٌ مع عظمتها الروحية!

لقد طرحت بعض الأسئلة على سيدة قريبة مني بينما ظلت أناندا مويي ما منتبهة.

"تجوب الأم المباركة أنحاء الهند على نطاق واسع؛ ولها في بقاع عديدة مئات من التلاميذ"، هذا ما أخبرني به المرشد الروحي. "وقد أثمرت جهودها الشجاعة عن إصلاحات اجتماعية مرغوبة كثيرة. ورغم كونها براهمية، لا تعترف القديسة بأي تمييز طبقي. 45-1 تسافر مجموعة منا معها دائمًا، حرصًا على راحتها. علينا أن نرعاها؛ فهي لا تكترث بجسدها. إذا لم يُطعمها أحد، فإنها لا تأكل ولا تسأل. حتى عندما تُوضع أمامها الوجبات، لا تلمسها. وللحيلولة دون اختفائها من هذا العالم، نطعمها نحن التلاميذ بأيدينا. غالبًا ما تبقى لأيام معًا في غيبوبة إلهية، بالكاد تتنفس، وعيناها لا ترفرف. أحد تلاميذها الرئيسيين هو زوجها. منذ سنوات عديدة، بعد زواجهما بفترة وجيزة، نذر الصمت."

أشار المرشد إلى رجل عريض المنكبين، حسن الملامح، طويل الشعر ولحيته بيضاء. كان يقف بهدوء وسط الجمع، مطوي اليدين في وضعية احترام للتلميذ.

بعد أن انتعشت من خلال غطسها في اللانهائي، ركزت أناندا مويي ما الآن وعيها على العالم المادي.

"أبي، من فضلك أخبرني أين تقيم." كان صوتها واضحًا ولطيفًا.

"حاليا، في كلكتا أو رانشي؛ ولكنني سأعود إلى أمريكا قريبا."

"أمريكا؟"

نعم. ستكون القديسة الهندية موضع تقدير كبير من قبل الباحثين الروحيين. هل ترغبين بالذهاب؟

"إذا كان بإمكان أبي أن يأخذني، سأذهب."

وقد أدى هذا الرد إلى إثارة الذعر بين تلاميذها القريبين.

قال لي أحدهم بحزم: "عشرون أو أكثر منا يسافرون دائمًا مع الأم السعيدة. لا نستطيع العيش بدونها. أينما ذهبت، علينا أن نذهب".

لقد تخليت عن الخطة على مضض، لأنها تمتلك ميزة غير عملية للتوسع التلقائي!

"تفضل، على الأقل، إلى رانشي، مع تلاميذك"، قلتُ عند وداعي للقديس. "كطفلٍ مُقدّس، ستستمتع بصحبة الصغار في مدرستي."

"عندما يأخذني أبي، سأذهب بكل سرور."

بعد فترة وجيزة، اصطفت رانشي فيديالايا للاحتفال بزيارة القديس الموعودة. كان الصغار يتطلعون إلى أي يوم احتفالي - بلا دروس، ساعات من الموسيقى، ووليمة في ذروة الاحتفال!

"النصر! أناندا مويي ما، كي جاي!" هتف هذا الهتاف المتكرر من حناجر صغيرة متحمسة استقبلت جماعة القديسين عند دخولهم أبواب المدرسة. زخات من زهور القطيفة، ورنين الصنج، ونفخات قوية من أصداف المحار، وإيقاع طبول المريدانغا! تجولت الأم السعيدة مبتسمة في حدائق فيديالايا المشمسة، تحمل في داخلها جنة متنقلة.

قالت أناندا مويي ما بلباقة وأنا أقودها إلى المبنى الرئيسي: "المكان جميل هنا". جلست بجانبي بابتسامة طفولية. جعلتني أشعر بأنها أقرب صديقاتي، ومع ذلك كانت تحيط بها هالة من العزلة - عزلة الوجود المطلق المتناقضة.

"من فضلك أخبرني شيئًا عن حياتك."

«والدي يعلم كل شيء عن هذا الأمر؛ فلماذا نكرره؟» من الواضح أنها شعرت أن القصة الحقيقية لتجسد قصير لا تستحق الاهتمام.

ضحكت، وكررت سؤالي بلطف.

يا أبي، ليس هناك الكثير لأقوله. مدت يديها الرشيقتين في لفتة استنكار. لم يرتبط وعيي قط بهذا الجسد المؤقت. قبل أن آتي إلى هذه الأرض يا أبي، "كنتُ كما أنا". في صغري، "كنتُ كما أنا". كبرت وأصبحتُ امرأة، لكنني ما زلتُ كما أنا. عندما رتبت عائلتي التي ولدتُ فيها لزواج هذا الجسد، "كنتُ كما أنا". وعندما جاء إليّ زوجي، وهو ثملٌ من شدة العشق، وهمس بكلماتٍ محببة، ولمس جسدي برفق، أصيب بصدمةٍ عنيفة، كما لو أنه صُعق بالصاعقة، لأنه حتى حينها "كنتُ كما أنا".

"ركع زوجي أمامي، ووضع يديه على ركبتيه، وتوسل إليّ بالعفو.

"يا أمي،" قال، "لأني دنست معبدك الجسدي بلمسه بفكرة الشهوة - دون أن أعلم أن بداخله لم تكن زوجتي بل الأم الإلهية - أتعهد بهذا النذر المهيب: سأكون تلميذك، تابعًا عازبًا، أعتني بك دائمًا في صمت كخادم، ولن أتحدث إلى أي شخص مرة أخرى طالما أنا حي. فهل لي أن أكفر عن الخطيئة التي ارتكبتها اليوم؟"

"ضدك يا معلّمي."

حتى عندما قبلتُ بهدوءٍ عرضَ زوجي، «كنتُ أنا هو». والآن يا أبي، أمامك، «أنا هو هو». إلى الأبد، مهما تغيَّرَت رقصةُ الخلق من حولي في رحاب الأبدية، «سأكون أنا هو هو».

غرقت أناندا مويي ما في حالة تأمل عميق. كان جسدها جامدًا كالتمثال؛ فقد هربت إلى ملكوتها التي لا تنام. بدت بركتا عينيها الداكنتان جامدتين وزجاجيتين. غالبًا ما يظهر هذا التعبير عندما ينزع القديسون وعيهم من الجسد المادي، الذي لا يكاد يكون حينها سوى قطعة من طين بلا روح. جلسنا معًا لساعة في نشوة غامرة. عادت إلى هذا العالم بضحكة صغيرة مرحة.

"من فضلك، أناندا مويي ما،" قلت، "تعالي معي إلى الحديقة. السيد رايت سوف يلتقط بعض الصور."

"بالتأكيد يا أبي. إرادتك هي إرادتي." احتفظت عيناها البهيتان ببريقها الإلهي الثابت وهي تستعرض مهاراتها في التقاط الصور.

حان وقت العيد! جلست أناندا مويي ما القرفصاء على مقعدها المغطى بالبطانية، وتلميذٌ بجانبها يُطعمها. كالطفل الرضيع، ابتلع القديس الطعام بطاعة بعد أن أوصله التلميذ إلى شفتيها. كان من الواضح أن الأم السعيدة لم تُميّز أي فرق بين الكاري والحلويات!

مع اقتراب الغسق، غادرت القديسة مع رفاقها وسط زخات من بتلات الورد، ويداها مرفوعتان مباركتين على الصغار. أشرقت وجوههم بالحب الذي أيقظته دون عناء.

"تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولى". 45-2

تتخلى أناندا مويي ما عن كل تعلق أدنى، وتقدم ولاءها الكامل للرب. ليس من خلال التمييزات الدقيقة للعلماء، بل بمنطق الإيمان الراسخ، حلت القديسة الطفولية المشكلة الوحيدة في حياة الإنسان - إقامة الوحدة مع الله. لقد نسي الإنسان هذه البساطة الصارخة، التي أصبحت الآن ضبابية بملايين القضايا. برفضها حبًا توحيديًا لله، تُخفي الأمم خيانتها باحترام دقيق أمام الأضرحة الخارجية للصدقة. هذه اللفتات الإنسانية فاضلة، لأنها تصرف انتباه الإنسان عن نفسه للحظة، لكنها لا تعفيه من مسؤوليته الوحيدة في الحياة، التي أشار إليها يسوع على أنها الوصية الأولى. يُفترض الالتزام السامي بحب الله مع أول نفس من الهواء يمنحه إياه هبة من خالقه الوحيد.

في مناسبة أخرى، بعد زيارتها لرانشي، أتيحت لي فرصة رؤية أناندا مويي ما. بعد بضعة أشهر، وقفت بين تلاميذها على رصيف محطة سيرامبور، تنتظر القطار.

يا أبي، أنا ذاهب إلى جبال الهيمالايا، قالت لي. بنى لي تلاميذ كرماء ديرًا في دهرا دون.

بينما كانت تستقل القطار، دهشتُ لرؤية أنها، سواءً وسط حشد، أو في قطار، أو في وليمة، أو جالسة في صمت، لا تغفل عن الله. ما زلت أسمع صوتها في داخلي، صدىً من حلاوة لا حدود لها:

"أنظر الآن وإلى الأبد واحدًا مع الأبدي، 'أنا هو إلى الأبد'."

٤٥-١: أجد بعض الحقائق الإضافية عن حياة أناندا مويي ما، مطبوعة في دار نشر إيست-ويست. وُلدت القديسة عام ١٨٩٣ في دكا بوسط البنغال. على الرغم من أنها أمية، إلا أنها أذهلت المثقفين بحكمتها. وقد ألهمت أبياتها السنسكريتية العلماء بالدهشة. وقد سلّطت الضوء على المفجوعين، وأحدثت شفاءاتٍ عجائبية، بمجرد وجودها.

45-2: مرقس 12: 30.

الفصل: 46

المرأة اليوغية التي لا تأكل أبدًا

"سيدي، إلى أين نحن متجهون هذا الصباح؟" كان السيد رايت يقود سيارة فورد؛ أبعد عينيه عن الطريق لفترة كافية لينظر إليّ بنظرة استفهام. يومًا بعد يوم، نادرًا ما كان يعرف أي جزء من البنغال سيكتشفه تاليًا.

"إن شاء الله،" أجبته بتقوى، "نحن في طريقنا لرؤية إحدى عجائب الدنيا الثامنة - امرأة قديسة لا يتغذى نظامها الغذائي إلا على الهواء!"

"تكرار العجائب - على طريقة تيريز نيومان." لكن السيد رايت ضحك بلهفة رغم ذلك؛ حتى أنه زاد من سرعة السيارة. مادة إضافية رائعة لمذكرات سفره! إنها ليست من نصيب السائح العادي، أليس كذلك؟

غادرنا مدرسة رانشي للتو؛ استيقظنا قبل شروق الشمس. إلى جانب سكرتيرتي وأنا، كان ثلاثة أصدقاء بنغاليين في الحفلة. استمتعنا بالهواء المنعش، بنبيذ الصباح الطبيعي. قاد سائقنا السيارة بحذر بين الفلاحين الأوائل والعربات ذات العجلتين، التي تجرها ببطء ثيرانٌ مُحدبة الأكتاف، تميل إلى مُجادلة الطريق مع مُتطفلٍ يُصدر صوتًا عاليًا.

"سيدي، نود أن نعرف المزيد عن القديس الصائم."

"اسمها جيري بالا"، أخبرت رفاقي. "سمعت عنها لأول مرة منذ سنوات من

رجلٌ مثقف، ستيتي لال نوندي. كان يأتي كثيرًا إلى منزلنا في طريق جوربار لتعليم أخي بيشنو.

قالت لي ستيتي بابو: "أعرف جيري بالا جيدًا. إنها تستخدم أسلوب يوغا معينًا يُمكّنها من العيش دون طعام. كنت جارتها القريبة في نوابغانج بالقرب من

إيتشابور. 46-1 حرصت على مراقبتها عن كثب؛ ولم أجد قط دليلًا على أنها تتناول الطعام أو الشراب. بلغ اهتمامي بها حدًا دفعني إلى التوجه إلى مهراجا بوردوان 46-2 وطلبت منه إجراء تحقيق. دهش من القصة، فدعاها إلى قصره. وافقت على اختبار وعاشت شهرين محبوسة في قسم صغير من منزله. ثم عادت لزيارة القصر لمدة عشرين يومًا؛ ثم لاختبار ثالث لمدة خمسة عشر يومًا. أخبرني المهراجا نفسه أن هذه الفحوصات الثلاثة الدقيقة أقنعته دون أدنى شك بحالة امتناعها عن الأكل".

"ظلت قصة ستيتي بابو هذه عالقة في ذهني لأكثر من خمسة وعشرين عامًا"، اختتمتُ حديثي. "في أمريكا، تساءلتُ أحيانًا إن كان نهر الزمن سيبتلع اليوجيني (٤٦-٣) قبل أن ألتقي بها. لا بد أنها قد تقدّمت في السن الآن. لا أعرف حتى أين تسكن، أو إن كانت تسكن أصلًا. لكن بعد ساعات قليلة سنصل إلى بوروليا؛ فشقيقها يملك منزلًا هناك."

بحلول الساعة العاشرة والنصف، كانت مجموعتنا الصغيرة تتحدث مع الأخ لامبادار دي، وهو محامٍ من بوروليا.

نعم، أختي لا تزال على قيد الحياة. تقيم معي هنا أحيانًا، لكنها حاليًا في منزل عائلتنا في بيور. نظر لامبادار بابو بشك إلى سيارة فورد. "لا أظن يا سواميجي أن أي سيارة قد دخلت إلى الداخل حتى

بيور. لعلّه من الأفضل أن تستسلموا جميعًا لصوت ارتطام عربة الثور القديمة!"

بصوت واحد، أعلن حزبنا الولاء لفخر ديترويت.

قلتُ للمحامي: "سيارة فورد من أمريكا. من المؤسف حرمانها من فرصة التعرّف على قلب البنغال!"ـ

قال لامبادار بابو ضاحكًا: "ليرافقك غانيش 46-4!". وأضاف بلباقة: "إذا وصلتَ يومًا ما، فأنا متأكد من أن جيري بالا سيكون سعيدًا برؤيتك. إنها تقترب من السبعينيات، لكنها لا تزال تتمتع بصحة ممتازة."

"أرجوك أن تخبرني يا سيدي، هل صحيح تمامًا أنها لا تأكل شيئًا؟" نظرت مباشرة إلى عينيه، نافذتي العقل.

جيري بالا

هذه المرأة اليوغي العظيمة لم تتناول طعامًا أو شرابًا منذ عام ١٨٨٠. التُقطت لي صورة معها عام ١٩٣٦ في منزلها بقرية بيور البنغالية المعزولة. وقد خضعت حالتها من عدم الأكل لدراسة دقيقة من قِبل مهراجا بوردوان. تستخدم أسلوب يوغا معينًا لإعادة شحن جسدها بالطاقة الكونية من الأثير والشمس والهواء.

صحيح. كانت نظراته مفتوحةً وشريفة. "لم أرها تأكل لقمةً واحدةً منذ أكثر من خمسة عقود. لو أن

الدنيا قد انتهت فجأةً، لما دهشتُ أكثر من رؤية أختي وهي تتناول الطعام!"

لقد ضحكنا معًا على استحالة حدوث هذين الحدثين الكونيين.

لم تلجأ جيري بالا قط إلى عزلة منعزلة لممارسة اليوغا، تابع لامبادار بابو. "لقد عاشت حياتها كلها محاطة بعائلتها وأصدقائها. جميعهم الآن معتادون على حالتها الغريبة. لا أحد منهم إلا ويصاب بالذهول إذا قررت جيري بالا فجأةً أن تأكل أي شيء! أختي ستعتزل بطبيعة الحال، كما يليق بأرملة هندوسية، لكن دائرتنا الصغيرة في بوروليا وبيور تعلم جميعًا أنها امرأة "استثنائية" بكل معنى الكلمة."

كان صدق الأخ جليًا. شكرته مجموعتنا الصغيرة بحرارة وانطلقنا نحو بيور. توقفنا عند متجر في الشارع لشراء الكاري واللوتشي، فجذبنا حشدًا من المشردين الذين تجمعوا لمشاهدة السيد رايت وهو يأكل بأصابعه على الطريقة الهندوسية البسيطة.
46-5 دفعتنا شهيتنا الكبيرة إلى تحصين أنفسنا لظهيرة لم نكن نعرفها آنذاك، لكنها كانت شاقة للغاية.

قادنا طريقنا الآن شرقًا عبر حقول أرزّ مخبوزة تحت أشعة الشمس إلى منطقة بوردوان في البنغال. واصلنا طريقنا عبر طرقٍ تصطفّ عليها نباتات كثيفة؛ انبعثت أغاني الماينا والبلبل مخطط

الحلق من أشجارٍ بأغصانٍ ضخمةٍ تشبه المظلات. عربةٌ يجرّها ثورٌ بين الحين والآخر، صرير محورها "ريني، ريني، مانجو، مانجو" وعجلاتها الخشبية ذات النعال الحديدية، متناقضةً بشكلٍ حاد.

في ذهني حفيف إطارات السيارات على الأسفلت الأرستقراطي للمدن.

"ديك، توقف!" أثار طلبي المفاجئ احتجاجًا حادًا من فورد. "شجرة المانجو المُثقلة هذه تُنادي بدعوة!"

انطلقنا نحن الخمسة كالأطفال نحو الأرض المليئة بأشجار المانجو؛ فقد ألقت الشجرة ثمارها بلطف عندما نضجت.

"تولد العديد من أشجار المانجو لتظل غير مرئية،" قمت بإعادة صياغة، "وتضيع حلاوتها على الأرض الحجرية."

"لا يوجد شيء من هذا القبيل في أمريكا، سواميجي، أليس كذلك؟" ضحك سيليش مازومدار، أحد طلابي البنغاليين.

"لا،" اعترفتُ، وقد غمرني عصير المانجو وشعرتُ بالرضا. "كم فاتني هذا النوع من الفاكهة في الغرب! جنة الهندوس بدون مانجو لا تُصدق!"

التقطت صخرة وأسقطت جمالًا فخورًا مختبئًا على أعلى فرع.

"ديك،" سألت بين قضمات من الرحيق، الدافئة تحت أشعة الشمس الاستوائية، "هل كل الكاميرات في السيارة؟"

"نعم سيدي، في حجرة الأمتعة."

إذا ثبت أن جيري بالا قديسة حقيقية، فأود أن أكتب عنها في الغرب. لا ينبغي ليوغيني هندوسي بهذه القدرات الملهمة أن يعيش ويموت مجهولاً - مثل معظم هذه المانجو.

وبعد مرور نصف ساعة كنت لا أزال أتجول في هدوء الغابة.

قال السيد رايت: "سيدي، يجب أن نصل إلى جيري بالا قبل غروب الشمس، لنحصل على ضوء كافٍ لالتقاط الصور". وأضاف مبتسمًا: "الغربيون متشككون للغاية؛ لا يمكننا أن نتوقع منهم أن يصدقوا وجود السيدة دون صور!"

كانت هذه الحكمة لا تقبل الجدل؛ لذا تراجعت عن الإغراء وعدت إلى السيارة.

"أنت على حق يا ديك"، تنهدت بينما كنا نسير بسرعة، "أنا أضحي بجنة المانجو على مذبح الواقعية الغربية. الصور يجب أن تكون لدينا!"

ازداد الطريق وعورة: تجاعيد من آثار، ودمامل من طين متصلب، وعلامات شيخوخة مؤلمة! ترجلت مجموعتنا من حين لآخر للسماح للسيد رايت

بمناورة أسهل للمقطورة، التي دفعناها نحن الأربعة من الخلف.

«لقد صدق لامبادار بابو»، أقرّ سايلش. «السيارة لا تحملنا، بل نحن من نحملها!»

لقد كان ملل الصعود والنزول من السيارة يسحرنا بين الحين والآخر بظهور قرية،

كل واحد منهم مشهد من البساطة الغريبة.

"كان طريقنا ملتويًا ومتشعبًا عبر بساتين النخيل بين قرى عتيقة بكر تحتضنها ظلال الغابة"، هذا ما دوّنه السيد رايت في مذكراته عن رحلته، بتاريخ 5 مايو/أيار 1936. "مدهشةٌ حقًا هذه الأكواخ الطينية المسقوفة بالقش، والمزينة بأحد أسماء الله على أبوابها؛ العديد من الأطفال الصغار العراة يلعبون ببراءة، متوقفين للتحديق أو يركضون بجنون من هذه العربة السوداء الكبيرة الخالية من الثيران التي تشق طريقها بجنون عبر قريتهم. النساء يكتفين بالاختلاس من الظلال، بينما يتسكع الرجال بكسل تحت الأشجار على جانب الطريق، فضوليين وراء لامبالاتهم. في مكان ما، كان جميع القرويين يستحمون بمرح في الحوض الكبير (بملابسهم، ويغيرون ملابسهم بلفّ القماش الجاف حول أجسادهم، ويسقطون المبللة). النساء يحملن الماء إلى منازلهن، في جرار نحاسية ضخمة.

قادنا الطريق في رحلة ممتعة عبر الجبال والتلال؛ قفزنا وتقاذفنا، وغرقنا في جداول صغيرة، وانحرفنا حول طريق غير مكتمل، وانزلقنا عبر مجاري أنهار جافة رملية، وأخيرًا، حوالي الساعة الخامسة مساءً، كنا على وشك الوصول إلى وجهتنا، بيور. هذه القرية الصغيرة في قلب مقاطعة بانكورا، المختبئة في حماية أوراق الشجر الكثيفة، يصعب على المسافرين الوصول إليها خلال موسم الأمطار، عندما تكون الجداول هائجة، والطرق كالأفعى تنفث سموم الطين.

"عندما كنا نطلب مرشدًا من بين مجموعة من المصلين في طريق عودتهم إلى منازلهم من صلاة المعبد (في الحقل المنعزل)، حاصرنا حوالي عشرة شباب يرتدون ملابس شبه شفافة، وتسلقوا على جوانب السيارة، حريصين على إرشادنا إلى جيري بالا.

كان الطريق يؤدي إلى بستان من أشجار النخيل يأوي مجموعة من الأكواخ الطينية، ولكن قبل أن نصل إليه، انحرفت سيارة فورد للحظة بزاوية خطيرة، فتمايلت وهبطت. دار الممر الضيق بين الأشجار والخزان، وتجاوز التلال، ودخل في حفر وحفر عميقة. رسوت السيارة على كومة من الشجيرات، ثم جنحت على تلة، مما تطلب رفع بعض كتل التراب؛ واصلنا طريقنا ببطء وحذر؛ وفجأة توقفت السيارة بسبب كومة من الشجيرات

في منتصف مسار العربة، مما استلزم الالتفاف أسفل حافة شديدة الانحدار إلى خزان جاف، حيث تطلب الإنقاذ منه بعض الكشط والتجريف. بدا الطريق مرارًا وتكرارًا غير سالك، لكن الحج يجب أن يستمر؛ أحضر الشباب المتعاونون المجارف وهدموا العوائق (كظلال غانيش!) بينما كان مئات الأطفال والآباء يحدقون.

سرعان ما كنا نشق طريقنا عبر طريقين من العصور القديمة، النساء يحدقن بعيون مفتوحة من أبواب أكواخهن، والرجال يجرون إلى جانبنا وخلفنا، والأطفال يركضون ليزيدوا من حماس الموكب. ربما كانت سيارتنا أول سيارة تجتاز هذه الطرق؛ لا بد أن "اتحاد عربات الثيران" هو الأبرز هنا! يا له من شعور رائع أحدثناه - مجموعة يقودها أمريكي، رائدة في سيارة صاخبة، تقتحم حصن قريتهم، منتهكة بذلك الخصوصية والحرمة القديمة!

توقفنا عند زقاق ضيق، فوجدنا أنفسنا على بُعد مئة قدم من منزل جيري بالا. شعرنا بنشوة الإنجاز بعد عناء الطريق الطويل الذي توّجه تشطيبٌ خشن. اقتربنا من مبنى كبير من طابقين، مبنيّ من الطوب والجص، يُطلّ على أكواخ الطوب المحيطة به؛ كان المنزل قيد الترميم، إذ كان يحيط به إطارٌ استوائيٌّ مميز من الخيزران.

بترقبٍ مُحمومٍ وفرحٍ مُكبوت، وقفنا أمام الأبواب المفتوحة للذي باركه الرب بلمسة "الجوع". كان

القرويون، صغارًا وكبارًا، عراةً ومرتدين، نساءً منعزلاتٍ بعض الشيء لكنهن فضولياتٍ أيضًا، ورجالًا وشبابًا يتابعوننا بلا خجلٍ وهم يُحدقون في هذا المنظر غير المسبوق.

سرعان ما ظهرت شخصية قصيرة عند المدخل - جيري بالا! كانت ملفوفة بقطعة قماش من الحرير الذهبي الباهت؛ وعلى الطريقة الهندية التقليدية، تقدمت بتواضع وتردد، ناظرة قليلاً من تحت الطية العلوية لقماش السواديشي. لمعت عيناها كجمر مشتعل في ظل غطاء رأسها؛ لقد أسرنا وجهها اللطيف والكريم، وجهٌ يُجسد الإدراك والفهم، خالي من شوائب التعلق الدنيوي.

اقتربت بخنوع ووافقت بصمت على التقاطنا عددًا من الصور بكاميراتنا "الثابتة" و"السينمائية". 46-6 تحمّلت بصبر وخجل تقنياتنا التصويرية لتعديل الوضعية وترتيب الإضاءة. وأخيرًا، سجّلنا للأجيال القادمة صورًا عديدة للمرأة الوحيدة في العالم التي عُرف عنها أنها عاشت بلا طعام أو شراب لأكثر من خمسين عامًا. (تيريز نيومان، بالطبع، صائمة منذ عام ١٩٢٣). كان تعبير جيري بالا الأكثر أمومة وهي تقف أمامنا، مغطاة بالكامل بقطعة قماش فضفاضة، لا يظهر منها شيء سوى وجهها بعينيها المنحنيتين، ويديها، وقدميها الصغيرتين. وجهٌ يتميز بسلام نادر وهدوء بريء - شفة عريضة، طفولية،

مرتعشة، أنف أنثوي، عينان ضيقتان متألقتان، وابتسامة حزينة.

شاركتُ انطباع السيد رايت عن جيري بالا؛ فقد غمرتها الروحانية كغطاءٍ رقيقٍ لامع. خاطبتني بتحيةٍ مألوفةٍ من ربّ منزلٍ إلى راهب. منحنا سحرها البسيط وابتسامتها الهادئة ترحيبًا يتجاوز الخطابة المعسولة؛ ونسيتُ رحلتنا الشاقة والمغبرة.

جلست القديسة الصغيرة متربعة على الشرفة. ورغم آثار التقدم في السن، لم تكن هزيلة؛ فقد حافظت بشرتها الزيتونية على نضارتها وصحتها.

"أمي"، قلتُ بالبنغالية، "لأكثر من خمسة وعشرين عامًا وأنا أفكر في هذه الرحلة بشغف! سمعتُ عن حياتكِ المقدسة من ستيتي لال نوندي بابو."

أومأت برأسها موافقةً. "نعم، جاري الكريم في نوابغانج."

خلال تلك السنوات، عبرتُ المحيطات، لكنني لم أنسَ قط خطتي المبكرة لرؤيتك يومًا ما. إن الدراما السامية التي تُمثلها هنا دون أن تُلفت الانتباه، ينبغي أن تُعرض أمام عالمٍ نسي منذ زمنٍ طويلٍ الطعام الإلهي الداخلي.

رفعت القديسة عينيها لمدة دقيقة، مبتسمة باهتمام هادئ.

"بابا (الأب المحترم) يعرف أفضل"، أجابت بهدوء.

سررتُ لأنها لم تعترض؛ فلا أحد يعلم كيف سيتفاعل اليوغيون العظماء مع فكرة الدعاية. فهم يتجنبونها عادةً، راغبين في مواصلة البحث الروحي العميق في صمت. يأتيهم شعور داخلي بالرضا عندما يحين الوقت المناسب لعرض حياتهم.

بشكل مفتوح لصالح العقول الباحثة.

"أمي،" تابعت، "من فضلك سامحيني، إذًا، لإثقال كاهلك بالعديد من الأسئلة. من فضلك أجيبي فقط على الأسئلة التي ترضيك؛ وسوف أفهم صمتك أيضًا."

مدت يديها بحركة لطيفة. "يسعدني الرد، بقدر ما يستطيع شخص عادي مثلي أن يقدم إجابات شافية."

"لا، ليس تافهًا!" اعترضتُ بصدق. "أنتِ روحٌ عظيمة."

"أنا خادمة متواضعة للجميع." أضافت بلهجة غريبة، "أحب الطبخ وإطعام الناس."

إنها هواية غريبة، كما اعتقدت، بالنسبة لقديس لا يأكل!

"أخبريني يا أمي من شفتيك هل تعيشين بدون طعام؟"

هذا صحيح. صمتت لبضع لحظات؛ ثم أظهرت ملاحظتها التالية أنها كانت تعاني من صعوبات في

الحساب الذهني. "منذ أن كنت في الثانية عشرة وأربعة أشهر وحتى عمري الحالي، ثمانية وستين عامًا - أي أكثر من ستة وخمسين عامًا - لم أتناول الطعام أو أشرب أي سوائل."

"هل لا تشعر بالرغبة في الأكل أبدًا؟"

لو شعرتُ برغبةٍ في الطعام، لأكلتُ. ببساطةٍ وفخامةٍ، عبّرت عن هذه الحقيقة البديهية، وهي حقيقةٌ معروفةٌ حقًّا في عالمٍ يدور حول ثلاث وجباتٍ يوميًا!

"لكنك تأكل شيئًا ما!" كان صوتي يحمل نبرة احتجاج.

"بالطبع!" ابتسمت بفهم سريع.

"غذاؤك يأتي من الطاقات الدقيقة للهواء وأشعة الشمس، 7-46 ومن القوة الكونية التي تعيد شحن جسدك من خلال النخاع المستطيل."

"بابا يعرف." وافقت مرة أخرى، وكان أسلوبها هادئًا وغير حاسم.

أمي، أرجوكِ أخبريني عن بدايات حياتكِ. إنها ذات أهمية بالغة للهند بأسرها، وحتى لإخوتنا وأخواتنا عبر البحار.

وضعت جيري بالا جانباً تحفظها المعتاد، واسترخيت في مزاج المحادثة.

"فليكن." كان صوتها منخفضًا وحازمًا. "وُلدتُ في هذه المناطق الحرجية. كانت طفولتي عادية، باستثناء أنني كنتُ أمتلك شهية لا تُشبع. كنتُ مخطوبةً في سني الأولى.

كانت أمي تحذرني دائمًا: يا بني، حاول أن تتحكم في جشعك. عندما يحين وقت عيشك مع غرباء في عائلة زوجك، ماذا سيظنون بك إذا كنت تقضي أيامك في الأكل فقط؟

لقد وقعت الكارثة التي تنبأت بها. كنت في الثانية عشرة من عمري فقط عندما انضممت إلى أهل زوجي في نوابغانج. كانت حماتي تُخجلني صباحًا وظهرًا ومساءً بسبب عاداتي الشرهة. لكن توبيخها كان نعمة مُقنعة، فقد أيقظ ميولي الروحية الخاملة. وفي صباح أحد الأيام، كان سخريتها لا ترحم.

"سأثبت لك قريبًا،" قلت، وأنا أشعر بالغضب الشديد، "أنني لن أتناول الطعام مرة أخرى طوال حياتي."

ضحكت حماتي ساخرةً وقالت: "إذن، كيف يمكنك العيش دون طعام، بينما لا يمكنك العيش دون الإفراط في الأكل؟"

كانت هذه الملاحظة حتمية! ومع ذلك، عززت عزيمة قوية عزيمتي. في مكان منعزل، بحثت عن أبي السماوي.

"كنت أدعو الله باستمرار أن يرسل لي معلمًا روحيًا، شخصًا يستطيع أن يعلمّني كيف أعيش بنورك وليس بالطعام."

غمرتني نشوة إلهية. بفضل تعويذة مباركة، انطلقتُ إلى غات نوابغانج على نهر الغانج. وفي الطريق، التقيتُ بكاهن عائلة زوجي.

"قلت بثقة: 'سيدي الجليل، من فضلك أخبرني كيف أعيش دون تناول الطعام'.

حدق بي دون أن يُجيب. وأخيرًا، تحدّث بلهجة مُعزية. قال: "يا بنيّ، تعالَ إلى المعبد هذا المساء؛ سأُقيم لكَ طقوسًا فيديةً خاصة".

لم يكن هذا الجواب المبهم هو ما كنت أبحث عنه؛ واصلتُ طريقي نحو الغات. اخترقت شمس الصباح المياه؛ تطهرتُ في نهر الغانج، كما لو كنتُ في طقوسٍ مقدسة. وبينما كنتُ أغادر ضفة النهر، وقماشي المبلل يحيط بي، في ضوء النهار الساطع، تجسد سيدي أمامي!

قال بصوتٍ ملؤه العطف والحنان: «يا صغيري العزيز، أنا المعلم الروحي الذي أرسله الله إلى هنا لتلبية دعوتك المُلحة. لقد تأثر بشدة بطبيعتها غير العادية! من اليوم ستعيش على ضوء النجوم، وستتغذى ذرات جسدك من تيارٍ لا متناهي».

ساد الصمت جيري بالا. أخذتُ قلم السيد رايت ودفتره وترجمتُ له بعض المعلومات إلى الإنجليزية.

استأنفت القديسة سرد الحكاية بصوتها الخافت. "كان الغات مهجورًا، لكن معلّمي ألقى حولنا هالة من نورٍ حراسة، لا يزعجنا فيها أي مستحمّ تائه. عرّفني على تقنية الكريا التي تُحرّر الجسم من الاعتماد على طعام البشر. تتضمن هذه التقنية استخدام تعويذة معينة من 46 إلى 8، وتمارين تنفس أصعب مما يستطيع الشخص العادي القيام به. لا تدخل في هذه التقنية أي أدوية أو سحر؛ لا شيء يتجاوز الكريا."

على غرار مراسل الصحيفة الأمريكية، الذي علمني دون علمه

خلال هذه العملية، سألتُ جيري بالا عن أمورٍ عديدةٍ ظننتُ أنها ستُثير اهتمام العالم. زودتني، شيئًا فشيئًا، بالمعلومات التالية:

لم أُرزق بأطفال قط؛ منذ سنوات عديدة أصبحتُ أرملة. أنام قليلًا جدًا، فالنوم واليقظة شيء واحد بالنسبة لي. أتأمل ليلًا، وأُنجز واجباتي المنزلية نهارًا. أشعر بتغير طفيف في المناخ من فصل لآخر. لم أُصب بالمرض قط. أشعر بألم طفيف فقط عند التعرض لإصابة عرضية. ليس لديّ أي إفرازات جسدية. أستطيع التحكم في قلبي وتنفسي. كثيرًا

ما أرى مُعلّمي الروحي، بالإضافة إلى أرواح عظيمة أخرى، في رؤياي.

"أمي،" سألت، "لماذا لا تقومين بتعليم الآخرين طريقة العيش بدون طعام؟"

لقد تم القضاء على آمالي الطموحة من أجل ملايين الأشخاص الذين يعانون من المجاعة في العالم.

"لا." هزت رأسها. "لقد أمرني معلمي بشدة ألا أفشي السر. ليس من رغبته أن يعبث بدراما الخلق الإلهي. لن يشكرني المزارعون إذا علّمت الكثيرين العيش دون طعام! ستبقى الثمار الشهية على الأرض بلا فائدة. يبدو أن البؤس والجوع والمرض هي سياط الكارما التي تدفعنا في النهاية إلى البحث عن المعنى الحقيقي للحياة."

"أمي،" قلت ببطء، "ما الفائدة من أن يتم اختيارك للعيش دون طعام؟"

"لإثبات أن الإنسان روح." أشرق وجهها بالحكمة. "لإثبات أنه، من خلال التقدم الإلهي، يمكنه تدريجيًا أن يتعلم العيش بالنور الأبدي لا بالطعام."

غرقت القديسة في حالة تأمل عميق. وجّهت نظرها نحو الداخل، واختفت أعماق عينيها الرقيقة من التعابير. تنهدت تنهيدةً ما، تمهيدًا لنشوةٍ غامرةٍ لاهثة. ولبرهة، هربت إلى عالمٍ بلا تساؤل، إلى جنة الفرح الداخلي.

حلّ الظلام الاستوائي. ومض ضوء مصباح كيروسين صغير بشكل متقطع على وجوه عشرين قرويًا يجلسون بصمت في الظلال. نسجت ديدان التوهج السريعة وفوانيس الزيت البعيدة في الأكواخ أنماطًا زاهية غريبة في الليل المخملي. كانت ساعة الفراق مؤلمة؛ رحلة بطيئة ومملة تنتظر مجموعتنا الصغيرة.

"جيري بالا،" قلت عندما فتحت القديسة عينيها، "من فضلك أعطني هدية تذكارية - شريط من أحد الساري الخاص بك."

وسرعان ما عادت بقطعة من حرير بنارس، ومدتها في يدها بينما سجدت فجأة على الأرض.

"أماه،" قلت باحترام، "بدلاً من ذلك اسمحي لي أن ألمس قدميك المباركتين!"

46-1: في شمال البنغال.

٤٦-٢: صاحب السمو السير بيجاي تشاند مهتاب، المتوفى الآن. لا شك أن عائلته تمتلك بعض السجلات للتحقيقات الثلاثة التي أجراها المهراجا في قضية جيري بالا.

46-3: امرأة يوغي.

46-4: "مزيل العوائق"، إله الحظ السعيد.

٤٦-٥: كان سري يوكتسوار يقول: "لقد وهبنا الرب ثمار الأرض الطيبة. نحب أن نرى طعامنا، أن

نشمّه، أن نتذوقه - والهندوسي يحب أن يلمسه أيضًا!". ولا مانع من سماعه أيضًا، إن لم يكن هناك أحد آخر حاضرًا على الوجبة!

46-6: كما التقط السيد رايت أيضًا صورًا متحركة لسري يوكتسوار أثناء مهرجان الانقلاب الشتوي الأخير في سيرامبور.

٤٦-٧: "ما نأكله هو إشعاع؛ طعامنا كميات هائلة من الطاقة"، هذا ما قاله الدكتور جورج دبليو. كريل من كليفلاند أمام جمع من الأطباء في ١٧ مايو ١٩٣٣ في ممفيس. "هذا الإشعاع بالغ الأهمية، الذي يُطلق تيارات كهربائية للدائرة الكهربائية للجسم، أي الجهاز العصبي، يُنقل إلى الطعام بواسطة أشعة الشمس. يقول الدكتور كريل إن الذرات هي أنظمة شمسية. الذرات هي المركبات التي تمتلئ بالإشعاع الشمسي كنوابض لولبية. تُمتص هذه الذرات التي لا تُحصى من الطاقة كغذاء. بمجرد دخولها جسم الإنسان، تُفرغ هذه المركبات المتوترة، الذرات، في بروتوبلازم الجسم، حيث يُوفر الإشعاع طاقة كيميائية جديدة وتيارات كهربائية جديدة. قال الدكتور كريل: "جسمك مكون من هذه الذرات. إنها عضلاتك وأدمغتك وأعضاءك الحسية، مثل العينين والأذنين".

سيكتشف العلماء يومًا ما كيف يمكن للإنسان أن يعيش مباشرةً على الطاقة الشمسية. كتب ويليام ل. لورانس في صحيفة نيويورك تايمز: "الكلوروفيل

هو المادة الوحيدة المعروفة في الطبيعة التي تمتلك بطريقة ما القدرة على العمل كـ"مصيدة ضوء الشمس". فهو "يلتقط" طاقة ضوء الشمس ويخزنها في النبات. لولاه لما وُجدت الحياة. نحصل على الطاقة التي نحتاجها للعيش من الطاقة الشمسية المخزنة في الغذاء النباتي الذي نتناوله أو في لحوم الحيوانات التي تتغذى على النباتات. أما الطاقة التي نحصل عليها من الفحم أو النفط فهي طاقة شمسية محتجزة بواسطة الكلوروفيل في الحياة النباتية منذ ملايين السنين. نعيش بفضل الشمس من خلال الكلوروفيل".

٤٦-٨: ترنيمة اهتزازية قوية. الترجمة الحرفية لكلمة "مانترا" السنسكريتية هي "أداة الفكر"، وهي تشير إلى الأصوات المثالية غير المسموعة التي تُمثل جانبًا من جوانب الخلق؛ وعندما تُلفظ المانترا كمقاطع لفظية، فإنها تُشكل مصطلحًا عالميًا. تنبع قوى الصوت اللانهائية من "أوم"، أي "الكلمة" أو الطنين الإبداعي للمحرك الكوني.

الفصل: 47

أعود إلى الغرب

"لقد قدمت العديد من دروس اليوغا في الهند وأمريكا؛ ولكن يجب أن أعترف أنه، باعتباري هندوسيًا، أشعر بسعادة غير عادية لإدارة فصل دراسي للطلاب الإنجليز."

لقد ضحك أعضاء صفي في لندن بامتنان؛ فلم تؤثر أي اضطرابات سياسية على سلامنا أثناء ممارسة اليوغا.

أصبحت الهند الآن ذكرى مقدسة. في سبتمبر/أيلول عام ١٩٣٦، كنتُ في إنجلترا للوفاء بوعد قطعته قبل ستة عشر شهرًا، بإلقاء محاضرة أخرى في لندن.

إنجلترا أيضًا مُتقبلة لرسالة اليوغا الخالدة. تجمّع الصحفيون ومصوّرو الأفلام الإخبارية حول مسكني في غروفنور هاوس. المجلس الوطني البريطاني لليوغا

نظمت جمعية الأديان اجتماعًا في 29 سبتمبر/أيلول في كنيسة وايتفيلد الجماعية، حيث خاطبتُ الحضور حول موضوع بالغ الأهمية: "كيف يُمكن للإيمان بالرفقة أن يُنقذ الحضارة". جذبت محاضرات الساعة الثامنة في قاعة كاكستون حشودًا غفيرة، لدرجة أن حشودًا غفيرة انتظرت ليلتين في قاعة وندسور هاوس لحضور محاضرتي الثانية في التاسعة والنصف. ازداد عدد دروس اليوغا خلال الأسابيع التالية لدرجة أن السيد رايت اضطر إلى ترتيب نقله إلى قاعة أخرى.

يتجلى الإصرار الإنجليزي بشكلٍ رائع في العلاقات الروحية. بعد رحيلي، نظّم طلاب اليوغا في لندن أنفسهم بإخلاص في مركز زمالة تحقيق الذات،

وعقدوا اجتماعاتهم التأملية أسبوعيًا طوال سنوات الحرب المريرة.

أسابيع لا تُنسى في إنجلترا؛ أيامٌ من مشاهدة معالم لندن، ثم الاستمتاع بالريف الخلاب. استدعيتُ أنا والسيد رايت سيارة فورد الموثوقة لزيارة مهد ومقابر عظماء الشعراء والأبطال في التاريخ البريطاني.

أبحرت مجموعتنا الصغيرة من ساوثهامبتون إلى أمريكا في أواخر أكتوبر على متن سفينة بريمن. أثار تمثال الحرية المهيب في ميناء نيويورك نشوة عاطفية، ليس فقط في حلق الآنسة بليتش والسيد رايت، بل في حلقيّ أيضًا.

كانت فورد، التي تضررت قليلاً من صراعها مع التربة القديمة، لا تزال قوية؛ وقد اجتازت الآن رحلتها عبر القارات إلى كاليفورنيا بثقة. في أواخر عام ١٩٣٦، ها هو جبل واشنطن!

يُحتفل بعطلة نهاية العام سنويًا في مركز لوس أنجلوس بجلسة تأمل جماعي لمدة ثماني ساعات في الرابع والعشرين من ديسمبر (عيد الميلاد الروحي)، يليه في اليوم التالي مأدبة عشاء (عيد الميلاد الاجتماعي). وقد ازدادت احتفالات هذا العام حضورًا لأصدقاء وطلاب أعزاء من مدن بعيدة، وصلوا للترحيب بعودة المسافرين الثلاثة.

تضمنت وليمة عيد الميلاد أشهى المأكولات التي جُلبت من مسافات بعيدة لهذه المناسبة السعيدة: فطر غوتشي من كشمير، وراساغولا معلبة، ولب مانجو، وبسكويت بابار، وزيت زهرة الكيورا الهندية الذي أضفى نكهة مميزة على آيس كريمنا. وفي المساء، اجتمعنا حول شجرة عيد ميلاد ضخمة متلألئة، ومدفأة قريبة تتلألأ بأغصان شجر السرو العطري.

حان وقت الهدايا! هدايا من أقاصي الأرض - فلسطين، مصر، الهند، إنجلترا، فرنسا، إيطاليا. كم تعب السيد رايت في عدّ الصناديق عند كل مفترق طرق أجنبي، حتى لا تصل الكنوز المخصصة لأحبائه في أمريكا إلى يد سارقة! لوحات من شجرة الزيتون المقدسة من الأرض المقدسة، ودانتيل وتطريزات رقيقة من بلجيكا وهولندا، وسجاد فارسي، وشالات كشميرية منسوجة بدقة، وصواني خشب الصندل العطرة من ميسور، وأحجار شيفا "عين الثور" من المقاطعات الوسطى، وعملات هندية قديمة من سلالات قديمة، ومزهريات وأكواب مرصعة بالجواهر، ومنمنمات، ومفروشات، وبخور وعطور المعابد، وطبعات قطن سواديشي، وأعمال الورنيش، ومنحوتات عاج ميسور، ونعال فارسية بمقدمتها الطويلة الفضولية، ومخطوطات قديمة مزخرفة غريبة، ومخمل، وديباج، وقبعات غاندي،

وفخاريات، وبلاط، وأعمال نحاسية، وسجاد صلاة - غنيمة من ثلاث قارات!

قمت بتوزيع الطرود المغلفة بشكل مبهج واحدة تلو الأخرى من الكومة الضخمة الموجودة تحت الشجرة.

"الأخت جياناماتا!" ناولتُ صندوقًا طويلًا للسيدة الأمريكية القديسة، ذات الوجه البشوش والإدراك العميق، والتي كانت مسؤولةً عن جبل واشنطن أثناء غيابي. رفعت من بين المناديل الورقية ساريًا من حرير بنارس الذهبي.

"شكرًا لك يا سيدي، فهذا يجعلني أتخيل روعة الهند."

"سيد ديكنسون!". احتوى الطرد التالي على هدية اشتريتها من سوق كلكتا. "سيُعجب السيد ديكنسون بهذه"، فكرتُ حينها. كان السيد ديكنسون، تلميذًا عزيزًا عليّ، حاضرًا في كل احتفال بعيد الميلاد منذ تأسيس جبل واشنطن عام ١٩٢٥. في هذا الاحتفال السنوي الحادي عشر، كان يقف أمامي، يفكّ شرائط طرده الصغير المربع.

"الكأس الفضية!" حدّق في الهدية، كأس شرب طويل، وهو يصارع عاطفته. جلس على بُعدٍ، وكأنه في ذهول. ابتسمتُ له بمودة قبل أن أعود لدوري كبابا نويل.

واختتمت الأمسية الاحتفالية بصلاة إلى واهب كل الهدايا؛ ثم قامت مجموعة من الحضور بغناء ترانيم عيد الميلاد.

كان السيد ديكنسون وأنا نتحدث معًا في وقت لاحق.

"سيدي"، قال، "من فضلك اسمح لي أن أشكرك الآن على الكأس الفضية. لم أستطع أن أجد أي كلمات في ليلة عيد الميلاد."

"لقد أحضرت لك الهدية خصيصًا."

ثلاثة وأربعون عامًا وأنا أنتظر تلك الكأس الفضية! إنها قصة طويلة، قصة أخفيتها في داخلي. نظر إليّ السيد ديكنسون بخجل. "كانت البداية درامية: كنت أغرق. دفعني أخي الأكبر مازحًا في بركة ماء طولها خمسة عشر قدمًا في بلدة صغيرة في نبراسكا. كنت في الخامسة من عمري آنذاك. وبينما كنت على وشك الغرق للمرة الثانية تحت الماء، ظهر ضوء ساطع متعدد الألوان، ملأ المكان. في المنتصف، كان هناك رجل ذو عينين هادئتين وابتسامة مطمئنة. كان جسدي يغرق للمرة الثالثة عندما ثنى أحد رفاق أخي شجرة صفصاف طويلة ونحيلة في انحدار منخفض جدًا لدرجة أنني استطعت الإمساك بها بأصابعي اليائسة. رفعني الأولاد إلى الضفة وقدموا لي الإسعافات الأولية بنجاح.

بعد اثني عشر عامًا، وكنتُ شابًا في السابعة عشرة من عمري، زرتُ شيكاغو مع والدتي. كان ذلك عام ١٨٩٣، وكان البرلمان العالمي للأديان منعقدًا. كنتُ أنا وأمي نسير في شارع رئيسي، حين رأيتُ مجددًا وميضًا قويًا من الضوء. على بُعد خطوات قليلة، كان نفس الرجل الذي رأيته في رؤياي قبل سنوات، يتجول على مهل. اقترب من قاعة كبيرة واختفى خلف الباب.

السيد إي إي ديكينسون من لوس أنجلوس؛ سعى للحصول على كأس فضية

سري يوكتسوار وأنا في كلكتا، عام 1935. كان يحمل هدية المظلة - العصا

مجموعة من طلاب ومعلمي رانشي يقفون مع مهراجا كاسيمبازار الجليل (في الوسط، يرتدي الأبيض). في عام ١٩١٨، خصص قصر كاسيمبازار وخمسة وعشرين فدانًا في رانشي كموقع دائم لمدرسة اليوغا الخاصة بي للبنين.

صرخت قائلة: "أمي، هذا هو الرجل الذي ظهر في اللحظة التي كنت أغرق فيها!"

أسرعنا أنا وهي إلى المبنى؛ كان الرجل جالسًا على منصة محاضرات. سرعان ما علمنا أنه سوامي فيفيكاناندا الهندي. 47-1 بعد أن ألقى محاضرة مؤثرة، تقدمتُ لمقابلته. ابتسم لي برقة، كما لو كنا أصدقاء قدامى. كنتُ صغيرًا جدًا لدرجة أنني لم أكن

أعرف كيف أعبّر عن مشاعري، لكنني كنتُ آمل في قرارة نفسي أن يعرض عليّ أن يكون أستاذي. لقد قرأ أفكاري.

«لا يا بني، لستُ مُعلِّمك.» حدّق فيفيكاناندا بعينيه الجميلتين الثاقبتين فيّ. «سيأتي مُعلِّمك لاحقًا. سيُعطيك كأسًا فضيًا.» بعد صمت قصير، أضاف مبتسمًا: «سيُفيض عليك من النعم ما لا تطيق الآن.»

"غادرتُ شيكاغو بعد أيام قليلة"، تابع السيد ديكنسون، "ولم أرَ فيفيكاناندا العظيم مرة أخرى. لكن كل كلمة نطق بها كانت محفورة في أعماق وجداني. مرت السنوات ولم يظهر أي معلم. في إحدى ليالي عام ١٩٢٥، دعوتُ الله أن يرسل لي معلّمي. بعد ساعات قليلة، أيقظتني أنغامٌ هادئة من النوم. ظهرت أمامي فرقةٌ من الكائنات السماوية، تحمل مزامير وآلاتٍ موسيقية أخرى. بعد أن ملأوا الجو بموسيقى رائعة، اختفت الملائكة ببطء.

"في المساء التالي، حضرت، لأول مرة، إحدى محاضراتكم هنا في لوس أنجلوس، وعلمت حينها أن صلاتي قد استجيبت."

ابتسمنا لبعضنا البعض في صمت.

"لقد كنتُ تلميذك في الكريا يوغا لمدة أحد عشر عامًا،" تابع السيد ديكنسون. "كنتُ أحيانًا أتساءل عن الكأس الفضية؛ كدتُ أقنع نفسي بأن كلمات

فيفيكاناندا كانت مجازية فقط. لكن في ليلة عيد الميلاد، بينما كنتَ تُسلمني الصندوق المربع بجانب الشجرة، رأيتُ، للمرة الثالثة في حياتي، نفس وميض الضوء المبهر. في لحظة أخرى، كنتُ..."

"أتأمل هدية معلّمي التي تنبأ بها لي فيفيكاناندا قبل ثلاثة وأربعين عامًا - وهي كأس فضية!"

1-47: التلميذ الرئيسي للمعلم المسيحي سري راماكريشنا.

الفصل: 48

في إنكينيتاس في كاليفورنيا

يا لها من مفاجأة يا سيدي! خلال غيابك في الخارج، بنينا هذا الدير في إنكينيتاس؛ إنه بمثابة هدية ترحيبية! قادتني الأخت جياناماتا مبتسمةً عبر بوابة وصعدت إلى ممشى مظلل بالأشجار.

رأيتُ مبنىً بارزًا كسفينة محيط بيضاء ضخمة نحو المحلول الملحي الأزرق. في البداية، بصمت، ثم بكلمات "يا إلهي!" و"آه!"، وأخيرًا بمفردات الفرح والامتنان البشرية المحدودة، تفقّدتُ الأشرم - ست عشرة غرفة واسعة على نحوٍ غير عادي، كل منها مُجهّزة بشكلٍ ساحر.

القاعة المركزية الفخمة، بنوافذها الضخمة التي تصل إلى السقف، تُطل على مذبحٍ مُوحَّد من العشب والمحيط والسماء - سيمفونية من الزمرد

والأوبال والياقوت. يحمل رفٌّ فوق مدفأة القاعة الضخمة صورةً مؤطرةً للاهيري ماهاسايا، وهو يبتسم مُباركًا سماء المحيط الهادئ البعيدة.

أسفل القاعة مباشرةً، مُدمجةً في الجرف، كهفان مُنعزلان للتأمل يُواجهان سماءً وبحرًا لا متناهيين. شرفات، زوايا مُشمسة، أفدنة من البساتين، بستان أوكالبتوس، مسارات حجرية مُبلطة تُؤدي عبر الورود والزنابق إلى عريشات هادئة، درج طويل ينتهي بشاطئ منعزل ومياه شاسعة! هل كان الحلم أكثر واقعيةً من أي وقت مضى؟

"لتأتِ أرواح القديسين الطيبة والبطولية والسخية إلى هنا"، هذا ما جاء في "صلاة من أجل مسكن" من الزند أفستا، مثبتة على أحد أبواب الدير، "وليذهبوا جنبًا إلى جنب معنا، مانحين فضائل الشفاء من هداياهم المباركة على نطاق واسع مثل الأرض، وبعيدًا مثل الأنهار، وبعيدًا مثل الشمس، من أجل تقدم الرجال الأفضل، من أجل زيادة الوفرة والمجد.

"فلينتصر الطاعة على العصيان في هذا البيت، ولينتصر السلام على الخلاف، ولينتصر العطاء بقلب حر على الجشع، ولينتصر الكلام الصادق على الخداع، ولينتصر التبجيل على الاحتقار. فلتسعد عقولنا، وتسمو أرواحنا، وليتمجد أجسادنا أيضًا؛ يا نور الله، لنراك، ولنلتف حولك عند اقترابنا، ونبلغ إليك."

"الرفقة الكاملة!"

إنكينيتاس، كاليفورنيا، المطلة على المحيط الهادئ. المبنى الرئيسي وجزء من أرض زمالة تحقيق الذات.

أُنشئ هذا الأشرم التابع لجمعية تحقيق الذات بفضل كرم بعض التلاميذ الأمريكيين، رجال الأعمال الأمريكيين ذوي المسؤوليات الكبيرة، الذين يجدون الوقت يوميًا لممارسة الكريا يوغا. لم تصلني أي معلومة عن بناء هذا الأشرم خلال إقامتي في الهند وأوروبا. يا للدهشة!

خلال سنواتي الأولى في أمريكا، تجوّلتُ في ساحل كاليفورنيا بحثًا عن موقع صغير لأشرم على شاطئ البحر؛ وكلما وجدتُ موقعًا مناسبًا، كانت هناك عقباتٌ تُعيقني. الآن، وأنا أُحدّق في مساحات إنسينيتاس الشاسعة، رأيتُ بتواضعٍ تحقيقًا سهلًا لنبوءة سري يوكتسوار القديمة: "ملجأً على شاطئ المحيط".

بعد بضعة أشهر، في عيد الفصح عام ١٩٣٧، أقمت على حدائق إنكينيتاس الناعمة أول قداس من سلسلة قداسات شروق الشمس. ومثل سحرة الماضي، حدّق مئات الطلاب في رهبةٍ وخشوعٍ في المعجزة اليومية، طقس النار الشمسية المبكر في السماء الشرقية. إلى الغرب، كان المحيط الهادئ الذي لا ينضب ينبعث منه تسبيحٌ مهيب؛ وفي الأفق،

قارب شراعي أبيض صغير، وطائر نورس وحيد يحلق. "يا يسوع، لقد قمت!" ليس وحدك مع شمس الربيع، بل مع فجر الروح الأبدي!

مرت أشهرٌ سعيدةٌ كثيرة؛ وفي هدوءٍ أخاذٍ، تمكنتُ في المُحبسة من إنجاز عملٍ طويل الأمد بعنوان "ترانيم كونية". لحنتُ، بكلماتٍ إنجليزيةٍ وتدوينٍ موسيقيٍّ غربيٍّ، حوالي أربعين أغنية، بعضها أصليٌّ، وبعضها الآخر مُقتبسٌ من ألحانٍ قديمة. وشملت هذه الأغاني أنشودة شانكارا "لا ميلاد، لا موت"؛ وأغنيتين مُفضّلتين لسري يوكتسوار: "استيقظ، استيقظ يا قديسي!" و"الرغبة، عدوي اللدود"؛ و"ترنيمة براهما" السنسكريتية القديمة؛ وأغانٍ بنغاليةٍ قديمة، مثل "يا له من وميض برق!" و"لقد سمعوا اسمك"؛ وقصيدة طاغور "من في معبدي؟"؛ وعددًا من مؤلفاتي: "سأكون لك دائمًا"، و"في أرض أحلامي"، و"اخرج من سماء الصمت"، و"استمع إلى نداء روحي"، و"في معبد الصمت"، و"أنت حياتي".

في مقدمة كتاب الأغاني، رويت تجربتي المتميزة الأولى مع تقبل

الغربيون إلى أجواء الشرق التعبدية الغريبة. كانت المناسبة محاضرة عامة، الزمان: ١٨ أبريل ١٩٢٦، المكان: قاعة كارنيجي في نيويورك.

"سيد هانزيكر"، كنت قد اعترفت لطالب أمريكي، "إنني أخطط أن أطلب من الجمهور غناء ترنيمة هندوسية قديمة تقول: "يا إلهي جميل!"".

"سيدي،" احتج السيد هانزيكر، "هذه الأغاني الشرقية غريبة على الفهم الأمريكي. يا له من عار أن تُفسد المحاضرة بتعليق عن الطماطم الناضجة!"

لقد خالفتُ الرأي ضاحكًا. «الموسيقى لغة عالمية. لن يعجز الأمريكيون عن الشعور بروحانية هذه الأغنية النبيلة.» 48-2

خلال المحاضرة، جلس السيد هانزيكر خلفي على المنصة، ربما خوفًا على سلامتي. كانت شكوكه واهية؛ فلم يقتصر الأمر على غياب الخضراوات غير المرغوب فيها، بل استمرت نغمة "يا إلهي جميل!" لمدة ساعة وخمس وعشرين دقيقة تُسمع بلا انقطاع من ثلاثة آلاف حنجرة. انتهى الهم يا أهل نيويورك الأعزاء؛ فقد غمرت قلوبكم أنشودة فرح بسيطة! وقد حدثت شفاءات إلهية ذلك المساء بين المصلين الذين هتفوا باسم الرب المبارك بمحبة.

لم تكن حياة المنعزلة كمغنٍّ أدبي دورَي طويلًا. وسرعان ما أصبحتُ أقضي أسبوعين بين لوس أنجلوس وإنسينيتاس. قداسات يوم الأحد، ودروس، ومحاضرات في النوادي والجامعات، ومقابلات مع الطلاب، وسيلٌ متواصل من المراسلات، ومقالات

لمجلة "إيست-ويست"، وإدارة أنشطة في الهند، والعديد من المراكز الصغيرة في المدن الأمريكية. كما خُصص وقتٌ طويلٌ لتنظيم الكريا وغيرها من تعاليم "زمالة تحقيق الذات" في سلسلة من الدراسات لباحثي اليوغا البعيدين الذين لم يرَ حماسهم حدودًا للمكان.

أُقيم حفل تدشينٍ بهيجٍ لكنيسة تحقيق الذات لجميع الأديان عام ١٩٣٨ في واشنطن العاصمة. تقع هذه الكنيسة الفخمة وسط حدائق خلابة، في منطقة من المدينة تُعرف باسم "مرتفعات الصداقة". قائد واشنطن هو سوامي بريماناندا، الذي تلقى تعليمه في مدرسة رانشي وجامعة كلكتا. وقد استدعيته عام ١٩٢٨ لتولي قيادة مركز واشنطن لزمالة تحقيق الذات.

"بريماناندا"، قلت له خلال زيارة لمعبده الجديد، "هذا المقر الشرقي هو نصب تذكاري من الحجر لتفانيك الدؤوب. هنا في عاصمة الأمة، رفعت عالياً نور مُثُل لاهيري ماهاسايا".

رافقني بريماناندا من واشنطن في زيارة قصيرة إلى مركز زمالة تحقيق الذات في بوسطن. يا لها من سعادة أن أرى مجددًا فرقة كريا يوغا التي حافظت على ثباتها منذ عام ١٩٢٠! استقبلني قائد بوسطن، الدكتور إم. دبليو. لويس، أنا ورفيقي في جناح حديث ذي ديكور فني.

قال لي الدكتور لويس مبتسمًا: "سيدي، خلال سنواتك الأولى في أمريكا، كنت تقيم في هذه المدينة في غرفة واحدة، دون حمام. أردتك أن تعلم أن بوسطن تمتلك بعض الشقق الفاخرة!"

كانت ظلال المذبحة الوشيكة تلوح في الأفق، حتى أن الأذن الثاقبة كانت تسمع طبول الحرب المرعبة. خلال مقابلاتي مع الآلاف في كاليفورنيا، ومن خلال مراسلات عالمية، وجدتُ أن الرجال والنساء كانوا يبحثون بعمق في قلوبهم؛ فقد أبرز انعدام الأمن الخارجي المأساوي الحاجة إلى المرسى الأبدي.

كتب لي رئيس مركز زمالة تحقيق الذات في لندن عام ١٩٤١: "لقد تعلمنا بالفعل قيمة التأمل، ونعلم أن لا شيء يمكن أن يزعزع سلامنا الداخلي. في الأسابيع القليلة الماضية، خلال الاجتماعات، سمعنا تحذيرات من غارات جوية واستمعنا إلى انفجار قنابل متأخرة، لكن طلابنا ما زالوا يجتمعون ويستمتعون بخدمتنا الرائعة".

وصلتني رسالة أخرى من إنجلترا التي مزقتها الحرب قبيل دخول أمريكا الصراع. بكلماتٍ نبيلةٍ حزينة، كتب الدكتور ل. كرانمر باينغ، المحرر البارز لسلسلة "حكمة الشرق":

عندما قرأتُ رواية "شرق وغرب"، أدركتُ كم بدت المسافة بيننا كبيرة، وكأننا نعيش في عالمين مختلفين. الجمال والنظام والهدوء والسلام تأتيني

من لوس أنجلوس، مبحرةً إلى الميناء كسفينة محملة ببركات وراحة الكأس المقدسة إلى مدينة مُحاصرة.

أرى في المنام بستان نخيلك، ومعبد إنكينيتاس بامتداداته المطلة على المحيط وجباله، وفوق كل ذلك، رفقة رجال ونساء ذوي توجهات روحية، مجتمعًا مترابطًا، منغمسًا في العمل الإبداعي، ومتجددًا بالتأمل . إنه عالم رؤيتي الخاصة، الذي تمنيتُ أن أساهم ولو بجزء يسير في صنعه، والآن...

ربما لن أصل شواطئك الذهبية في جسدي، ولن أتعبد في معبدك. لكن الأمر أعظم، أن أرى الرؤية وأعلم أنه في خضم الحرب، لا يزال هناك سلام يسود موانئك وتلالك. تحياتي للجميع، رفقة من جندي عادي، مكتوبة على برج المراقبة في انتظار الفجر.

جلبت سنوات الحرب صحوة روحية بين رجال لم تكن من قبل منشغلات بدراسة العهد الجديد. خلاصة حلوة من أعشاب الحرب المريرة! ولإشباع حاجة متنامية، بُنيت كنيسة صغيرة مُلهمة لتحقيق الذات لجميع الأديان وكُرِّست عام ١٩٤٢ في هوليوود. يُطل الموقع على تلة أوليف وقبة لوس أنجلوس السماوية البعيدة. تنعكس الكنيسة، المُكسوة بالأزرق والأبيض والذهبي، وسط زهور الزنبق المائي في بركة كبيرة. الحدائق مُبهجة بالزهور، وبعض الغزلان الحجرية المُفزعة، وشرفة

زجاجية مُلوَّنة، وبئر أمنيات عتيق. مع البنسات ورغبات الإنسان المُتغيرة، كانت هناك طموحات خالصة كثيرة لكنز الروح الأوحد! يتدفق اللطف العالمي من منافذ صغيرة تضم تماثيل لاهيري ماهاسايا وسري يوكتسوار، وكريشنا، وبوذا، وكونفوشيوس، والقديس فرانسيس، ونسخة طبق الأصل من عرق اللؤلؤ للمسيح في العشاء الأخير.

تأسست كنيسة أخرى لتحقيق الذات لجميع الأديان عام ١٩٤٣ في سان دييغو. معبد هادئ على قمة تلة، يقع في وادٍ منحدر من أشجار الكينا، مُطلاً على خليج سان دييغو المتلألئ.

في إحدى الأمسيات، جلستُ في هذا الملاذ الهادئ، أسكبُ قلبي في غناء. تحت أصابعي، كان أورغن الكنيسة ذو النغمة العذبة، وعلى شفتيّ أنين بنغالي قديم.

المريد الذي كان يبحث عن العزاء الأبدي:

في هذا العالم يا أمي، لا أحد يحبني؛ في هذا العالم لا يعرفون الحب الإلهي. أين الحب النقي؟ أين حبك بصدق؟ هناك يتوق قلبي.

كان رفيقي في الكنيسة، الدكتور لويد كينيل، قائد مركز سان دييغو، يبتسم قليلاً عند سماع كلمات الأغنية.

"أخبرني بصدق يا باراماهانساجي، هل كان الأمر يستحق كل هذا العناء؟" نظر إليّ بصدقٍ جاد. فهمتُ سؤاله المقتضب: "هل كنتَ سعيدًا في أمريكا؟ ماذا عن خيبات الأمل، وآلام القلب، وقادة المراكز الذين لم يتمكنوا من القيادة، والطلاب الذين لم يُدرَّسوا؟"

طوبى للرجل الذي يختبره الرب يا دكتور! لقد تذكر بين الحين والآخر أن يثقل كاهلي! فكرتُ حينها في جميع المؤمنين، وفي الحب والإخلاص والفهم الكامن في قلب أمريكا. وبتأكيد بطيء، تابعتُ: "لكن جوابي هو: نعم، ألف نعم! لقد كان الأمر يستحق العناء؛ لقد كان مصدر إلهام دائم، أكثر من أي وقت مضى، أن أرى الغرب والشرق يتقاربان في الرابطة الدائمة الوحيدة، الرابطة الروحية!"

أضفت دعاءً في صمت: "أتمنى أن يشعر باباجي وسري يوكتسوارجي أنني قمت بدوري، ولم أخيب الأمل الكبير الذي أرسلوني به".

عدت مرة أخرى إلى العضو؛ هذه المرة كانت أغنيتي مشبعة بالشجاعة العسكرية:

عجلة الزمن تطحن حياةً قمريةً ونجميةً، وصباحاتٍ مشرقةٍ تبتسم، لكن روحي لا تزال تمضي قدمًا! تنافس الظلام والموت والفشل، وحاولوا جاهدين سد طريقي، ومعركتي مع الطبيعة الغيورة قوية، لكن روحي لا تزال تمضي قدمًا!

في أسبوع رأس السنة الجديدة من عام 1945، كنت أعمل في مكتبي في إنكينيتاس، حيث كنت أقوم بمراجعة مخطوطة هذا الكتاب.

"بارامهانساجي، تفضل بالخروج." ابتسم لي الدكتور لويس، القادم من بوسطن، متوسلاً من خارج نافذتي. وسرعان ما كنا نتمشى تحت أشعة الشمس. أشار رفيقي إلى أبراج جديدة قيد الإنشاء على طول حافة عقار الزمالة المجاور للطريق الساحلي.

سيدي، لاحظتُ تحسنًا كبيرًا هنا منذ زيارتي الأخيرة. يأتي الدكتور لويس مرتين سنويًا من بوسطن إلى إنسينيتاس.

نعم يا دكتور، مشروعٌ لطالما فكرتُ فيه بدأ يتبلور. في هذه البيئة الجميلة، أنشأتُ مستعمرةً عالميةً مصغّرةً. الأخوةُ مثالٌ يُفهم بالقدوة لا بالتعاليم! قد تُلهم مجموعةٌ صغيرةٌ متناغمةٌ هنا مجتمعاتٍ مثاليةً أخرى حول العالم.

فكرة رائعة يا سيدي! ستنجح المستعمرة بالتأكيد إذا قام كل فرد بدوره بإخلاص!

«العالم» مصطلح واسع، لكن على الإنسان أن يُوسّع نطاق ولائه، مُعتبراً نفسه مواطناً عالمياً،» تابعتُ. «الشخص الذي يشعر حقاً بأن «العالم وطني؛ إنه أمريكا، والهند، والفلبين، وإنجلترا، وأفريقيا»، لن يفتقر أبداً إلى مجال لحياة مفيدة

وسعيدة. سيعرف كبرياؤه المحلي الفطري اتساعاً لا حدود له؛ وسيكون على تواصل مع التيارات العالمية الإبداعية».

توقفتُ أنا والدكتور لويس فوق بركة اللوتس قرب الدير. وأسفلنا امتدّ المحيط الهادئ اللامتناهي.

"هذه المياه نفسها تتكسر بالتساوي على سواحل الغرب والشرق، في كاليفورنيا والصين." ألقى رفيقي حجرًا صغيرًا في أول سبعين مليون ميل مربع من المحيط. "إنسينيتاس بقعة رمزية لمستعمرة عالمية."

هذا صحيح يا دكتور. سنُنظّم هنا العديد من المؤتمرات واللقاءات الدينية، وندعو مندوبين من جميع أنحاء العالم. ستُعلّق أعلام الدول في قاعاتنا. وستُبنى معابد صغيرة على أرضنا، مُخصّصة لأديان العالم الرئيسية.

"في أقرب وقت ممكن،" تابعتُ، "أخطط لافتتاح معهد يوغا هنا. إن الدور المبارك للكرييا يوغا في الغرب لم يبدأ بعد. عسى أن يعلم جميع البشر أن هناك تقنية علمية محددة لتحقيق الذات للتغلب على كل بؤس بشري!"

المتحدثون في اجتماع بين الأعراق عام ١٩٤٥ في سان فرانسيسكو أثناء انعقاد مؤتمر السلام. (من اليسار إلى اليمين) الدكتور مانيك أنكليساريا، جون كوهي، أنا، هيو إي. ماكبث، فينس إم.

كنيسة تحقيق الذات لجميع الأديان في واشنطن العاصمة، والتي يظهر زعيمها، سوامي بريماناندا، هنا في الصورة معي

والدي الجليل، جالسًا في وضعية اللوتس الهادئة، كلكتا، 1936

في وقت متأخر من الليل، ناقش معي صديقي العزيز - أول كريا يوغي في أمريكا - الحاجة إلى مستعمرات عالمية قائمة على أسس روحية. لعلّ العلل المنسوبة إلى تجريد مجسم يُسمى "المجتمع" تُلقى، بشكل أكثر واقعية، على عاتق كل إنسان. يجب أن تزدهر اليوتوبيا في الأحضان الخاصة قبل أن تزدهر في الفضيلة المدنية. الإنسان روح، وليس مؤسسة؛ إصلاحاته الداخلية وحدها كفيلة بديمومة إصلاحاته الخارجية. بالتركيز على القيم الروحية وتحقيق الذات، تُمكّن مستعمرة تُجسّد الأخوة العالمية من بثّ ذبذبات ملهمة تتجاوز حدودها المحلية.

١٥ أغسطس ١٩٤٥، نهاية الحرب العالمية الثانية! نهاية عالم؛ فجر عصر ذري غامض! اجتمع سكان المحبسة في القاعة الرئيسية لصلاة شكر. "يا أبانا السماوي، لا يتكرر هذا أبدًا! سيبقى أبناؤك إخوة من الآن فصاعدًا!"

لقد زال توتر سنوات الحرب، وهدأت أرواحنا في شمس السلام. نظرتُ بسعادة إلى كلٍّ من رفاقي الأمريكيين.

"يا رب،" فكرت بامتنان، "لقد أعطيت هذا الراهب عائلة كبيرة!"

48-1: إنكينيتاس هي بلدة صغيرة تقع على الطريق الساحلي السريع 101، وتقع على بعد 100 ميل جنوب لوس أنجلوس، و25 ميلاً شمال سان دييغو.

48-2: أترجم هنا كلمات أغنية جورو ناناك:

يا إلهي، يا إلهي، يا إلهي، في الغابة، أنتِ خضراء، في الجبل، أنتِ عالية، في النهر، أنتِ قلقة، في المحيط، أنتِ قاتمة! للمُخدِم، أنتِ خدمة، للعاشق، أنتِ حب، للحزين، أنتِ تعاطف.

إلى اليوغي، أنت النعيم! يا إلهي الجميل! يا إلهي الجميل! عند قدميك، أنحني!

أُنتجت هذه "السيرة الذاتية ليوغي" من النصوص الأصلية الصادرة عام ١٩٤٦ - الطبعة الأولى. انتهت حقوق الطبع والنشر للطبعة الأولى عام ١٩٤٦ في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الكتاب المُلهِم الآن متاح للجميع مجانًا في جميع أنحاء العالم.